

الذريعة إلى الفرائد

شرح

المباني الحاشية إلى المفيدة

في التوحيد والفقه والعقيدة

للشيخ المفضل أبي محمد

عبد الحميد بن يحيى الحجوري الزعكري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة الشارح]

الحمد لله والصلاة والسلام على رَسُولِ اللَّهِ وأشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم-.

أما بعد: ^(١)

فإن دراسة العقيدة من المهمات إذ أنها أصل الديانات، وهي من الأمور
المتحتمات دراستها ومعرفتها على المسلمين والمسلمات إذ بها صلاح البواطن
والجليات، وبفسادها حصول البدع البليات وما ترى من تفرق الأمة إلى
فرق وحزبيات سببه مخالفة الآيات البينات والأحاديث الصحيحة
والأثار السلفيات.

وقد تنافس العلماء أصحاب الهمم العاليات في كتابه المطولات
والمختصرات في هذا الباب، فمنها:

ومن هذه الكتب: كتاب الشريعة للأجري أبي بكر محمد بن الحسين،
وكتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد، وكتاب أصول السنة للإمام أحمد بن

(١) كان الابتداء بتدريس هذا الكتاب في مسجد الصحابة - رضي الله عنهم - بمدينة الغيضة في يوم الثاني
من شهر محرم الحرام لعام ألف وأربعمائة وأربعين من هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وانتهت من
مراجعة جزء التوحيد والعقيدة في مدينة جرجوان الهند (٣٠ / شعبان / ١٤٤٠ هـ) والحمد لله على التمام.



حنبل، وكتاب الإبانة عن أصول الديانة لابن بطة العكبري، وكتاب الحجة في بيان المحجة للأصفهاني، وكتاب خلق أفعال العباد للبخاري، وكتاب السنة لابن أبي عاصم، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب السنة للخلال، وكتاب أصول السنة لابن أبي زمنين، ولي بحمد الله شرح عليه. وكتاب اعتقاد أهل الحديث لأبي بكر الإسماعيلي، وكتاب اعتقاد السلف أصحاب الحديث للصابوني، وكتاب السنة للمروزي، وكتاب شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة للالكائي، والعقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي.

أما من حيث الكتب المتضمنة: فأعظمها وأجلها كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وكذا ما تضمنه صحيح البخاري وصحيح مسلم. وما تضمنه المسانيد، والسنن، والمصنفات، والمعاجم، وكل هذا من باب حفظ الله لدينه.

وكان منها كتاب: "المبادئ المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة" لشيخنا الهمام: أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري - حفظه الله تعالى - خليفة شيخنا الوداعي - رحمه الله تعالى - على كرسيه ودعوته.

صاحب العقيدة الصافية والطريقة المرضية، والأخلاق الزكية رافقناه
حضرًا وسفرا فوجدناه على حال يسر الصديق والحبیب، ويغیض العدو
البعید، محبًا للعلم والعمل، ولطلاب العلم متفانيًا في خدمة الدعوة، كريمًا
حليماً، فأسأل الله عز وجل له الثبات إلى الممات.



ترجمة المصنف حفظه الله تعالى

وقد ترجم لنفسه حفظه الله ترجمة مختصرة قال فيها:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد طُلب مني أن أكتب نبذة عن مولدي واسمي وبلدي ونشأتي وبعض ما يتعلق بذلك، وبعد تكرار الطلب من الأحبة - أعزهم الله - رأيت تلبية طلبهم بكتابة هذه الأسطر.

فأقول وبالله التوفيق:

أما اسمي: فأنا يحيى بن علي بن أحمد بن علي بن يعقوب الحجوري، من قبيلة بني وهان، من قرية الحنجرة في أصل جبل الكُعَيْدنة - أسأل الله أن يُكرمهم بطلب علم كتاب الله وسنة رسوله -.

ثم انتقل جدي أحمد بن علي يعقوب إلى قرية تبعد عنها بمسافة غير يسيرة يُقال لها قرية جبرّ قبيلة الزغابية، وتزوج منهم، فهم أحوال والدي نشأ بينهم عند بعض أسرته وتزوج منهم أيضا بأمي من أسرة عقّال قرية الزغابية - رحم الله أمواتهم وأصلح أحيائهم - وفيها كان مولدي قبل نحو أربعين عامًا، في أيام ما يُسمى بـ (الثورة الجمهورية اليمنية).



والدي - حفظه الله وأمد في عمره في طاعته - شغوف بالزراعة فكان يزرع مزرعة كبيرة يمتلك منها الخير الكثير من الذرة والسمسم وغير ذلك، حتى كان بعض الناس يقترضون منه الذرة والقصب عند الجذب مع ما أعطاه الله من المواشي من الغنم والبقر، فكان والله الحمد في الجانب المعيشي على أحسن حال.

وربّانا أنا وأخواني تربية حسنة بعيدين عن: القات والدخان والشمة وغير ذلك من البلايا.

وكان من أشد شيء يُغضبه علينا أن يرى من أحدنا قصورا في صلاة الجماعة أو الراتبة، وأحب شيء إليه أن يصير بعضنا عالماً، وليس هناك إلا التعليم في الكتاتيب، فجعلني فيما يُسمى بمعلامة الشيخ، أمين تلك القرى وفقهها وخطيبها (يحيى العتابي - رحمه الله -).

والتعليم في تلك المِعلامة كما هو شأن التعليم القديم، تعليم قراءة القرآن نظراً في المصحف، وتعليم الخط، ومن تخرّج منها غالباً يصير فقيه قريته إمامةً وخطابةً في بعض الخطب المؤلفة، وكتابة العقود ونحو ذلك.

وقد كان الفقيه العتابي - رحمه الله - يُجني من أكثر طلابه. ولما تخرجت من تلك المِعلامة بقراءة القرآن نظراً ومعرفة شيء من الخط عزم أبي على

الذهاب بي إلى مدينة الزيدية حيث كان يُشاع عند الناس هناك أنها مدينة العلم، وكانوا هم أهل الفتوى في الطلاق والمواثيق ونحوها. ووالدي -حفظه الله- محبٌ للعلم والدين كثير الصيام والقيام، ولا أعلمه أكل درهما من حرام، ولكنه ما كان يعرف عن الصوفية والشيعة ولا عن غيرهم من الفرق الضالة شيئاً، فكان يُجلِّهم ويزورونه كثيراً، ومن زاره منهم يُكرمه غاية الإكرام، فنَجَّاني الله عز وجل من الدراسة عند أولئك الصوفية بأمي حفظها الله وأحسن خاتمتها، حيث جعلت تبكي عليّ أن لا أذهب فأبقى في غير بلدي وحدي بغير رفيق من البلاد وأنا صغير، فأبقاني أبي أَرعى الغنم، وكان حفظه الله أول من بنى مسجداً من الخشب والقش في قرينتنا التي هم فيها الآن، ومع أنه مسجد صغير يسع نحو أربعين مصلياً آنذاك يُعتبر جامعاً لعدد من القرى حوله، ولما تهدّم بناه من الحجر ووسّعه وكنت أنا إمامه، وفي يوم الجمعة يُجعل من يخلّفني في رعي الغنم وأخطب بهم في بعض الخطب المؤلّفة، وأكثر ما كنت أَعتمد على (الفتوحات الربّانية للبيحاني رحمه الله) حتى كدت أن أحفظها لكثرة تكراري لها.

ثم بعد ذلك ذهبت إلى السعودية فكنت أحضر حلقة الإقراء بعد صلاة الفجر عند فضيلة الشيخ المقرئ الشهير عبّيد الله الأفغاني -حفظه الله- في مدينة أبها، وسمعنا عنده شيئاً من صحيح مسلم كان يبدأ به قبل السماع لنا،



ثم سافر انتقلت إلى الشيخ المقرئ محمد أعظم الذي كان يدرّس القرآن في مسجد يحيى، فقرأت عليهما إلى سورة الأعراف، ثم سافر الشيخ أيضاً، وأكملت القراءة برواية حفص عن عاصم عند المقرئ محمد بشير والله الحمد.

ومع محبتي الشديدة للعلم آنذاك لم أجد هناك آنذاك من يُرشدني إلى الالتحاق بالشيخ الإمام ابن باز أو غيره من علماء المملكة ممن كانوا قائمين بالتعليم رحمهم الله، ثم سمعت بالشيخ العلامة مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - وأنه عالم سلفي يُدرّس علوم كتاب الله وسنة رسوله - **صلى الله عليه وسلم** - في دماج - حرسها الله ووفق أهلها لكل خير - إحدى قرى بلاد صعدة، فالتحقت به في داره المباركة في عام خمسة وأربعمئة وألف للهجرة النبوية (١٤٠٥ هـ) على صاحبها الصلاة والسلام.

وجاء معي والدي ووصّى بي الشيخ رحمه الله خيراً، ثم انصرف، ولا يزال معيناً لي على طلب العلم بالمساعدات المالية بين حين وآخر. وبقيت من ذلك التاريخ في طلب العلم؛ لا أحب كثرة السفريات، ولا ضياع شيء من الأوقات حتى يسر الله - **عز وجل** - من فضله على يدي شيخنا العلامة المحدث السلفي الميمون مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - بخير كثير من الاستفادة في علوم شتى.



وكما هو الحال في هذا الدار المبارك، كنت أضيف إلى ما نتلقاه جميعاً من شيخنا شيخ مشايخ الدعوة السلفية في اليمن مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - بعض الدروس في النحو العقيدة و الفقه....، عند بعض المشايخ الأجلة من أكابر طلاب شيخنا الإمام الوادعي - رحمه الله - في الدار، شكر الله لهم جميعاً، وبعد ذلك كان شيخنا مقبل أسكنه الله الفردوس الأعلى يأمرني أن أنوبه في التدريس إذا مرض أو سافر، ولما دنى أجله - رحمه الله - أوصى أن أكون بعده خلفاً له على ذلك الحال.

وكان أعداء هذه الدار يظنون ظن السوء أن بموت الشيخ - رحمه الله - ستزول هذه الدعوة وتصير بنيانها مكاناً للعلف ومجالساً لتخزين القات كما كنا نسمعهم نحن وغيرنا في فترة مرض الشيخ وقبل ذلك، فلما أقبل الله بقلوب العباد على هذا الخير بعد موت الشيخ - رحمه الله - وتوسعت الدعوة أكثر وصار طلبة العلم أضعاف ما كانوا عليه في حياة مؤسس الدار شيخنا الإمام الوادعي - رحمه الله - اغتاظ من ذلك بعض من أصيب بمرض الحسد ممن كان من طلاب الشيخ - رحمه الله - ومن غيرهم من أهل الأغراض الدنيوية والفتن الحزبية، فدفع الله شرهم وبور مكرهم.

ولا تزال الدعوة في كل خير إلى الأمام، والفضل لله من قبل ومن بعد، فهو القائل: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، ونسأل الله عز وجل أن يحفظ

علينا ديننا ودعوتنا، وأن يدفع عنا وعن بلادنا وسائر بلاد المسلمين الفتن
ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله رب العالمين. اهـ



[بقية مقدمة الشارح حفظه الله تعالى]

وكتاب المبادئ المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة صغير المبنى عظيم المعنى فهو مقربٌ لعلوم كثيرة ولأبواب مفيدة وحاله أنه اسمٌ على مسماه ولفظٌ يحمل معناه.

فقوله: (المبادئ): أي علوم يحتاجها المبتدئ في الإسلام والعلم والاستقامة والمبادئ كالأسس التي يقوم عليها غيرها.

وقوله: (المفيدة): أي التي يستفيد منها من تعلّمها من حيث أنها مبنية على أدلة من الكتاب والسنة وهذا هو الأصل الذي من أجله تُطلب العلوم للاستفادة والإفادة فيرفع الجهل عن نفسه وغيره.

وكما قال السعدي في منظومة القواعد الفقهية:

اعلم هديت أن أفضل المنن *** علم يزيل الشك عنك والدرن

ويكشف الحق لذي القلوب *** ويوصل العبد إلى المطلوب

وقوله: (في التوحيد): مصدر وحد يوحد وهو حق الله على العبيد به أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ولأجله شرع الجهاد وأعد لأهله الجنان ولمخالفيه النيران، فهو الحق المقدم، والطريق المعظم، والعلم المفخم وهو الأساس الذي يُبنى عليه غيره، فلا صلاح ولا قبول لأي عمل إلا به.



حيث قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»^(١)، وفي رواية: «إلا نفس مسلمة»^(٢).

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا طَاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وفي حديث ابن عمر - رضي الله عنه -: «بني الإسلام على خمس»^(٣).

وبدأ بقوله: «على أن يوحد الله»: متفق عليه واللفظ لمسلم.

وفي حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه -: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله»^(٤) أخرجه مسلم.

وهذا نعلم أنه يجب تقديم علم التوحيد والعمل به على كل علم وعمل، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وسيأتي بيانه في موطنه إن شاء الله.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١١٤)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٠٦٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١١١) من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه، وجاء في الصحيحين أيضاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣٧٢).

قوله: (والفقه): هو الفهم والمراد به هنا بعض مسائل الصلاة وما إليها مما يحتاجها المكلف أكثر من غيرها.

إذ أن العلوم التي يدرسها الطالب تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: علم التوحيد: وهو أفراد الله - عز وجل - بما يجب له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

الثاني: علم العقيدة: وهو ما يعقد عليه القلب من أركان الإيمان وما يدخل تحتها من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وما أخبر به النبي - صلى الله عليه وسلم - - صلى الله عليه وسلم - من أخبار الماضين والآتين والإيمان بوجود الجن والشیاطين والإيمان بالسحر والعين وأن لهما حقيقة.

ويدخل في العقيدة ما يتعلق بطاعة أولياء الأمور فالعقيدة أعم من التوحيد إذ أن التوحيد من العقيدة.

الثالث: الفقه: وهو علم العبادات وما يلتحق بها من المعاملات. وربما عبر عنه بعضهم بالأصول والفروع ويريد بالأصول العقيدة وما يليها وبالفروع ما يتعلق بالمسائل الفقهية.

ولكن هذا الاصطلاح قد أنكره بعض أهل العلم كشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله على ما بينته في كتابي: "معجم المصطلحات العصرية وأثرها على الشريعة الإسلامية".

والأسوأ من ذلك تقسيم الدين: إلى قشور ولباب.

فالإسلام كله دين الله من قول: «لا اله إلا الله» إلى «إمطة الأذى عن الطريق».

كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، أخرجه البخاري، ومسلم واللفظ له، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

فيعمل بما جاء عن الله -عز وجل- وثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كل بحسبه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

وكانت تسمية هذا الشرح: "اللبزة المفيدة شرح المبادئ المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة".

تنبيه: ما كان في حاشية كتاب المبادئ المفيدة أثبتناه في الأصل، وأشارت إليه بقولي: (وفي الحاشية).

(١) أخرجه الإمام البخاري (٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٥).

وقد قلت في هذا الشرح الذي أسأل الله عز وجل أن ينفع به الإسلام والمسلمين:

إن العلوم كثـيرة وأهمها *** علم العقيدة يا أخا العرفان
أقبل هديت إلى العلوم فإنها *** نعم المكاسب دونما خسران
إن المبادئ قد أفاد معارفًا *** في الفقه والتوحيد والإيمان
ومراتب الدين الحنيف أبانها *** ومحذرًا من كل فعل داني
ولذا شرحت كتاب شيخي ارتجي *** برًا وإحسانًا ويصلح شاني
بـ(الدرة) احفظها (الفريدة) إذ حوى *** درر العلوم تلوح كالعقيان
يا رب فاقبل كل فعلٍ صالحٍ *** وتجاوز اللهم عن عصياني
فاحفظ إلهي شيخنا واكتب له *** أجرًا يبلغه رضى الرحمن

كتبته: في يوم ٢٢ ربيع الآخر/ لعام ١٤٤١ من الهجرة النبوية
الشريفة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

مركز الصحابة - بالغيضة



وقال أخونا أبو عبد الله أمين بن عبد الله التبسي الجزائري:

شرح المبادئ للحجوري انبرى *** عبد الحميد لشرحه ببيان
بالدرة اختار الفريدة وسمه *** وبريقها في غاية اللمعان
وحوى فوائده في السطور غزيرة *** كالغيث زاد تدفق السيول
عبد الحميد الزعكري بشرحه *** زان المبادئ فكّه لمعان
وأبو محمد اعتنى بالشرح مع *** حسن وتدقيق مع الاتقان
وبشرحه زاد الكتاب سهولة *** مع كونه سهلاً على الولدان
لكن أراد البر منه بشيخنا *** والشيخ أهل البر والإحسان
خدم الكتاب مدققاً فغدا به *** برّاً بشيخ ناصح متفان
ونحبه في الله جل جلاله *** هو شيخنا في العلم والعرفان
هو شيخنا يحيى الحجوري الذي *** عرف القصي لفضله والبداني
لا غرو أن يزدان شرح منه إذ *** هو ثمرة من ذلك البستان
فتقبل اللهم منه كتابه *** وأنله منك مثوبة بجنان

كتبه: في يوم ٢٢ ربيع الآخر لعام ١٤٤١ من الهجرة النبوية الشريفة

على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

مركز بشائر الخير - صنعاء



كتبه أبو محمد عبد الحميد بن يحيى الحمجوري (الزُّعْمَرِي)

حفظه الله تعالى

(ليس - المهر - الغبض)

وكاف تاريخ المراجعة الأخيرة: ١٦ / ربيع الآخر / ١٤٤١ هـ

(☆☆☆)

التي شرع الله - **عز وجل** - المجيئ بها، وقد ذكرت ذلك مفصلاً في شرحي على العقيدة الواسطية يرجع إليه من أراد الزيادة.

والباء: (في باسم الله): للاستعانة بالله - **عز وجل** - على الفعل إذ لا حول ولا قوة للإنسان إلا بعون الله - **عز وجل** - والاسم مشتق من السمو وهو العلو.

و(الله): لفظ الجلالة علم على الذات العلية مشتق من الإله وهو المعبود محبة وتعظيماً، وهو الاسم الأعظم وأعرف المعارف وجميع الأسماء تابعة له على ما هو مقرر في قواعد الأسماء والصفات، فيقال الله الرحمن ولا يقال الرحمن الله.

و(الرحمن): اسم مختص بالله - **عز وجل** - دال على صفة الرحمة العامة، فهو رحمن الدنيا والآخرة.

و(الرحيم): اسم من أسماء الله دالة على الرحمة الواصلة، قال - **عز وجل** -: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقد تكلمت على ما يتعلق بمعاني البسملة في كتابي: "فتح العليم شرح رسالة الإمام المجدد إلى أهل القصيم"، والله الحمد والمنة.



قال المصنف حفظه الله تعالى:

قال: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم-.
أما بعد:

فيقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً واحداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

الشرح: *

قوله: (الحمد لله حمداً كثيراً): ثنى بالحمدلة، وهي ذكر محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله وربنا تعالى يحمد على كل حال على فضله وإحسانه، وعلى عدله وكماله.

(وأل): في (الحمد) تفيد الاستغراق، أي أن جميع المحامد ثابتة لله -عز وجل-، له حمد من أسمائه وله حمد من صفاته وله حمد من أفعاله.

وفضلها عظيم يعلم ذلك من كثرة مواطنها، ولابن كثير -رحمه الله- رسالة بعنوان: "مواطن الحمد" ذكر فيها جملاً مما يحتاجه المؤمن. والله المستعان.

فعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
«إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ
فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» ^(١).

وقد تكلمت على ما يتعلق بها والفرق بينها وبين الشكر في كتابي: فتح
الباري على شرح السنة للبرهاري - رحمه الله تعالى -.

قوله: (وَأَشْهَدُ): الشهادة هي الإقرار والإعلام والإخبار، وهي هنا
الإقرار لله - عز وجل - بالوحدانية، ولمحمد - صلى الله عليه وسلم -
بالرسالة، ولا دخول في الإسلام إلا بها.

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ
فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ» ^(٢)، والله أعلم.

قوله: (أَمَّا بَعْدُ): كلمة يؤتى بها للفصل بين الحمد وما يليه، وكان النبي -
صلى الله عليه وسلم - يأتي بها في خطبه على ما هو مقرر في موطنه وتقديره:
ومهما يكن من شيء بعد فهو كذا.

وقد اختلفوا في أول من جاء بها.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣٤).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٨٤١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف

أبي داود رحمه الله تعالى، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٢٧٣)، وقال فيه:

هذا حديث حسن.

قال الحافظ في الفتح (٢٢١ / ٨):

وَاخْتَلَفَ فِي أَوَّلِ مَنْ قَالَهَا:

فَقِيلَ: دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقِيلَ: يَعْرُبُ بْنُ قَحْطَانَ.

وَقِيلَ: كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ.

وَقِيلَ: قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ.

وَقِيلَ: سَحْبَانُ.

وَفِي غَرَائِبِ مَالِكٍ لِلدَّارِقُطَنِيِّ أَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَهَا؛ فَإِنْ ثَبَتَ
وَقُلْنَا إِنَّ قَحْطَانَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ، فَيَعْقُوبُ أَوَّلُ مَنْ قَالَهَا مُطْلَقًا.

**وَأِنْ قُلْنَا: إِنَّ قَحْطَانَ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَعْرُبُ أَوَّلُ مَنْ قَالَهَا،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ**



قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمُوتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

استدل المصنف حفظه الله بهذه الآية لبيان أن وصية الآباء للأبناء سبيل نبوي وطريق مرضي، وقد قال الله - **عز وجل** - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فهذا نبي الله يعقوب يوصي بنيه أن يأخذوا بالدين الحق دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهو عبادة الله وحده لا شريك له والاستسلام له بالجوارح والعقائد والأقوال.

والمعنى: هل كنتم مطلعين حين حضرت يعقوب -عليه السلام- الوفاة فقال لبنيه يوصيهم بما فيه مصالحهم الدينية، ما تعبدون من بعدي، فكان جوابهم نعبد إلهك، وهو الله تعالى معبودك ومعبود آبائك إبراهيم بن آزر -عليه السلام- وإسحاق بن إبراهيم -عليه السلام- ولد إبراهيم من سارة، وجد بني إسرائيل، وإسماعيل بن إبراهيم -عليه السلام- ولد إبراهيم من هاجر، وإليه ينتسب رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**، وهو الذبيح على الصحيح من أقوال أهل العلم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، ثم قال: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفافات: ١٠٢].

فكانت البشارة بإسحاق بعد إرادة الذبح لإسماعيل - عليهما السلام - .
قوله: (إِلَهاً وَاحِداً): أي: أن معبودهم واحد ليس لهم معبود سواه كما أنه لا شريك له ولا رب سواه.
قوله: (ونحن له مسلمون): أي: متسلمون منقادون لشرعه وأمره، وسيأتي بيان أن الإسلام بمعناه العام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، والله المستعان.



والحديث الصحيح ينقسم:

إلى صحيح لذاته: وهو ما تقدمت شروطه.

وصحيح لغيره: وهو الحديث الحسن إذا تعددت طرقه على ما يأتي بيانه إن شاء الله.

قوله: (عن ابن عباس): هو عبدالله بن العباس أبو العباس، ابن عم النبي -صلى الله عليه وسلم-، دعا له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يفقهه الله -عز وجل- في الدين وأن يعلمه التأويل، وهو من المكثرين في حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

واستدل المصنف حفظه الله بهذا الحديث على أهمية تعليم الناس العقيدة الصحيحة لاسيما الصغار منهم فإن الناس إن لم يُعَلِّمُوا الحق قد يتعلمون الباطل وإذا لم يُرشدوا إلى الخير يُدَلُّون إلى الشر.

وفي الحديث مسابقة أهل العلم والفضل إلى المجتمع، وأن العقيدة الصحيحة ينبغي أن يتلقاها صغير السن والحدث فضلاً عن غيره حتى يتعلق قلبه بها، وسيأتي بيان ذلك عند حديث جندب رضي الله عنه.

قوله: (كنت رديف النبي -صلى الله عليه وسلم-): أي: خلفه على دابة، ولعله حمار.

وقوله: (يا غلام): يدل على أنه صغير السن، والمراد من هذا النداء حضور الذهن.

قوله: (إني أعلمك كلمات): والمراد بها الجمل المركبة المفيدة وليس الكلمات المفردة، والمراد بها هنا أصول التوحيد والعقيدة على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

قوله: (احفظ الله يحفظك): احفظه بامثال أمره واجتناب نهيه يحفظك في سمعك وبصرك وجميع شأنك، وهو كقول الله - **عز وجل** - في الحديث القدسي: «كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيَّتِهِ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَتِهِ»^(١)، عن أبي هريرة - **رضي الله عنه** -.

قوله: (احفظ الله تجده تجاهك): أي احفظ الله في حدوده بامثال أمره واجتناب نهيه وتجاهك وأمامك معناهما واحد يعني تجد الله - **عز وجل** - أمامك يدلك على كل خير ويقربك إليه ويهديك إليه ويصرف عنك كل شر ولا سيما إذا حفظت الله بالاستعانة به فإن الإنسان إذا استعان بالله - **عز وجل** - وتوكل عليه كان الله حسبه ولا يحتاج إلى أحد بعد الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]^(٢).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٠٢).

(٢) أفاده العنيمين في شرح الأربعين.

ولا يلزم من هذا أن يكون الله - عز وجل - حالاً أو متحدًا بمخلوقاته، بل هو - عز وجل - في علوه على عرشه، على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

قوله: (إذا سألت فأسأل الله): أي: إذا أردت شيئاً من أمور الدنيا والآخرة فعليك أن تنزلها بالله - عز وجل -، فهو القائل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

والقائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وفي الحديث «من يسألني فأعطيه»^(١)، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

وفي حديث جابر بن سليم - رضي الله عنه -: «وَإِذَا أَصَابَكَ عَامٌ سَنَةٍ، فَدَعَوْتُهُ أَسهَلَ لَكَ»^(٢)، أخرجه أبو داود.

قوله: «وإذا استعنت فاستعن بالله»: الاستعانة طلب العون والنبى - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «اللهم أعنني ولا تُعن علي»^(٣)، أخرجه أبو داود عن ابن عباس - رضي الله عنه -.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٠٨٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٩٦).

(٣) أخرجه الإمام أبو داود (١٥١٠)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٦٠٦).

وعلم - صلى الله عليه وسلم - معاذًا أن يقول: «اللهم أعني على ذكرِكَ وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبَادَتِكَ» ^(١)، أخرجه أبو داود عن معاذ - رضي الله عنه -

ويقول الله - عز وجل - مخبرًا عن موسى - عليه السلام -: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ [الاعراف: ١٢٨].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «استعن بالله ولا تعجز» ^(٢)، أخرجه مسلم.

وفي سورة الفاتحة التي تقرأ في كل ركعة: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ أي نعبدك حال كوننا مستعينين بك، فالعبد عاجز لولا عون الله له.

وقد أحسن من قال:

إذا لم يكن عون من الله للفتى ❀❀❀ فأول ما يجني عليه اجتهداه

قوله: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لن ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك»: أي تعلّم أن الأمور بيد الله عطاءً ومنعاً ونفعاً وضرّاً ورفعاً وخفضاً فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فالأمة بعددها وعدتها عاجزةٌ عن رد حكم الله الكوني وما قضاه الله - عز وجل - لك كوناً لا بد أن

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥٢٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(١١٠٧)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٦٤).

يقع، شاء العباد أم أبوا، قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

وقال: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]. وفيه: أن مقادير العباد مكتوبة على ما يأتي إن شاء الله.

قوله: «ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيٍ لن يضروك الا بشيٍ قد كتبه الله عليك»: أي لو اجتمعوا على مضرتك وعلى أخذ مالك أو منع رزقك لا يكون هذا منهم إلا بشيٍ قد قدره الله وكتبه وإلا فهم عاجزون مغلوبون يقول تعالى مخبرا عن نوح - عليه السلام -: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

قوله: «رفعت الأقلام وجفت الصحف»: أي أن أقلام القدر والمراد بها هنا القلم الأول الذي كتب مقادير الخلائق حين خلقه الله فقال: «اكتب قال ما اكتب قال ما كان و ما يكون إلى قيام الساعة»^(١)، أخرجه أبو داود وغيره عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢١٥٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح

فقد جفت الصحف بما فيها كناية على أن القدر قد مضى، ولا خلاف لما قدره الله - عز وجل -.

وفي مسلم عن أبي الأسود - رضي الله عنه - قال: قال لي عمران بن حصين - رضي الله عنه -: «أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيَمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: " لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا »^(١).

والشاهد من سوق الحديث: أهمية تعلم العقيدة الصحيحة للصغار والكبار، وفي الحضر والسفر، وغير ذلك من الأحوال.



(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٥٠).

فَتِيَانٌ حَزَاوِرَةٌ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا^(١)، أخرج ابن ماجه.

فالعقيدة الصحيحة سبب لعبادة الله -عز وجل- كما أمر وشرع، وسبب لكل فلاح في الدارين، والله أعلم.

قوله: «كلمات»: لأنها أخصر في الطرح، وأجمع للعلم وأبعد عن التشتت.

قوله: «في توحيد الله -عز وجل-»: لأنه أهم المهمات، وأوجب الواجبات.

قوله: «وتعليم عبادته»: لأن العبادة بغير علم ضلال.

قوله: «ومراقبته»: أي يستشعر نظر الله إليه وعمله به فينجزر عن المعاصي.

قوله: «والإيمان بالقدر خيره وشره»: لأن ذلك ينمي في القلب الرضا والشجاعة والكرم والإيمان بعلم الله -عز وجل- الذي أحاط بكل شيء وقدرته النافذة التي لا يخرج عنها شيء.



(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٦١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٢٧٣).

قوله: «هي التربية الشرعية الصحيحة»: التربية الموافقة للكتاب والسنة ومنهج السلف التي بها صلاح الظاهر والباطن، بخلاف ما عليه المدارس الآن من تعليم العقائد الفاسدة، والله المستعان.

فإذا صحت العقيدة صحت العبادة وإذا فسدت العقيدة فسدت العبادة، وفي الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»^(١)، متفق عليه عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه -.

قوله: «التي يُرجى لمن نشأ عليها أن يكون من خير عباد الله الصالحين»: أي بسبب عمله بها، أما من أعرض عنها فلا يتنفع بها.

وإذا تأملت ما لحق الأمة من الفرقة والبدعة وغيرها وجدت أن مصدر ذلك فساد العقيدة، بل إن صلاح العقيدة سبب لصلاح الأخلاق والقيم، ولا أدل على ذلك من النظر إلى حال الكفار الذين فسدت عقائدهم ففسدت أخلاقهم وقيمهم ومبادئهم، فأقوالهم أسوء الأقوال وأفعالهم أخبث الأفعال، وعقائدهم أفسد العقائد.

وفي البخاري (٥١٢٧): عن عائشة رضي الله عنها ما يدل على ذلك قالت: «كَانَ النِّكَاحُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: فَنِكَاحُ مَنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ:

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٩٩).

يُخْطَبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلَيْتَهُ أَوْ ابْنَتُهُ، فَيُصَدِّقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ:
كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهَّرْتَ مِنْ طَمَئِثِهَا: أَرْسِلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي
مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجَهَا وَلَا يَمَسُّهَا أَبَدًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ
الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ
ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الْإِسْتِبْضَاعِ. وَنِكَاحٌ آخَرُ:
يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشْرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا
حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيْالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ
يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمْ
الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ، فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ
بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنِكَاحُ الرَّابِعِ:
يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ، لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهُنَّ الْبَغَايَا،
كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا
حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ الْقَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا
وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَأَطَّ بِهِ، وَدُعِيَ ابْنُهُ، لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ «فَلَمَّا بُعِثَ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ
الْيَوْمِ».



قال المصنف حفظه الله تعالى:

مما حملني ذلك على أن أكتب لأبنائي الصغار أسأل الله أن يصلحهم
ويصلح بهم هذه الكلمات الميسرة في مبادئ التوحيد والعقيدة والفقه،
مؤيدة بأدلة القرآن والسنة، راجيا من الله - عز وجل - أن ينفعهم بها،
وسائر أبناء المسلمين، وبالله التوفيق.

قوله: «مؤيدة بأدلة القرآن والسنة»: وذلك أن العلم النافع هو معرفة الله ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، وما بني على الدليل صعب التحول منه، وكان أبعد من التقليد.



فعلى المسلم أن يبدأ بها في دعوة وتدريس وطلبه فإن الله - عز وجل - فرض التوحيد والعقيدة قبل أن يفرض الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها من العبادات.

فمكث رسول الله ﷺ على ذلك عشرة سنوات، يقول: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»^(١)، كما في حديث طارق المحاربي، أخرجه الدارقطني. ويقر معها بالرسالة لمحمد ﷺ، فمن فعل ذلك كان مؤمناً حقاً، قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٣٤].

أي صلاتكم قبل تحويل القبلة فما كان قبل الفرض لا يُعاتب الإنسان على تركه، ثم جاءت بعد ذلك الفرائض. وأول ما يدخل الإنسان الإسلام ينبغي أن يُعَلِّم العقيدة والتوحيد ثم بعد ذلك الصلاة والصيام والحج وكل ما توجب عليه تعلمه.

﴿ثم إن التوحيد والعقيدة﴾ هما أساس الاتفاق والافتراق، فالمسائل الفقهية الخلاف فيها كثير بين أهل الحق أنفسهم لكن مسائل التوحيد والعقيدة اتفق عليها أهل الحق وأجمعت عليها الرسل من نوح - عليه

(١) أخرجه الإمام الدارقطني (٣/ ٤٤ - ٤٥٨٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(٥٢٠)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

السلام- إلى محمد ﷺ وهم متفقون فيها وإنما يختلفون في طريقة التعبد قال الله - عز وجل - ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] أي سبيلاً وسنة، قاله مجاهد.

فاتفاق الرسل في هذا الباب يدل على أهميته وفضله ومنزلته، وأنه الدين الخالص والطريق القويم والصراط المستقيم إلى يوم الدين.

وللشوكاني - رحمه الله تعالى - رسالة بعنوان: "إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات".

قال فيها: "مما يدل على اتفاق أنبياء الله وكتبه على إثباتها لما في ذلك من عظيم الفائدة وجليل العائدة فإن من آمن بها كما ينبغي وأطمأن إليها كما يجب فقد فاز بخيري الدارين وأخذ بالحظ الوافر من السعادة الآجلة والعاجلة ودخل إلى الإيمان الخالص من الباب الذي أرشده إلينا نبينا في جواب من سألته عن الإسلام والإيمان والإحسان فقال في الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره»، هكذا ثبت في الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة" اهـ



الفقرة الأولى: من خلقك؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الأولى: من خلقك؟

إذا قيل لك: من خلقك؟ فقل: خلقني الله، وخلق جميع المخلوقات،
والدليل قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

الشرح:

افتتح المصنف الكتاب بهذا السؤال لأن معرفة الرب - عز وجل - متعينة
على المكلف، فإذا عرف ربه تعالى بآياته الكونية والشرعية حقق الإيمان به،
قال الله - عز وجل - معرفاً عباده بنفسه المقدسة: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ * وَمِنْ
آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ
أَلْوَانِكُمْ وَالْأَوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ
يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ

بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخُلُقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * [الروم: ١٩ - ٢٧].

وقد يقول قائل لماذا وضع هذا الفقرة مع أنها لو وضعت على اليهودي أو النصراني أو المشرك أو المندد لأقر بها قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَّيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

فكلهم يقر بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر مع أنهم أشركوا مع الله - عز وجل - غيره.

أقول وضعها المؤلف لأمر:

الأول: قد يقع الكتاب في يد ملحد من الملحدين فيبين له ذلك.

الثاني: لتعويد الطالب على التدريج في المسائل.

الثالث: حتى يعرف الدليل على أن الله خالق كل شيء فكثير من الناس يُسئل من خلقك فيقول: (الله)؛ لكن لا يعرف الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فوجود دليل أمر مهم قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

ويقول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].
ويقول الله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

ويقول الله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.
ويقول الله عز وجل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

والخلق هو الإيجاد من العدم، وهذا لا يكون إلا من الله - عز وجل -.
وأما قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

فالمراد به أحسن المصورين إذ أن النجار والبناء وغير ذلك قد يكون له صناعة وتصوير لكن الموجد لهذه الأشياء من العدم هو الله سبحانه وتعالى.
ثم إن الإيمان بأن الله - عز وجل - خالق رازق مالك مدبر لا يكفي في الإقرار بالتوحيد والدخول في الإسلام حتى يضاف إليه النطق بالشهادة وإفراد الله - عز وجل - بالعبادة على ما يأتي إن شاء الله.

فقوله: «خلقني»: أي خلق المتكلم وخلق جميع المخلوقات ولا يخرج عن خلقه شيء لا المخلوق نفسه ولا فعل المخلوق قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

أي خلقكم وخلق أفعالكم.

وفي قول إبليس: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وبهذا تعلم أن خلق الله - عز وجل - للأشياء على مقتضى حكمته فخلق الخير محباً له آمراً به، وخلق الشر مبغضاً له، ناهياً عنه ولكنه أوجده لحكمة، ومنها الابتلاء والاختبار، قال الله - عز وجل -: ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢، ١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

ومن هذا تتحقق مصالح دينية ودنيوية مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد ثم بعد ذلك عمارة الجنة والنار، ففي حديث أبي سعيد وأبي هريرة: «تَحَاجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ، وَسَقَطُهُمْ، وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمْتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أَعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُم مِلْؤُهَا، فَأَمَّا

النَّارُ فَلَا تَمْتَلِيْ، فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا، فَتَقُوْلُ: قَطُّ قَطُّ فَهَٰذَا لَكَ تَمْتَلِيْ وَيُزَوِّى
بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ^(١)، متفق عليه.

-والله الموفق -



(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٨٥٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٤٦).

وقوله: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].
 وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

ودليل التدبير قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]
وقوله: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ [السجدة: ٥].
 وقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].
 فيدبر أعمال العباد فلا يخرج عن ربوبيته مربوب ومخلوق.
قوله: «والدليل»: أي من القرآن والسنة على أن الله هو الرب.
قوله: ﴿قُلْ أَعِزَّ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].
 أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين أأطلب إلهًا سوى الله، وهو رب كل شيء
 فلا يخرج عن ملكه وتدبيره شيء.
والرب يأتي على معنيين: عام وخاص.

فالمعنى العام: يدل على الخلق والملك والتدبير، ولا يخرج عن ذلك شيء
 من مخلوقاته خيرها وشرها مؤمنها وكافرها برها وفاجرها.
والمعنى الخاص: يقتضي مع ما تقدم النصر والعون والتأييد والحفظ،
 ولذلك تجدد أغلب دعاء الأنبياء باسم الرب.

قال السعدي - رحمه الله تعالى - (ص: ٣٩):

وتربيته تعالى خلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيريهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا [المعنى] هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب.

فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة، فدل قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار. **اهـ**

قوله: «وكل ما سوى الله عالم»: أي وكل مخلوق من الجن والإنس والملائكة والشياطين والسموات والأراضين والماء والثرى وغير ذلك، عالم سُمي بذلك لأنه علامة على وجود الله - **عز وجل** -.

وقيل: العالم هم الجن والإنس، والقول الأول أصح.

وقوله: «الحمد لله»: أي جميع أنواع المحامد ثابتة لله - **عز وجل** -، وهذه الآية افتتح الله بها المصحف.

وهذا دليل على فضيلة حمد الله - عز وجل -، وقد أفتتحت خمس سور بالحمد: "الفاتحة - والأنعام - والكهف - وسبأ - وفاطر -".
وقد افتتح الله خلقه بالحمد، وختم بالحمد، قال الله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].
وقال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: هذا هو شاهد إثبات الربوبية لله - عز وجل -.
ومعنى رب العالمين: أي خالق ومالك ومدبر العالم العلوي والسفلي من الجن والإنس والملائكة وغيرها من المخلوقات، والله الموفق.



أي لعمارة الأرض بطاعة الله - عز وجل - وتوحيده.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والمعتقدات على ما يأتي بيانه، إن شاء الله.

قوله: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»: أي ليوحدون كما فسرهما ابن عباس - رضي الله عنه - وغيره من العلماء.

ومعنى يوحّدون: أي يفردون الله بالعبادة واللام هنا للحكمة لا للعافية؛ لأن كثيراً من الناس ما عبد الله، ولو كانت اللام للمعاقبة لحصل الإيمان من جميعهم.

وهي كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

ومع ذلك تجد أن كثيراً من الرسل لم تقع لهم الطاعة، ففي حديث ابن عباس - رضي الله عنه - في الصحيحين قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «عُرِضْتُ عَلَى الْأُمَمِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»^(١).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٠).

والعبادة تنقسم إلى قسمين:

الأول: عبادة عامة، وهي عبودية القهر، وهذه لا يتخلف عنها أحد من
بر وفاجر ومؤمن وكافر، قال تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا
آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وهذه لا تقتضي الإثابة.

الثاني: عبودية خاصة، وهي عبودية المؤمنين الموحدين.
قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وهي معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وهي متضمنة للذل
والخضوع والمحبة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه *** مع ذل عابده هما قطبان

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العبودية (ص: ١٠٧):

وَلَفْظُ الْعُبُودِيَّةِ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ الذَّلِّ وَكَمَالَ الْحُبِّ. اهـ



[الفقرة الرابعة: ما دينك؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الرابعة: ما دينك؟

٤ - إذا قيل لك: ما دينك؟

فقل: ديني هو دين الإسلام الحق، والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وفي الحاشية: الإسلام هو الصراط المستقيم، والدليل حديث بن سمعان -رضي الله عنه- قال: «والصراط الإسلام»، أخرجه أحمد (١٨٢ / ٤).

وهو حديث صحيح فمن ثبت عليه ثبت إن شاء الله على الصراط الجسر الممدود على جهنم، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ [مريم: ٧١].

وحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، ثم كالريح، ثم كالطير وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم... حتى تعجز أعمال العباد... وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكردس في النار»^(١)، أخرجه مسلم.

الشرح: *****

ساق المصنف هذه الفقرة لبيان الدين الذي يتعبد الناس به، والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشرعية والدين كالملة.

قوله: «الإسلام»: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله على ما يأتي بيانه إن شاء الله.

وقد تضمنت هذه الفقرة التعريف بدين الإسلام فإذا قيل لك ما دينك؟ ما هو الشيء الذي تدين وتتعبد لله -عز وجل- به؟

قوله: «فقل: ديني هو دين الإسلام الحق»: أي الذي أنزله الله -عز وجل- على محمد فلا يقوم على رأي كاسد ولا عقل فاسد، وإنما يؤخذ من الأدلة ويجب الأخذ بجميعه، قال الله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٥).

ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾
[البقرة: ٢٠٨].

أي بالعمل بأركانه وواجباته ومستحباته ما استطاع إلى ذلك سبيلا
ويجتنب محرماته لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ما أمرتكم به فاتوا ما
استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»^(١)، متفقٌ عليه عن أبي هريرة - رضي الله
عنه -.

وقوله: «الحق»: أي الدين الذي لم يتلوث بالبدع والخرافات.
وأهل البدع ينقسمون إلى قسمين:

أصحاب بدعة مكفرة: وهم خارجون من الملة كالروافض والجهمية
والباطنية وعباد القبور من الصوفية وغيرهم، حيث وقعوا في ناقض أو
نواقض من نواقض الإسلام، والله المستعان.
وبدعة مفسقة: وهي البدعة التي تكون دون الكفر، وأصحابها
متوعدون بوعيد عظيم ولعله يأتي بيانه في بابه إن شاء الله تعالى.

ثم إن الإسلام ينقسم إلى قسمين:

الأول: بالمعنى العام: وهو الدين الذي أنزله الله - عز وجل - إلى جميع
الرسل قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٨٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٣٣٧).

وهو الدين الذي تعبد به آدم ونوح ومحمد وجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقال نوح -عليه السلام-: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، إلى غير ذلك.

الثاني: الإسلام بمعناه الخاص: وهو الدين الذي أوحاه الله -عز وجل- إلى محمد ﷺ وكان ناسخاً لجميع الأديان قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْخَنِيفَةُ الْمُسْلِمَةُ لَا يَهُودِيَّةٌ وَلَا نَصْرَانِيَّةٌ وَلَا مَجُوسِيَّةٌ، مَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ»^(١)، أخرجه الترمذي (٣٨٩٨) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٨٩٨)، وهو في الصحيح المسند للوادعي رحمه الله، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمه ثم لا
يؤمن بي والذي جئت به إلا كان من أهل النار»^(١)، أخرجہ مسلم.
قوله: «والدليل قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾
[التوبة: ٣٣]:

«هو الذي أرسل رسوله»: أي محمداً - صلى الله عليه وسلم -.
«بالهدى»: العلم النافع.

«ودين الحق»: العمل الصالح كما فسرہ غير واحد من أهل العلم.
فظهور الدين متعلق بهذين الأمرين: العلم، والعمل، ومتى تخلف
أحدهما وقع الضلال، قال تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾
[الفاتحة: ٧].

فالمغضوب عليهم علموا وما عملوا والضالون عملوا وما علموا.
قوله: «وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]:

(١) أخرجہ الإمام مسلم في صحيحه (١٥٣).

أي ومن اتخذ طريقاً يتعبد به غير طريق الإسلام الذي أوحاه الله - عز وجل - إلى محمد فلن يقبل منه وهذا كقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(١)، على ما يأتي إن شاء الله.

وكقوله - صلى الله عليه وسلم -: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قالوا: يا رسول الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^(٢)، رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٣)، متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

فإن الله لا يقبل من عاملٍ عملاً إلا أن يجتمع فيه الإخلاص لله، والمتابعة لمحمد - صلى الله عليه وسلم -.

وقد يعبر عنه بعضهم: بتوحيد المرسل، وتوحيد المرسل.

ومعنى قوله: «فلن يقبل منه»: لعدم توفر الإخلاص فيها وقد يعمل أعمالاً تخالف الكتاب والسنة فلن تقبل منه.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٦٠٧)، من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٩٢١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٨٠).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٦٩٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧١٨).

«وهو في الآخرة من الخاسرين»: هذا في حق أهل الإشراك والكفر فان خسارتهم مؤبدة ومستمرة وأما المسلم المفرط فقد يناله ما يناله ثم مآله إلى الجنة لقول الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]. وهذا كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وسيأتي معنا بيان ما يتعلق بخروج الموحدين من النار في موطنه إن شاء الله.

قوله: «والصراط المستقيم»: أي الطريق الموصل إلى الله -عز وجل-، فأنت حين تقول في صلاتك «اهدنا الصراط المستقيم» فإنك تقول اهدنا إلى الإسلام الحق الذي جاء به محمد.

والدليل على أن الإسلام الحق الذي جاء به محمد ﷺ يسمى الصراط ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنه- قال، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصَّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مَفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ مُرَخَّاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصَّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصَّرَاطَ

جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصَّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيَحْكُ لَا تَفْتَحُهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحُهُ تَلْجُهُ، وَالصَّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمَفْتَحَةُ: مُحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصَّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصَّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ^(١)، أخرجَه أحمد، وهو في الصحيح المسند.

فمن استقام على الصراط المعنوي الذي هو الإسلام في الدنيا سلم على الصراط الحسي الذي هو الجسر الممدود على متن جهنم في الآخرة ومن اعوج عن هذا الصراط كان اعوجاجه عن ذلك الصراط بقدر ما عنده من الاعوجاج إلا أن يتداركه الله برحمة نسأل الله - عز وجل - السلامة والعافية.

ولذلك يساق الكفار إلى النار سوقًا، ويتقادعون فيها تقادع الفراش ولا يصعدون على الصراط قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ [مريم: ٨٦].

(١) أخرجَه الإمام أحمد في مسنده (١٧٦٣٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(١١٧٩)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

وفي حديث أبي سعيد -رضي الله عنه-: «يقولون عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرُدُّونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّمَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ»^(١).

بينما المؤمنون بالله -عز وجل- ظاهراً وباطناً يجوزون الصراط على قدر أعمالهم كما في حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ، وَكَالَالِبِّ، وَخَطَاطِيفٌ تُخَطَفُ النَّاسُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَبِجَنْبَيْهِ مَلَائِكَةٌ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمَجْرَى، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْعَى سَعْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْبُو حَبْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا»^(٢)، الحديث، أخرجه مسلم.

والمنافقون لما كان إيمانهم ظاهراً لا باطناً فانهم يعطون بعض النور فإذا ما صعدوا على الصراط انطفئ نورهم وعند ذلك يقولون للذين آمنوا: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [الحديد: ١٣-١٤].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٢).

فمن عقيدة أهل السنة الإيمان بالصراط وهو جسر حقيقي ممدود على متن جهنم، والأحاديث متواترة في الدلالة عليه منها ما هو مخرج في الصحيحين كحديث ثوبان، وعائشة رضي الله عنه في مسلم: «قيل يا رسول أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض و السموات قال في الظلّة دون الجسر»^(١).

والدليل على أن الصراط ممدود على متن جهنم قول الله - عز وجل -: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ۖ﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

والمراد بالورود في هذا الوطن: المرور على الصراط أعاذنا الله من تلك الأهوال وسلمنا الله - عز وجل - في جميع الأحوال فإن الصراط من أشدّ المواقف التي يمر عليها أهل الإيمان وذلك أنهم إذا انتهوا من جميع شؤونهم جاءت الأمانة والرحم جنبتي الصراط وما منا إلا وعنده تقصير نسأل الله السلامة.

ومن الأدلة على الصراط: حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنه في صحيح مسلم: «وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنْبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلُكُمْ كَالْبَرْقِ " قَالَ: قُلْتُ: بِأَيِّ أَنتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَّ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣١٥).

الْبَرْقِ؟ قَالَ: " أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحُ، ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرُ، وَشَدَّ الرَّجَالُ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ » ^(١).

وفي حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - في الصحيحين: « وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانِ؟ »، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، قَالَ: " فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُوثِقُ بِقِيَّ بَعْمَلِهِ - أَوِ الْمُوثِقُ بِبَعْمَلِهِ -، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدُلُ، أَوِ الْمُجَازَى » ^(٢)، نسأل الله - عز وجل - السلامة.

ومن أساء الصراط: الجسر فيجعل بين ظهري جهنم وفي طرفه إلى جهة الجنة القنطرة.

فعن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: « إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُوا وَهَدَّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ » ^(٣).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٤٠).

ومراد المصنف بذكر هذه الفقرة: بيان أن دين الإسلام هو النعمة التامة الكاملة قال الله - عز وجل -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وإنما استطرد الشيخ - رحمه الله تعالى - وذكر ما يتعلق بالصراط لاستيعاب مسائل العقيدة، والله الموفق.



الفقرة الخامسة: من نبيك؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الخامسة: من نبيك ؟

هـ - فإذا قيل لك: من نبيك؟

فقل: نبيي ونبي هذه الأمة جميعا هو محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والدليل قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وقوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وانظر (٨).

الشرح:

بعد أن ذكر المصنف حفظه الله ما يجب على الإنسان في معرفة ربه ودينه ناسب أن يذكر ما يجب عليه من معرفة نبيه إذ أن تعلم هذه المسائل من المهمات حتى قال الإمام المجدد في الأصول الثلاثة: "العلم، وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة" اهـ

ولأن الله - عز وجل - جعل - صلى الله عليه وسلم - ورَسُولاً وواسطة في تعليم الخلق ما يجب عليهم فلذلك لا دين يقبل بعد بعثت محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا من طريقه - صلى الله عليه وسلم - ، وقد أمر الله - عز وجل - بتوقيره وتعزيزه .

قال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].

وقال تعالى مبيناً شفقتَه بأمته: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي والذي جئت به إلا كان من أهل النار أي من هذه الأمة»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

ومعرفة النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأمور المتعينة والمفيدة في الحياة العلمية والعملية .

ولهذا درس أهل الإسلام سيرته وشيئله وخصائصه وكل ما صدر عنه من سنته: القولية والفعلية والهمية .

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

ويسأل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في القبر كما في حديث أسماء - رضي الله عنها - وغيرها: «فَأُوحِيَ إِلَيَّ: أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ - مِثْلَ أَوْ - قَرِيبَ - مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، يُقَالُ مَا عَلِمْتُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤْمِنَةُ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلَاثًا، فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنَّ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا بِهِ. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»^(١)، متفق عليه.

والإيمان به يتضمن أربعة أمور:

الأول: تصديقه فيما أخبر ويدخل في ذلك الإيمان بكل ما ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مخبرًا به عن الله - عز وجل - من أسمائه وصفاته، وغيرها.

الثاني: طاعته فيما أمر قال الله - عز وجل -: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، في مواطن من كتابه.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٠٥).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: «وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاَفْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

الثالث: الانتهاء عما نهى عنه و زجر قال تعالى: ﴿وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

الرابع: أن لا يعبد الله - عز وجل - إلا بما شرع، قال الله - عز وجل -: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].
وقال - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه.

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

❏ **ويدخل في الإيمان به:** الإيمان بأنه رسول الله إلى جميع المكلفين فإن طائفة من النصارى يزعمون أنه رسول إلى العرب ولا يدخلهم ذلك في الإسلام.

والدليل على عموم نبوته - صلى الله عليه وسلم - قول الله - عز وجل -
 : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الاعراف: ١٥٨].
 وقول الله - عز وجل - : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
 [الانباء: ١٠٦].

وقول الله - عز وجل - : ﴿لِيَكُونَ لِّلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] إلى غير
 ذلك.

ومن السنة حديث جابر - رضي الله عنه - : «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ:
 أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي
 الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»^(١).

ومن الأدلة على عموم رسالته: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أرسل
 رسله إلى كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي.
 ومن الأدلة أن أناسًا من أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام والنجاشي
 وغيرهم آمنوا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وما فعلوا ذلك إلا لعلمهم أنه
 رسول إلى الجميع.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٢٣).

وجعل الله - عز وجل - دينه وكتابه ناسخاً ومهيماً على جميع الأديان،
قال الله - عز وجل - : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وينبغي لطالب العلم وغيره أن يعرف من سيرته - صلى الله عليه وسلم -
- ونسبه وصفاته ما يكون سبيلاً لمعرفة هذا الرسول الذي هو أكرم مخلوق
خلقه الله فقد قال جبريل عليه السلام للبراق: «اسكن فما ركبك أحد أكرم
من محمد - صلى الله عليه وسلم -»^(١)، أخرجه الترمذي عن أنس - رضي
الله عنه -.



(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣١٣١)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى فيه: صحيح الإسناد.

[مهمات من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم]

فَصَلِّ فِي نَسَبِهِ - صلى الله عليه وسلم - :

وَهُوَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ نَسَبًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَلِنَسَبِهِ مِنَ الشَّرَفِ أَعْلَى ذِرْوَةٍ، وَأَعْدَاؤُهُ كَانُوا يَشْهَدُونَ لَهُ بِذَلِكَ، وَلِهَذَا شَهِدَ لَهُ بِهِ عَدُوُّهُ إِذْ ذَاكَ أَبُو سَفِيَانٍ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الرُّومِ، فَأَشْرَفُ الْقَوْمِ قَوْمُهُ، وَأَشْرَفُ الْقَبَائِلِ قَبِيلَتُهُ، وَأَشْرَفُ الْأَفْخَاذِ فَخْذُهُ.

فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ بْنِ مَعَدٍ بْنِ عَدْنَانَ. إِلَى هَاهُنَا مَعْلُومُ الصَّحَّةِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ النَّسَابِينَ، وَلَا خِلَافَ فِيهِ الْبَتَّةَ، وَمَا فَوْقَ "عَدْنَانَ" مُخْتَلَفٌ فِيهِ. وَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ "عَدْنَانَ" مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِسْمَاعِيلُ: هُوَ الذِّيخُ عَلَى الْقَوْلِ الصَّوَابِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ وُلِدَ - صلى الله عليه وسلم - بِجَوْفِ مَكَّةَ، وَأَنَّ مَوْلَدَهُ كَانَ عَامَ الْفِيلِ، وَكَانَ أَمْرُ الْفِيلِ تَقْدِمَةً قَدَّمَهَا اللَّهُ لِنَبِيِّهِ وَبَيْتِهِ، وَإِلَّا فَأَصْحَابُ الْفِيلِ كَانُوا نَصَارَى أَهْلِ كِتَابٍ، وَكَانَ دِينُهُمْ خَيْرًا مِنْ دِينِ أَهْلِ مَكَّةَ إِذْ ذَاكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عِبَادَ أَوْثَانٍ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ نَصْرًا لَا صُنْعَ

لِلْبَشَرِ فِيهِ، إِزْهَاصًا وَتَقْدِمَةً لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي خَرَجَ مِنْ
مَكَّةَ، وَتَعْظِيمًا لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ.
وَاخْتَلَفَ فِي وَفَاةِ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، هَلْ تُؤْفَى وَرَسُولُ اللَّهِ حَمْلٌ، أَوْ تُؤْفَى بَعْدَ
وِلَادَتِهِ؟

أَصَحُّهُمَا: أَنَّهُ تُؤْفَى وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَمْلٌ.

وَكَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَتُؤْفَى وَلِرَسُولِ اللَّهِ نَحْوُ ثَمَانِ سِنِينَ، وَقِيلَ:
سِتٍّ، وَقِيلَ: عَشْرٌ، ثُمَّ كَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَاسْتَمَرَّتْ كِفَالَتُهُ لَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ
ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً خَرَجَ بِهِ عَمُّهُ إِلَى الشَّامِ، وَقِيلَ: كَانَتْ سِنُهُ تِسْعَ سِنِينَ، وَفِي
هَذِهِ الْخُرُوجَةِ رَأَاهُ بِحِيرَى الرَّاهِبِ وَأَمَرَ عَمُّهُ أَلَّا يَفْدَمَ بِهِ إِلَى الشَّامِ خَوْفًا عَلَيْهِ
مِنَ الْيَهُودِ، فَبَعَثَهُ عَمُّهُ مَعَ بَعْضِ غِلْمَانِهِ إِلَى مَكَّةَ.



أُمَمَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّاتِي أَرْضَعْنَهُ

فَمِنْهُمْ ثَوْبَةُ مَوْلَا أَبِي هُب: أَرْضَعْتُهُ أَيَّامًا وَأَرْضَعَتْ مَعَهُ أَبَا سَلَمَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِي بَلَبْنِ ابْنَهَا مَسْرُوحٌ، وَأَرْضَعَتْ مَعَهُمَا عَمَّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَاخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِهَا، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ أَرْضَعْتُهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّة: بَلَبْنِ ابْنَهَا عَبْدُ اللَّهِ أَخِي أُنَيْسَةَ وَجَدَامَةَ وَهِيَ الشَّيْمَاءُ أَوْلَادِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ رِفَاعَةَ السَّعْدِي، وَاخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِ أَبَوَيْهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَرْضَعَتْ مَعَهُ ابْنِ عَمِّهِ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

ثُمَّ أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَكَانَ عَمُّهُ حَمْزَةُ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ فَأَرْضَعَتْ أُمُّهُ رَسُولَ اللَّهِ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَ أُمِّهِ حَلِيمَةَ، فَكَانَ حَمْزَةُ رَضِيعَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ جِهَتَيْنِ: مِنْ جِهَةِ ثَوْبَةَ، وَمِنْ جِهَةِ السَّعْدِيَّةِ.



[حواضن النبي صلى الله عليه وسلم]

فَمِنْهُنَّ: أُمُّهُ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ بْنِ زَهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ.

وَمِنْهُنَّ: ثَوْبِيَّةٌ، وَحَلِيمَةُ وَالشَّيْمَاءُ ابْنَتَاهَا، وَهِيَ أُخْتُهَا مِنَ الرِّضَاعَةِ كَانَتْ تَحْضُنُهُ مَعَ أُمِّهَا، وَهِيَ الَّتِي قَدِمَتْ عَلَيْهِ فِي وَفْدِ هَوَازِنَ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، وَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ رِعَايَةً لِحَقِّهَا.

وَمِنْهُنَّ: الْفَاضِلَةُ الْجَلِيلَةُ أُمُّ أَيُّمَنِ بَرَكَةِ الْحَبَشِيَّةِ، وَكَانَ وَرِثَتُهَا مِنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ دَائِيَّتُهُ وَزَوْجُهَا مِنْ حَبِيبِ بْنِ حَارِثَةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُسَامَةَ.



﴿مَبْعَثُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ﴾

بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ وَهِيَ سِنُّ الْكَمَالِ. قِيلَ: وَلَهَا تُبْعَثُ الرُّسُلُ،
وَأَمَّا مَا يُذَكَّرُ عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً فَهَذَا لَا
يُعْرَفُ لَهُ أَثَرٌ مُتَّصِلٌ يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ.

﴿وَأَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ النَّبُوءَةِ الرَّؤْيَا، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا
جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ﴾.

قِيلَ: وَكَانَ ذَلِكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَمُدَّةُ النَّبُوءَةِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، فَهَذِهِ
الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنَّبُوءَةِ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ وَهُوَ بِغَارٍ حِرَاءٍ، وَكَانَ يُحِبُّ
الْخَلْوَةَ فِيهِ، فَأَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]
[العلق: ١] هَذَا قَوْلُ عَائِشَةَ وَالْجُمْهُورِ.

وَقَالَ جَابِرٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ﴾ [المدثر: ١].

قلت: وهذا يحمل على أول نزوله بعد فترة الوحي.



فَمِنْهَا: مُحَمَّدٌ، وَهُوَ أَشْهَرُهَا، وَبِهِ سُمِّيَ فِي التَّوْرَةِ صَرِيحًا.
ومنها: أَحْمَدُ، وَهُوَ الْإِسْمُ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ الْمَسِيحُ لِسِرِّ ذِكْرِنَاهُ فِي ذَلِكَ
 الْكِتَابِ.

وَمِنْهَا: الْمُتَوَكَّلُ، وَمِنْهَا الْمَاحِي، وَالْحَاشِرُ، وَالْعَاقِبُ، وَالْمُقَفِّي، وَنَبِيُّ
 التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ الْمُلْحَمَةِ.

قَالَ جَبْرِ بْنُ مُطْعِمٍ -رضي الله عنه-: سَمَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ نَفْسَهُ أَسْمَاءً،
 فَقَالَ: («: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا
 الْحَاشِرُ الَّذِي يُخَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمَيَّ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»).

قلت: وعن أبي موسى -رضي الله عنه-: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا
 أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُخَشِّرُ النَّاسَ
 عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ» متفق عليه.



أَوْلَادِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَوَّلُهُمْ: القاسم، وَبِهِ كَانَ يُكْنَى، مَاتَ طِفْلاً، وَقِيلَ: عَاشَ إِلَى أَنْ رَكِبَ الدَّابَّةَ وَسَارَ عَلَى النَّجِيَّةِ.

ثُمَّ زَيْنَب، وَقِيلَ: هِيَ أَسْنُ مِنَ الْقَاسِمِ.

ثُمَّ رَقِيَّة، وَأُمُّ كَلْثُوم، وَفَاطِمَةُ، وَقَدْ قِيلَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ: إِنَّهَا أَسْنُ مِنْ أُخْتَيْهَا، وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَقِيَّةَ أَسْنُ الثَّلَاثِ، وَأُمُّ كَلْثُومِ أَصْغَرُهُنَّ.

ثُمَّ وُلِدَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَهَلْ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَوْ قَبْلَهَا؟ فِيهِ اخْتِلَافٌ، وَصَحَّحَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَهَلْ هُوَ الطَّيِّبُ وَالطَّاهِرُ، أَوْ هُمَا غَيْرُهُ؟

عَلَى قَوْلَيْنِ:

وَالصَّحِيحُ: أَنَّهَا لَقَبَانِ لَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مِنْ خَدِيجَةٍ، وَلَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ غَيْرِهَا.

ثُمَّ وُلِدَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: بِالْمَدِينَةِ مِنْ سُرِّيَّتِهِ " مَارِيَةِ الْقَبْطِيَّةِ " سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَبَشَّرَهُ بِهِ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَاهُ، فَوَهَبَ لَهُ عَبْدًا، وَمَاتَ طِفْلاً قَبْلَ الْفِطَامِ، وَاخْتَلَفَ هَلْ صَلَّى عَلَيْهِ أَمْ لَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ.

وَكُلُّ أَوْلَادِهِ تُؤْفَىٰ قَبْلَهُ إِلَّا فَاطِمَةَ، فَإِنَّهَا تَأَخَّرَتْ بَعْدَهُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ فَرَفَعَ اللَّهُ
لَهَا بَصِيرَهَا وَاحْتِسَابَهَا مِنَ الدَّرَجَاتِ مَا فَضَّلَتْ بِهِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ.
وفاطمة - رضي الله عنها - أَفْضَلُ بَنَاتِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.



[أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه]

- ١- خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، تزوجها قبل النبوة، ولها أربعون سنة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين.
- ٢- سودة بنت زمعة القرشي، تزوجها بعد خديجة بأيام.
- ٣- أم عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سموات، حبيبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.
- ٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وذكر أبو داود أنه طلقها ثم راجعها.
- ٥- زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية من بني هلال بن عامر، وتوفيت عنده بعد ضمها لها بشهرين.
- ٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية، واسم أبي أمية حذيفة بن المغيرة، وهي آخر نسائه موتاً.
- ٧- زينب بنت جحش من بني أسد بن خزيمة، وهي ابنة عمته أميمة، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].
- ٨- جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، وكانت من سبايا بني المصطلق.

٩- أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية
الأموية.

١٠- ميمونة بنت الحارث الهلالية، وَهِيَ آخِرُ مَنْ تَزَوَّجَ بِهَا، تَزَوَّجَهَا
بِمَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ بَعْدَ أَنْ حَلَّ مِنْهَا عَلَى الصَّحِيحِ.

وَفِي سَرَارِيهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كَانَ لَهُ أَرْبَعُ: مَارِيَّةٌ وَهِيَ أُمُّ وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَرِيحَانَةُ
وَجَارِيَّةٌ أُخْرَى جَمِيلَةٌ أَصَابَهَا فِي بَعْضِ السَّنَى، وَجَارِيَّةٌ وَهَبَتْهَا لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ
جَحْشٍ.



[الدليل على أن محمدًا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم]

قوله: «و الدليل أن محمدًا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قول الله - عز وجل -: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الاحزاب: ٤٠].

وفي الآية سبب نزول: أخرجه ابن جرير عن ابن جريج قال قلت لعطاء ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ قال كنا نتحدث أنها نزلت في محمد - صلى الله عليه وسلم - حين نكح امرأة زيد بن حارثة - رضي الله عنه - قال المشركون في ذلك فنزلت: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ ونزلت: ﴿وما جعل أديعاءكم أبناءكم﴾ ونزلت: ﴿ما كان محمد أبًا أحد من رجالكم﴾، ومثل هذا لا تقوم به حجة لإرساله.

قوله: «وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ»: أي بعثه الله - عز وجل - وأرسله إلى الناس كافة كما تقدم، وفي هذا رد على الفلاسفة الذين يقولون إنها هو رجل ذكي، بل هو رسول كريم لرب عظيم كريم رحيم.

قوله: «وخاتم النبيين»: أي آخرهم فمن زعم أن بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - رسولًا أو نبيًا كان من الكافرين لأن النبي - صلى الله عليه وسلم -

وسلم:- يقول «إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيٍّ»^(١).

وقد زعم بعض الزنادقة أن معنى خاتم النبيين زينتهم يريد بذلك تجويز النبوة بعد محمد ﷺ وهذا قول باطل، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ» أخرجه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، في البخاري ومسلم، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»^(٢).

قوله: «وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ﴾»: أي أرسل.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٢٧٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(٩٠).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٨٦).

قوله: «**﴿في الأميين﴾**»: العرب أهل مكة وما حولها الذين لا يكتبون ولا يقرءون المكتوب وهذا الغالب فيهم.

قال النبي - **صلى الله عليه وسلم** - : «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»^(١)، أخرجه مسلم عن ابن عمر - **رضي الله عنه** - وإنما اشتهرت الكتابة والحساب بعد أن دخلوا في دين الإسلام.

فقد أعز الله بدين الإسلام العرب ومن دخل فيه من العجم كما قال النبي - **صلى الله عليه وسلم** - خبراً عن ذلك «**لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمْ اللَّهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَكْدِينُونَ لَهَا**»^(٢)، أخرجه أحمد.

وقال عمر **رضي الله عنه** : «**إِنَّا قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَلَنْ نَلْتَمِسَ الْعِزَّ بغيره**» أخرجه ابن أبي شيبة.

قوله: «**رسولا منهم**»: هو محمد - **صلى الله عليه وسلم** - فهو دعوة إبراهيم عليه السلام، حيث قال: «**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**» [البقرة: ١٢٩].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٩١٣)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٨٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٨١٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(١١٤٢)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

وفي صحيح البخاري: ما جرى بين المغيرة - رضي الله عنه - وعامل كسرى: فَقَالَ الْمُغِيرَةُ - رضي الله عنه -: سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ، نَمَصُّ الْجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ، وَنَلْبَسُ الْوَبَرَ وَالشَّعَرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِينَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِينَا رَسُولُ رَبِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا، أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ» ^(١).

قوله: «يتلوا عليهم آياته»: أي وحيه المنزل، وهو القرآن، فهو آيات بينات وسور محكمات.

قوله: «ويزكيهم»: أي بالأعمال الصالحة، حيث تزكوا نفوسهم، وأعمالهم بفضل الله تعالى، قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١].

قوله: «يعلمهم الكتاب والحكمة»: أي القرآن والسنة.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣١٥٩).

قوله: «وإن كانوا من قبل»: إرسال محمد - صلى الله عليه وسلم - ونزول الوحي.

قوله: «ضلال مبين»: أي كفر واضح بين حيث كانوا في الحادٍ وجهلٍ وشركٍ نسأل الله السلامة.

قوله: «وقوله تعالى: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ﴾»: أي معبودًا وربًّا.
قوله: «ورسوله النبي - صلى الله عليه وسلم - الأُمِّيَّ»: أي محمدًا - صلى الله عليه وسلم -.

قوله: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ»: يؤمن بالله ووحيه.
قوله: «وَاتَّبِعُوهُ»: أي اقتدوا به في جميع شأنه في باب التعبد لله - عز وجل -.

قوله: «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»: أي يحصل لكم الهداية.
ولا يتم الإيمان بالله إلا بالإيمان برسوله أمر معلوم ضرورة ولهذا كان من أركان الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فيُجمع بين الشهادة لله - عز وجل - بالوحدانية ولمحمد - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة.

والنبي - صلى الله عليه وسلم - الأمي هو الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب وفي هذا رد على من زعم أن المراد بالأمي النسبة إلى أم القرى، بل الحق أنه نسبة إلى أنه لا يكتب ولا يقرأ المكتوب.

ولهذا كفر بعض أهل العلم من زعم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ ويكتب، قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وأنكر الله قولهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

فعلم من هذا أنه لا سبيل للهداية إلا باتباعه وذلك من قوله: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولا سبيل للرحمة إلا باتباعه - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].



[بعض شمائل وخصائص النبي _ صلى الله عليه وسلم _]

و كنت قد كتبت بعض شمائله في كتابي (فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد و التحذير من الشرك و التنديد) ناسب أن أضعها هنا:

بيان بعض شمائل وخصائص رسول الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

ولرَسُول الله من الصفات الجليلة والمراتب الرفيعة ما تبين فضله على العالمين، وأنه أكرم الخلق وسيدهم أجمعين، فهو القائل: **«أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**، الحديث أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقد أكرم الله تعالى هذه الأمة أن بعث إليها محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وجعله ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾** * **﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾** [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

ولقيامه بما أمره الله **عَزَّ وَجَلَّ** رفع له قدره ووضع عنه وزره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾** * **﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾** * **﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾** * **﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾** [الشرح: ١-٤].

وقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣].

ومن نعمة الله تعالى أن جعله حريصًا على المؤمنين، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وجعله رحمة للعالمين، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومن تأمل دعوته وطريقته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وجدها متضمنة لهذا المعنى العظيم، سواء كان ذلك في أقواله أم أفعاله أم عباداته، وكان عليه الصلاة والسلام حريصًا على هداية الناس عامة، وعشيرته خاصة حتى أنزل الله عز وجل في شأنه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

فعن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ

الَّذِي صَنَعْتُمْ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْكُمْ»^(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ، فَأُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجَدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ»^(٢)، متفق عليه.

فمن فضائله أن الله تعالى أضافه إلى نفسه تشريفاً له وتنويعاً بفضله في مواطن من كتابه:

أولها: موطن الإسراء قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١].

ثانيها: موطن إنزال الكتاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ثالثها: موطن الدعوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٢٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٦١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٠٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٧٠).

رابعها: موطن المعراج، فقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

فحريٌّ بمن هذه منزلته عند ربه أن تُدرس سيرته، وتُعرف أيامه، وأعوامه، فهو الرحمة المهداة والمنة من الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فأحيى الله به قلوباً موتى، وبصّر به من العمى قال تعالى: ﴿أَوْمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

إلى غير ذلك مما يطول شرحه في هذه العُجالة، وقد تكلمت بشيء من التوسع عن فضائله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في كتاب «السيرة» عَجَّلَ الله بِاتِّمَامِهِ، وفي كتابي «الزجر والبيان على دعاة التقارب بين الأديان»، والله الحمد والمنة.

وما حدّاني إلى ذكر بعض الشمائل المحمدية أمور:

الأول: معرفة شمائل النبي - صلى الله عليه وسلم - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة، لما في ذلك من الأهمية من حيث العلم

والعمل، فهو القائل: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»^(١)، أخرجه مسلم، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، والقائل: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(٢)، أخرجه البخاري من حديث مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثاني: الاقتداء بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ حيث حوى الكثير من أوصاف النبي - صلى الله عليه وسلم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأخلاقه، ويكون هذا الشرح كالتفسير لتلك الآيات، ويدخل في ذلك موافقة مرضاة الله عَزَّ وَجَلَّ ومحابه.

قال القاضي عياض في «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (١/ ٤٥):

قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي الْإِمَامُ أَبُو الْفَضْلِ وَفَقَّهُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَسَدَّدَهُ: لَا خِفَاءَ عَلَى مَنْ مَارَسَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ، أَوْ خُصَّ بِأَذْنَى لُحْجَةٍ مِنَ الْفَهْمِ، بِتَعْظِيمِ اللَّهِ قَدْرَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُصُوصِهِ إِيَّاهُ بِفَضَائِلَ وَمَحَاسِنَ وَمَنَاقِبَ لَا تَنْضَبِطُ لِزِمَامٍ، وَتَتَوَيَّه مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ بِمَا تَكِلُ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ وَالْأَقْلَامُ:

فَمِنْهَا: مَا صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: وَنَبَّهَ بِهِ عَلَى جَلِيلِ نَصَابِهِ، وَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَأَدَابِهِ، وَحَضَّ الْعِبَادَ عَلَى التَّزَامِهِ وَتَقَلُّدِ إِجَابِهِ، فَكَانَ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَوْلَى، ثُمَّ طَهَّرَ وَرَكَّى، ثُمَّ مَدَحَ بِذَلِكَ وَأَثْنَى، ثُمَّ أَثَابَ عَلَيْهِ الْجُزَاءَ الْأَوْفَى، فَلَهُ الْفَضْلُ بَدْءًا وَعَوْدًا، وَالْحَمْدُ أَوْلَى وَأُخْرَى.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢٩٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣١).

وَمِنْهَا: مَا أُبْرِزَهُ لِلْعَيَانِ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى أَتَمِّ وَجْهِهِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَتَحْصِيصِهِ بِالْمَحَاسِنِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْكَرِيمَةِ وَالْفَضَائِلِ الْعَدِيدَةِ وَتَأْيِيدِهِ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ وَالْكَرَامَاتِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا مَنْ عَاصَرَهُ، وَرَأَاهَا مَنْ أَدْرَكَهُ، وَعَلِمَهَا عِلْمَ يَقِينٍ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، حَتَّى انْتَهَى عِلْمُ حَقِيقَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَفَاضَتْ أَنْوَارُهُ عَلَيْنَا

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ

مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» ^(١). أخرجه البخاري ومسلم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومحبته صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تزداد في قلوب المؤمنين بمعرفتهم لشمائله وسيرته فقد كان صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

١ - **رحمة بالمؤمنين ولهم**، وسماه الله رؤوفاً رحيماً، وأسمائه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أعلام وأوصاف ففي «الصحيحين» عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رُءُوفًا رَحِيمًا» ^(٢).

٢ - **حريصاً على هدايتهم وإرشادهم إلى أقوم السبل، وأحسن الطرق.**
ففي «صحيح مسلم»: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي سَفَرٍ، فَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٨٩٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٤٥).

أَوَّلَهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُ وَنَهَا، وَنَجِيٌّ فِتْنَةٍ فَيَرْقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَنَجِيٌّ الْفِتْنَةِ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَنَجِيٌّ الْفِتْنَةِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْخَرْ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَتَاتِهِ مَنِيتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمَرَةً قَلْبِهِ، فَلْيُطِعهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ»^(١).

٣ - **ذا خلق عظيم**، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].
وذلك لتخلقه بالقرآن، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»
أخرجه مسلم، وهو القائل: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» أخرجه
أحمد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤ - **شجاعاً**، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَشْجَعَ النَّاسِ»^(٢).

وقيل للبراء - رضي الله عنه -: «أَفَرَزْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ الْبَرَاءُ: وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ يَفِرَّ»^(٣)، متفق عليه.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٤٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٠٧).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٦٤)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٧٦).

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّا كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ - وَيُرَوَّى اشْتَدَّ الْبَأْسُ - وَانْحَرَّتِ الْحُدُقُ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ»، وَقَالَ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نُلَوِّدُ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا»^(١).

وقال القاضي عياض في «الشفاء» (١/ ٢٣٥):

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمَا بِالْمَكَانِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ قَدْ حَصَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ وَفَرَّ الْكُمَاهُ وَالْأَبْطَالُ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرُحُ وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا يَتَزَحَّزَحُ، وَمَا شُجَاعٌ إِلَّا وَقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ فَرَّةٌ وَحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ سِوَاهُ. اهـ

٥ - كريماً، قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا»^(٢)، أخرجه مسلم.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ»^(٣)، متفق عليه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٥٣، ١٠٤٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٩٧٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٣٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣١١).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٩٠٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٠٨).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُعْطَى عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَقْرَ»^(١)، أخرجه مسلم.

٦ - حياً، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِذْرِهَا» أخرجه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

٧ - بشوشاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وَقَالَ جَرِيرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ»^(٢) متفق عليه.

٨ - غضبه لله، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا»^(٣)، متفق عليه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣١٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٠٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤٧٥).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٦٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٢٧).

فكان لا يغضب لنفسه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ تُتْهَكَ حُرْمَةُ الله فيغضب لله عَزَّ وَجَلَّ، أَخْذًا بِقَوْلِ الله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٩ - نَظِيفًا طَيِّبًا، قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «هَذَا عَرَقُكَ نَجَعَلُهُ فِي طَيِّبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيِّبِ»، أَخْرَجَاه.

وفي حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «... فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٣٢٩).

١٠ - جَمِيلًا، فَقَدْ تَمِيزَ بِصِفَاتٍ جَمِيلَةٍ جَلِيلَةٍ خُلُقِيَّةٍ وَخُلُقِيَّةٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا تَرَى، وَكَانَ وَجْهُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَالسَيْفِ بَرِيقًا وَكَالْقَمَرِ اسْتِدَارَةً وَلَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ.

١١ - فَصِيحًا، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ»، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٧٧)، وَمُسْلِمٌ (٥٢٣).
وَكَانَ إِذَا تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ ثَلَاثًا، وَإِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا.

١٢ - شَرِيفًا، قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ، إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى

مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاضْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاضْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». أخرجه الترمذي (٣٦٠٥)، وأصله في مسلم (٢٢٧٦).

وفي قصة أبي سفيان مع هرقل: «... قَالَ هِرَقْلُ: كَيْفَ نَسَبُهُ فَيْكُمْ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ...، فَقَالَ هِرَقْلُ: فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبٍ قَوْمِهَا»، متفق عليه.

١٣ - وفيًا، فهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»، خرجته في تحقيق «الإيمان» لابن أبي شيبة رَحِمَهُ اللهُ، وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نَفِي لُهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهُ عَلَيْهِمْ» أخرجه مسلم (١٧٨٧)، عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١٤ - متواضعًا، فقد خيره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا رَسُولًا أَوْ عَبْدًا رَسُولًا، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا، وهو القائل: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»، أخرجه أبو يعلى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وله طرق عن غيرها.

١٥ - أمينًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ﴾، على تفسير من فسر بها بأنه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ». أخرجاه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

الحُدْرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكانت قريش تلقبه بالأمين قبل مبعثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

١٦ - عادلاً، فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ
إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ»^(١)، متفق عليه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ
الحُدْرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١٧ - صادقاً، فقد كانت قريش تلقبه بالصادق، وهو الذي قال لهم:
«هل جربتم عليّ كذباً؟ قالوا: لا». وقال هرقل لابي سفيان: «... هَلْ كُتُّمُ
تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَذَكَرْتُ أَنْ لَا، قَالَ
هَرَقْلُ: فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ...»،
الحديث. أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

١٨ - وأما خوفه من ربه وحسن عبادته فهو القائل: «قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي
أَتَّقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَصْدُقُكُمْ وَأَبْرُكُكُمْ»^(٢) فكان متصفاً بكل خلق نبيل متنزهاً عن
كل رذيل.

١٩ - صبوراً شكوراً، فقد كان يصلي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
حَتَّى تَقْطُرَ قَدَمَاهُ، وَيَقُولُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(١)، أخرجاه عَنِ الْمَغِيرَةِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وانفرد به مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وفيه كلام.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦١٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٦٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣٦٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٢١٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرْبُهُ قَوْمُهُ فَأَذْمُوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٧٧).

٢٠ - وكاملاً متميزاً بجميع صفات الكمال الخلقية والخلقية.

ودراسة حياة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ القولية، والفعلية، والاعتقادية، والخلقية، والخلقية، هي دراسة لدين الإسلام الذي أنزله اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ على محمد الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

- وبالله التوفيق -



[الفقرة السادسة: ما أول واجب على العباد؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السادسة: ما أول واجب على العبد؟

٦- فإذا قيل لك: ما أول واجب على العبد؟ فقل: تعلم توحيد الله - عز وجل -، والدليل حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: «لما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يؤحدوا الله تعالى»، متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

الشرح:

بعد أن بين المصنف ما يتعلق بالأصول الثلاثة التي يجب معرفتها على كل مسلم ومسلمة، وهي معرفة العبد ربه ونبيه ودينه، شرع في الكلام على أهم المهمات في العلم والعمل والدعوة حيث قال:

قوله: «إذا سُئِلْتَ»: وقد يكون السؤال بلسان الحال أو المقال.

قوله: «ما أول واجب»: أول ما يجب معرفته والعمل به.

قوله: «على العبد»: أي المكلف من الجن والأنس.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[الذاريات: ٥٦].

قوله: «فقل توحيد الله - عز وجل -»: أي إفراده - عز وجل - بما يجبُ

له.

والتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير.

٢ - توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بالعبادة أو بأفعال المكلفين.

٣ - توحيد الأسماء: والصفات وهو إفراد الله بما يجب له في أسمائه

وصفاته.

يجمعها في التعريف قولهم: «إفراد الله بما يجبُ له».

وفي هذه الفقرة رد على المعتزلة الذين يقولون أو ما يجب على العبد النظر

أو القصد إلى النظر مع أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أمرت أن

أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» متفق عليه عن ابن عمر - رضي الله

عنه -.

وفي حديث ابن عمر - رضي الله عنه - في الصحيحين قال النبي - صلى

الله عليه وسلم - قال: «بني الاسلام على خمس على أن يوحد الله» وفي لفظ:

«شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -»^(١).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦).

وفي حديث معاذ -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله»^(١)، متفق عليه، قال الله -عز وجل- مبيناً عظم شأنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٢)، أخرجه مسلم عن عثمان -رضي الله عنه-. ومن هذا تعلم أنه ينبغي على الداعي إلى الله -عز وجل- أن يبدأ بالتوحيد في دعوته، حتى ولو كان في بلاد المسلمين فإن الناس بحاجة إلى معرفة التوحيد إجمالاً وتفصيلاً.

ثم إن الكلام في التوحيد يعتبر من المواعظ إذ أن فيه من الدلائل العظيمة التي تؤدي إلى الخوف والرغبة والخشية والخشوع من الله -عز وجل- ومن التوكل والاعتماد على الله -عز وجل- ومن الإنابة والدعاء والسؤال لله -عز وجل-، وغير ذلك الشيء العظيم.

قوله: «والدليل»: أي على أن أول واجب على المكلفين هو التوحيد.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣٧٢)، وجاء في البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩)، بلفظ:

"عبادة الله".

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦).



قوله: «حديث ابن عباس»: وهو عبدالله ابن عباس أبو العباس، وقد تقدم.

قوله: «لما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل إلى اليمن»:
معاذ: هو أبو عبد الرحمن الأنصاري، من خلص المؤمنين وفقهائهم قال عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَثْوَةٍ»^(١).

وكان بعث معاذ إلى اليمن في السنة التاسعة من الهجرة للدعوة وتبليغ دين الله، وتعليمه للناس، وكان مبعثه إلى إقليم الجند من اليمن، وأخبره النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه لن يراه بقوله: «يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا، وَقَرِّي»^(٢) أخرجه أحمد.

وبقي في اليمن إلى خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - ثم رجع وذهب إلى الشام فما زال فيها حتى مات بالطاعون وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث أبا موسى الأشعري إلى الأشعريين وما حولها وبعث أبا عبيدة وعلي ابن أبي طالب إلى نجران.

(١) أخرجه الإمام الطبراني في " الكبير " ٢٠ / (٤١) ، وأبو نعيم في " الحلية " ١ / ٢٢٩ ، وهو في

الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٠٩١) ، وقال فيه .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٠٥٢) ، وإسناده صحيح. أفاده محقق المسند.



وقد دخل أهل اليمن في الإسلام طوعية بغير قتال وفضائلهم معروفة مشهورة في غير ما كتاب، منها حديث: «يُطْلَعُ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ كَأَنَّهُمْ السَّحَابُ، هُمْ خِيَارُ مَنْ فِي الْأَرْضِ»^(١)، أخرجه البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنه -.

قوله: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب»: المراد بهم اليهود وفيه وصية الداعي إلى الله - عز وجل - للاستعداد لمن يقدم عليهم والتأهل لذلك.

وفيه أن الداعي إلى الله - عز وجل - ينبغي أن يكون من أهل العلم فإن أهل الباطل قد يوردون شبهاً يردون بها الحق ثم إن الجاهل يعجز أن يدعو إلى الله، لعدم معرفته بدين الله - عز وجل -.

قوله: «فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى»:

وفي رواية: «عبادة الله».

وفي رواية: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - صلى الله عليه وسلم -».

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٧٧٩) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٢٦١).

أي أن أول واجب على العبيد هو توحيد الله وإفراده بما يجب له قبل أن يُدعى إلى الصلاة والصيام والحج وغير ذلك من العبادات.

قوله: «أخرجه البخاري ومسلم»:

البخاري: هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي المتوفى (٢٥٦) هـ، محدث الفقهاء وفقه المحدثين.

قال عنه الحافظ رحمه الله تعالى في التقريب: جبل الحفظ، وكتابه الصحيح أصح الكتب المصنفة بإجماع أهل العلم، ولا يطعن في صحيح البخاري إلا أحد رجلين: زنديق أو جاهل بمنزلة البخاري.

ومسلم: هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى (٢٦١) هـ، وصحيحه الثاني بعد صحيح البخاري، وقد تلقت الأمة أحاديثها بالقبول.

والحديث بطوله: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ

مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ
أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

وقد انفرد بالحديث مسلم عن معاذ - رضي الله عنه - نحوه.



(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٤٩٦)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩).



قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السابعة: ما معنى لا إله إلا الله؟

٧- فإذا قيل لك: ما معنى لا إله إلا الله؟

فقل: معناها: لا معبود بحق إلا الله، والدليل قول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: ٦].

الشرح:

بعد أن بين ما يتعلق بأول واجب على المكلف ناسب أن يأتي بمعنى أهم ما يجب أن يُعلم على المعنى الصحيح وهي كلمة التوحيد.

والمراد بيان معنى (لا إله إلا الله) فإن كثيراً من الناس يقولون (لا إله إلا الله) بالاستتهم ويخالفونها بأفعالهم ومعتقداتهم وذلك لجهلهم بها.

وقد فسرها أهل الباطل بتفسيرات عجيبة بعضها يخالف التوحيد

ويناقضه:

الأول: من قال معنى لا إله إلا الله: لا موجود إلا الله وهذا أقبح ما

فسرت به هذه الكلمة لأن المفسرين لها هم أصحاب وحدة الوجود القائلين بالحللول والاتحاد وقد نقل شيخ الإسلام وغير واحد الإجماع على كفرهم.



ومعنى قولهم: لا موجود إلا الله أن كل ما في الكون هو الله من حيوان وجماد وشجر وحجر وجبل ونهر وغير ذلك. وبسبب هذا الاعتقاد عبّد فرعون والأصنام وعيسى وعبّدت جميع المعبودات فتفسير كلمة الإخلاص والتوحيد بهذا التفسير تفسيرٌ باطل سار عليه ابن عربي الطائي ومن إليه.

حتى قال قائلهم:

الرب عبّد والعبد ربّ *** يا ليت شعري من المكلف

وقال الآخر:

فسبحانك سبحاني *** الجنة لعبة صبياني

وقال الآخر:

أنا أنت بلا شك *** فسبحانك سبحاني

وتوحيدك توحيدى *** وعصيانك عصياني

الثاني قولهم: لا معبود إلا الله وهذا تفسيرٌ باطل فقد عبّدت الملائكة والشياطين وعبّد عيسى والأحجار والأشجار وعبّدت القباب والقبور.

الثالث قولهم: لا خالق ولا رازق إلا الله وهذا تفسيرٌ قاصر إذ أنهم فسروا معنى (لا إله إلا الله) بالربوبية فقط وأهل الكفر الذين خرج فيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يُنكروا هذا النوع من التوحيد، قال الله -

عز وجل:- ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

فهم يعترفون أن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر.

ويدل على ذلك قوله -**عز وجل:-** ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

وقال الله -**عز وجل:-** ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤].

ومع ذلك ما أدخلهم ذلك الإقرار في الإسلام وإنما كان الدخول في الإسلام بإفراد الله -**عز وجل-** بالعبادة.

الرابع: قول أهل السنة والجماعة: لا معبود بحق إلا الله، والدليل على ذلك قول الله -**عز وجل:-** ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

فلا بد من تقيدها بحق.

وبهذا تعلم أن الحاجة إلى دراسة معاني هذه الكلمة من المهمات، وهو السبيل إلى إفراد رب البريات بما له تعالى.

بيان أركان كلمة التوحيد:

تتكون كلمة التوحيد من ركنين أساسيين هما:

النفي والإثبات.

فالنفي في قوله: «لا إله».

والإثبات في قوله: «إلا الله»، وجمع بين النفي والإثبات لفائدة مهمة،

فالنفي وحده عدم، فلو قلت لا إله وسكتَ كان هذا عدم.

والإثبات وحده لا يمنع المشاركة فلو قلت (الله إله).

سيقول النصراني: وعيسى إله، والبوذي سيقول: وبوذي إله.

فإذا لا بد من الجمع بين النفي والإثبات في كلمة لا إله إلا الله، فلا إله

نفي للألوهية عمن سوى الله - **عز وجل** -.

وقوله: «إلا الله»: إثبات الألوهية لله - **عز وجل** - وحده لا شريك له.

وقد تؤكد هذه الكلمة في كثير من المواطن ب**قوله: «وحده لا شريك**

له».

فقوله: «وحده»: تأكيد للإثبات.

وقوله: «لا شريك»: تأكيد للنفي.

قال الله - عز وجل -: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقال - عز وجل -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

وفي قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾: نفي.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾: إثبات.

ففي الآية معنى لا إله إلا الله.

ومثلها قوله تعالى: ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فقوله: ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: فيه معنى الإثبات.

وقوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾: فيه معنى النفي، إلى غير ذلك.

شروط لا إله إلا الله

قوله: «فاعلم أنه لا إله إلا الله»: فيها دليل على شرط العلم بهذه الكلمة

حتى يحقق معناه، وهي ثمانية شروط وقد جمعت في هذا البيت:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقٌ *** مع محبةٍ وانقيادٍ والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما *** سوى الإله من المعبود قد أله

فالأول: العلم، المنافي للجهل قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

ثانيها: اليقين، المنافي للشك قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ثالثها: الإخلاص، المنافي للشرك قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

رابعها: الصدق، المنافي للكذب قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

خامسها: المحبة، المنافي للبغض قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية [المائدة: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

سادسها: الانقياد، المنافي للإعراض قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

سابعها: القبول، المنافي للرد قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ثامنها: الكفر بالطاغوت، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وما أحسن أن يموت المسلم على هذه الكلمة قال النبي - **صلى الله عليه وسلم** -: «لَقْنُوا هَلَاكَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»^(١)، أخرجه النسائي عن عائشة **رضي الله عنها**.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد **رضي الله عنه**: «لَقْنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»^(٢).

وهي أثقل كلمة في الميزان يوم القيامة كما سيأتي معنا في موطنه إن شاء الله تعالى في حديث البطاقة.

وهي أفضل كلمة لقول النبي - **صلى الله عليه وسلم** -: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»^(٣) أخرجه الترمذي عن جابر - **رضي الله عنه** -.

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٨٢٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(١٥٧٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩١٦).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٣٨٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي.

ويقول: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي عَشِيَّةَ عَرَفَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١)، أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

ومن فضائلها أنها نافعة لمن قالها قبل الغرغرة:

فعن المسيب بن حزن - رضي الله عنه -: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ بَنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بَنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِأَبِي طَالِبٍ: "يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ" فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بَنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَمَّا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُحْكُ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآية [التوبة: ١١٣]^(٢)، متفق عليه.

وَعَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: «كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعُودُهُ، فَقَعَدَ

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٨٥)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي،

وصححه في المشكاة برقم (٢٥٩٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤).

عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطَعُ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»^(١)، أخرجَه البخاري.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «يَا خَالُ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " فَقَالَ: أَخَالُ أَمْ عَمَّ؟ فَقَالَ: " لَا، بَلْ خَالُ "، قَالَ: فَخَيَّرْ لِي أَنْ أَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " نَعَمْ " ^(٢)، أخرجَه أحمد.

ومما يدل على فضلها أنها عاصمة للنفس والعرض والمال بخلاف غيرها قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» ^(٣)، متفق عليه عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

(١) أخرجَه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٥٦).

(٢) أخرجَه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٤٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٣٧).

(٣) أخرجَه الإمام البخاري في صحيحه (٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢).

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: بيان لمعنى: (لا إله إلا الله) من أنه
المعبود بحق وأما الأصنام والأحجار وغيرها من المعبودات فقد عبادت
بباطل، والله الموفق.



لما بين معنى لا إله إلا الله ناسب أن يفسر معنى: (محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم-) وذلك للجمع بينهما في الشهادة، ولأن كثيراً ممن يشهد أن محمداً رسول الله يخالف مدلولها.

وفي معنى قوله -عز وجل-: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

لا يذكر الله -عز وجل- في الشهادة إلا ذكر معه محمد ﷺ.

واسم محمد هو أشهر أسمائه وقد ذكر في القرآن في أربعة مواضع:

قال الله -عز وجل-: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال -عز وجل-: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقول الله -عز وجل-: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالُهُمْ﴾ [محمد: ١-٢].

وقال -عز وجل-: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الاحزاب: ٤٠].

وذكر باسم أحمد في موطن واحد قال الله - **عز وجل** - مخبراً عن قول عيسى - عليه السلام -: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وقد ذكر العلماء لطيفة في كون عيسى عليه السلام لما بشر به سماه أحمد ولما ذكر في القرآن ذكر باسم محمد قالوا لأن عيسى عليه السلام ذكره قبل أن يوجد ويقع منه الحمد أي أنه سيكون حامداً لله - **عز وجل** - وأما محمد فهو بمعنى أنه حامدٌ لله - **عز وجل** - في الحال مع أنه محمود لكثرة محامده. **قوله: «كافة»:** معناها أنه رَسُولُ الله إلى جميع المكلفين من الجن والإنس، وهذه من الأدلة على عموم رسالته، ومنها قول الله - **عز وجل** -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨].

ومنها: قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ومنها: قول الله - عز وجل -: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الاعراف: ١٥٨].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الانبياء: ١٠٧].

والناس لفظ يدخل فيه الجن والإنس من النّوس وهو الحركة، وفي صحيح البخاري قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «كَانَ نَاسٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنُّ وَتَمَسَّكَ هَؤُلَاءِ بِدِينِهِمْ»^(١).

وما يدل على أنه مرسل للناس كافة قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

قوله: «عن أبي هريرة -رضي الله عنه-»: هو عبدالرحمن بن صخر على أرجح الأقوال، أسلم في السنة السابعة وقيل السادسة وصحب النبي -صلى الله عليه وسلم- أربع سنوات واستقى منه علماً كثيراً وهو أكثر الصحابة -رضي الله عنهم- رواية عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد دعا له النبي -صلى الله عليه وسلم- بـ قوله: «اللهم حب عبديك أبا هريرة وأمه إلى المؤمنين قال فلا يراني مؤمن إلا أحبني»^(٣) أخرجه مسلم.

قوله: «وأرسلت إلى الخلق كافة»: هو بمعنى الآية أي أن الله أرسله إلى جميع المكلفين، يدعوهم إلى التوحيد وتتمة الحديث: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧١٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٠٣٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٣).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٤٩١).

بِسْمِ اللَّهِ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ» متفق عليه، وقد تقدم شيء من الأدلة في ذلك.

قوله: «ويجب علينا طاعته وتصديقه واجتناب ما نهى عنه»: يعبر عنها العلماء كثيرا بقولهم ومن مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيها أمر، وهذه أول ما تقتضيه هذه الشهادة.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه» متفق عليه.

وقال الله - عز وجل -: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

الثانية: تصديقه فيما أخبر أي أنه يُصدق في كل ما أخبر به من خبر الماضي والمستقبل والحاضر.

والدليل قوله: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟»^(١). فهو الصادق في قوله والمصدق من ربه.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٩٧١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الثالثة: «اجتناب ما نهى عنه وزجر»: وقد تقدم الدليل: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه» أي ابتعدوا عنه ولا تأتوه ومن أتاه فقد خالف أمر النبي - صلى الله عليه وسلم -.

والرابعة: ألا يعبد الله إلا بما شرع قال الله - عز وجل -: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الاحزاب: ٤٦].

وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور»^(١).

قوله: «والدليل قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]».

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٧٦)، وابن ماجه في سننه (٤٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه

الله تعالى في صحيح السنن.

وطاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - هي طاعة الله - عز وجل -، قال الله - عز وجل -: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].
وفي الحديث: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي» ^(١) متفق عليه عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

قوله: «وقوله تعالى: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾» [يس: ٥٢].

أي من الأدلة على صدقهم أن الناس يقولون يوم القيامة هذا ما وعد الرحمن من البعث والجزاء وصدق المرسلون في خبرهم. ويدخل النبي - صلى الله عليه وسلم - داخلا أوليا في المرسلين الذين صدقوا في ما نقلوه عن الله - عز وجل -.

ومما يستدل به العلماء على صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الله - عز وجل - قد هدد من كذب عليه وتوعده - عز وجل - بقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿١﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٢﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٣﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٩٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٣٥).

وقد ادعى النبوة مسيلمة فأخزاه الله وادعتها سجاح فأكبت وادعاها غير واحد من المتقدمين والمتأخرين فيُخزى على الأشهاد.

ومحمد مكنه الله ونصره وأعزه ورفع قدره وحفظه من مكر أعدائه وهذا يدل على صدق رسالته، ولو كان كاذبًا لانتهى أمره كغيره.

قوله: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه»: أي اتركوه وتحيزوا منه ولا تأتوه لأنه حرام، وهذا هو الأصل في نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد يأتي للكرهية لكن بقرينة تصرفه عن ذلك مثل نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الشرب قائمًا وقد شرب قائمًا.

وقد قال بعضهم:

إذا ما شربت فجلس تفزز *** بسنة صفوة أهل الحجاز

وقد نقلوا شربه قائمًا *** وذلك لبيان الجواز

وقوله: «فاجتنبوه»: أبلغ من **قوله: «فاتركوه»**؛ لأن الاجتناب يدل على المباحة، وعدم المقاربة فضلًا عن الإتيان.

قوله: «وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم»: أي ما طلبته منكم فالأمر هو طلب الفعل كما أن النهي طلب الكف ومن رحمة الله - عز وجل - أنه قيد الأمر بالاستطاعة.

قال الله - عز وجل -: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال الله - عز وجل - ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧].

وقال - عز وجل -: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

أي إن الإنسان يأتي من الواجبات ما استطاع إلى ذلك سبيلا وليس عليه غير ذلك.

وقد رد العلماء على الطحاوي قوله: "ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم".

قال ابن أبي العز - رحمه الله تعالى - في شرح الطحاوية (ص: ٢٩٦):

ولا يصح ذلك، لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف.

كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

فلو زاد فيما كلفنا به لأطقناه، ولكنه تفضل علينا ورحمنا، وخفف عنا،

ولم يجعل علينا في الدين من حرج. اهـ



الفقرة التاسعة: ما حق الله على عباده؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة التاسعة: ما حق الله على عباده؟

٩- فإذا قيل لك: ما حق الله على عباده؟

فقل: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، والدليل حديث معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «حَقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشْرِكُوا به شيئاً وَحَقُّ العِبَادِ على الله ألا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ به شيئاً». متفقٌ عليه.

الشرح:

بعد أن ذكر المصنف حفظه الله ما يتعلق بأسس الإسلام أتى بالتفصيل بعد الإجمال، وبدأ ببيان حق الله -عز وجل- على العباد لأنه المقدم رتبة ومعنى.

ومعرفة حق الله -عز وجل- من الأمور المتحتمة والواجبة وقد ألف القرعاوي -رحمه الله تعالى-: الواجبات المتحتمة معرفتها على المسلم والمسلمة.

وحق الله -عز وجل- على عباده عظيمٌ به أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ولأجله شرع الجهاد ولمن حققه أعدت الجنان ولمن خالفه أعدت

النيران والناس بسببه ينقسمون إلى مؤمن وكافر وبر وفاجر وشقي وسعيد فمن كان من الموحدين فهو من السعداء ومن كان من المشركين المنددين فهو من الأشقياء.

قال الله - عز وجل -: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى تى فَسَيُسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَيُسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل ٥-١٠].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٥ - ١٠٨].

قوله: «ما حق»: الحق هو الواجب اللازم أي ما الواجب على العباد تجاه ربهم سبحانه وتعالى.

قوله: «لعباد»: المراد بهم أهل التكليف وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، فالمراد بها العبودية العامة.

وهي عبودية القهر والملك والسلطان، قال الله -عز وجل-: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ١].

وقال تعالى: ﴿وإن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الاسراء: ٤٤].

وقد تقدم أن المكلفين هم الجن والإنس وأما الملائكة فهم مسخرون للطاعة، قال الله -عز وجل-: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

قوله: «فقل»: بلسان الحال والمقال.

قوله: «حق الله على عباده أن يعبدوه»: أن يوحده ويفردوه بما هو له. والدليل على وجوب إفراد الله بالعبادة: قول الله -عز وجل-: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله -عز وجل-: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الاسراء: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ [الشرح: ٧-٨].

وقوله -عز وجل-: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، إلى غير

ذلك من الأدلة.

بل إن جميع الرسل بُعثوا بذلك، قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].
وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قوله: ﴿ولا يشركوا به شيئاً﴾: أي ولا يشركون معه غيره لا في ملكه ولا في حكمه ولا في عبادته، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا، فإن الشرك ظلم عظيم وجرم جسيم.

قال الله - عز وجل -: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [الأحقاف: ٤].
وقال - عز وجل -: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ^٢ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا ٢٢-٢٣].

ففي هذه الآية قطع جميع العلائق حيث أخبر أنه المالك المنفرد بالملك وأنه لا معين له ولا ظهير ولا شريك وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه فالأمر لله أولاً وآخرًا.

والأدلة من القرآن على التحذير من الشرك كثيرة:

قال الله - عز وجل -: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال -عز وجل-: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

وقال الله -عز وجل-: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوهَا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].
لأنهم صرفوا حق الله -عز وجل- لغيره.

وقال الله -عز وجل-: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصُلُّ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصُلُّ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»
أخرجه مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

قوله: «والدليل»: أي أن أفراد الله بالعبادة هو الحق الواجب على العباد
حديث معاذ بن جبل -رضي الله عنه- وجاء عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-
عنه -في الصحيحين قال معاذ -رضي الله عنه-: «كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ -صَلَّى

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟»، قُلْتُ: الله ورسوله أعلم، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرُهُمْ، فَيَتَكَلَّبُوا»^(١)، متفق عليه.

وقوله: «شيئًا»: نكره في سياق النهي فتفيد العموم فلا يُشرك به في ألوهيته ولا في ربوبيته ولا في أسمائه وصفاته.

قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

سواء كان الشرك الأكبر أو الأصغر فمن مات على شرك لا يغفره الله وهذا هو القول الصحيح في أن الشرك الأصغر غير داخل تحت المشيئة.

بيان الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

١ - الشرك الأكبر مخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار ويحبط جميع الأعمال ويذهب الإيمان ويباح معه العرض والمال والنفس.

٢ - الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار ولا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط العمل الذي قارنه ولا يباح معه النفس والمال والعرض لأن صاحبه

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٥٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٠).

مسلم عاصي مرتكب لكبيرة عظيمة وهي الشرك إلا أن من مات عليه يعذب في النار ثم يخرج منها على الصحيح.
وإن كان شيخنا يحى حفظه الله في جماهير أهل العلم يرون أن الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة.

لكن الذي عليه التحقيق أنه غير داخل تحت المشيئة وهو قول شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - وابن القيم واختيار الشيخ بن عثيمين والشيخ السعدي وقد نقلت في كتابي فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ما يدل على ذلك.

قوله: «وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً»: يعني إن وحدوه وأفردوه بما يجب له أكرمهم بعدم عذابهم.

وقوله: «حق العباد»: أي حق أوجبه الله - عز وجل - على نفسه تفضلاً وكرماً، ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَلَا إِيَّايَ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ سَدُّوا»^(١) أخرجه مسلم.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٦٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨١٦).

قال النووي - رحمه الله تعالى - في شرح الحديث (١٦٠ / ١٧):

وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ تَعَالَى اللَّهُ بِلِ الْعَالَمِ مُلْكُهُ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فِي سُلْطَانِهِ يَفْعَلُ فِيهَا مَا يَشَاءُ فَلَوْ عَذَّبَ الْمُطِيعِينَ وَالصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ وَأَدْخَلَهُمُ النَّارَ كَانَ عَدْلًا مِنْهُ وَإِذَا أَكْرَمَهُمْ وَنَعَّمَهُمْ وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ فَهُوَ فَضْلٌ مِنْهُ وَلَوْ نَعَّمَ الْكَافِرِينَ وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ كَانَ لَهُ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ أَخْبَرَ وَخَبَرَهُ صِدْقٌ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ هَذَا بَلْ يَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَيُحْلِلُهُمْ فِي النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ وَأَمَّا الْمُعْتَرِزُ فَيُثْبِتُونَ الْأَحْكَامَ بِالْعَقْلِ وَيُوجِبُونَ ثَوَابَ الْأَعْمَالِ وَيُوجِبُونَ الْأَصْلَحَ وَيَمْنَعُونَ خِلَافَ هَذَا فِي خَبْطٍ طَوِيلٍ هُمْ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ اخْتِرَاعَاتِهِمُ الْبَاطِلَةِ الْمُنَابَذَةِ لِنُصُوصِ الشَّرْعِ وَفِي ظَاهِرِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ دَلَالَةٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ أَحَدُ الثَّوَابِ وَالْجَنَّةِ بِطَاعَتِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى أُدْخِلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَنَحْوُهُمَا مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ يُدْخَلُ بِهَا الْجَنَّةَ فَلَا يُعَارِضُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ بَلْ مَعْنَى الْآيَاتِ أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ بِسَبَبِ الْأَعْمَالِ ثُمَّ التَّوْفِيقُ لِلْأَعْمَالِ وَالْهُدَايَةُ لِلْإِخْلَاصِ فِيهَا وَقَبُولُهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ فَيَصِحُّ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ بِمُجَرَّدِ الْعَمَلِ وَهُوَ مُرَادُ الْأَحَادِيثِ وَيَصِحُّ أَنَّهُ دَخَلَ بِالْأَعْمَالِ أَيْ بِسَبَبِهَا وَهِيَ مِنَ الرَّحْمَةِ. اهـ

وقد سقت كلام النووي بطوله لرد ما فيه.

تنبيه مهم: قول النووي - رحمه الله تعالى -: «فلوا عَذَّبَ الْمُطِيعِينَ وَالصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ وَأَدْخَلَهُمُ النَّارَ كَانَ عَدْلًا مِنْهُ»، هذا قول باطل جرى فيه على عقيدة الأشاعرة في تجويز عقاب المحسن.

حتى قال السفاريني رحمه الله تعالى:

وجاز للمولى يعذب الوري *** من غير ما ذنب ولا جرم جرى
فكل ما منه تعالى يجمل *** لأنه عن فعله لا يسأل
فإن يثب فإنه من فضله *** وإن يعذب فبمحض عدله
إذ يرد هذا قول الله - عز وجل -: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:
٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وهذا على مقتضى حكمة الله - عز وجل -، قال ابن عثيمين في شرح
العقيدة السفارينية (١ / ٣٤٠):

قال المؤلف رحمه الله:

فكل ما منه تعالى يجمل *** لأنه عن فعله لا يسأل

علل ذلك بتعليق:

التعليل الأول: أن كل شيء من الله فهو جميل.

التعليل الثاني: أن الله لا يسأل عن فعله، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ولكن هذا القول والتعليل لهذا القول كلاهما باطل ولا نقول: ضعيف بل نقول: إنه باطل؛ لأنه مخالف للنص الصريح في كتاب الله. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٧).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: ١١٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ (يونس: الآية ٤٤). وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فإذا قلنا: إن من آمن واتقى ومات على ذلك جاز أن يعذبه الله صار هذا القول مخالفاً لنص القرآن.

ثم، هذا الفعل غير جميل، والله سبحانه وتعالى لا يفعل إلا الجميل، وفي الحديث القدسي الصحيح أن الله تعالى قال: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا»^(١).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ثم إن تعذيب المطيع القائم بأمر الله ليلاً ونهاراً حتى مات، لا أحد يشك في أنه ظلم وأنه غير جميل.

إذا سقط التعليل الأول في قوله: (فكل ما منه تعالى يجمل)، فإن عقوبة المطيع ليست جميلة، فلا يصدق عليها هذا التعليل.

أما التعليل الثاني في قوله: (لأنه عن فعله لا يسأل) فهذا صحيح، فالله تعالى لا يسأل عما يفعل، فلا يسأل لماذا هدي هذا الرجل حتى استقام، ولماذا أضل الآخر حتى انحرف، فلا يسأل عن هذا؟

لأن الله له الحكمة فيما قدر، لكن بعد أن يوجد السبب المقتضي للثواب أو العقاب، فلو أن الله عاقبه لكان هناك سؤال عن سبب معاقبة الله لهذا الرجل، ولهذا أيضاً يسقط هذا التعليل، ويحمل - إذا أردنا أن نجعله صحيحاً - على أنه لا يسأل عن فعله في إيجاد الأسباب المقتضية للعذاب أو للثواب.

فإذا قال قائل: أليس الخلق كله ملكاً لله؟ وإذا كان ملكاً له أفلا يمكن أن يقال: إن له أن يفعل في ملكه ما شاء؟

فالجواب: بلى، ولكن نقول: هو نفسه **عز وجل** أخبر بأنه لا يمكن أن يظلم أحداً، ولا يمكن أن يعذب طائعاً، فيكون هذا الشيء - أي تعذيب

المطيع - ممتنعاً بمقتضى خبر الله عز وجل، وبمقتضى أسمائه وصفاته، وأنه عز وجل احكم الحاكمين واعدل العادلين.

فحينئذ يكون ممتنعاً لأخبار الله بأنه لا يظلم أحداً، وأن ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ (فصلت: الآية ٤٦).

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧) إلى غير ذلك من الآيات. وصلنا هنا

فهو ممتنع لهذا الوعيد، وإلا فمن المعلوم أن الله يفعل في خلقه ما يشاء، لكن هو نفسه سبحانه وتعالى حرم على نفسه الظلم وأوجب على نفسه أن يثيب المطيع، قال الله عز وجل: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: الآية ٥٤).

وبناء على ذلك صار قول المؤلف رحمه الله:

وجاز للمولى يعذب الورى *** من غير ما ذنب ولا جرم جرى
قولاً باطلاً مخالفاً للكتاب والسنة، ومخالفاً لما تقتضيه أسماء الله وصفاته.
وأما التعليان المذكوران: فهما أيضاً غير صحيحين بالنسبة لهذه المسألة؛
لأنه إذا قال: كل فعل من أفعال الله فهو جميل.

قلنا: لا جميل في تعذيب المطيع.

وإذا قال: لأنه عن فعله لا يسأل.

قلنا: هذا في منع السبب المقتضي للثواب أو العقاب، فإذا هدى شخصاً وأضل شخصاً فإنه لا يسأل، لكن إذا وجد الضلال أو الهدى فإنه لا بد أن يترتب عليهما مقتضاهما من ثواب في الهدى، وعقاب في الضلال. **اهـ**

ومعنى: «لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»: ويقال في صاحب الكبيرة من المسلمين إن شاء الله أن يعذبه لا يعذبه عذاب خلود في النار أو أن الله - **عز وجل** - يمنُّ على من شاء من عباده بالمغفرة والتجاوز.

أو أنه يُحمل على أناسٍ حققوا التوحيد والتزموا مقتضياته وشرائعه ظاهراً وباطناً، وهو ما بوب عليه الإمام المجدد في كتاب التوحيد: (باب من حقق التوحيد دخل الجنة من غير حساب ولا عذاب).

وفي حديث أبي سعيد - **رضي الله عنه** - عند مسلم: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فُبْتُوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حِمِلِ السَّيْلِ"، فَقَالَ:

رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ»^(١) أخرجه مسلم.

وهذه الفقرة مع ما سيأتي إن شاء الله دليل على فضل التوحيد، وأنه الحسنة العظيمة التي من حافظ عليها كان من المقربين إلى رب العالمين. والله الموفق.



(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٥).

الفقرة العاشرة: ما هو الشرك؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة العاشرة: ما هو الشرك؟

١٠- فإذا قيل لك: ما هو الشرك؟

فقل: هو عبادة غير الله - عز وجل -، فكل ما كان عبادة لله - عز وجل -
فصرفه لغير الله شرك، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

الشرح:

لما بين المصنف حفظه الله حق الله - عز وجل - الواجب على العباد،
ناسب أن يبين ما يناقضه وهو الشرك بالله - عز وجل -، ويعبر عنه في
القرآن بالشرك والكفر والظلم وغير ذلك، والأدلة على النهي عنه أكثر من
أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

ولابد للمكلف أن يعرف التوحيد والشرك لأن كثيراً من عباد القبور
يظنون شركهم توحيداً وفعلهم حميداً وإذا سألتهم ما هذا الذي تصنعونه
عند قبر العيدروس أو هود أو فلان وفلان قالوا هذا ليس بشرك هذا معرفة
لحق الصالحين والأولياء، وهذا هو التوحيد، إذ أنهم يقربونا إلى الله

وعندهم شفاعة وقربة، وهذا هو قول المشركين الأول كما سيأتي إن شاء الله.

وقد ذكر الإمام المجدد في الأصول الستة ما يبين ذلك حيث قال:

الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم. **اهـ**

قوله: «ما هو الشرك»: مأخوذ من المشاركة، وقد أشرك بالله إذا جعل له شريكاً، والشرك الكفر.

قوله: «هو عبادة غير الله - عز وجل -»: أي تعريف الشرك اصطلاحاً: هو صرف العبادة التي هي حق الله - عز وجل - لغيره.

فمثلاً: الدعاء عبادة يجب أن تصرف لله - عز وجل - قال الله - عز وجل -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فمن دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك، والنذر عبادة فمن صرفه لغير الله فقد أشرك، والاستعانة والاستغاثة عبادة فمن استغاث بغير

الله فيما لا يقدر عليه إلا الله - **عز وجل** - فقد أشرك، والركوع والسجود عبادة فمن صرفها لغير الله - **عز وجل** - فقد أشرك وهكذا يقال في بقية العبادات فكل ما أمر الله أن يصرف له فصرفه لغير الله شرك، وصرفه لله - **عز وجل** - عبادة وينبغي للمكلف أن تكون حركاته وسكناته لله - **عز وجل** -، قال الله - **عز وجل** -: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الانعام: ١٦٢].

وفي الأثر المروي عن سلمان - رضي الله عنه -: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي دُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي دُبَابٍ»، قَالُوا: وَمَا الدُّبَابُ؟، فَرَأَى دُبَابًا عَلَى ثَوْبِ إِنْسَانٍ، فَقَالَ: " هَذَا الدُّبَابُ "، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ؟، قَالَ: " مَرَّ رَجُلَانِ مُسْلِمَانِ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى صَنَمٍ لَهُمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: قَرَّبَا لَصْنَمِنَا قَرْبَانًا قَالَا: لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، قَالُوا: قَرَّبَا مَا شِئْتُمَا وَلَوْ دُبَابًا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا تَرَى؟، قَالَ أَحَدُهُمَا: لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، فَقُتِلَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ الْآخَرُ: بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَأَخَذَ دُبَابًا فَأَلْقَاهُ عَلَى الصَّنَمِ فَدَخَلَ النَّارُ»^(١) أخرجه البيهقي في الشعب.

(١) قال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في الضعيفة برقم (٥٨٢٩): أخرجه أحمد في " الزهد " (ص ١٥ -

١٦)، فذكره موقوفا عليه. ثم قال رحمه الله تعالى: وبالجمل؛ فالحديث صحيح موقوفا على سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ إلا أنه يظهر لي أنه من الإسرائيليات التي كان تلقاها عن أسباطه حينما كان نصرانيا.

قوله: «فكل ما كان عبادة فصرفه لغير الله شرك الدليل، قول الله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

أي فكل ما ثبت أنه عبادة فيجب أن يصرف لله - عز وجل - ولا يصرف لغيره، مهما علت رتبته ومنزلته.

وانظر لإنكار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على من قال: [«ما شاء

الله وشاء محمد قال: «أجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده»^(١).]

ولما قالوا: [«يا سيدنا وابن سيدنا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

: «السيد الله»^(٢)].

فتلخص: أن الشرك شبكة شائكة من دخل فيه قيده وأحبطه كما أن

الصلاة لا تصح إلا بالطهارة كذلك العبادة لا تصح إلا بالتوحيد ومن

أشرك بالله أو مع الله - عز وجل - كان كمن أحدث في الصلاة، لا يقبل الله

منه صرفاً ولا عدلاً مع الفرق الواسع بين الأمرين، فإن الصلاة تصح من

فاقد الطهورين في أوقات أما التوحيد فلا يصح إلا بنزذ الشرك والتنديد.

(١) أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (٧٨٧)، وابن ماجه (٢١١٧)، والطحاوي في " المشكل " (١ /

٩٠) والبيهقي (٣ / ٢١٧) وأحمد (١ / ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧)، وهو في الصحيحة للإمام

الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٣٩)، وقال فيه: من طرق عن الأجلح عن يزيد ابن الأصم عن ابن عباس

رضي الله عنهما، والأجلح هذا هو ابن عبد الله أبو حجية الكندي وهو صدوق شيعي كما في "

التقريب " وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، فالإسناد حسن.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٠٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٥٨٥)، من

طريق مطرف، عن أبيه عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.

وفي حديث الحارث الأشعري - رضي الله عنه - عند الترمذي: «وإنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصٍ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَأَعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ»^(١).

تنبيه: الشرك قد يقع في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات أو في بعضها.

شرك الربوبية: وهو صرف خصائص الربوبية أو بعضها لغير الله - عز وجل - كالاتقاد أن غير الله ينفع أو يضر أو يرفع أو يخفض أو يعافي أو غير ذلك من أفعال الله - عز وجل -.

الشرك الألوهية: وهو أن يجعل لله نداً في العبادة أو التشريع وهو صرف العبادة كالصلاة والنذر والاستعانة والاستغاثة لغير الله - عز وجل -.

الشرك في الأسماء والصفات: وهو مشاركة غير الله - عز وجل - لله - عز وجل - في شيء من خصائصه تعالى.

فعن هانئ - رضي الله عنه - أنه لما وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه سمعهم يَكْنُونُهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟» فَقَالَ:

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٨٦٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟»
قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ،
قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»^(١) أخرجه أبو داود.

-أسأل الله السلامة -



(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٥٥)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(١٨١١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

ما في «صحيح مسلم» (٢١٠٤): عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «وَأَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ، وَفِي يَدِهِ عَصَا، فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ: «مَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَا رُسُلَهُ، ثُمَّ التَفَتَ؛ فَإِذَا جِرُّوْ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ» فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ مَتَى دَخَلَ هَذَا الْكَلْبُ هَاهُنَا؟» فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءَ جِرْبِيلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «وَأَعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ، فَقَالَ: مَنَعَنِي الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ، إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ».

وأخرج رقم (٢١٠٥): عن ميمونة رضي الله عنها، قالت: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَصْبَحَ يَوْمًا وَاجِمًا، فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ اسْتَنْكَرْتُ هَيْئَتَكَ مُنْذُ الْيَوْمِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ جِرْبِيلَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَلْقَنِي، أَمْ وَاللَّهِ مَا أَخْلَفَنِي» قَالَ: فَظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَهُ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرُّوْ كَلْبٍ تَحْتَ فُسْطَاطٍ لَنَا، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً فَنَضَحَ مَكَانَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَهُ جِرْبِيلُ، فَقَالَ لَهُ: «قَدْ كُنْتُ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقَانِي الْبَارِحَةَ؟» قَالَ: أَجَلُ، وَلَكِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ؛ فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، حَتَّى إِنَّهُ يَأْمُرُ بِقَتْلِ كَلْبِ الْحَائِطِ الصَّغِيرِ، وَيَتْرُكُ كَلْبَ الْحَائِطِ الْكَبِيرِ».

وعن أبي طلحة - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة» أخرجه البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦).

وأخرج مسلم (٢١٠٧): قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ لَنَا سِتْرٌ فِيهِ تِمْنَالٌ طَائِرٌ، وَكَانَ الدَّاحِلُ إِذَا دَخَلَ اسْتَقْبَلَهُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «حَوِّلِي هَذَا؛ فَإِنِّي كُلَّمَا دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا» قَالَتْ: وَكَانَتْ لَنَا قُطِيفَةٌ كُنَّا نَقُولُ عَلِمَهَا حَرِيرٌ، فَكُنَّا نَلْبِسُهَا».

وأخرج البخاري برقم (٢٤٧٩): قالت: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - وَفِي الْبَيْتِ قِرَامٌ فِيهِ صُورٌ، فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، وَقَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّورَ».

وعنها - رضي الله عنها - قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تِمْنَالٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ هَتَكَهُ وَتَلَوْنَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَطَعْنَاهُ، فَجَعَلْنَا مِنْهُ وَسَادَةً أَوْ وَسَادَتَيْنِ».

وفي لفظ لها - رضي الله عنه - عند البخاري (٢١٥٠)، ومسلم: «إِنَّ أَصْحَابَ الصُّوَرِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَهَا، يُعَذَّبُونَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ».

وفي البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩): عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمُصَوِّرُونَ».

ولهما البخاري (٢٢٢٥) ومسلم (٢١١٠): عند سعيد بن أبي الحسن قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه -، فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أَصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرِ، فَأَفْتِنِي فِيهَا، فَقَالَ لَهُ: اذْنُ مِنِّي، فَدَنَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: اذْنُ مِنِّي، فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، قَالَ: أُنبِّئُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذَّبُ فِي جَهَنَّمَ»، وَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَاصْنَعْ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ؛ فَأَقْرَبَ بِهِ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ».

وفي لفظ لهما: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُلِّفَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ».

ولهما: عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ يقول: «قال الله -عز وجل-: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا شعيرة».

ومسلم (٢١١٢): عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ تَمَاثِيلٌ أَوْ تَصَاوِيرٌ».

قال النووي -رحمه الله تعالى- في شرح أحاديث الباب:

قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: تصوير صورة الحيوان حرام، شديد التحريم، وهو من الكبائر؛ لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء صنعه بما يمتن أو بغيره، فصنعتة حرام بكل حال؛ لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى، وسواء ما كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها، وأما تصوير صورة الشجر ورحال الإبل وغير ذلك، مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام، هذا حكم نفس التصوير. اهـ

ونزيد على هذا: ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (٩٦٩): عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، أنه قال لأبي الهياج: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا صورة إلا طمستها».

قال الشيخ مقبل رحمه الله تعالى في «إجابة السائل» (٢٤٩):

صورة نكرة في سياق النفي، يشمل كل صورة بعدها يأتي بفتوى صاحب الفضيلة: أنه قد أجاز أن يتصور الشخص في التلفزيون، وأن يتصور بالفيديو من أجل الدعوة. اهـ

فخلصنا بهذه الأحاديث: التي غيرها أكثر منها إلى أن تصوير ذوات الأرواح من كبائر الذنوب والآثام، فعلى المسلم البعد عن هذه البلية العظيمة، والفتنة الجسيمة التي وقع فيها الناس لضعف استقامتهم وجهلهم بدين رب العالمين، وسنة سيد المرسلين.

وأما الاستدلال بصنع عائشة **رضي الله عنها** للعب، أو الفرس الذي له أجنحة، فجوابه من أوجه:

الأول: أنها كانت غير مكلفة في ذلك الوقت، وهذا الجواب قد يكون بعيداً.

الثاني: أنها إنما تصنع كهيئة ما ذكر، وليس معناها أنها تضاهي خلق الله - عز وجل -.

والثالث: أن ما صنعه الطفل للعب لا ينكر عليه فيه.

الرابع: أنه لم يرد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أعانها.

وأما الاستدلال بفعل الحكومات من التصوير للجوازات والبطائق، فالإثم عليهم، ولم يكن إلزامهم هذا شرع لنا يجب علينا فعله، وإن فعلناه فالإثم على من ألزم مع فعلنا له مع الكراهة، ولا يستدل بالباطل على جواز الباطل.

وقال شيخنا مقبل - رحمه الله تعالى - في «تحفة المجيب» (٦٢):

التصوير محرم، فالنبي - **صلى الله عليه وسلم** - يقول: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»، ويقول: «لعن الله المصوّرين».

وفي «جامع الترمذي»: من حديث أبي هريرة - **رضي الله عنه** -، عن النبي - **صلى الله عليه وسلم** - أنه قال: «تخرج عنق من النار يوم القيامة، لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكّلت بثلاثة: بكلّ جبار عنيد، وبكلّ من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصوّرين»^(١).

وقد أبى النبي - **صلى الله عليه وسلم** - أن يدخل حجرة عائشة **رضي الله عنها** وقد سترت سهوةً لها بقرام فيه تصاوير»^(٢).

فهذا دليل يرد على الذين يقولون: ليس هناك محرم إلا المجسمة. فقد أبى النبي - **صلى الله عليه وسلم** - أن يدخل الحجرة حتى هتك الستار وقال:

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥٧٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(١٤٠٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٢٢٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٠٧).

«إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِينَ يَصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّورَ». والذي لا بد منه مثل رخصة القيادة، وجواز السفر، والبطاقة، فالإثم على الحكومة. اهـ

وفي «فتاوى اللجنة الدائمة» (١/ ٦٦٠-٦٦١):

لا شك أن تصوير كل ما فيه روح حرام، بل من الكبائر؛ لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد في نصوص السنة، ولما فيه من التشبه بالله في خلقه الأحياء، ولأنه وسيلة إلى الفتنة وذريعة إلى الشرك في كثير من الأحوال، والإثم يعم من باشر التصوير ومن كلفه به وكل من أعانه عليه أو تسبب فيه؛ لأنهم متعاونون على الإثم، وقد نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَعَاوُنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. اهـ

وفي نفس المرجع (١/ ٦٦٦): لا يجوز تصوير ذوات الأرواح بالكاميرا أو غيرها من آلات التصوير، ولا اقتناء صور ذوات الأرواح ولا الإبقاء عليها إلا لضرورة كالصور التي تكون بالتابعة أو جواز السفر.

أقول: ويكون الإثم في هذه الحالة على من ألزم بالتصوير كما هو معلوم من قواعد الشريعة. اهـ

وفي نفس المصدر (١/ ٦٦٩): التصوير الفوتوغرافي الشمسي من أنواع التصوير المحرم، فهو والتصوير عن طريق النسيج والصبغ بالألوان والصور المجسمة سواء في الحكم، والاختلاف في وسيلة التصوير وآلته لا يقتضي اختلافا في الحكم، وكذا لا أثر للاختلاف فيما يبذل من جهد في التصوير صعوبة وسهولة في الحكم أيضا، وإنما المعتبر الصورة فهي محرمة وإن اختلفت وسيلتها وما بذل فيها من جهد، وظهور صورتني في مجلتي المجتمع والاعتصام مع فتواي في أحكام الصيام في شهر رمضان ليس دليلا على إجازتي التصوير، ولا على رضاي به، فإني لم أعلم بتصويرهم لي. اهـ

شبهة وجوابها:

وأما من قال بأن التصوير الشمسي، كارتسام الصورة في المرأة؟

فالرد عليه ما في «مجموع فتاوى اللجنة الدائمة» (١/ ٦٧٣):

وليس التصوير الشمسي مجرد انطباع، بل عمل بآلة ينشأ عنه الانطباع فهو مضاهاة لخلق الله بهذه الصناعة الآلية. ثم النهي عن التصوير عام؛ لما فيه من مضاهاة لخلق الله والخطر على العقيدة والأخلاق دون نظر إلى الآلة والطريقة التي يكون بها التصوير. اهـ

شبهة تصوير ذوات الأرواح للتوضيح في الدراسة:

أجابت اللجنة الدائمة كما في «مجموع فتاواها» (١/ ٦٨٤):

تصوير ذوات الأرواح حرام مطلقاً؛ لعموم الأحاديث التي وردت في ذلك وليست ضرورية للتوضيح في الدراسة، بل هي من الأمور الكمالية لزيادة الإيضاح، وهناك غيرها من وسائل الإيضاح يمكن الاستغناء بها عن الصور في تفهيم الطلاب والقراء، وقد مضى على الناس قرون وهم في غنى عنها في التعليم والإيضاح وصاروا مع ذلك أقوى منا علماً وأكثر تحصيلاً، وما ضرهم ترك الصور في دراستهم، ولا نقص من فهمهم لما أرادوا ولا من وقتهم وفلسفتهم في إدراك العلوم وتحصيلها، وعلى هذا لا يجوز لنا أن نرتكب ما حرم الله من التصوير لظننا أنه ضرورة، وليس بضرورة لشهادة الواقع بالاستغناء عنه قروناً طويلة، وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. **هـ**

فتبين: من هذه الأدلة الصحيحة الصريحة المتواترة مع أقوال العلماء الموافقة لها تحريم تصوير ذوات الأرواح، كيفما تصرف بالفيديو، أو التلفزيون، أو الكاميرا، أو النحت، أو التطريز والنسج، فلا يأتي بعد ذلك متقول ويقول بالجواز.

وأما الاحتجاج بالضرورة، فالضرورة لها ضوابطها، وليس كل ما زعموه ضرورةً يكون ضرورة، وقد تكلمت على توسع المبتدعة فيما يسمونه بالإكراه والضرورة، والمصالح المرسله في كتابي: «المبحث البديع في أسباب وحلول ونتائج التميع» فراجعه إن شئت، ولشيخنا الإمام: مقبل بن هادي الوادعي: رسالة في «حكم تصوير ذوات الأرواح».

قوله: «من كبائر الذنوب»: أي أن التصوير معصية كبيرة، والكبيرة لا بد من توبة لتكفيرها، وقد اختلف العلماء في عددها فقليل سبع وقيل: سبعون وقيل سبعمائة وقيل أكثر وقيل أقل وضابط ذلك أن الكبيرة ما توعده عليه بالنار أو حرمان من الجنة، وما جاء فيه براءة أو لعن لصاحبه أو ما رتب عليه حدٌ في الكتاب والسنة.

والذنوب تنقسم إلى قسمين:

كبائر وصغائر.

فأما الكبائر: فلا تغفر إلا بالتوبة.

وأما الصغائر: فلها مكفرات كثيرة مثل ما جاء في حديث أبي هريرة -

رضي الله عنه-: «الصَّلَوَاتُ الْخُمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»^(١) أخرجه مسلم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٢).

وقد قال الله - عز وجل -: ﴿إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].
وقال - عز وجل -: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

قوله: «والدليل»: أي على تحريم تصوير ذوات الأرواح، حديث عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه - وهو أبو عبد الرحمن الهذلي هاجر إلى الحبشة وهاجر إلى المدينة، وهو من حفاظ القرآن وعلماء الأمة وله فضائل مشهورة، وفي غير كتاب مذكورة منها: أن رسول الله قال: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ " ^(١) [أخرجه أحمد].

قوله: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»: وهذا مؤكد بعدة تأكيدات القسم المحذوف وحرف التوكيد إنَّ، وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «يخرج عنق من النار يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبمن دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين» نسأل الله السلامة.

(١) أخرجه الطيالسي (رقم ٣٥٥)، وأحمد (رقم ٣٩٩١)، وأبو نعيم في " الحلية " (١٢٧/١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٨٣٧)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

قوله: «وحدث أبي جحيفة»: وهو وهب بن عبد الله السوائي رضي الله عنه.

قوله: «نهى رسول الله عن ثمن الكلب»: أي حرم ثمن الكلاب فلا يجوز بيعها ولا شرائها ولا اقتنائها إلا إذا كان كلب صيد أو ماشية أو زرع، فيجوز أن تقتنى لكن بغير البيع والشراء.

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا، لَيْسَ بِكَلْبٍ مَاشِيَةٍ، أَوْ ضَارِيَةٍ، نَقَصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطَانِ»^(١) متفق عليه.

وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقتل الكلاب ثم نهى عن ذلك وقال: «عليكم بالأسود البهيم فإنه شيطان»^(٢)، أخرجه مسلم عن جابر - رضي الله عنه -.

قوله: «ثمن الدم»:

قال الشوكاني في نيل الأوطار (٥ / ١٧١):

قوله: (حَرَّمَ ثَمَنَ الدَّمِ): اُخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ بِهِ فَقِيلَ: أُجْرَةُ الْحِجَامَةِ فَيَكُونُ دَلِيلًا لِمَنْ قَالَ: بِأَنَّهَا غَيْرُ حَلَالٍ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ ثَمَنُ الدَّمِ نَفْسِهِ، فَيَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ بَيْعِهِ، وَهُوَ حَرَامٌ إجماعاً كما في الفتح. اهـ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٣٢٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٧٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٧٢).

قوله: «ولعن المصور»: هذا هو الشاهد من أنه لعن من يباشر التصوير، وهذا دليل على أنها كبيرة حيث لعن فاعلها.

قلت في كتابي: "فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد":

اللعن: هو الطرد من رحمة الله، وقد يكون الطرد جزئياً وقد يكون كلياً، فالكافر يلعن، واللعن في حقه طرداً كلياً من رحمة الله سبحانه وتعالى.

واللعن ينقسم إلى قسمين:

الأول: لعن بالوصف.

الثاني: لعن بالشخص.

وجماهير أهل العلم على أنه لا يجوز لعن الشخص الحي المعين، وإنما يُلعن من يستحق اللعن بالوصف، والمسألة خلافية والخلاف فيها مبسوط. وقد نقلت نقولات كثيرة عن ابن مفلح كما في «الأداب الشرعية»، وعن شيخ الإسلام وغيره في ردي على طارق السويدان الموسوم: بـ«البيان في لعن اليهود والنصارى والرد على طارق السويدان».

وتلخص لنا أن من العلماء من حرم لعن المعين مطلقاً:

لا المؤمن ولا الكافر إلا من مات على كفره، قالوا: وذلك لأن اللعن دعاء بالطرد من رحمة الله، والكافر الحي قد يسلم.

ومن العلماء من جوز لعن المستحق، سواء كان كافراً أو مسلماً: ويستدل من جوز لعن المعين.

بما أخرج الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠٠):

من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا الذي قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ، لَا أَذْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا، وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا، مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ» قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنَتُهُمَا وَسَبَّيْتُهُمَا، قَالَ: «أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَّيْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا».

وقد يقول قائل: هذا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد قال: «اللهم إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَّيْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً»، يقال: نعم، لكن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشترط على ربه، لمن ليس لها أهل، وأما من كان لها أهل فلم تكن له زكاة ورحمة.

وقد لعن كثيرًا من العلماء: المريسي، وجهم بن صفوان، والجعد بن درهم، وغيرهم من رؤوس الضلال.

ولعن الإمام يحيى بن معين رحمه الله تعالى: الكرابيسي.

وأما اللعن بالوصف: فمنها ما عند الترمذي (١٢٩٥) وغيره:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةً: «عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا، وَالْمُشْتَرِيَ لَهَا، وَالْمُشْتَرَاةَ لَهَا».

وفي صحيح مسلم (٢١٢٥): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ» قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَاتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: [«وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ»].

ويأتي اللعن بمعنى السب:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَكَيْفَ يَلْعَنُ

الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يُسَبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيُسَبُّ أَبَاهُ، وَيُسَبُّ أُمُّهُ».

أخرجاه^(١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .



(١) البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

الفقرة الثانية عشر: ما تعلق بتصوير ذوات الأرواح بالشرك؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثانية عشر: ما تعلق بتصوير ذوات الأرواح بالشرك؟

١٢- فإذا قيل لك: فما تعلق بتصوير ذوات الأرواح بالشرك؟

فقل: إن التصوير خلق يكون به المصور مضاهيا ومشاركا لله - عز وجل - في ذلك.

والدليل: حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يَضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ» متفق عليه.

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: قال الله تعالى «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي...» متفق عليه.

الشرح:

ساق المصنف هذه الفقرة للرد على سؤال قد يرد من بعض من لم يعلم حقيقة التصوير وضرره.

وقد ذكر العلماء أن تصوير ذوات الأرواح حُرْم لأمرين:

الأول: لسد ذرائع الشرك، فإن أول شرك وقع في بني آدم كان بسبب التصوير.

كما جاء عند الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهَذِيلٍ، وَأَمَّا يَغُوثٌ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَا، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحُمَيْرٍ لَالِ ذِي الْكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوَهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ» ^(١).

الثاني: المضاهاة، وهي المشابهة لخلق الله، على ما تقدم، وسيأتي في الأدلة التي ذكرها المؤلف حفظه الله.

✍ **فالمصور دائر بين كبيرتين:**

كبيرة الوقوع في الشرك أو ذرائعه.

وكبيرة المضاهاة لخلق الله - **عز وجل** -، وقد يقع فيهما جميعاً، والله المستعان.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٩٢٠).

والإسلام قد جاء بسد ذرائع الشرك فما دونه.

فقد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي كُلُّكُمْ عِبِيدُ اللَّهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيتِي وَفَتَاتِي»^(١) أخرجه مسلم.

ومن ذلك أنه أتى رَجُلُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي لَقِيتُ بَعْضَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: نِعَمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " قَدْ كُنْتُ أَكْرَهُهَا مِنْكُمْ، فَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ »^(٢).

قوله: «المصور مُضَاهِيًا ومُشَارِكًا لله -عز وجل- في ذلك»: بل إن تصوير ذوات الأرواح بالصور الحديثة فيه من المضاهاة مالم يكن في التصوير القديم فإنه ربما يرسم ولا يحسن أما هذه المصورات فتصور الإنسان كهيئته بل ربما أجمل من هيئته التي هو عليها لاسيما إذا أجرى معها بعض التحسينات.

قوله: «والدليل على أن الصور حرام للمضاهاة حديث عائشة»: وهي أم عبدالله الصديقة بنت الصديق، زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدنيا

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٤٩).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٢١١٨)، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وصححه

الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح ابن ماجه.

والآخرة، قال عنها النبي - صلى الله عليه وسلم -: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(١)، أخرجه مسلم عن أبي موسى - رضي الله عنه -، وهي فقيهة الأمة.

قوله: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»:

قال المناوي في فيض القدير (١/٥١٨):

«أي يشبهون عملهم التصوير بخلق الله من ذوات الأرواح فمن صور الحيوان ليعبد أو قصد به المضاهاة لخلق ربه واعتقد ذلك فهو أشد الناس عذاباً لكفره ومن لم يقصد ذلك فهو فاسق فتصوير الحيوان كبيرة ولو على ما يمتن كثوب وبساط ونقد وإناء وحائط». اهـ

فيه: أن الناس يتفاوتون في العذاب فمنهم من يكون في عذاب شديد ومنهم من يكون في أشد لكن من أشدهم الذين يضاهون بخلق الله أي يصورون الصور، مشاركين لله - عز وجل - في هذه الصفة.

قوله: «وحدث أبي هريرة - رضي الله عنه - ومن أظلم ممن ذهب يخلق

كخلقى»^(٢): سماه خلقاً مع أنه ليس بإيجاد من العدم لكن لما فيه من

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤١١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤٣١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٥٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١١١).

التحويل: «فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا برة أو ليخلقوا شعيرة»، وهذا التحدي يدل على أنه كبيرة من كبائر الذنوب.

قال الحافظ في الفتح فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٣٨٦):

وقوله: «كَخَلَقِي»: التَّشْبِيهُ فِي فِعْلِ الصُّورَةِ وَحَدَّهَا لَا مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ
قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: فَهِمَ أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ التَّصْوِيرَ يَتَنَاوَلُ مَا لَهُ
ظِلٌّ وَمَا لَيْسَ لَهُ ظِلٌّ فَلِهَذَا أَنْكَرَ مَا يُنْقَشُ فِي الْحِيطَانِ قُلْتُ هُوَ ظَاهِرٌ مِنْ
عُمُومِ اللَّفْظِ. اهـ



[الفقرة الثالثة عشر: ما تعريف العبادة؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثالثة عشر: ما تعريف العبادة؟

١٣- فإذا قيل: ما تعريف العبادة؟

فقل: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

الشرح:

ساق المصنف هذه الفقرة لبيان معنى العبادة التي معرفتها من المهمات لأن كثيراً ممن يخالف في هذا الباب يصرف العبادات لغير الله - عز وجل -، وإذا قيل له في ذلك عارض بأنه لا يعبد غير الله - عز وجل -.

قوله: «هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه»: أي من الأقوال والأفعال والاعتقادات، وهذا هو مراد الشيخ من التعريف، وقد شهر هذا التعريف عن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

حيث قال رحمه الله تعالى في كتاب العبودية (ص: ٤٤):

الْعِبَادَةُ: هِيَ اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ.

فَالصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ وَصَدَقَ الْحَدِيثَ وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ وَبِرَّ
الْوَالِدِينَ وَصَلَةَ الْأَرْحَامِ وَالْوَفَاءَ بِالْعُهُودِ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَالْجِهَادَ لِلْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْإِحْسَانَ لِلْجَارِ وَالْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ
السَّبِيلِ وَالْمَمْلُوكَ مِنَ الْأَدَمِيِّينَ وَالْبَهَائِمَ وَالِدُّعَاءَ وَالذِّكْرَ وَالْقِرَاءَةَ وَأَمْثَالَ
ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ.

وَكَذَلِكَ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَخَشْيَةُ اللَّهِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ
وَالصَّبْرُ لِحُكْمِهِ وَالشُّكْرُ لِنِعْمِهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَالرَّجَاءُ
لِرَحْمَتِهِ وَالْخَوْفُ مِنْ عَذَابِهِ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ هِيَ مِنَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ هِيَ الْعَايَةُ الْمَحْبُوبَةُ لَهُ وَالْمَرْضِيَّةُ لَهُ الَّتِي خَلَقَ الْخَلْقَ
لَهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦]
الذاريات].

وَبَهَا أَرْسَلَ جَمِيعَ الرُّسُلِ كَمَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرِهِ﴾ [٥٩ الأعراف].

وَكَذَلِكَ قَالَ هُودٌ وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ وَغَيْرُهُمْ لِقَوْمِهِمْ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ
بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رُسُلًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى
اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [٣٦ النحل].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [٢٥ الأنبياء].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [٩٢ الأنبياء].

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [٥١-٥٢ المؤمنون]. فاتقون ﴿[٥١-٥٢ المؤمنون].

وَجَعَلَ ذَلِكَ لِرَسُولِهِ إِلَى الْمَوْتِ كَمَا قَالَ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [٩٩ الحجر].

وَبِذَلِكَ وَصَفَ مَلَائِكَتَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [١٩-٢٠ الأنبياء].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [٢٠٦ الأعراف].

وَذَمَّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [٦٠ غافر].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية لَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ
يَفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [٦١ الإنسان].

وَقَالَ: ﴿وَعِبَادَ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [٦٣-٧٧ الفرقان] الآيات.

وَلَمَّا قَالَ الشَّيْطَانُ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخُو ابْنِ آدَمَ فَتَكُنْ لِي وَالْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنِهَا
أَجْمَعِينَ﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [٣٩-٤٠ الحجر].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْغَالِينَ﴾ [٤٢ الحجر].

وَقَالَ فِي وَصْفِ الْمَلَائِكَةِ بِذَلِكَ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ
عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهُ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾
[٢٦-٢٨ الأنبياء].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ ﴿ تَكَادُ
السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴾ ﴿ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ
وَلَدًا ﴾ ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [٨٨-٩٥ مريم].

وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْمَسِيحِ الَّذِي ادْعِيَتْ فِيهِ الْإِلَهِيَّةُ وَالْبَنُوَّةُ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْد
أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [٥٩ الزخرف].

وَهَذَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ
الصَّحِيحِ: «لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْد
فَقُولُوا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -»^(١).

وَقَدْ نَعَتَهُ اللَّهُ بِالْعِبَادِيَّةِ فِي أَكْمَلِ أَحْوَالِهِ فَقَالَ فِي الْإِسْرَاءِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي
أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾.

وَقَالَ فِي الْإِيحَاءِ: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [١٠ النجم].
وَقَالَ فِي الدَّعْوَةِ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾
[١٩ الجن].

وَقَالَ فِي التَّحْدِي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِنْ مِثْلِهِ﴾ [٢٣ البقرة].

فالدين كله داخل في العبادة. اهـ

ومما يدل على دخول القول والفعل والاعتقاد في العبادة وقول الله - عز
وجل -: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧].

فقد تضمنت هذه الآية جملاً من أعمال البر، ومنها القولي وفعلي واعتقادي.

وحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عند مسلم قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «الإيمان بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»^(١).

فلو ذهب أحدهم يطوف بقبر ويقول أنا ما أعبدته نقول هذا الفعل منك عبادة وذلك لأنه صرف ما يحبه الله ويرضاه لغير الله والله -عز وجل- يقول ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

وهكذا من ذبح لغير الله وقال أنا ما عبدته نقول فعلك هذا عبادة لأن الله -عز وجل- يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

فكل ما أمر الله به فهو يحبه، وكل ما أمر الله به لنفسه من الأقوال والأفعال والاعتقادات فصرفه لله -عز وجل- عبادة وصرفه لغير الله -عز وجل- شرك.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٥).

والعبادة تنقسم إلى قسمين:

الأول: عبادة عامة: وهي عبادة القهر ويشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر.

الثاني: عبادة تذلل وخضوع ومحبة وهي الممدوح أصحابها ، قال الله - عز وجل -: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] وقال الله - عز وجل -: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الاسراء: ١].
وقال الله - عز وجل -: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].
لأنه تعبد لله - عز وجل - بعبادات يحبها الله ويرضاها، مع أنه سبحانه وتعالى غني عنا وعن عبادتنا، كما سيأتي.

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]:»

وهذا كقوله في الحديث القدسي: «يا عبادي لوان أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل ما نقص ذلك من ملكي شيئاً»، أخرجه مسلم عن أبي ذر - رضي الله عنه -.

وكقوله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وقوله - عز وجل -: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾، أي لا يرضاه ولا يحبه، لأن الكفر يناقض التوحيد فالله لا يرضاه بل يبغضه ويأباه.

قوله: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾: أي الله - عز وجل - بحسن عبادته وامتنال أمره.

قوله: ﴿يَرْضَاهُ لَكُمْ﴾: يرضه لكم ويحبه منكم، وقد رضي الله لنا الإسلام، قال الله - عز وجل -: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقد رضي الله عن الصحابة؛ لأنهم شكروه والتزموا شرعه قال تعالى في مواطن من كتابه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨].

وفي هذه الآية إثبات صفة الرضا لله - عز وجل - وهي من الصفات الفعلية على ما يليق بجلال الله - عز وجل -، والله المستعان.

وعقيدة أهل السنة اثبات ما أثبتته الله - عز وجل - لنفسه وأثبتته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والله أعلم.



الفقرة الرابعة عشر: أين الله؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الرابعة عشر: أين الله؟

١٤ - فإذا قيل لك: أين الله؟

فقل: الله في السماء، مستو على عرشه، والدليل قول الله تعالى: ﴿أَأَمِنتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ»^(١)، متفق عليه، والنزول يكون من أعلى.

الشرح:

ساق المصنف هذه الفقرة لبيان مسألة مهمة، وهي مسألة العلو وجواز السؤال عن الله -عز وجل- بأين.

وقد سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- الجارية بهذا كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي -رضي الله عنه- الذي أخرجه الإمام مسلم

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٥٨).

قال: «كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَمًّا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ، فَاطْلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذَّيْبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ، لَكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَعَظَّمْ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «اِئْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: «أُعْتِقُهَا، فَإِنَّهَا مُؤَمِّنَةٌ»^(١).

والعجب! أن أهل البدع يُنكرون السؤال عن الله -عز وجل- (بأين)؛ وذلك لأنهم يعتقدون أن الله في كل مكان.

وقولهم باطل شرعاً وعقلاً ونقلاً على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

فمن زعم أن الله في كل مكان بذاته: فهو من الحلولية أو الاتحادية القائلين بحلول الله في الأشياء، أو اتحاده بها.

وقد نقل شيخ الإسلام الإجماع على كفرهم؛ لأنهم جعلوا الله -عز وجل- محلاً للحوادث إلى غير ذلك من اللوازم المخالفة للمعقول والمنقول والثوابت والأصول.

والأدلة من الكتاب وصحيح السنة وإجماع السلف، على أن الله مستوٍ على العرش كثيرة.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٣٧).

منها: قول الله - عز وجل -: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وقال تعالى في ست مواطن من القرآن: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

والاستواء معناه: العلو والارتفاع والصعود، وزاد بعضهم والاستقرار.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته:

وهي استقر وقد علا وكذلك ار*** تفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو أربع*** وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره*** أدري من الجهمي بالقرآن
قوله: «إِذَا سَأَلْتَ أَيْنَ اللَّهُ؟ فَقُلْ: اللَّهُ فِي السَّمَاءِ»: أي على السماء؛ لأن في
بمعنى على.

قال الله - عز وجل - مخبرا عن فرعون: ﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾
[طه: ٧١] أي على جذوع النخل.

والعرش أكبر وأعلى المخلوقات:

قال الله - عز وجل -: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وقال: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، على كسر المجيد أي
الواسع.

وفي حديث جويرية - رضي الله عنها -: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١)، أخرجه مسلم، فلو كان في المخلوقات أكبر منه لذكره.

وهو أول المخلوقات على الصحيح من أقوال أهل العلم:

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢) أخرجه مسلم.

وهو أعلى المخلوقات:

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٣)، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٢٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٥٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٧٩٠).

وحملته ثمانية، وقيل أربعة:

قال الله - عز وجل -: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(١)
[الحاقة: ١٧].

وفي حديث جابر - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»^(٢) أخرجه أبو داود.

والأدلة على إثبات علو الله - عز وجل - كثيرة منها:

١ - أدلة الفوقية: قال الله - عز وجل -: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾^(٣)
[النحل: ٥٠].

٢ - أدلة العندية: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»^(٤)، متفق عليه عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

٣ - أدلة العروج إليه: فیدخل فيها أدلة العروج بالنبي - صلى الله عليه وسلم - إلى حيث شاء الله من العلى، وقال الله - عز وجل -: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعراج: ٤]، والعروج من أسفل إلى أعلى.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٢٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤٢٢).

٤- أدلة الصعود: قال الله - عز وجل -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

٥- وأدلة الرفع إليه قال الله - عز وجل -: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، [النساء: ١٥٨].

٦- أدلة أنه في السماء: قول الله - عز وجل -: ﴿أَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦].

وقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أَلَا تَأْمِنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مِنْ فِي السَّمَاءِ»^(١)، متفق عليه عن أبي سعيد - رضي الله عنه -.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»^(٢)، أخرجه الترمذي.

٧- أدلة العلو: قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الاعلى: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

٨- أدلة الاستواء: كما تقدم، لأن من معاني الاستواء العلو.

٩- أدلة النزول: فإن النزول يكون من أعلى إلى أدنى، ومن أشهر أحاديث هذه الصفة حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٣٥١)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٦٤).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٤١)، والإمام الترمذي في سننه (١٩٢٤).

وتعالى كل ليلةٍ إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل، فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيبَ له؟ مَنْ يسألني فأعطيَه؟ مَنْ يستغفِرني فأغفرَ له^(١)، متفق عليه.

١٠ - أدلة الرؤية: لأن الله - عز وجل - يُرى في العلو كما هو قول أهل السنة والجماعة فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر»^(٢)، متفق عليه، والقمر يرى في العلو.

١١ - إشارة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء، ففي حديث جابر - رضي الله عنه - الطويل في الحج، الذي أخرج مسلم، وفيه: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٣).

١٢ - إخبار الله - عز وجل - عن فرعون أنه أراد الصعود إلى السماء لأن موسى قد أخبره أن ربه في السماء: ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]، إلى غير ذلك من الأدلة.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٥٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٥٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٣٣).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢١٨).

- ١٣ - **الدليل العقلي:** فإن العلو كمال والسفل نقص والله - عز وجل - موصوف بالكمال المطلق ومنه علو الذات والصفات والقهر.
- ١٤ - **الدليل الحسي:** فإن القلوب إذا أحست بشيء تعلقت بالعلو لا بغيره.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى كما في المجموع (٢٢٠/٣):

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الهمداني أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ فَقَالَ: "كَانَ اللَّهُ وَلَا عَرْشٌ"، فَقَالَ: يَا أَسْتَادُ دَعْنَا مِنْ ذِكْرِ الْعَرْشِ.

أَخْبَرَنَا عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَاتِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي قُلُوبِنَا مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ يَا اللَّهُ إِلَّا وَجَدَ فِي قَلْبِهِ ضَرُورَةً تَطْلُبُ الْعُلُوَّ لَا تَلْتَفِتُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً. فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ: حَيَّرَنِي الهمداني، حَيَّرَنِي الهمداني.

أَرَادَ الشَّيْخُ أَنَّ إِقْرَارَ الْفِطْرِ بِأَنَّ مَعْبُودَهَا وَمَدْعُوهَا فَوْقَ: هُوَ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ عَقْلِيٌّ فِطْرِيٌّ لَمْ تَسْتَفِدْهُ مِنْ مُجَرَّدِ السَّمْعِ بِخِلَافِ الْإِسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ - بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ - فَإِنَّ هَذَا عِلْمٌ مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ. اهـ

- ١٥ - **الدليل الفطري:** وذلك أن الإنسان مفطور على القول بعلو الله - عز وجل -، وإنما تصرفه الصوارف، ولو خلى بين الإنسان وعقيدته التي

فطر عليها لكان ما ذكر، لكن كثير من الناس ينحرف عن العقيدة بسبب المؤثرات الخارجية من المجالسين، وغير ذلك.

قوله: «وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]:

أي علا وارتفع وصعد كما تقدم.

وإن فسر الاستواء بالاستيلاء: الجهمية أتباع جهم بن صفوان ومن إليهم من المحرفين لكلام رب العالمين.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

نون اليهود ولا م جهمي هما *** في وحي دين الله زائدتان
حيث زعمت الجهمية أن استوى بمعنى استولى معتمدين على قول
لأخطل:

قد استوى بشر على العراق *** من غير سيف ولا دم مهراق

قال الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة

(١/ ١٩٨):

وَأَنَّ اللَّهَ -عز وجل- عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِّنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ،
وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلَا كَيْفٍ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا،
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وَأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُرَى فِي الْآخِرَةِ، يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَبْصَارِهِمْ وَيَسْمَعُونَ
كَلَامَهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ. اهـ

صفة النزول:

قوله: «وحدّث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه

وسلم - قال:

«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ
الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي
فَأُغْفِرُ لَهُ» ^(١) متفق عليه.

فثبت منه صفة النزول وهي من الصفات الفعلية فإن الله ينزل متى شاء
وكيف شاء في الثلث الأخير من الليل.

وثبت عنه أنه يدنو عشية عرفة:

فعن عائشة - رضي الله عنها -: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرُ مَنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ
لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» ^(٢)، أخرجه مسلم.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٥٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣٤٨).

وفي حديث عمرو بن عبس -رضي الله عنه-: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر»^(١)، أخرجه أحمد.

وحديث النزول إلى السماء الدنيا من المتواترات فينزل تعالى نزولاً يليق بجلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ونزوله حقيقي:

والدليل أنه يقول: «من يدعوني فاستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»، وهذا لا يكون إلا من الله -عز وجل-.

قال الله -عز وجل-: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وأهل البدع ينكرون العلو والنزول والاستواء، وغير ذلك من الصفات وهذا لمخالفتهم كتاب الله -عز وجل- وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم.

قوله: «ينزل ربنا»: نص في نزول الله حقيقة لأن المبتدعة يقولون ينزل ملك وقال بعضهم: ينزل أمره، وقال بعضهم: تنزل رحمته.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٢٧٧)، والترمذي (٣٥٧٩)، والنسائي (٥٧٢)، وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٠١٥)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

فرد عليهم بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «ينزل ربنا تبارك وتعالى».

وقال هذا بلسان عربي فصيح وقيده في كل ليلة إلى السماء الدنيا.

قال الإمام أبو بكر بن أبي داود رحمه الله تعالى:

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ *** بِلاَ كَيْفٍ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمَتَمَدِّحُ
إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمْنُ بِفَضْلِهِ *** فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا *** وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَأَمْنَحُ
رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ *** أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبُّوا

ومثله القول المنسوب إلى شيخ الإسلام:

والمؤمنون يرون حقاً ربهم *** وإلى السماء بغير كيف ينزل
ولكن ينبغي أن تعلم أن السماء لا تظله ولا تقله ويجب أن تصان
الصفات عن التمثيل والتشبيه كما تصان عن التعطيل والتحريف.
وقوله: «بلا كيف»: أي كيف معلوم لنا، وإلا ما من صفة إلا ولها كيفية
يعلمها الله عز وجل.

وفي قوله: «يقول من يدعوني»:

فيه: إثبات صفة الكلام لله - عز وجل - وهو تعالى يتكلم بحرف
وصوت متى شاء وكيف شاء على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

قوله: «من يدعوني فاستجب له»: مثل قول الله - عز وجل -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

والاستجابة تكون على ثلاثة أوجه:

الأول: أن يحقق الله - عز وجل - للسائل المطلوب.

الثاني: أن يدخر الله له حسنات إلى يوم القيامة.

الثالث: أن يصرف الله - عز وجل - عنه من الشر بقدر دعائك، ففي حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِنْثَمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا " قَالُوا: إِذَا نُكْثِرُ، قَالَ: " اللَّهُ أَكْثَرُ »^(١).

قوله: «ومن يسألني فأعطيه»: أن يسأل الله - عز وجل - حاجته، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع الله كما في حديث المغيرة - رضي الله عنه -: [«اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت»^(٢) متفق عليه.]

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١١١٣٣)، وابن أبي شيبة (٢٠١/١٠)، وعبد بن حميد في "المنتخب" (٩٣٧)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٧١٠)، والبيهقي في "الشعب" (١١٣٠)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٤١٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٩٣).

قوله: «من يستغفرني فاغفر له»: المغفرة هي ستر الذنب والتجاوز عنه، وقد قال الله -عز وجل-: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وهذا يدل على أن المتكلم حقيقة هو الله.

قوله: «والنزول يكون من أعلى»: على ما تقدم.

فأراد الشيخ -حفظه الله تعالى- بهذا الحديث إثبات صفتي العلو والنزول لله -عز وجل-.



الفقرة الخامسة عشر: هل الله معنا؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الخامسة عشر: هل الله معنا؟

١٥ - فإذا قيل لك: هل الله معنا؟

فقل: الله - عز وجل - معنا بعلمه، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، من سر وجهه.

الشرح:

لما تكلم حفظه الله تعالى عن العلو، ناسب أن يتكلم عن المعية لأمرين:

الأول: الجمع بين أدلة العلو، والمعية.

الثاني: اثبات معية الله - عز وجل - على الوجه الحق الذي يشبهه أهل السنة بعيداً عن تحريصات المبتدعة.

وقد ذهب المبتدعة أن الله في كل مكان مستدلين بعموم أدلة المعية مثل

قول الله - عز وجل -: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله - عز وجل -: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٦].

وقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]،

وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، والآيات على ظاهرها في إثبات معية الله على ما يأتي.

أقسام المعية:

معية الله - عز وجل - منقسمة إلى قسمين:

١ - معية عامة.

لجميع المخلوقات وهذه تقتضي العلم والإحاطة والقهر والسلطان وغير ذلك من خصائص الربوبية.

٢ - معية خاصة.

وهذه تقتضي النصر والتأييد والحفظ والكلاءة، وغير ذلك من معاني المعية.

والمعية الخاصة منها ما قُيد بشخص كما تقدم في ذكر موسى ومحمد ومنها ما قُيد بوصف كقوله -**عز وجل**-: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨]، وغير ذلك.

لكن السؤال الذي يُطرح: هل يلزم من كون الله -**عز وجل**- معنا أن يكون الله متحدًا أو مختلطًا بالمخلوقات؟
الجواب: لا يلزم لأنك تقول ما زلت أسير والقمر معي والقمر في السماء وأنت في الأرض وكلمة مع تدل على مطلق مصاحبة فلا تدل على اختلاط ولا اتحاد.

ومما يدل على ذلك قول الرجل زوجته معي، أي أنها في عصمته، وهي في بيتها ويقول الملك حين يرسل جنوده إلى أطراف البلاد لصد الأعداء سيروا وأنا معكم وكقول الأب وربما يكون في أعلى البيت وابنه يبكي في أسفله فيقول لا تبكي أنا معك.

ثم أن المعنى يعرف من سياقة الكلام **فقوله:** ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾.

لا يعني أنه متحد ومختلط بالعباد فالله -**عز وجل**- على عرشه ثم لو تأملنا الآية، لوجدنا أن الله قد جمع الله في هذه الآية بين إثبات الاستواء على

العرش والمعية، قال الله - عز وجل -: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وكون الله - عز وجل - قد جمع بينهما في آية واحدة يدل على أنها لا يتناقضان ولو كان المعنى أن معية الله لخلقة تقتضي الاختلاط والاتحاد لناقضت الرحمن على العرش استوى ثم إن الله ختم الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

فدل على أن المعية معية بصر وسمع وعلم وسلطان وغير ذلك.

قوله: «وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]».

قال المبتدعة: بأن الآية تدل على أن الله في السماء بذاته وفي الأرض بذاته فرد عليهم أهل العلم بأن المراد بها وهو في السموات وفي الأرض إله معبود.

و ذهب بعض أهل العلم على الوقف على السماوات فتقول: ﴿وهو الله في السموات﴾ أي وهو الله بذاته على السموات.

﴿وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾، وهو على عرشه لا يخفى عليه شيء من المعلومات، فهو بكل شيء عليم.
 قوله: «قال ابن كثير: المراد أنه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض من سر وجهر وهذا تفسير السلف للآية»:

وابن كثير: هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، من أشهر المفسرين وتفسيره أحسن التفاسير.
 والمهم أن كل موحد يعلم أن كلمة (الله معي) لا تقتضي حلولاً ولا اتحاداً ولا اختلاطاً.

قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية (ص: ٦):

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾: أَنَّهُ مُحْتَطٌّ بِالْخَلْقِ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ
 اللُّغَةُ وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ؛
 بَلْ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ؛ وَهُوَ
 مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ؛ وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ رَقِيبٌ عَلَى
 خَلْقِهِ مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ وَكُلُّ هَذَا
 الْكَلَامُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى
 حَقِيقَتِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

مِثْلُ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، أَنَّ السَّمَاءَ ثِقْلُهُ أَوْ تُظَلُّهُ؛ وَهَذَا
بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَهُوَ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ
أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾.

هـ



[الفقرة السادسة عشر: ما تعريف الإسلام؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السادسة عشر: ما تعريف الإسلام؟

١٦- فإذا قيل لك: ما تعريف الإسلام؟

فقل: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

الشرح:

ساق المصنف هذه الفقرة لبيان معنى الإسلام، وقد تقدم الكلام على معناه بما يغني عن الإعادة.

فيقول المصنف حفظه الله أنت أيها المسلم تعتقد وتتعبد بالإسلام فما معنى الإسلام الذي أوحاه الله - **عز وجل** - إلى محمد وهو دين جميع الرسل بالمعنى العام.

قوله: «فقل هو الاستسلام لله بالتوحيد»: أي افراده بكل ما يجب له، فلا يصرف إلى غيره، **ل قوله:** ﴿فَإِلَهُكُمْ﴾: أي معبودكم.

﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: أي معبود واحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، بل هو الواحد الأحد.

﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾: أي استسلموا لله - **عز وجل** - بالتوحيد وأفردوه بما يجب له ظاهراً وباطناً.

﴿وبشر﴾: بالجنة، وعظيم الجزاء.

﴿المخبتين﴾: أي المتواضعين لله - **عز وجل** -.

قوله: «والانقياد له بالطاعة»: أي المبادرة إليها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

فاعمل بما أمرك من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍ وقيامٍ قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وفي حديث جابر - رضي الله عنه -: «جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مِثْلُهُ كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوَلَوْهَا لَهُ يَفْقَهُهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى - اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ»^(١)، أخرجه البخاري.

قوله: «والخلوص من الشرك»: أي التخلص من الشرك لأن الشرك يذهب الإسلام، وإذا قارن العمل أفسده.

ولا يمكن الخلوص من الشرك إلا بتوحيد الله - عز وجل - وإخلاص العمل له ظاهرًا وباطنًا، ولذلك قال الله - عز وجل -: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٨١).

والمقصود بالشرك هنا: الشرك الأكبر فمن وقع فيه خرج من الإسلام، قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].
وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الاعراف: ٥٠].

فلا يستقيم الإسلام إلا:

- ١- بالاستسلام لله بالتوحيد.
 - ٢- التخلص من الشرك والتنديد.
 - ٣- والانقياد لله - عز وجل - ولرسوله بالطاعة.
- (فلا إله): فيها الخلاص من الشرك.
- و(إلا الله): فيها إفراد الله بالتوحيد ومن مقتضياتها طاعة الله - عز وجل - وكما قيل لا إله إلا الله مفتاح الجنة والمفتاح لا بد له من أسنان.
- قوله: «وقوله»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾:

هذا خطاب من الله أمر به المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، لكن ما معنى

ذلك؟

﴿قال بعض أهل العلم: معناه أن يُذكر فلا يُنسى وان يُطاع فلا يُعصى وأن يُشكر فلا يُكفر.﴾

وقال بعضهم معنى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، راجع إلى قوله: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

قوله: وقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي لازموا الإسلام حتى الموت لأن من عمل بالإسلام ثم كفر فلا ينفعه عمله، كما قال الله -عز وجل-: ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وفي الحديث المخرج في الصحيحين وغيرها: «ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة» وفي رواية: «مؤمنة»، وقد تقدم.

وقد قال الله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

أي ادخلوا في الإسلام من جميع جوانبه في التوحيد، والعقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق فالإسلام دينٌ شاملٌ كامل، تام محفوظ، وهذا من نعمة الله -عز وجل- على عباده، ودليل على فضل الإسلام، وتقديمه على غيره من الأديان، فهل من مدكر، والله إنا لنعجب

حين نجد من يدعو إلى وحدة الأديان أو التقارب معها ضارباً بأدلة القرآن والسنة عرض الحائط، وقد رددت على هذه الفكرة البائرة في كتابي: (الزجر والبيان لدعاة الحوار والتقارب بين الأديان)، والله المستعان.

فدين الإسلام دين عظيم رضىه الله - عز وجل - لعباده وأمرهم أن يتعبدوا به وشرعه لكل أهل زمان، فلا يمكن أن يجمع بين ما جاء عن رب العالمين، وما جاء عن سخافات العقول وزبالة الأفكار حيث عبدوا الحجارة الصماء، والحيوانات البكماء، وغير ذلك من المربوبات، والله المستعان.

والإسلام فضله عظيم، ويظهر فضله في أمور:

الأول: أنه دين الله الحق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

الثاني: أنه قد اتفق في الدعوة إليه جميع الرسل.

الثالث: أن به صلاح الدنيا والآخرة.

الرابعة: أن به قوام حياة الإنسان، وإلا فما الفرق بينه وبين البهيمة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

الخامس: أن الله رضىه وأتمه وأكملہ، قال الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

السادس: أنه دين محفوظ عن التغيير والتبديل، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

السابع: أنه دين يتوافق مع الفطرة المستقيمة والعقول السليمة.

الثامن: أنه يدعو إلى مكارم الأخلاق ويحذر من سفاسفها، فعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» أخرجه أحمد.

التاسع: أنه العدل الخيار، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فهو بعيد عن الغلو والجفاء في جميع جوانب الحياة.

العاشر: أن التفاضل فيه بالتقوى، بخلاف بقية النظريات البشرية من الديمقراطية، والاشتراكية، والرأسمالية، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، إلى غير ذلك، والله المستعان.



الفقرة السابعة عشر: هل دين الإسلام كامل؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السابعة عشر: هل دين الإسلام كامل؟....

١٧- فإذا قيل لك: هل دين الإسلام كامل، أم يحتاج إلى تكميل؟

فقل: هو دين كامل.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

الشرح:

لما بين المصنف حفظه الله فضل الإسلام ناسب أن يتكلم على كمال الإسلام، وأنه لا يحتاج إلى زيادة أو نقصان، فإن ذلك من أجل فضائله، فهو دين الله - عز وجل - الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

وما كان هذا حاله يجب أن يصاب عن غلو الغالين، وتفريط الجافين، وسيأتي معنا بيان ضرر البدعة، لأنها زيادة لم يشرعها الله - عز وجل -، وفيها استدراك على الدين، بمعنى أنه ناقص فأتموه.

ودين الإسلام يتميز بعدة صفات: الأول: أنه كامل، بمعنى أنه لا يحتاج إلى زيادة، «قال الله - عز وجل -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾»: ومعنى

ذلك أنه أتم أحكامه، وأخباره وما يتعلق بالتوحيد إلى غير ذلك حيث أنزل الله - **عز وجل** - هذه الآية قبل موت النبي - **صلى الله عليه وسلم** - بواحد وثمانين يوماً

الثاني: أنه محفوظ، حيث حفظه الله من الزيادة والنقصان، قال الله - **عز وجل** -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

نزلت التوراة ولم تحفظ ونزل الإنجيل ولم يحفظ، نزل الزبور ولم يحفظ، بل غيرت وبدلت وتلاعب بها الناس بينما القرآن محفوظ منذ أوحاه الله إلى محمد وإلى أن يُرفع إلى الله - **عز وجل** - كما قال رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** -: «لَيْسَ رَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ - **عَزَّ وَجَلَّ** - فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ»^(١)، أخرجه ابن ماجه عن حذيفة - **رضي الله عنه** -.

الثالث: أنه شامل، وبمعنى أنه دين جميع الناس قال الله - **عز وجل** -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الاعراف: ١٥٨]..

فليس خاصاً بالعرب أو بطائفة أو زمره، وقد تقدم قول النبي - **صلى الله عليه وسلم** -: «أرسلت إلى الخلق كافة»، متفق عليه عن جابر - **رضي الله عنه** -.

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٠٤٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

ومن شموله: أنه يتعلق بجميع شؤون الدين من عقائد وعبادات وتوحيد وأحكام ومعاملات وكل شيء مما يحتاجه الناس في شؤونهم اليومية والشهرية والسنوية والعمرية، سواء الدينية أو الدنيوية.

قوله: «فقل هو دين كامل، والدليل قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾»:

وفي هذا رد على أهل البدع المستحسنين، لما هم عليه من المحدثات. فإن قال أحدهم بأن البدعة منها الحسنة نقول من أين لك هذا، فما كان عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضي الله عنهم - دين فهو لنا دين، وما كان عن رسول الله ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - ليس بدين فليس لنا بدين، فالدين كامل من زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»^(١)، أخرج ابن ماجه عن أبي الدرداء - رضي الله عنه -.

فلا يحتاج إلى زيادة لأن الزيادة في الكامل تنقصه فلو فصلت لك ثوبا على هيئتك ثم قلت أزيده تنقصه وتفسده فمن أراد أن يزيد في الإسلام ما

(١) أخرج الإمام ابن ماجه في سننه (٥)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٦٨٨)، وقال فيه: وهذا إسناد حسن، رجاله كلهم ثقات وفي هشام بن عمار وإبراهيم الأفتس كلام لا ينزل الحديث عما ذكرنا، وقد بيض له البوصيري في "زوائد ابن ماجه" (١ / ٢).

ليس فيه نقص دينه بقدر زيادته فربما كانت بدعته مكفرة، وربما كانت مفسقة.

ولهذا قال الله - عز وجل -: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

وفي الصحيحين: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - أَنَّ رَجُلًا، مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَأُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٥]، قَالَ عُمَرُ - رضي الله عنه -: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ»^(١).

وكان نزولها في عيد شرعي وهو يوم عرفة كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب وذكر لله»^(٢)، أخرجه أحمد عن عقبه - رضي الله عنه -.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٠١٧).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٢٤١٩)، والترمذي (٧٧٣)، والنسائي (٣٠٠٤)، وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٩٣٠)، وقال فيه: هذا حديث حسن على شرط الشيخين.

والمراد أن اليهودي قد أقر أن هذا الدين تم وكمل ويرى أن مثل هذا يُفرح به، فالحمد لله أن الدين قد تم وكمل وما قبض الله - **عز وجل** - محمد ﷺ حتى أقامبه الملة المعوجة ليلها ونهارها سواء لا يزيغ عنها إلا هالك.

قوله: «وَأَتَمَّمْتُ»: أي أتمه، فلا يحتاج إلى زيادة.

قوله: «عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي»: سماه نعمة وأضافها إلى نفسه، وهذا دليل على أن أعظم وأفضل نعمة هي الإسلام حيث يؤدي إلى النعيم العظيم من رضى رب العالمين والفوز بجنة النعيم.

قال الله - **عز وجل** -: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقوله: «وَرَضِيتُ»: أي رضيه لما فيه من التمام والكمال، وما رضيه إلا لأنه يحبه، وفيه إثبات صفة الرضا لله - **عز وجل** - على ما يليق به وهي من الصفات الفعلية.

وقوله: «لكم»: أي لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

قوله: «الإسلام ديننا»: دل على أنه قد رضي هذا الدين وحفظه وأتمه وأكماله فعلى المسلمين أن يستشعروا عظمة هذا الدين فهو الحبل المتين الذي

لا ينقطع والطريق القويم الذي لا ينحرف والصراط المستقيم الموصل إلى
جنة النعيم، والله أعلم.



[الفقرة الثامنة عشر: من أين يأخذ المسلم دينه؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثامنة عشر: من أين يأخذ المسلم دينه؟

١٨- فإذا قيل لك: من أين يأخذ المسلم دينه؟

فقل: يأخذ المسلم دينه من القرآن والسنة على فهم السلف الصالح.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ

عَلَيْهِمْ ﴿٥١﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿النساء: ٥٩﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

المَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ

سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُضْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

وانظر الحديث الذي بعد هذا.

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة بعد أن بين دين الإسلام وعرفه وذكر فضائله لبيان الأصل الذي يقوم عليه الدين، وهو الكتاب العزيز والسنة الصحيحة مع إجماع السلف رضوان الله عليهم، وهذه هي الأدلة المتفق عليها على ما يأتي إن شاء الله تعالى، فدين يقوم على مثل هذه الأدلة معصوم عن الخطأ والزلل.

فيقول المصنف حفظه الله فإذا سُئِلت أيها المسلم من أين تأخذ عقيدتك ودينك وذلك أن الدين الصحيح لا بد أن يُبنى على الدليل الصحيح من الكتاب والسنة والإجماع وأما من أخذ دينه عن الهوى أو الراي الفاسد أو القياس الكاسد أو التقليد للآباء والأمهات فان دينه يكون ركيكاً مخالفاً ظاهر النقصان.

ومن أدلة وجوب أخذ الكتاب: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، أي على المسلم أن يكتفي بكتاب الله - عز وجل - تلاوةً وتدبراً وتعقلاً وعلماً وعملاً ويدخل في اطلاق الكتاب السنة.

قال السعدي - رحمه الله تعالى - في تفسيره (ص: ٦٣٣):

فقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ في علمهم بصدق ما جئت به ﴿أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا كلام مختصر جامع، فيه من الآيات

البيانات، والدلالات الباهرات، شيء كثير، فإنه كما تقدم إتيان الرسول به بمجردة وهو أُمِّي، من أكبر الآيات على صدقه.

ثم عجزهم عن معارضته، وتحديه إياهم آية أخرى، ثم ظهوره، وبروزه جهرا علانية، يتلى عليهم، ويقال: هو من عند الله، قد أظهره الرسول، وهو في وقت قلّ فيه أنصاره، وكثر مخالفوه وأعداؤه، فلم يخفه، ولم يشن ذلك عزمه، بل صرح به على رؤوس الأشهاد، ونادى به بين الحاضر والباد، بأن هذا كلام ربي، فهل أحد يقدر على معارضته، أو ينطق بمباراته أو يستطيع مجاراته؟.

ثم إخباره عن قصص الأولين، وأنباء السابقين والغيوب المتقدمة والمتأخرة، مع مطابقته للواقع.

ثم هيمنته على الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح، ونفي ما أدخل فيها من التحريف والتبديل، ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره ونهيه، فما أمر بشيء فقال العقل "ليته لم يأمر به" ولا نهى عن شيء فقال العقل: "ليته لم ينه عنه" بل هو مطابق للعدل والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول [ثم مسامرة إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال وكل زمان بحيث لا تصلح الأمور إلا به].

فجميع ذلك يكفي من أراد تصديق الحق، وعمل على طلب الحق، فلا كفى الله من لم يكفه القرآن، ولا شفى الله من لم يشفه الفرقان، ومن اهتدى به واكتفى، فإنه خير له. **هـ**

والمрад بالسنة: أفعال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأقواله وتقريراته، بل واعتقاداته، وغير ذلك، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وأما الإجماع: فهو إجماع الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم إذا ثبت في مسألة من المسائل فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لا تجتمع امتي على ضلالة»^(١)، أخرجه الحاكم عن ابن عباس - رضي الله عنه -.

وعن عمر - رضي الله عنه - يقول: «من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة»^(٢)، أخرجه أحمد.

(١) في المستدرک: (١١٦/١). وهو في الصحيح المسند للوادعي رحمه الله .

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢١٦٥)، وهو في الإرواء برقم (١٨١٣)، وقال الإمام الألباني رحمه

الله تعالى فيه: والحاكم (١١٤/١) والبيهقي (٩١/١) من طريق محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار

عنه، وقال الترمذي: " حديث حسن صحيح غريب " ، وقال الحاكم: " صحيح على شرط الشيخين

" ، ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قالوا.

ومن أدلة القرآن الكريم على الإجماع: قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، ويدخل في المنعم عليهم الصحابة - رضي الله عنهم - دخولاً أولياً.

وفي قوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: المراد به سبيل الصحابة - رضي الله عنهم - - رضي الله عنهم - ومن سار على سيرهم. فإذا أخذت دينك من الأدلة سلمت من البدع والضلالات.

قوله: «فقل: يأخذ المسلم دينه من القرآن»: والقرآن هو كلام الله - عز وجل - المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - المحفوظ لفظاً ومعناً. قوله: «والسنة»: هي المضافة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من قوله، أو فعله، أو تقريره.

قوله: «وفهم السلف الصالح»: أي على طريقتهم في العلم والتلقي والعمل.

الانتساب إلى السلف:

وكلمة سلفي: كلمة شرعية قال تعالى: ﴿فله ما سلف﴾.

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لفاطمة رضي الله عنها: «فَإِنِّي نِعَمُ السَّلَفُ أَنَا لَكَ»^(١) متفق عليه عن عائشة - رضي الله عنها -.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٨٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤٥٠).

والسلف في اللغة: المتقدم على غيره.

وفي الاصطلاح: من اعتقد عقيدة الصحابة - رضي الله عنهم - ومن جاء بعدهم بإحسان.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ويسمى المتأخرون من الأمة بالخلف:

فإذا قيل وعلى هذا درج السلف والخلف:

فيريدون بالسلف: الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم من القرون الثلاثة.

ويريدون بالخلف: من سلك سبيلهم من القرون المتأخرة.

لكن إذا قالوا: وبهذا قال السلف الصالح رضوان الله عليهم، وخالفهم الخلف، فهذا على الذم والمراد بهم المبتدعة.

وأما الخلف: فهم المبتدعة قال الله - عز وجل -: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

قوله: «والدليل»: أي على وجوب الأخذ بالقرآن والسنة قول الله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾.

فينبغي للمسلم أن يكتفي بالقرآن والسنة وهما الشرع الذي أوحاه الله - عز وجل - إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - في عقيدته وعبادته ومعاملته. فإن من تطلع إلى غير ذلك ضل.

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى: ﴿فمن ترك سبيلهم جاهلاً زل، ومن تركه متعمداً ضل﴾. اهـ

ولما رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - عمر - رضي الله عنه - يقرأ في التوراة قال له: «أُمْتَهُوْكُمْ فِيهَا يَا ابْنَ الْخُطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّضَاءَ نَقِيَّةٍ، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِيَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(١)، أخرجه أحمد عن جابر - رضي الله عنه -.

قوله: «وقوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾:»

يقول ومن الأدلة على وجوب الأخذ بالكتاب والسنة قوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ أي اختلفتم.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥١٥٦)، وهو في الإرواء للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم

(١٥٨٩)، وقال فيه: حسن.

﴿في شيء﴾: عام يدخل فيه المسائل العلمية والعملية «فردوه»: أي أرجعوه.

﴿إلى الله﴾: إلى كتاب الله - عز وجل -

﴿والرسول﴾: إلى سنة رسول الله بعد موته، وذلك من علامة الإيذان.
لقوله ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾: مفهومه أن الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر يعرض عن التحاكم إلى كتاب الله - عز وجل -، وسنة رسوله.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودٌ﴾ [النساء: ٦١].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٤٨ - ٥١]

وقوله: «أهْدِنَا»: أي وفقنا.

«الصِّرَاطُ»: أي الإسلام، وهو السبيل الموصل إلى السلامة.

قوله: «المُسْتَقِيم»: وهو أقرب السبل الموصلة إلى الله إلى الجنة لا اعوجاج فيه ولا انحراف.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين في بيان شروط الصراط (١/ ٣٣):

لَا تَكُونُ الطَّرِيقُ صِرَاطًا حَتَّى تَتَّصِفَ بِخَمْسَةِ أُمُورٍ:
"الِاسْتِقَامَةُ، وَالْإِيصَالُ إِلَى الْمَقْصُودِ، وَالْقُرْبُ، وَسَعَتُهُ لِلْمَارِّينَ عَلَيْهِ،
وَنَعْيُهُ طَرِيقًا لِلْمَقْصُودِ".

وَلَا يَخْفَى تَضَمُّنُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هَذِهِ الْأُمُورِ الْخَمْسَةِ. **اهـ**

ثم بينه **بقوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾** وهم الأنبياء ومن سلك سبيلهم، قال الله -**عز وجل**-: **﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾** [النساء: ٦٩-٧٠].

وفي حديث عبد الله بن مسعود -**رضي الله عنه**- قال: **خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا»**، قال: **ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشَمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ**

شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ ^(١) [الأنعام: ١٥٣]، أخرجه أحمد.

قوله: «غير المغضوب عليهم ولا الضالين»: أي أن المنعم عليهم ليسوا من المغضوب عليهم ولا الضالين.
 والمغضوب عليهم: اليهود.

والضالون: النصارى على أغلب تفسير العلماء.

وعند التحقيق: كلهم مغضوبٌ عليهم وضالون إلا أن الغضب في حق اليهود أظهر، والضلال في حق النصارى أظهر، وذلك أن اليهود علموا ولم يعملوا، والنصارى عملوا بجهل.

وقوله: ﴿ومن يشاقق الرسول﴾: أي يخالف دين الرسول وطريقته.
﴿من بعد ما تبين له الهدى﴾ أي ظهر له الهدى وعمل به، وفي هذا العذر بالجهل فالذي لم يتبين له الهدى ولا يعلم يُعَلَّم ولا يعَنَّف أو يُنتقد لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «ألا علمت إذ كان جاهلاً».

ومن الأدلة على العذر بالجهل:

قوله - عز وجل -: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الاسراء: ١٥].

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٤٣٧)، وإسناده حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود.

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: ١٣٤].
وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

ومنها قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقوله: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٥٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

فلا بد على الداعي إلى الله أن يبين للناس الطريق الحق الذي أنزله الله على محمد ومنهج السلف الصالح ويبين لهم سبل الشيطان التي تخالف طريق النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن خالف الحق عن علم فلا رده الله. ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾، أي يتبع غير سبيل الصحابة - رضي الله عنهم - المجمع عليه.

وهذا هو دليل الإجماع.

قال النووي - رحمه الله تعالى - في المجموع (١٠ / ٤٢):

فَإِنَّ الشَّافِعِيَّ يَرَى التَّمَسُّكَ بِالْكِتَابِ بِآيَاتٍ مِنْ جُمْلَتِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الْآيَةَ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى وَجَدَ هَذِهِ الْآيَةَ. وَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ احْتَجَّ بِهَا، فَذَكَرَهَا لِلرَّشِيدِ حِينَ طَلَبَ مِنْهُ حُجَّةً مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى الْإِجْمَاعِ. اهـ

والمؤمنون يدخل فيهم ابتداء الصحابة - رضي الله عنهم - ثم من سار على سيرهم.

ولم يقل سبيل المؤمن؛ لأن الناس يختلفون فما أجمع عليه المؤمنون في باب العقائد والأحكام والمعاملات، ووجب الأخذ به، وحرمت مخالفته؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «لا تجتمع امتي على ضلالة»، وقد تقدم. ﴿نوله ما تولى﴾: هذا تهديد أي يتحمل تبعات مخالفته لسبيل المؤمنين في الدنيا والآخرة فلا يوفق لخير ولا يعان عليه، ومن أوكله الله - عز وجل - إلى نفسه هلك.

﴿ونصله جهنم﴾: وهذا وعيدٌ عظيم يدل على أن مخالفة الإجماع كبيرة من كبائر الذنوب وقد يكون كفرًا، وقد يكون ضلالًا.

﴿فمن أنكر شيئاً أجمعت عليه الأمة: مثل أن الله في السماء، أو أن الله يرى يوم القيامة، أو خالف غير ذلك من الإجماعات المتينة كفر.﴾

قال في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٣):

وَسَأَلْتُ عَنْ: الصَّلَاةُ خَلْفَ مَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟

فَهَذَا كَافِرٌ بِقَوْلِهِ، لَا يُصَلِّي خَلْفَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَلَا اخْتِلَافَ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَنْ قَالَ: كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَدَّثَ فِيهِ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ. اهـ

﴿وساءت مصيراً﴾: أي بئس المكان والمصير الذي يرجع إليه لأنه مصير سيء فيه عذاب ونكال.

قال الله -عز وجل-: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦].

قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

فمن يخالف الرُّسُولَ ويعانده فيما جاء به: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: وسيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم.

﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا نوفقه للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزأؤه من الله عدلا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله.

كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

ويدل مفهومها: على أن من لم يشاقق الرسول، ويتبع سبيل المؤمنين، بأن كان قصده وجه الله واتباع رسوله ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر منه من الذنوب أو الهَمَّ بها ما هو من مقتضيات النفوس، وغلبت الطباع، فإن الله لا يوليه نفسه وشيطانه بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه ويعصمه من السوء.

كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: بسبب إخلاصه صرفنا عنه السوء، وكذلك كل مخلص، كما يدل عليه عموم التعليل.

وقوله: ﴿وَنُصْلِيهِ جَهَنَّمَ﴾ أي: نعذبه فيها عذابا عظيما.

﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: مرجعاً له ومآلا.

وهذا الوعيد المرتب على الشقاق ومخالفة المؤمنين مراتب لا يحصيها إلا الله بحسب حالة الذنب صغرا وكبرا، فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان. ومنه ما هو دون ذلك، فلعل الآية الثانية كالتفصيل لهذا المطلق.

وهو: أن الشرك لا يغفره الله تعالى لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بمن هو مالك النفع والضرر، الذي ما من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، والغنى التام بجميع وجوه الاعتبار. فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لمن هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق الذي ليس له من صفات الكمال شيء، ولا له من صفات الغنى شيء بل ليس له إلا العدم. عدم الوجود وعدم الكمال وعدم الغنى، والفقر من جميع الوجوه.

وأما ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي: فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفره برحمته وحكمته، وإن شاء عذب عليه وعاقب بعدله وحكمته، وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أن إجماع هذه الأمة حجة وأنها معصومة من الخطأ.

ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار.

و﴿سبيل المؤمنين﴾ مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال.

فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، أو تحريمه أو كراهته، أو إباحته - فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

وجه الدلالة منها: أن الله تعالى أخبر أن المؤمنين من هذه الأمة لا يأمرن إلا بالمعروف، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه فهو مما أمروا به، فيتعين بنص الآية أن يكون معروفا ولا شيء بعد المعروف غير المنكر، وكذلك إذا اتفقوا على النهي عن شيء فهو مما نهوا عنه فلا يكون إلا منكرا. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

فأخبر تعالى أن هذه الأمة جعلها الله وسطا أي: عدلا خيارا.

﴿ليكونوا شهداء على الناس﴾ أي: في كل شيء، فإذا شهدوا على حكم بأن الله أمر به أو نهى عنه أو أباحه، فإن شهادتهم معصومة لكونهم عالمين بما شهدوا به عادلين في شهادتهم، فلو كان الأمر بخلاف ذلك لم يكونوا عادلين في شهادتهم ولا عالمين بها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يفهم منها أن ما لم يتنازعا فيه بل اتفقوا عليه أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب والسنة، وذلك لا يكون إلا موافقا للكتاب والسنة فلا يكون مخالفا.

فهذه الأدلة ونحوها: تفيد القطع أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة. اهـ

قوله: «وانظر الحديث الذي بعد»: أي للدلالة على حجية الإجماع ينظر حديث العرباض بن سارية -رضي الله عنه- في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، وسيأتي الكلام عليه في موطنه إن شاء الله تعالى.

-والله الموفق-



قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة التاسعة عشر: ما عقيدتك؟

١٩- فإذا قيل لك: ما عقيدتك؟

فقل: أنا سني سلفي.

والدليل: حديث العرباض بن سارية -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». أخرجه أبوداود وغيره، وهو حديث حسن.

الشرح: *****

وضع الشيخ حفظه الله هذه الفقرة لبيان ما يجب على المكلف من التمسك بعقيدة السلف رضوان الله عليهم، وهم ابتداء الصحابة -رضي الله عنهم-، ومن سلك سبيلهم في فهم الكتاب والسنة والعمل بهما فإن القرآن نزل بلغتهم، وقد عايشوا أسباب نزوله، وكان تلقيهم العلم والخير عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهم أحرص الناس على خير يعمل وشر يترك.

فإذا سُئِلت عن عقيدتك وهذا يرد كثيرًا، إما بلسان الحال أو المقال.

وفي اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى يقول:

يا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي *** رُزِقَ الْهُدَى مِنْ لِيْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

وقال أبو حسن الأشعري في مقدمة الإبانة (ص: ٢٠):

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافعة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما روى عن السادة الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون ولما خالف قوله مخالفون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيع الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم. **اهـ**

ومع ذلك تجد الإخواني يقول: أنا من الإخوان المسلمين أتباع سيد قطب

وحسن البنا.

وتجد التبليغي: ينتسب إلى محمد بن إلياس.

وتجد الراضي: ينتسب إلى رافضيته، وربما انتحل الحسن والحسين وعلي وفاطمة - رضي الله عنهم أجمعين -.

وتجد القرمطي: ينتسب إلى من ينتسب إليهم.

والجهمي: ينتسب إلى الجهم بن صفوان.

والسروري: ينتسب إلى محمد بن سرور زين العابدين.

فكل مبطل ينتسب إلى صاحبه وباطله.

وأهل الحق ينتسبون إلى الحق، ومن ألقابهم:

أهل الحديث: نسبة إلى حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأهل السنة نسبة إلى سنة النبي - صلى الله عليه وسلم -.

والسلفيون: نسبة إلى السلف الصالح - رضوان الله عليهم -.

والطائفة المنصورة: نسبة إلى قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لا

تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرة منصور»^(١).

والفرقة الناجية: نسبة إلى أنهم ناجون من البدع ومن النار بإذن الله - عز

وجل -.

والجماعة: نسبة إلى اجتماعهم على الحق.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦٤٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٢١) من حديث المغيرة

بن شعبة رضي الله عنه. وأخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه برقم (١٥٦)،

وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى أيضاً من حديث ثوبان رضي الله عنه برقم (١٩٢٠).

والأصل الأول للجماعة: هم الصحابة - رضي الله عنهم - - رضوان الله عليهم -.

فمسميات أهل السنة والجماعة مأخوذة من صفاتهم.

والعقيدة: ما عُقد عليه في القلب، وبها يقع التمايز بين أهل السنة والبدعة.

لأن الصلاة يشترك فيها أهل السنة وأهل البدعة فكل مسلم يصلي، وكذلك الزكاة والحج.

لكن اعتقاد أن الله في السماء، وأن الله يرى يوم القيامة، وأن الله - عز وجل - موصوف بصفات تليق بجلاله، هذا عليه أهل السنة والجماعة. ويخالف فيه أهل البدعة والشناعة، فيلتزمون التمثيل أو التعطيل أو التفويض، ولا يسلم منهم إلا من شذ في بعض المواطن.

وسبب صفاء عقيدة أهل السنة والجماعة أمور:

الأول: أنها مأخوذة من القرآن والسنة الصحيحة.

الثاني: أنها مأخوذة عن السلف الصالح الذين هم أعلم بمراد الله ومراد رسول وأحكم في فهمه وطريقهم أسلم لبعدها عن الكلام والهوى، ولزومها الدليل، فينطقون ويعملون به.

الثالث: أنها بعيدة عن الخلاف، فقول أهل السنة فيها واحد، من زمن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلى قيام الساعة.

الرابع: أنها مأخوذة على ظاهر القرآن والسنة بعيداً عن التحريف والتعطيل والتكليف والتمثيل.

قوله: «فقل أنا سني»: نسبة إلى سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي طريقته.

والسنة لها معنيان:

معنى الندب والمستحب: وهذا هو إطلاقها عند الفقهاء فلو دخلت على فقيه وتساءله عن صيام يوم عاشوراء؟

يقول: سنة، بمعنى مستحب، وليس بواجب، وإذا تركته ليس عليك إثم.

ويعرف أهل الأصول المستحب بأنه: ما يثاب فاعله امتثالاً ولا يعاقب تاركه.

لكن إذا سئل عالم: عن حب أبي بكر واعتقاد أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير من الليل؟

يقول: سنة، أي طريقة النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وأما السنة بمعناها العام: فتطلق على الخير والشر.

قال بعضهم: «ولكل قوم سنة وإمامها».

لما أما عند الإطلاق: فقد صار مصطلحاً على طريقة النبي - صلى الله عليه وسلم - القولية والفعلية والاعتقادية، وفي حديث العرباض - رضي الله عنه -: «فعلیکم بسنتي».

قوله: «سلفي»: أي على طريقة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - نسبة إلى السلف وهو المتقدم: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فالسلف: الماضي، ولا محذور في الانتساب إلى السلفية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى (١٤٩/٤):

وَلَا عَيْبَ عَلَى مَنْ أَظْهَرَ مَذْهَبَ السَّلَفِ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ وَاعْتَرَى إِلَيْهِ بَلْ يَجِبُ قَبُولُ ذَلِكَ مِنْهُ بِالِاتِّفَاقِ.

فَإِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ لَا يَكُونُ إِلَّا حَقًّا.

فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا: فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي هُوَ عَلَى الْحَقِّ بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لَهُ فِي الظَّاهِرِ فَقَطْ دُونَ الْبَاطِنِ: فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُنَافِقِ.

فَتَقْبَلُ مِنْهُ عَلَانِيَتُهُ وَتُوكَلُ سِرِّيَّتُهُ إِلَى اللَّهِ.

فَإِنَّمَا لَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نُنْقَبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا نَشُقَّ بُطُونَهُمْ. اهـ

وفي فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٤٢):

السلفية: نسبة إلى السلف.

والسلف: هم صحابة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى **رضي الله عنهم**، الذين شهد لهم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخير في قوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»^(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم

والسلفيون: جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا على منهج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة. **اهـ**
قوله: «و الدليل»: أي على هذه التسمية.

قوله: «حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه-»: وهو أحد الذين بكوا حين لم يجد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما يحملهم عليه في غزوة تبوك قال الله - عز وجل -: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٦٥١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين **رضي الله عنه**، وأخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٥٢)، ومسلم في صحيحه (٢٥٣٣)، من حديث ابن مسعود **رضي الله عنه**.

ويسمى هذا الحديث بحديث الوصية، أو حديث الموعدة؛ لأن النبي -
صلى الله عليه وسلم- وعظهم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها
القلوب فقالوا يا رَسُولَ الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال: «عليكم
بتقوى الله والسمع والطاعة».

فقوله: «من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا»: فيه علم من أعلام النبوة
والاختلاف مرض سرى في الأمة، والدواء منه.

قوله: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها
بالنواجذ».

أي الزموا طريقة النبي - صلى الله عليه وسلم -.
قال الله - عز وجل -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ
يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب: ٢١].
وقال الله - عز وجل -: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل
عمران: ١٣٢].

وقال الله - عز وجل -: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
[النساء: ٥٦].

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الاحزاب: ٣٦].

وقد اختلف في المراد بالخلفاء في هذا الحديث:

ف قيل: الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي -رضوان الله عليهم-؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا»^(١) أخرجه مسلم.

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «اقتدوا بالذين من بعدي أبا بكر وعمر»^(٢)، أخرجه الترمذي عن حذيفة -رضي الله عنه-.

وفي حديث سفينة -رضي الله عنه-: «خِلَافَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ»^(٣) أخرجه أبو داود.

فما أجمع عليه الخلفاء الأربعة فهو حجة ودليل لأنهم لا يجتمعون على ضلالة وأما إذا اختلفوا فيقدم ما عليه أبو بكر وعمر وإن وجد الدليل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو المقدم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٦٨١)، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٦٦٢)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٢٣٣).

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٦٤٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٤٣٧).

والقول الثاني: أن الخلفاء هم الصحابة - رضي الله عنهم - فكلهم خلفوا النبي - صلى الله عليه وسلم - على طريقته ودعوته وبلغوها للناس.

وقوله: «المهدين»: لأنهم اهتدوا بالقرآن والسنة قال الله - عز وجل -: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وقوله: «الراشدين»: لأنهم رشدوا في أقوالهم وأفعالهم ومعتقداتهم.

والرشد: هو ملازمة الحق قال الله - عز وجل -: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ٢].

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الانبياء: ٥١].

قوله: «تمسكوا بها»: أي تمسكوا بسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وما أجمع عليه السلف في أعمالكم وأقوالكم ومعتقداتكم.

قوله: «عضوا عليها بالنواجذ»: العض هو المسك بالأسنان، والنواجذ هي الأضراس الداخلية، وقيل الأنياب، والأول أظهر.

وفي هذا دليل على شدة التفلت ولكن على المسلم أن يعتصم بالله - عز وجل - قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وأن يأخذ بسنة رَسُول الله وإن يثبت على دينه لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر» أخرجه الترمذي عن أنس - رضي الله عنه -.

فالتمسك بالدين أمره عظيم قال الله - عز وجل -: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

وقال لموسى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»^(١)، أخرجه مسلم.

وعبر بالنواجذ؛ لأنها أشد الأسنان مسكا لما مسكت به، بخلاف غيرها.

قوله: «وياكم»: أي اجتنبوا وهذا يسمى عند أهل العلم بالحمية؛ لأن الحديث تضمن المرض، وهو الفرقة والدواء وهو الأخذ بالكتاب والسنة والحمية.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٦٤).

وهي قوله: «وإياكم ومحدثات الأمور»: فإذا أردتم أن تسلموا من البدع فإياكم ومحدثات الأمور أي احذروها فلا تقربوها ولا تعتقدوها ولا تتعبدوا لله - عز وجل - بها.

وهذا التحذير سببه أن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار، فالمسلم يكون حذرًا من المحدثات.

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب في كل جمعة ويقول: «فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -»^(١).

وقد أحسن من قال:

وخير الأمور السالفات على الهدى *** وشر الأمور المحدثات البدائع
✍️ والمراد بالمحدث: ما كان من زيادة في دين الله لم تكن على مثال سابق، فلا يقول قائل، السيارة والساعة وركوب الطائرة والإسفلت واستخدام الإذاعة بدعة ونحو هذا، هذا من تلبيسهم، إذ أن الأصل في العادات الإباحة.

✍️ والمذموم من البدع: ما كان في الدين.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٧٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه الإمام

مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه برقم (٨٦٧)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وأما ما كان في الدنيا فعن رافع بن خديج -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أنتم اعلم بأمر دنياكم»^(١).

فمن أحدث في الدين ما ليس منه فقله وفعله مردودٌ عليه، لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه. [

والاهتمام بالعقيدة من أهم المسائل التي ينبغي لطالب العلم أن يحققها، ففي حديث جندب بن عبدالله -رضي الله عنه- قال: «كنا نأتي النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحن أطفال حزاورة فكان يعلمنا الإيمان ثم يعلمنا القرآن فنزداد به إيماناً» أخرجه ابن ماجه وقد تقدم.

والمخالفة في العقيدة ضلال يصل بصاحبه إلى التبديع، وربما التكفير لأن الخلاف فيها من خلاف التضاد، قَالَ الْمُزْنِيُّ: سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ عَنْ مَسْأَلَةٍ مِّنَ الْكَلَامِ، فَقَالَ: سَلْنِي عَنْ شَيْءٍ، إِذَا أَخْطَأْتُ فِيهِ، قُلْتُ: أَخْطَأْتُ، وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ، إِذَا أَخْطَأْتُ فِيهِ قُلْتُ: كَفَرْتُ.



(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٦٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

«بيان مصدر عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين»

ومصدر عقيدة السلف رضوان الله عليهم: الكتاب والسنة والإجماع.
وهذه الأدلة محفوظة بحفظ الله - عز وجل - لدينه، على ما هو مقرر في
غير ما موطن.
بينما مصدر البدع: الهوى، ولذلك سموا بأهل الأهواء.
ومن مصادرهم: تقديم العقل على النقل، تقديم الرأي الفاسد على دليل
الكتاب والسنة.
ومن أعظم أسباب البدع: التقليد للآباء والمشايخ، بغير دليل، ولا
حجة.

قال شيخ الإسلام كما في المجموع (١٥ / ٢٠):

أَمَّا التَّقْلِيدُ الْبَاطِلُ الْمَذْمُومُ فَهُوَ: قَبُولُ قَوْلِ الْغَيْرِ بِلَا حُجَّةٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

فِي الْبَقَرَةِ وَفِي الْمَائِدَةِ وَفِي لُقْمَانَ ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾.
وَفِي الزُّحُرْفِ: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾.
وَفِي الصَّافَّاتِ: ﴿إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾.
﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ مُهْرَعُونَ﴾.

وَقَالَ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ الْآيَاتِ.
وَقَالَ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾.

وَقَالَ: ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾.
وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وَقَالَ: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

فَهَذَا الْإِتِّبَاعُ وَالتَّقْلِيدُ الَّذِي ذَمَّهُ اللَّهُ هُوَ اتِّبَاعُ الْهُوَى إِمَّا لِلْعَادَةِ وَالنَّسَبِ كَاتِّبَاعِ الْأَبَاءِ وَإِمَّا لِلرَّئَاسَةِ كَاتِّبَاعِ الْأَكَابِرِ وَالسَّادَةِ وَالْمُتَكَبِّرِينَ فَهَذَا مِثْلُ تَقْلِيدِ الرَّجُلِ لِأَبِيهِ أَوْ سَيِّدِهِ أَوْ ذِي سُلْطَانِهِ وَهَذَا يَكُونُ لِمَنْ لَمْ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ وَهُوَ الصَّغِيرُ: فَإِنَّ دِينَهُ دِينُ أُمِّهِ فَإِنْ فُقِدَتْ فَدِينُ مَلِكِهِ وَأَبِيهِ: فَإِنْ فُقِدَ كَاللَّقِيطِ فَدِينُ الْمُتَوَلَّى عَلَيْهِ وَهُوَ أَهْلُ الْبَلَدِ الَّذِي هُوَ فِيهِ فَأَمَّا إِذَا بَلَغَ وَأَعْرَبَ لِسَانُهُ فَإِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا. وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ أَنَّ الْوَاجِبَ الْإِعْرَاضَ عَنْ هَذَا

التَّقْلِيدِ إِلَى اتِّبَاعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ حُجَّةُ اللَّهِ الَّتِي أَعَذَّرَ بِهَا إِلَى خَلْقِهِ. اهـ

قوله: «أخرجه أبو داود»: وهو سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى: (٣١٦)، أي في سننه.

قوله: «وهو حديث حسن»: هي رتبة دون الصحيح، وشروطه نفس شروط الحديث الصحيح، إلا ما كان من خفة ضبط بعض رواته، وإذا عضد بغيره ارتقى إلى الصحيح لغيره.



[الفقرة العشرون: من أول الرسل إلى أهل الأرض، ومن آخرهم؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة العشرون: من أول الرسل إلى أهل الأرض، ومن آخرهم؟

٢٠- فإذا قيل لك: من أول الرسل إلى أهل الأرض، ومن آخرهم؟

فقل: أولهم نوح عليه السلام، وآخرهم أفضل الأنبياء نبينا محمد - صلى

الله عليه وسلم -، فبعثته أول العلامات الصغرى للساعة، ويجب علينا
الإيمان بهم جميعا.

والدليل حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه

وسلم - قال عن أهل المحشر يوم القيامة: «فَيَأْتُونَ نُوحًا، فيَقُولُونَ: يَا نُوحُ

أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا» متفق عليه.

والدليل على أن آخرهم محمد - صلى الله عليه وسلم - قول الله تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾

[الأحزاب: ٤٠].

وحديث ثوبان - رضوان الله عليهم - أنه قال: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» ^(١)

أخرجه مسلم.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٨٦)، من حديث أبي

هريرة رضي الله عنه.

والدليل على أنه أفضل الأنبياء: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «أنا سيّد الناس يوم القيامة»^(١) متفق عليه.

والدليل على أنه أول علامات الساعة: حديث سهل بن سعد -رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ هكذا»^(٢) وأشار بأصبعيه متفق عليه.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ كهاتين»^(٣) وضم السبابة والوسطى، متفق عليه.

والدليل: أنه يجب علينا الإيمان بهم جميعاً، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً؛ قول الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٠٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥٠).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٠٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥١).

وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

الثانية: الإشارة إلى بعض أشرط الساعة.

الثالثة: الإيذان بالجنة والنار وأنها موجودتان الآن ولا تبيدان.

قوله: «فإذا قيل لك: من أول الرسل إلى أهل الأرض، ومن آخرهم»:

الرَّسُول: هو إنسان حرٌّ ذكرٌ بالغٌ عاقلٌ أوحى الله اليه بشرع، وأرسله إلى قومٍ مخالفين لتبليغ شرعه.

وليس من النساء والجن رسول مع خلاف ضعيف لبعضهم، ومن الجن نُذِر، قال الله -عز وجل-: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، أي من أحدكم وهم الأنس كما جاءت الأدلة بذلك.

﴿١﴾ وأول رسول إلى أهل الأرض نوح -عليه السلام- وكان أهل الأرض في ذلك الوقت قومه، فلا تعارض بين كونه أول رسول إلى أهل الأرض وبين ما علم من خصائص النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه أرسل إلى الناس عامة.

﴿٢﴾ **والإيمان بالرسول يدخل فيه:** الإيمان بمن قص الله علينا في كتابه كما قال: ﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]

لكن يجب علينا الإيمان بجميعهم إجمالاً ومن كفر بواحد منهم كفر بهم جميعاً.

كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وإنما كان تكذيبهم لنوح.

والمذكورون منهم في القرآن خمسة وعشرون:

ثمانية عشر منهم في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ * وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمَن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

وقد نظمها بعضهم بقوله:

في تلك حجتنا منهم ثمانية * * * من بعد عشر ويبقى سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح وكذا * * * ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا
قوله: «فقل: أولهم نوح - عليه السلام -»: وبينه وبين آدم - عليه
السلام - عشرة قرون.

فعن أبي أمامة -رضي الله عنه-: «أن رجلا، قال: يا رَسُولَ الله أنبي كان آدم؟ قال: «نعم، مكلم»، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون»^(١) أخرجه ابن حبان.

وبهذا تعلم ضعف قول من قال بأن إدريس -عليه السلام- كان قبل نوح -عليه السلام-.

ولبت نوحًا -عليه السلام- في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله -عز وجل- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وقيل: بأنه -عليه السلام- عُمِّر ألفين سنة، وما آمن به إلا قليل.

وقد أنزل الله -عز وجل- في القرآن سورة باسمه قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا يُغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وكفرت زوجته وابنه والله المستعان.

(١) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٦١٩٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في التعليقات

الحسان (٦١٥٧)، وفي (الصحيفة) (٢٦٦٨).

قوله: «وآخرهم أفضل الأنبياء نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم-»: وهو آخرهم فلا نبي بعده ولا رسول.

فمن ادعى النبوة بعده أو آمن بمدعي النبوة بعده فهو خارج من الملة. وهذه أحد الأوجه التي كفر بها العلماء القاديانية أتباع الميراز أحمد القادياني.

حيث زعم أنه رسول، وله أتباع في الهند وفلسطين وقلة في الجزائر نسأل الله العافية والسلامة.

وكونه أفضل الأنبياء قد تقدم شيء من ذلك، والله المستعان.

أشراط الساعة :

قوله: «فبعثته أول العلامات الصغرى للساعة»: أي بعثه محمد - صلى الله عليه وسلم-.

والدليل حديث أنس -رضي الله عنه- وغيره: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»^(١) متفق عليه.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن مبعث عيسى عليه السلام من علامات الساعة، قال الله -عز وجل-: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ١٦].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٠٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥١).

وقيل: نزوله في آخر الزمن من علامات الساعة الكبرى وهو الأظهر، لتواتر الأدلة بذلك، والله أعلم.

﴿وسميت الساعة بهذا الاسم؛ لأنها تأتي في وقت محدد لا يزيد ولا ينقص.﴾

قال الله - عز وجل -: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢].

فكان الجواب: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الاحزاب: ٦٣].

ولها أسماء غير هذه فمنها: القيامة والحاقة والغاشية والوقعة والصاخة والطامة إلى غير ذلك.

وأشارتها منقسمة إلى قسمين:

كبرى، وصغرى، قال الله - عز وجل -: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:

[١٨].

فمن أشراتها الصغرى: بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - وموته وانشقاق القمر، وفشوا الزنا والخمر، ورفع العلم، وغير ذلك على ما هو مفصل في موطنه.

وفي البخاري: عن عَوْفَ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - ، قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِيفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةً دِينَارٍ فَيُظَلَّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَعْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا» (١).

ومن العلامات الكبرى:

ما جاء في مسلم: من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ - رضي الله عنه - ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكُرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكُرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالْدَّجَالَ، وَالْدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ،

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣١٧٦).

وَتَلَاثَةٌ خُسُوفٍ: خُسُوفٌ بِالشَّرْقِ، وَخُسُوفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخُسُوفٌ بِجَزِيرَةِ
العَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ»^(١).
قوله: «ويجب علينا الإيمان بهم جميعاً»: لقول الله - عز وجل -: ﴿لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾.

﴿لكن الطاعة: إنما هي لمحمد - صلى الله عليه وسلم -؛ لأن دين جميع
الأنبياء قد نسخ ببعثة محمد - صلى الله عليه وسلم -، قال الله - عز وجل -:
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

قوله: «والدليل»: لأن أي قول لا يبنني على دليل قول ضعيف وربما
يكون باطلا وربما يكون غير مقبول لكن مع الدليل الثابت والحجة الظاهرة
يقبل القول.

قوله: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: عن أهل المحشر يوم
القيامة»: أي في حديث الشفاعة الطويل.

وإنما ذكر من الحديث الشاهد منه، ورواية الحديث مختصرة جائزة
كصنيع البخاري - رحمه الله تعالى -، والحديث بطوله:

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٠١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا مَهْشَةً ثُمَّ قَالَ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ وَتَذْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ

قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ
فَذَكَرْهُمْ أَبُو حَيَّانٍ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى
مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ
وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي
قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ
قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أَوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى
عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ
الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمُهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ
أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ
يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي
اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ
اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ عَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى
رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ
وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ
قَبْلِي ثُمَّ يَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْأَعِ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشْفَعْ فَارْفَعْ رَأْسِي
فَأَقُولُ أُمِّي يَا رَبِّ أُمِّي يَا رَبِّ أُمِّي يَا رَبِّ فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمْتِكَ
مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ

فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَّصَارِعَ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحَمِيرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُضْرَى^(١).

قوله: «فَيَأْتُونَ نوحًا»: أي بعد أن يأتون آدم لطلب الشفاعة.

قوله: «عن أهل المحشر»: سمي المحشر لأن الناس يُحشرون ويجمعون إليه حفاة عراة غرلاً بهمًا فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَهْمَهُمْ ذَلِكَ»^(٢) متفق عليه.

وقال الله -عز وجل-: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

قوله: «فَيَأْتُونَ نوحًا»: أي لطلب الشفاعة في فصل القضاء بين العباد.

قوله: «فيقولون يا نوح»: هذا نداء لحي حاضر قادر فلا دلالة فيه لما ذهب إليه عباد القبور من تجويز دعاء الأنبياء والصالحين.

قوله: «أنت أول الرسل إلى أهل الأرض»: هذا هو الشاهد وأهل الأرض قومه في زمنه.

قوله: «وسمك الله عبدا شكورا»: قال الله -عز وجل-: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الاسراء: ٣].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٢٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٥٩).

﴿هـ﴾ فالعبد: من العبودية وهو المتذل بالطاعة والخضوع أخذ من قوله طريق معبد وشكورا صيغة مبالغة لكثرة شكره لله - **عز وجل** - أي أنه كان شاكرا لله - **عز وجل** - بلسان الحال والمقال وكان شاكرا بقلبه ولسانه وجوارحه فان الشكر يكون بالقلب استكانةً وبلسان ذكرا وبالجوارح استقامةً، ويكون الشكر على النعم المتعدية، بخلاف الحمد فإنه يكون على المتعدي واللازم من الصفات.

قوله: «والدليل على أن آخرهم محمد- صلى الله عليه وسلم- قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].»

ومعنى خاتم النبيين آخرهم، يدل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والنظر، ومن هذه الأدلة قوله - **صلى الله عليه وسلم** - «لا نبي بعدي ولا رسول»^(١).

ومعلوم أنه أرسل إلى الناس كافة لإقامة الحجة الرسالية فكان آخر الأنبياء والمرسلين.

قوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾:
جاء في قراءة: «وهو أب لكم».

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٢٧٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

و المراد الأبوة الدينية لا الطينية، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:
«أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم»^(١)، أخرجه أبو داود عن أبي هريرة - رضي
الله عنه - .

وقد تبني زيد ابن حارثة - رضي الله عنه - فلما أنزل الله - عز وجل -
النهي عن ذلك نُسب زيد إلى أبيه.

قوله: «وحدّث ثوبان»: وهو ثوبان ابن بجدد أحد خدام النبي - صلى
الله عليه وسلم - ومواليه.

قوله: «وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»: هذا تأكيد وبيان أنا خاتم
النبيين هو الذي لا نبي بعده.

قوله: «والدليل على أنه افضل الأنبياء حديث أبي هريرة - رضي الله
عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة»:

وإذا كان سيدهم يوم القيامة فهو سيدهم في الدنيا وذكر القيامة لشرفها
ولأن السيادة بها أكمل ومنها أنه صاحب الشفاعة العظمى قال الله - عز
وجل -: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الاسراء: ٧٩]، وسيأتي
الكلام عليها في موطنه إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٨)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٣٢٦)،

وقال فيه: هذا حديث حسن.

قوله: «والدليل على أنه أول علامات الساعة»: أي أشراتها، وقد تقدم أنها تنقسم إلى صغرى وكبرى قال الله - عز وجل -: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، أي علاماتها.

قوله: «سهل ابن سعد - رضي الله عنه-»: وهو أبو العباس سعد بن مالك الأنصاري.

قوله: «بعثت أنا والساعة هكذا وأشار بأصبعيه»: أي السبابة والوسطى بمعنى أن الفارق بينهما متقارب وفيه التعليم بالإشارة وضرب الأمثال، وقد تقدم أن مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - من أشرط الساعة الصغرى.

قوله: «وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه-»: وهو أبو حمزة خادم النبي - صلى الله عليه وسلم -، من المكثرين في رواية حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وضم السبابة وهي التي تلي الإبهام.

وسميت سبابة؛ لأن العرب كانوا يشيرون بها عند السب وسميت بالمسبحة لأن التسبيح يقع بها.

قوله: «والدليل أنه يجب علينا الإيمان بجميع الرسل ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً»: ما يدل على الإيمان بهم قول الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٨٦].

قوله: «قول الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾»: أي أن من طريقة النبي - صلى الله عليه وسلم - الإقرار والإيمان والتصديق بما أنزل الله - عز وجل - من الكتب. والمؤمنون كذلك آمنوا بكل ما آمن به النبي - صلى الله عليه وسلم - واستقاموا على أمره وشرعه: ﴿كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾.

وهذه أركان الإيمان الستة أولها الإيمان بالله.

والإيمان بالله يتضمن أربعة أركان:

١ - الإيمان بوجوده.

٢ - الإيمان بربوبيته.

٣ - الإيمان بألوهيته.

٤- الإيمان بأسمائه وصفاته، وسيأتي تفصيل ذلك في موطنه إن شاء الله -عز وجل-.

الإيمان بالملائكة:

قوله: «وملائكته»: ويتضمن الإيمان بأنهم خلق من خلق الله -عز وجل- خلقهم من نور وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأنهم موكلون بشؤون العالم والآيات والأحاديث طافحة بذكرهم على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

الإيمان بالكتب:

قوله: «وكتبه»: فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن الله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى. وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب.

فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء. قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾، إلى قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

﴿الم﴾ الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿إلى قوله: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾.

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تكلم بها، وأنها نزلت من عنده.

وفي ذلك إثبات صفة الكلام والعلو.

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾، ﴿فَآمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن.

ونؤمن بالقرآن جملة وتفصيلاً فنعمل بما فيه وننقاد لما شرعه الله وأنه كتاب محفوظ قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقال - عز وجل -: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قوله: «ورسله»: جمع رسول وهم الذين أرسلهم الله - عز وجل - إلى الناس يدعونهم إلى التوحيد ويخرجونهم من الظلمات إلى النور قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والرَّسُولُ أكمل من النبي - صلى الله عليه وسلم - مع أن كل رسول نبي ولا عكس والفرق بينهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - من أرسل بشريعة سابقة والرَّسُولُ من أرسل بشرع جديد وبعث إلى قوم مخالفين. **وقيل:** لا يشترط لأن الله سمى يوسف عليه السلام رسولاً مع أنه جاء مجددًا لدين من قبله.

وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم

وعدهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم. فعلينا الإيمان بهم جملة؛ لأنه لم يأت في عددهم نص.

وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به، على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانا لا يسع أحدا من أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾. ﴿وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

وأولو العزم من الرسل قيل فيهم أقوال أحسنها: ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس -رضي الله عنه- وقتادة: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم.

قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ﴾.

وأما الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً.

قوله: «لانفرق بين أحد من رسله»: أي من حيث أنهم رسل الله أما من حيث التفضيل فالتفضيل حاصل، فأفضلهم أولوا العزم من الرسل قال الله -عز وجل-: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وهم محمد ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ونوح عليهم السلام.

وأما حديث: «لا تفاضلوا بين الأنبياء»، فالمراد به التفضيل المفضي إلى التنقص لأحدهم.

وكان سببه: ما جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رجلاً من اليهود قال: «وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمَرَ الْمُسْلِمَ، فَدَعَا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَضَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَضَعُوا مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ

مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشُ جَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَذْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ،
فَأَفَاقَ قَيْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَشْنَى اللَّهَ^(١)، أخرج به البخاري ومسلم.

فيجب الإيمان بهم جميعاً والإيمان بمحمد تفصيلاً بطاعته فيما أمر
وتصديقه فيما أخبر والانتهاز عما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع
على ما تقدم، وبالله التوفيق.

قوله: «قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا
بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾»: بمعنى أنهم: ﴿يُؤْمِنُونَ ببعض ويكفرون ببعض
وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، طريقاً وسطاً يؤمنون بعيسى عليه
السلام ويكفرون بمحمد أو يؤمنون بموسى عليه السلام ويكفرون
بمحمد.

«فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا» أي أن من كفر بمحمد وفرق بين رسل الله
فهو كافرٌ كفر أكبر مخرج من الملة.

بيان أن الجنة والنار موجودتان، وأنها لا تفنيان تبيدان:

قوله: «وَأَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا»: دليل على أن الجنة والنار
موجودتان الآن.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤١١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٧٣).

وقول الله - عز وجل -: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وذهب المعتزلة ومن إليهم إلى أن وجود الجنة والنار الآن عبث، مخالفين الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة.

وقد قلت في كتابي سلامة الخلف (٢٢٧) مختصراً:

ومن قول أهل السنة أن الجنة والنار قد خلقنا وقال عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: من الآية ٣٥).

وقال: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ (يس: من الآية ٢٦).

وقال: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (غافر: من الآية ٤٦).

ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع من المعتزلة والخوارج، والأدلة على ذلك متوافرة متواترة استقصينا كثيراً منها في كتاب الإيذان والله الحمد.

منها: قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (الحديد: من الآية ٢١).

وقوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: من الآية ١٣٣).

وقوله: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا

خطر على قلب بشر»،

وقال عن النار: ﴿أعدت للكافرين﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَابًا﴾ (النبا: ٢١-٢٢).

وقوله تعالى في الجنة: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم: ١٣-١٥).

ومن السنة ما أخرجه في "الصحيحين":

أخرج البخاري (٥٢٢٦):

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أَتَيْتُ الْجَنَّةَ فَأَبْصَرْتُ قَصْرًا فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا قَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَلَمْ يَمْنَعْنِي إِلَّا عِلْمِي بِغَيْرَتِكَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوْعَلَيْكَ أَغَارُ»، وأخرجه مسلم (٢٣٩٤).

وأخرج: (٣٢٤٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ قَالَ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ فَقَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، وأخرجه مسلم (٢٣٩٥).

وأخرج (٣٢٤١): حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ زَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ».

وأخرج (٣٢٤٠): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ»، وأخرجه مسلم (٨٦٦).

وأخرج البخاري (٤٥٠): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَقُولُ: عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ مَنْ بَنَى مَسْجِدًا قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ يَتَّبِعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»، وأخرجه مسلم (٥٣٣).

وأخرج مسلم (٢٤٥٦): عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا هَذِهِ الْغَمِيصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ».

وأخرج (٢٤٥٧): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرَيْتَ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتَ امْرَأَةً أَبِي طَلْحَةَ ثُمَّ سَمِعْتَ خَشْخَشَةَ أَمَامِي فَإِذَا بِلَالٌ».

وأخرج (٢٤٥٨): عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال عند صلاة الغداة: «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة فأني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة قال بلال ما عملت عملا في الإسلام أرجى عندي منفعة من إني لا أتطهر طهورا تاما في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي».

وأخرج (٤٢٦): عن المختار بن فلفل عن أنس -رضي الله عنه- قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فأني أراكم أمامي ومن خلفي ثم قال والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا وما رأيتم يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قال رأيتم الجنة والنار».

وأخرج البخاري (٣٥٢١): عن سعيد بن المسيب قال البَحِيرَةُ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاعِيتِ وَلَا يَجْلِبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَالسَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِأَهْلِيهِمْ فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ قَالَ: وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحْيٍ الْخُزَاعِيَّ يَجْرُ قُضْبُهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»، أخرجه مسلم (٢٨٥٦).

وأخرج مسلم (٢٨٤٦): عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «تحات النار والجنة فقلت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم فقال الله للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي»، وأخرجه البخاري (٤٨٥٠).

وأخرج (١٩١٤-١٢٩): عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين».

وأخرج البخاري (٣٤٨٢): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»، وأخرجه مسلم (٢٢٤٢).

وأخرج مسلم (٢٦١٩): عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فذكر أحاديث منها: وقال رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «دخلت امرأة النار من جراء هرة لها أو هر ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها ترمم من خشاش الأرض حتى ماتت هزلا».

وفي البخاري: "باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة".

قال الحافظ في "الفتح" (٣٢٥٦/٦):

قوله: "باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة"، أي موجودة الآن.

قال: وأصرح مما ذكره ما أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوي عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - **قال:** «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ، قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَبَءَاءَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُجِبَتْ بِالْمُكَارِهِ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُجِبَتْ بِالْمُكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، قَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَبَءَاءَهَا فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»^(١).

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥٦٠)، والنسائي في سننه برقم (٣٧٦٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام

الوادعي رحمه الله برقم (١٤٠٠).

وعن عبدالله بن عباس -رضي الله عنه- أنه قال: «خسفت الشمس فصلی رسول الله ﷺ والناس معه، ثم ذكر الحديث وفيه قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم تكعكت، فقال رسول الله ﷺ: «رأيت الجنة فتناولت منه عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كالיום منظرًا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء».

أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

والحديث يدل دلالة ظاهرة: نص لا يحتمل التأويل والتحريف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى الجنة بعينه ورأى النار بعينه، فلا ينكر وجود الجنة والنار مع وجود هذه الأدلة الصراح الصراح إلا من أزاغ الله قلبه وأعمى بصيرته، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

قال الحافظ في "الفتح" (٢/رقم ١٠٥٢):

قوله: «إني رأيت الجنة فتناولت منه عنقوداً»: ظاهره أنها رؤية عين فمنهم من حمله على أن الحجب كشفت له دونها فرآها على حقيقتها، وطويت المسافة بينهما حتى أمكنه أن يتناول منها وهذا أشبه بظاهر هذا الخبر، ويؤيده حديث أسماء الماضي في أوائل صفة الصلاة بلفظ «دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطف من قطافها».

ومنهم: حملها على أنها مثلت له في الحائط كما تنطبق الصورة في المرأة
فرأى جميع ما فيها، ويؤيد هذا حديث أنس الآتي في التوحيد «لقد عرضت
عليّ الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط وأنا أصلي» وفي رواية «لقد
مثلت» وفي رواية: «صورت»...

قال: وأبعد من قال إن المراد بالرؤية رؤية العلم.

قال القرطبي: لا إحالة في إبقاء هذه الأمور على ظواهرها لا سيما على
مذهب أهل السنة في أن الجنة والنار قد خلقتا ووجدتا، فيرجع إلى أن الله
تعالى خلق لنبيه ﷺ إدراكاً خاصاً به أدرك به الجنة والنار على حقيقتها **اهـ**

وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا تفتيان ولا يموت أهلها قال -عز وجل-: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: من الآية ٦٤).

وقال: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (غافر: من الآية ٣٩)، وقال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل: من الآية ٩٦)، وقال: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ (الدخان: من الآية ٥٦)، والآيات البينات والأحاديث الصحيحة على هذه المسألة كثيرات وواضحات لا يعتقد خلافها إلا أهل الضلالات قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوذٍ﴾ (هود: ١٠٨)، أي غير مقطوع.

وقال ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (ص: ٥٤)، وقال: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (الرعد: من الآية ٣٥)، وقال: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ (المائدة: من الآية ٣٧)، وقال: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة: ٣٣).

وقال -عز وجل- مؤكداً خلود أهل الجنة فيها: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الدخان: ٥٦) وهذا الاستثناء منقطع، والمراد به أنهم ماتوا في الوقت الذين لم يكونوا في الجنة.

ومن الأدلة على أبدية الجنة من السنة ما أخرجه مسلم (٢٨٣٦) وحديث أبي هريرة قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم لا ببأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه».

وفي حديث أبي سعيد: «يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت» متفق عليه.

❁ ومن أدلة القول بأبدية النار:

قوله: ❁ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ❁. ❁ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ❁. ❁ فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ❁. ❁ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ❁. ❁ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ❁. ❁ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ❁. ❁ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ❁. ❁ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ❁. ❁ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ❁، أي مقيما لازما.

وقد دلت السنة المستفيضة: أنه يخرج من النار من قال: "لا إله إلا الله"، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما، إلى غير ذلك، والله أعلم. اهـ مختصراً



الفقرة الواحدة والعشرون: جميع الرسل إلى ماذا يدعون الناس؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الواحدة والعشرون: جميع الرسل إلى ماذا يدعون الناس؟

٢١- فإذا قيل لك: جميع الرسل إلى ماذا يدعون الناس؟

فقل: يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَاَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿النحل: ٣٦﴾.

الشرح:

بعد أن ذكر حفظه الله ما يتعلق بالإيمان بالرسول ناسب أن يأتي بهذه

الفقرة الدالة على أن جميع الرسل يدعون إلى توحيد الله -**عز وجل**- وإفراده

بہا یجب لہ۔

وهذا محل إجماع كما تقدم فإن الله - عز وجل - أرسل جميع الرسل وأنزل

جميع كتبه ليعبد فلا يُشرك معه غيره لا ملَكًا مقربًا ولا نبياً مرسلًا.

قال الله - عز وجل -: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧]

👉 والأمر الذي اتفقت الرسل عليه تفصيلاً وإجمالاً التوحيد.

قال الله - عز وجل -: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَالِئِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الاعراف: ٥٦].

وهكذا قول صالح وشعيب، وأجمع الآيات الدالة على ذلك قوله - عز وجل -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله - عز وجل -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الانبياء: ٢٥].

وقال الله - عز وجل - مخبراً عن عيسى - عليه السلام -: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّهُ مَن يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ إِنَّهُ مَن يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٣].

وقال الله - عز وجل - آمراً لمحمد وأمه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

قوله: «والدليل على أن جميع الرسل يدعون إلى التوحيد «وَلَقَدْ بَعَثْنَا»: أي والله قد أرسلنا فاللام لام القسم والبعث مأخوذ من الإثارة والتحريك.

قوله: «في كل أمة»: أي في كل طائفة من الناس.

فالأمة تأتي في القرآن على معاني:

الأول: الطائفة من الناس كما في هذه الآية.

الثاني: الفترة من الزمن، قال الله - عز وجل -: ﴿وَادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].

الثالث: الملة، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢].

الرابع: الإمام، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠].

قوله: «رسولاً»: أي أنه مرسل من الله بالتوحيد.

قوله: «أن اعبدوا الله»: أي دعوتهم إلى عبادة الله وحده، وقد كان رَسُولُ الله يسير في الأسواق ويقول: [«قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»] أخرجه الدارقطني عن طارق المحاربي - رضي الله عنه -.

قوله: «واجتنبوا الطاغوت»: أي ابتعدوا عن الطاغوت والطاغوت ما تجاوز حده، أخذ من الطغيان قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١].

وهذه الآية فيها معنى لا إله إلا الله.

فقوله: «أن اعبدوا الله» إثبات «واجتنبوا الطاغوت» نفى.

والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

قال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي - رحمه الله تعالى - في الأصول الثلاثة:

وَالطَّوَاعِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قوله: «واجتنبوا»: أبلغ من **قوله:** "اتركوا"؛ لأن فيها التحذير من القرب منه، فضلاً عن إتيانه وغشيانه، والله أعلم.



الفقرة الثانية والعشرون: ما تعريف التوحيد الذي جميع الرسل..؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثانية والعشرون: ما تعريف التوحيد الذي جميع الرسل يدعون

إليه؟

٢٢- فإذا قيل لك: ما تعريف التوحيد الذي جميع الرسل يدعون إليه؟

فقل: هو أفراد الله بالعبادة.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:

٣٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

الشرح:

بعد أن بين حفظه الله ما يتعلق بالتوحيد الذي دعت إليه رسل الله - عز

وجل - وأنزلت به كتبه ناسب أن يأتي بهذه الفقرة التي فيها بيان التوحيد

الذي دعوا إليه، وقد بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد:

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

أي تفسير هاتين الكلمتين، والعطف لتغاير اللفظين، وإلا فالمعنى

واحد.

ولما ذكر المصنف في الأبواب السابقة التوحيد وفضائله، والدعوة إليه، والخوف من ضده الذي هو الشرك، فكأن النفوس اشتاقت إلى معرفة هذا الأمر الذي خلقت له الخليقة، والذي بلغ من شأنه عند الله أن من لقيه به غفر له، - وإن لقيه بملء الأرض خطايا -؛ بين رحمه الله في هذا الباب أنه ليس اسماً لا معنى له، أو قولاً لا حقيقة له.

كما يظنه الجاهلون الذين يظنون أن غاية التحقيق فيه هو النطق بكلمة الشهادة، من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني.

والحاذق منهم يظن أن معنى الإله: هو الخالق المتفرد بالملك، فتكون غاية معرفته هو الإقرار بتوحيد الربوبية، وهذا ليس هو المراد بالتوحيد، ولا هو أيضاً معنى " لا إله إلا الله " وإن كان لا بد منه في التوحيد بل التوحيد اسم لمعنى عظيم، وقول له معنى جليل هو أجل من جميع المعاني.

وحاصله: هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله، والإقبال بالقلب والعبادة على الله، وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، وهو معنى " لا إله إلا الله " كما قال تعالى: ﴿وَالْهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

وقال تعالى حكاية عن مؤمن يس: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾.

وقال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّكَ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾.

والآيات في هذا كثيرة: تبين أن معنى " لا إله إلا الله " هو البراءة من عبادة ما سوى الله من الشفعاء والأنداد، وإفراد الله بالعبادة.

فهذا هو الهدى، ودين الحق الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه.

أما قول الإنسان: " لا إله إلا الله "، من غير معرفة لمعناها، ولا عمل به، أو دعواه أنه من أهل التوحيد، وهو لا يعرف التوحيد، بل ربما يخلص لغير الله من عبادته من الدعاء والخوف والذبح والنذر والتوبة والإنابة وغير

ذلك من أنواع العبادات، فلا يكفي في التوحيد، بل لا يكون إلا مشركاً والحالة هذه، كما هو شأن عباد القبور. ^(١) اهـ

إذا فمعرفة التوحيد من الأمور المتعينة والمهمة فمن عرف حقيقة الشيء سلكه.

فالتوحيد: «هو إفراد الله بما يجب له»: وإن شئت أن تزيد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

والشيخ حفظه الله: عرف توحيد الألوهية وقد انتقد بعض من لا يحسن الصنيع، وقال: هذا قصور من الشيخ زعم، فله جوابان:

الأول: أن هذا التعريف هو الذي عرف به الشيخ محمد بن عبد الوهاب التوحيد في كتابه الأصول الثلاثة.

الثاني: أن توحيد الربوبية قد أقر به كثير من المشركين والمنددين في الجملة، فضلاً عن المسلمين قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

فأراد أن يعرف التوحيد الذي كان الخلاف فيه بين أهل الإسلام وأهل الكفر، فيه أظهر، وهو: إفراد الله بالعبادة، ويسمى إفراد الله بأفعال المكلفين، ولهذا التوحيد عدة أسماء:

(١) انتهى من تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٠٩)

الأول: التوحيد الطلبي: من حيث أن الله طلبه من الناس.

الثاني: توحيد الإرادة والقصد: لأن الناس يقصدون به الله.

الثالث: توحيد العبادة: لأن الناس يتعبدون به الله.

الرابع: توحيد الألوهية: لأنه يتأله الله به، والتأله التعبد، فيدل على إفراد

الله بهذا الباب العظيم فلا يدعى ولا يرجى إلا هو ولا يخاف إلا منه ولا يتوكل إلا عليه وهكذا.

👉 **وقد تقدم أن العبادة:** اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والمعتقدات.

📖 ومع ذلك لو أن الشيخ جاء بالتعريف الأكمل وهو إفراد الله بما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

أو إفراد الله بما يجب له؛ لكان أليق، ومع ذلك لا ينتقد على الشيخ - حفظه الله تعالى - بحيث تجعل من أخطائه التي يشنع عليه بها.

قوله: «والدليل قول الله - عز وجل -: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ﴾

[النساء: ٣٦]»:

أي أفردوا الله - عز وجل - بما هو له ولا تشركوا معه غيره.

قوله: «شَيْئًا»: نكرة في سياق النهي فتفيد العموم، فلا يشرك معه لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا، وفي باب هذه الآية قوله - **عز وجل** -: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الاسراء: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال الله - **عز وجل** -: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الانعام: ١٥١].

وقوله تعالى: «فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ» [هود: ١٢٣].

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨].

وقال الله - **عز وجل** -: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

قوله: «وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»: هذا دليل على توحيد الأسماء والصفات وعلى بقية أنواع التوحيد فهو الواحد الذي لا شريك ولاند ولا ظهور ولا معين له.

قال الله - **عز وجل** -: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [الاحقاف: ٤].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

وقوله: «قل هو الله أحد»: فمن الأدلة على إفراد الله - عز وجل - بالعبادة سورة الإخلاص وسميت بذلك لخلوصها في بيان التوحيد الذي هو حق الله - عز وجل -، وقد جاء في فضلها عدة أحاديث وأنها تعدل ثلث القرآن، فعن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قالوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»

وقد ألفت فيها رسالة بعنوان: "النبراس في تفسير سورتي الإخلاص".
والناس الذين وقعوا في الشرك والإلحاد سببه عدم فهمهم لهذا الباب، قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

وقال الله - عز وجل - مخبراً عن الكافرين الذين علموا التوحيد ولم يلتزموه: ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِيَّاهُ وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

فما بالك بمشركي زماننا من عباد القبور الذين يقولون لا إله إلا الله ويجهلون معناها فكان كفار قريش أعلم بمعناها منهم حيث عرفوا أن

معنى قول لا إله إلا الله أن يكون المعبود واحدًا، إلا أنهم استكبروا عن قولها، والله المستعان.



الفقرة الثالثة والعشرون: كم أقسام توحيد - الله عز وجل - ؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثالثة والعشرون: كم أقسام توحيد الله - عز وجل - ؟

٢٣- فإذا قيل لك: كم أقسام توحيد الله - عز وجل - ؟

فقل: ثلاثة أقسام:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الألوهية.

٣- توحيد الأسماء والصفات.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ

لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فهاتان الآيتان فيها أنواع التوحيد الثلاثة.

الشرح: *

ذكر المصنف هذه الفقرة بعد أن عرف التوحيد الذي دعت إليه الرسل،

فناسب أن يذكر أقسام التوحيد لبيان حقيقة التوحيد وتجليته أكثر حتى لا

تبقى شبهة لمريد الحق.

وبيان هذه الفقرة من المهمات فإن أهل البدع ينكرون هذا التقسيم لاسيما والتوحيد عند كثير منهم هو الربوبية من أن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر إلى غير ذلك من خصائص الربوبية ويتحاشون الكلام في توحيد الألوهية الذي به أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وشرع من أجله الجهاد. **وقد رأيت في جزيرة بمبا في بلاد تنزانيا:** كتاباً فيه الإنكار على من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام.

﴿قد يقولون﴾ ليس عندنا دليل من الكتاب والسنة على هذا التقسيم. **نقول:** أما دليل صريح فلا يوجد، كما أنه ليس هنالك دليل على علم المصطلح، والأصول، والنحو.

لكن بالاستقراء: تجد أن هذه العلوم من علوم الشريعة. **﴿فبالاستقراء﴾** نجد أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام فننظر مثلاً إلى المشركين الذين يعبدون الأصنام والأحجار والأوثان هل يؤمنون برب خالق رازق مالك مدبر الجواب نعم.

والدليل: ما في سورة يونس ونحوها من السور المكية أن كفار قريش كانوا يقولون بذلك.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

وقال: ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ❀ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ❀ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ❀ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ❀ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ❀ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ❀ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

ومن الأدلة أنهم كانوا يطوفون بالبيت ويلبسون: (ليك اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك) ثم يشركون ويقولون: (إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) ^(١).

ومع ذلك كانوا في حال رغبتهم ورهبتهم يسألون الله تعالى.
قال الله - عز وجل -: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾ [الاسراء: ٦٧].

فالشاهد: أن كثيراً من الكفار يؤمنون بأن الله خالق رازق مالك مدبر وإنما صرفوا عبادتهم لغيره من دعائهم ونذرهم وذبحهم وتوكلهم، إلى غير ذلك.

فهل أدخلهم هذا الإقرار في الإسلام؟

الجواب: أن الله - عز وجل - أكفرهم بذلك مع اعترافهم به.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١١٨٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

إذا فالتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الربوبية: وهو أثبات الخلق والملك والتدبير لله سبحانه وتعالى وهذا قد يقر به حتى الكفار قال الله - عز وجل -: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائرٍ﴾ [الاسراء: ١٠٢].
قال الله - عز وجل -: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَضَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

الثاني: توحيد العبادة: وهو توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بأفعال المكلفين وهذا التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب.
قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال الله - عز وجل -: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٦١].

إلى غير ذلك من الآيات، وقد تقدم ذكر شيئاً من ذلك،

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا مِثْلُ: الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ.
وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ،
 وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالْاسْتِعَانَةُ، وَالْاسْتِعَاذَةُ، وَالْاسْتِغَاثَةُ،
 وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا. كُلُّهَا لِلَّهِ
 تَعَالَى.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله - عز وجل - بما له من
 الأسماء والصفات، والأصل في هذا الباب أن الله - عز وجل - موصوف بما
 وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل
 ولا تكييف ولا تمثيل، بل هو سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.



[بيان بعض القواعد في الأسماء والصفات]

وقد ذكرت بعض قواعد الأسماء والصفات في كتابي: "فتح المجيد

لبیان هداية القرآن إلى التوحيد" قلت فيه:

١ - أسماء الله كلها حسنى.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

ومن حسنها أنها أسماء مدح وكمال، وتتضمن صفات مدح وكمال، وأنها

مذكورة في الكتاب والسنة، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ أمرنا أن ندعوه بها، وقد ذكر

نحو هذا شيخ الإسلام، والشيخ السعدي رَحِمَهُمَا اللهُ.

٢ - أسماء الله أعلام وأوصاف.

فكل اسم يتضمن صفة، وهذا من كمالها وحسنها.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

فالرحيم هو ذو الرحمة، كما أن الغفور هو ذو المغفرة.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠]،

أي: صاحب العزة المتصف بها.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، أي:

صاحب القوة.

وهو السميع يسمع، والبصير يبصر، والعليم يعلم، كما هو معلوم عقلاً،
وشرعاً، وعرفاً، خلافاً لمن زعم أنه سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، تعالى
الله عن قولهم علواً كبيراً.

٣- أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - موصف بما وصف به نفسه في كتابه الكريم، وما

صح عن نبيه محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - الصادق الأمين.

وبيان ذلك أن باب أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته توقيفية، يُتوقف في أثبتها
على الكتاب والسنة الصحيحة؛ لأنه لا يعرف كيف الله إلا الله عَزَّ وَجَلَّ،
وقد أوحى الله عَزَّ وَجَلَّ بذلك إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والدليل على هذه القاعدة: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

٤ - يجب على جميع المسلمين أن ينقادوا للكتاب وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

لا سيما في هذا الباب الذي بابه النصوص الشرعية، فما أثبتته الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أثبتناه، وما نفاه الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نفيناه.

والدليل قوله الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

فمثال الإثبات: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].
فثبت لله عَزَّ وَجَلَّ السمع والبصر.

ومثال النفي: قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
فينزه الله عَزَّ وَجَلَّ عن النوم، ومقدماته لكمال قيوميته عَزَّ وَجَلَّ؛ ولأنه نفى ذلك عن نفسه، وهنا تنبيه: وهو أن الصفات المنفية لا بد أن تتضمن كمال الضد لأن النفي وحده عدم، وإذا اثبت به كمال الضد صار كمالاً.

فنقول: يُنفى عن الله تعالى الظلم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، لكمال عدله تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، لكمال علمه وقدرته وهكذا.

٥- عند الإثبات والنفي يجب التخلي من محاذير تجر إلى الباطل والضلال وتجر إلى الزيغ والانحراف.

أولاً: عند الإثبات: الحذر كل الحذر من التكييف والتمثيل.

والتكييف: أن تتخيل لصفة الله عز وجل كيفية وهيئة، فإن اقترن هذا التكيف بشيء موجود كان تمثيلاً، وإن لم يقترن كان تكييفاً، والتكييف والتمثيل من أعظم الإلحاد في أسماء الله وصفاته.

فالله يقول: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

ويقول: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وفي أثر نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري قال: مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا مَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا.

ويجب أن نؤمن أن لصفات الله عز وجل كيفية وحقيقة لكننا نجهلها؛ لأنها لا تعلم كيفية الشيء إلا بالنظر إليه أو إلى مثيله، أو يحدثك من رآه عنه، وكل هذه منتفية في حق الله تعالى.

ثانياً: عند التنزيه: يجب التخلي من محذورين:

الأول: التعطيل.

والثاني: التحريف.

والتعطيل في اللغة: هو التفرغ.

وفي الاصطلاح: هو تعطيل الله **عَزَّ وَجَلَّ** من أسمائه وصفاته وأفعاله أو من بعضها.

والتحريف: هو الميل، وفي الاصطلاح: هو الميل بأدلة الكتاب والسنة عما دلت عليه، ويكون التحريف إما بتغيير اللفظ بزيادة أو نقصان أو بهما أو تغيير المعنى.

ومن هذه الأمثلة المحذورة، قول القائل: يد الله كيدي، فهذا باطل وكفر، أو **قوله:** يد الله **عَزَّ وَجَلَّ** كذا وكذا على كيفية ليست كالمخلوقات. **نقول:** وهذا باطل، وكفر، وحرام؛ لأنك تقول على الله ما لا تعلم.

ومن أمثلتها في باب التحريف والتعطيل، أن يقول القائل: يد الله، هي نعمته، **نقول:** هذا باطل وحرام، وكفر؛ لأنك صرفت اللفظ عن ظاهره الذي أراده الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وهو إثبات اليد لله سبحانه يداً تليق بجلاله لا تماثل صفات المخلوقين؛ إذ **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الشورى: ١١].

٦ - كل اسم من أسماء الله - عَزَّ وَجَلَّ - يتضمن صفة.

كقول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾
[الفرقان: ٥٨].

فاسم الحي يتضمن صفة الحياة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء،
كقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

يتضمن اسم السميع صفة السمع، واسم العليم صفة العلم؛ لأن أسماء
الله أعلام وأوصاف، وهذا من حسناتها فهي تدل على الذات والوصفية.

٧ - كل فعل أضافه الله - عَزَّ وَجَلَّ - إلى نفسه يشتق منه صفة.

كقوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾ [آل عمران: ٥٥].

وكقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

فثبت لله صفة الكلام كما يليق بجلاله.

وكقول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ: «يُنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ

الْآخِرُ»، الحديث في «الصحيحين»، البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، عَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فثبت لله **عَزَّ وَجَلَّ** صفة النزول كما يليق بجلاله.

٨- ما أضيف إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- يكون على قسمين:

الأول: ما أضيف إلى الله عز وجل من المعاني التي تقوم بغيرها: كالوجه، والعين، والكلام، واليد، وغير ذلك، فهو إضافة صفة إلى موصوف. **الثاني:** وما أضيف إلى الله عز وجل من المعاني التي تقوم بنفسها، فإضافتها إلى الله إضافة خلق أو ملك، كناية الله عز وجل، وبيت الله، وعبد الله، وهكذا.

٩- كل دليل يدل على وصف الله -عَزَّ وَجَلَّ- فإنه يبقى على ظاهره.

وهو المتبادر للسان العربي، والفطرة السليمة المستقيمة، ولا يجوز تحريفه؛ لأن هذا من الإلحاد الذي حرمه الله عز وجل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

ومعلوم: أن الله عز وجل أنزل القرآن: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

فصرف اللفظ من المعاني الحققة إلى معاني باطلة يعتبر جناية على القرآن وعلى رب العالمين.

١٠ - **لِيُعْلَمَ أَنَّ الْمُتَصِفَ بِالصِّفَاتِ أَكْمَلَ مِنَ الَّذِينَ لَا صِفَاتَ لَهُ.**

فلا يعقل أن يكون المخلوق المربوب الضعيف المحتاج يسمع، ويبصر، ويعلم، ويقدر، والله **عَزَّ وَجَلَّ** معطل عن ذلك، بل يثبت الله **عَزَّ وَجَلَّ** الكمال اللائق به مما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله.

١١ - **لَسْنَا أَحْرَصَ وَاتَّقَى مِنَ السَّلَفِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ.**

فهم قد أثبتوا الله **عَزَّ وَجَلَّ** ما أثبتته لنفسه، وما أثبتته له رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل، فلا يلبس علينا شياطين الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والقرامطة، والفلاسفة، بشبه أوهى من خيط العنكبوت: «وكل خير في إتباع من سلف».

١٢ - **طَرِيقَةُ السَّلَفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.**

فالسير عليها في جميع جوانب الحياة فما من خير إلا وسبقونا إليه، وما من شر وضير إلا وحذرونا منه.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: "عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ". اهـ

أخرجه الآجري في «الشرعية» (١/ ٤٤٥).

١٣ - **إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَذَكَرَ فِيهِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَاءَهُ وَمَا**

يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ.

وذكر فيه الأحكام وما يتعلق بها، وذكر فيه القصص وغير ذلك، وكل هذه الآيات تُتلى على العالم والجاهل، والذكر والأنثى، فليبلغ دين الله الحق وخصوصاً في هذا الباب.

١٤ - **القول في بعض الصفات كالقول في الصفات الأخرى.**

وهذه القاعدة رد على الأشاعرة: الذين يثبتون لله **عَزَّ وَجَلَّ** سبع صفات.

وهي المجموعة في قول السفاريني:

حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ عَالِمٌ *** لَهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ

زاعمين أن هذه دل عليها العقل، فيلزمهم أن يثبتوا لله **عَزَّ وَجَلَّ** الصفات التي دل عليها الشرع: كالغضب، والرضى، والسخط، والكراهة، وغير ذلك.

مما ثبتت به النصوص، والعقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح، والعقل يعتبر في هذا الباب، وفي غيره من أبواب الشرع منقاداً لا قائداً.

١٥ - **العلم بأن الله عَزَّ وَجَلَّ موصوف بالنفي والإثبات.**

والأصل الإثبات، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والنفي لا بد أن يتضمن كمال الضد، على ما تقدم ويكون لبيان عموم كماله المقدس كما في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ويكون لدفع توهم النقص، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [النجم: ٣٨]، ويكون لرد ما ادعاه في حقه المبطلون، كما في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

١٦ - أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معلوم لنا.

لحديث عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ

قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»^(١)، رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، وهو صحيح.

وقد خرجته في كتابي: "التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين".

ويدل على عدم الحصر، حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عند الإمام مسلم (٤٨٦): أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ وَهُوَ سَاجِدٌ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

والثناء على الله تعالى إنما يكون بالصفات العلى والأسماء الحسنى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

كما في «درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ٣٣٢-٣٣٣): في كلامه على حديث عائشة الأنف الذكر:

فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا يُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، وَلَوْ أَحْصَى أَسْمَاءَهُ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٣١٨)، وابن حبان في صحيحه (٩٧٢)، وقال الإمام الألباني رحمه

الله تعالى في التعليقات الحسان (٩٦٨): صحيح، وهو في الصحيحة برقم (١٩٩).

تعالى لأحصى صفاته كلها، فكان يحصي الثناء عليه؛ لأن صفاته إنما يعبر بها عن أسمائه. اهـ

و نحن إذا نظرنا إلى القرآن نجد أن الله سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات.

قال الله - عز وجل -: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٥﴾﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

فأثبت أنه سميع بصير وعليم حكيم وعزيز رحيم وأنه يغضب ويرضى ويسخط ويكره ويجب إلى غير ذلك.

﴿فبتتبع نصوص القرآن والسنة نجد هذه الأقسام من التوحيد: ويدل على هذا التقسيم أول سورة الفاتحة، على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

تنبيه: جاء الإخوان المسلمون والسرورية ومن إليهم بقسيم رابع للتوحيد وهو:

توحيد الحاكمية: وقدموه على توحيد الألوهية، ويسمون ما يقع من الحكماء: شرك القصور، ولهذا تجد أنهم يكفرون الحكماء ويخرجون عليهم مع جواز الخروج عليهم.

مع أن الدعوة إلى الحاكمية وتحكيم كتاب الله - عز وجل - قسيم من أقسام توحيد الألوهية، فإن الله - عز وجل - أمرنا بالتحاكم إلى القرآن والسنة.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

والمراد به كفر دون كفر في تفسير جماهير العلماء سلفاً وخلفاً. وقال الله - عز وجل -: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

واعلم أن توحيد الربوبية: يستلزم توحيد الألوهية. **وتوحيد الألوهية:** يتضمن توحيد الربوبية. **ومعنى ذلك:** أن من أقر بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر لزمه أن يقر أنه المعبود بحق.

وبما أن الله هو المعبود بالصلاة والصيام والحج والقيام والدعاء والنذر وهو يتضمن توحيد الربوبية وهذا إفراد الله بالخلق والملك والتدبير.

قوله: «والدليل على هذا التقسيم قول الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾»:

أي أن البسملة فيها توحيد الأسماء والصفات.
فلفظ الجلالة (الله): علم على الذات العلية وهو أعرف المعارف وهو الاسم الأعظم على الصحيح.
وفيه الدلالة على توحيد الألوهية.
ولازم ذلك أن يكون إلّا له ربّاً خالقاً ورازقاً وهذا هو توحيد الربوبية.
وأما الاستدلال بها على توحيد الأسماء والصفات فظاهر.
و(الرحمن): اسم مختص بالله - عز وجل - لا يجوز أن يسمى به غير وهو دال على صفة الرحمة العامة، وكان بعض الكفار يشبّونه وبعضهم ينفونه.
قال الله - عز وجل -: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ [الفرقان: ٦٠].

وقيل: بأن نفهم هذا على سبيل المكابرة.

وقد قال بعضهم:

ألا كسرت تلك الفتاة هجينها *** ألا قضب الرحمن ربى يمينها

والرحيم: اسم من أسماء الله - عز وجل - الحسنى وهو متضمن لصفة الرحمة الخاصة وليس من الأسماء المختصة فقد سمي الله - عز وجل - محمد رؤوفاً رحيمًا.

وقوله: «**وقوله:** ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾»: فيه إثبات توحيد الربوبية.

«**فَاعْبُدْهُ**»: فيه إثبات توحيد الألوهية.

«**وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ**»: أي اصبر حال عبادته لما في ذلك من المشقة أحياناً. وقد قال الله - عز وجل - : ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ**﴾ [الكهف: ٢٨].

والصبر ثلاثة أقسام:

الأول: صبر على أقدار الله؛ بعدم التسخط فيها.

الثاني: صبر عن معاصي الله؛ بعدم ارتكابها.

الثالث: صبر على طاعة الله؛ بفعلها.

«**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**» فيه: اثبات توحيد الأسماء والصفات.

والسمي: هو المثل والنظير.

ومثله قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ وقوله - عز وجل - : ﴿**فَلَا**

تَضَرَّبُوا اللَّهَ الْآمَنَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

وقوله - عز وجل -: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢].

قوله: «فهاتان الآيتان فيهما أنواع التوحيد الثلاثة»:

أي أن الاستدلال بهما فيه ما تقدم بيانه.

- والله الموفق -



[الفقرة الرابعة والعشرون: ما أعظم حسنة، وما أعظم سيئة؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الرابعة والعشرون: ما أعظم حسنة وما أعظم سيئة؟

٢٤ - فإذا قيل لك: ما أعظم حسنة^(١)، وما أعظم سيئة؟

فقل: أعظم حسنة هو توحيد الله - عز وجل -، وأعظم سيئة هو الشرك بالله - عز وجل -.

والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠٢].

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»^(١). أخرجه أحمد، وهو حديث صحيح.

(١) تسمية التوحيد حسنة جاء من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - مرفوعاً عند الترمذي وابن ماجه وهو حديث صحيح.

وتسمية الشرك سيئة في قول الله تعالى «بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَخَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»، قال مجاهد وأبو وائل وغيرهما كما في تفسير ابن جرير عند الآية: السيئة المذكورة في هذه الآية هي الشرك. وفي هذا بيان لجهل ضلال الخوارج في الاستدلال بمثل هذه الآية على تكفير عصاة المسلمين.

وهذا يدل على أن أسعد الناس بشفاعته النبي - صلى الله عليه وسلم - هم أهل الكبائر من المسلمين، ولا شفاعته لمشرك.

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، دَخَلَ النَّارَ»^(٢). أخرجه مسلم.

الشرح:

ساق المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان عظم حسنة التوحيد وسيئة الشرك.

وفيها: إثبات الشفاعات لأهل الكبائر من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - خلافاً لعقيدة الخوارج والمعتزلة ومن إليهم من الرافضة وغيرهم.

قوله: «فإذا قيل لك ما أعظم حسنة»: لأن الحسنات تتفاوت ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عند مسلم: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الذَّنَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٣).

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، من حديث أبي أنس بن مالك رضي

الله عنه وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٥).

وفي حديث أنس - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
: « عرضت علي أعمال أمتي حسننها وسيئها فرأيت من محاسن أعمالها الأذى
يماط عن الطريق ورأيت من مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا
تدفن »^(١) أخرجه مسلم.

وفي حديث جابر - رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:
« أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »^(٢) أخرجه الترمذي.

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عند أحمد وغيره
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ
وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّنَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ
الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ».

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - ، أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ
اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَتَبَ اللَّهُ
لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عِشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٥٣).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٣٨٣)، وابن ماجه في سننه (٣٨٠٠)، وحسنه الإمام الألباني رحمه

الله تعالى في صحيح السنن.

ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً^(١).

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(٢) متفق عليه.

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند البخاري: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعِزِّ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءً ثَوَابَهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ». قَالَ حَسَّانُ: فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ الْعِزِّ، مِنْ رَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَنَحْوِهِ فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً^(٣).

👉 **فالشاهد من هذه الأدلة:** أن الحسنات تتفاوت وأعظمها التوحيد والسيئات تتفاوت وأعظمها الشرك والتنديد لأن حسنة التوحيد سبب لرضى الله -عز وجل- والخلود في الجنة وسيئة الشرك الأكبر سبب لغضب الله -عز وجل- والخلود في النار وما بينهما من شعبهما فما كان إلى التوحيد

^(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨٠١٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم

(٤١٨).

^(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٤).

^(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٦٣١).

فهو من شعب الإيمان والإسلام وما كان من الشرك والمعاصي فمن شعب الكفر.

قال ابن القيم - رحمه الله - في حكم تارك الصلاة (ص: ٥٥):

وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية.

وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية.

ومن شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية.

فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر
فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة
بالمصحف. اهـ

قوله: «فقل أعظم حسنة توحيد الله -عز وجل-»: لأنه يعصم الدم
والمال والعرض في الدنيا، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وفي حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ،
فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ
عَلَى اللَّهِ» ^(١) متفق عليه.

وسبب دخول الجنة والخلود فيها وسبب الفلاح العظيم ولأنه حق الله -
عز وجل- رب العالمين.

قوله: «وأعظم سيئة الشرك بالله -عز وجل-»: لأنه يناقض حق الله
وسبب لخلود في النار ويبيح العرض والمال والنفس، إلى غير ذلك مما
سطرته في كتابي: "فتح الحميد المجيد ببيان هداية القرآن إلى التوحيد".

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢).

قوله: «والدليل قول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾»:

وهذا دليل عام في فضل التوحيد وخطر الشرك، ومفهوم الآية أن الله قد يغفر الزنا والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك من المعاصي فكلها داخلة تحت المشيئة لكن الشرك الأكبر لا يغفر الله - عز وجل - وحتى الأصغر على الصحيح من أقوال أهل العلم، كما تقدم.

قوله: «وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ»: أي يغفر ما سوى ذلك من الذنوب ما خلا الشرك بالله عز وجل.

وقد أخذ بعض أهل العلم من قوله: «ما دون»، على أن الشرك الأصغر داخلٌ تحت المشيئة.

قالوا: لأن بعض جزئيات الشرك الأصغر ربما تكون أدنى من بعض كبائر الذنوب.

لكن القاعدة عند أهل العلم: "أن الشرك من حيث هو أعظم معصية يُعصى الله بها".

قوله: «لمن يشاء»: دليل أن صاحب الكبيرة تحت المشيئة.

قال الإمام السفاريني - رحمه الله تعالى -:

ومن يمت ولم يتب من الخط *** فأمره مفوض لذي العطاء

فإن يشاء يعفو وإن شاء انتقم *** وإن يشاء يعطي ويجزل النعم

قوله: «وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾»:

ساق المصنف الآية لبيان أن الشرك سيئة لا تغفر، والآية في حق الكافرين، وقد أنزلها الخوارج على المسلمين فكفروهم واستباحوا دمائهم وأعراضهم.

فيخبر الله عن الكافرين أن ما لهم من يشفع عند الله - عز وجل - يوم القيامة لأن الشفاعة فيهم لا تقبل قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾.

«وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»: أي ولا صديق قريب يشفع فيهم.

ثم يقولون: «فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً»: أي عودة إلى الدنيا.

«فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»: من الموحدين والواقع أنها لو كانت لهم كرة لعادوا لما نهوا عنه كما الله - عز وجل - : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الانعام: ٢٨].

وفيه: أن الإيمان سبب الفلاح، من قولهم: ﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي المستسلمين المنقادين لله - عز وجل - ، وقد قال الله - عز وجل - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

قوله: «عن أنس بن مالك»: أبو حمزة الأنصاري من المكثرين في رواية حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -، خدم النبي - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين، ودعا له رَسُولُ الله أن يبارك في أهله وماله.

قوله: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»: الشفع ضد الوتر، وقد جاءت الشفاعة في القرآن مثبتة ومنفية.

فتكون الشفاعة المثبتة بشرطين:

الأول: إذن الله للشافع، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: رضى الله عنه عن الشافعي والمشفوع فيه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

والشفاعة أقسام:

أولها: الشفاعة العظمى: وهي الخاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين وهذا النوع اتفق على اثباته أهل السنة ووافقته المبتدعة، من الخوارج وغيرهم، ودليلها قول الله - عز وجل -: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ وهي المشار إليها في حديث أبي سعيد وأنس وأبي هريرة **رضوان الله عليهم** - في الصحيحين.

ولفظ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَتَى بِلَحْمٍ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَهَشَ مِنْهَا مَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَذَرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَذْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ...» (١).

النوع الثاني والثالث: شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلونها.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٤).

النوع الرابع: شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن، حين دعا له رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث مخرج في ((الصحيحين)).

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، قال القرطبي في التذكرة بعد ذكر هذا النوع: **فإن قيل:** فقد قال تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعتنا﴾. **قيل له:** لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه، أن رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «أنا أول شفيع في الجنة»^(١).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٦).

وقال: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»^(١) أخرجه مسلم عن أنس -رضي الله عنه-.

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها.

وقد تواترت الأحاديث بهذا النوع:

منها: حديث أبي موسى -رضي الله عنه- قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمتقين لا ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين»^(٢) أخرجه أحمد.

قوله: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»: خرج طرده الشيخ مقبل في كتاب الشفاعة رقم: (٥٠) وبين ثبوته وقد قلبه المبتدعة إلى: «ليست شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

قال الشيخ مقبل - رحمه الله تعالى -: ليس له أصل في كتب أهل العلم.

^(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٧).

^(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه (٤٣١١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٨٢٢).

وهذا يدل على استحلال المبتدعة الكذب لتبرير بدعهم كما وضعوا:
«الإيمان واحد زيادته ونقصانه كفر» وهذا حديث مكذوب موضوع يخالف عقيدة المسلمين.

قوله: «أخرجه الإمام أحمد»: وهو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، إمام أهل السنة والجماعة رحمه الله أخرجه في مسنده المسمى بديوان السنة.

قوله: «وهذا يدل على أن أسعد الناس بشفاعه النبي - صلى الله عليه وسلم - هم أهل الكبائر من المسلمين»: وقد سئل رسول الله كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عند البخاري: «من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله قال: «من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه»^(١).

قوله: «ولا شفاعه لمشرك»:

لقول الله - عز وجل -: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وقال الله - عز وجل -: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٩٩).

وقال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمَّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَرْوَرَ قَبْرَهَا فَأْذَنْ لِي»^(١) أخرجه مسلم.

قوله: «عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-»: وهو ابن عبد الله ابن حرام من المكثرين في رواية حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- شهد مع رَسُولِ اللَّهِ جميع المشاهد غير بدر وأحد حيث تخلف بسبب أبيه، وأبوه أفضل منه، كلمه الله كفاحاً ليس بينه وبينه ترجمان بعد أن استشهد في أحد.

قوله: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»: أي من مات بريئاً من الشرك الأكبر والأصغر كان من داخلي الجنة دخولاً أولياً إن شاء الله وأما من مات وعنده الشرك الأكبر فإنه يخلد في النار ومن مات وعنده الشرك الأصغر فإن ماله إلى الجنة ولا يدخلها دخولاً أولياً على الصحيح.

قوله: «ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»: أي ومن مات على الشرك الأكبر دخل النار دخولاً خلوداً.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩٧٦).

قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال الله - عز وجل -: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الاعراف: ٤٠].

وجاء من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» وَقُلْتُ أَنَا: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ^(١) متفق عليه.

قوله: «تسمية التوحيد حسنة»: أي أن هذا له دليله من السنة الصحيحة فقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو أبو محمد كان من المطيعين لأبيه بأمر النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أطع أباك ما دام حيا» ^(٢).

وكان من عباد الصحابة - رضي الله عنهم - بل شهر بأنه عابد الصحابة - رضي الله عنهم -.

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٢٣٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٢).

^(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٧١١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم

(٧٩٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح، إلا أسود بن مسعود وحظلة ابن

خويلد، وقد وثقهما ابن معين كما في "التاريخ" من رواية عثمان بن سعيد الدارمي.

قوله: «مرفوع عنه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم-»: أي من قول النبي - صلى الله عليه وسلم -.

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

وما أضيف للنبي المرفوع **** وما لتابعي هو المقطوع.

«إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - صلى الله عليه وسلم -، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّحِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: "فَتَوَضَّعُ السَّحِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّحِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ" ^(١) والحديث مخرج في الصحيح المسند للشيخ مقبل - رحمه الله تعالى -.

^(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٣٩)، وابن ماجه في سننه (٤٣٠٠)، وهو في الصحيح المسند للإمام

الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٧٨٧)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

قوله: «عند الترمذي»: هو محمد بن عيسى بن سَورة صاحب جامع الترمذي والعلل.

قوله: «ابن ماجه»: هو محمد بن يزيد القزويني صاحب السنن وهو حديث صحيح.

قوله: «جاء تسمية الشرك سيئة»: في قول الله - عز وجل -: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

فلما ذكر أن الخلود لاحقٌ لهذا الصنف دل على أن المعصية هي الشرك الأكبر المخرج من الملة لأن من عقيدة أهل السنة أن المسلم لا يخلد في النار وأحاديث الشفاعة المتكاثرة تدل على خروج الموحدين من النار.

ومنها: حديث أبي سعيد -رضي الله عنه-: «يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا حُمًّا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، أَوْ الْحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»^(١) أخرجه مسلم.

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٤).

وقوله: «قال مجاهد»: هو ابن جبر المكي تلميذ ابن عباس -رضي الله عنه-.

قوله: «وأبو وائل وغيرهما»: شفيق بن سلمة، من تلاميذ ابن مسعود -رضي الله عنه-.

قوله: في تفسير ابن جرير: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفي: ٣١٠هـ) وتفسيره أوسع تفاسير السلف.

قوله: «السيئة المذكورة في هذه الآية هي الشرك»: فخرجت به بقية السيئات من الكبائر والصغائر.

والأخذ بتفسير السلف هو المتعين فعلى جميع المسلمين أن يأخذوا تفسير القرآن من القرآن أو من السنة أو من طريقة السلف الصالحين -رضوان الله عليهم-.

قوله: «وفي هذا بيان لجهل ضلال الخوارج في الاستدلال بمثل هذه الآية على تكفير عصاة المسلمين»: الخوارج قوم من المبتدعة، وبدعتهم أول بدعة في الإسلام، حيث كفروا المسلمين بمطلق المعاصي، فكل صاحب كبيرة عندهم كافر، وإن مات عليها يخلد في النار، وهو مذهب ردي وطريق غير سوي.

قال الإمام ابن أبي داود في حائته:

ولا تعتقد رأي الخوارج إنه *** مقال لمن يهواه يُردي ويفضح
ويرد عليهم بأدلة دخول أهل الكبائر الجنة، إما بتجاوز من الله أو بسبب
الشفاعة أو خروجهم من النار بعد العذاب، وقد جعل الله حدودًا لبعض
الذنوب، كسرب الخمر، وقطع يد السارق، وجلد الزاني غير المحصن
وجلد القاذف، ولو كانت فعل المعصية كفر لكان حدهم القتل ردة، لقول
النبي - صلى الله عليه وسلم -: [«من بدل دينه فاقتلوه» أخرجه البخاري].
فالخوارج جعلوا السيئة عامة فكل سيئة عندهم كفر وشرك مستدلين
بالآية والآية إنما هي في حق الشرك الأكبر المخرج من الملة.

وقد بوب البخاري في صحيحه: "باب كفر دون كفر وظلم دون ظلم".

لرد مثل هذا الباطل، ووقعوا في ذلك لجهلهم بدين الله - عز وجل -.

ومما يدل على جهلهم: ما أخرجه النسائي في الخصائص عن ابن عباس -
رضي الله عنه -: «لَمَّا خَرَجَتِ الْحُرُورِيُّۃُ اعْتَرَلُوا فِي دَارٍ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافٍ
فَقُلْتُ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْرِدْ بِالصَّلَاةِ، لَعَلِّي أَكَلِّمُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَالَ: إِنِّي
أَخَافُهُمْ عَلَيْكَ قُلْتُ: كَلَّا، فَلَبِسْتُ، وَتَرَجَّلْتُ، وَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ فِي دَارٍ
نِصْفِ النَّهَارِ، وَهُمْ يَأْكُلُونَ فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَمَا جَاءَ بِكَ؟
قُلْتُ هُمْ: أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُهَاجِرِينَ،

وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ عِنْدَ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَصِهْرِهِ، وَعَلَيْهِمْ
 نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ مِنْكُمْ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، لَا بُلَّغَكُمْ مَا
 يَقُولُونَ، وَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُونَ، فَاذْهَبْ لِي نَفَرٌ مِنْهُمْ قُلْتُ: هَاتُوا مَا نَقِمْتُمْ عَلَيَّ
 أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنِ عَمِّهِ قَالُوا: ثَلَاثٌ قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: أَمَّا
 إِحْدَاهُنَّ، فَإِنَّهُ حُكْمُ الرَّجَالِ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَقَالَ اللَّهُ: ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ مَا
 شَأْنُ الرَّجَالِ وَالْحُكْمِ؟ قُلْتُ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ قَالُوا: وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ، فَإِنَّهُ قَاتِلٌ، وَلَمْ
 يَسِبْ، وَلَمْ يَغْنَمْ، إِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّ سِبَاهَهُمْ، وَلَئِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مَا حَلَّ
 سِبَاهَهُمْ وَلَا قِتَالَهُمْ قُلْتُ: هَذِهِ ثِنْتَانِ، فَمَا الثَّالِثَةُ؟ وَذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا قَالُوا:
 حَيَّ نَفْسُهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ
 قُلْتُ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا؟ قَالُوا: حَسْبُنَا هَذَا قُلْتُ: لَهِمْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ
 قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَسُتِّ نَبِيِّهِ مَا يَرُدُّ قَوْلَكُمْ أَتَرْجِعُونَ؟
 قَالُوا: نَعَمْ قُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكُمْ: حُكْمُ الرَّجَالِ فِي أَمْرِ اللَّهِ، فَإِنِّي أَفْرَأُ عَلَيْكُمْ فِي
 كِتَابِ اللَّهِ أَنْ قَدْ صَيَّرَ اللَّهُ حُكْمَهُ إِلَى الرَّجَالِ فِي ثَمَنِ رُبْعِ دِرْهَمٍ، فَأَمَرَ اللَّهُ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَحْكُمُوا فِيهِ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ، وَأَنْتُمْ حُرْمٌ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا
 قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ وَكَانَ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ أَنَّهُ صَيَّرَهُ إِلَى
 الرَّجَالِ يَحْكُمُونَ فِيهِ، وَلَوْ شَاءَ لَحُكِمَ فِيهِ، فَجَازَ مِنْ حُكْمِ الرَّجَالِ، أَنْشَدُكُمْ

بِالله أَحْكُمُ الرَّجَالَ فِي صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيِّنِ، وَحَقِّنِ دِمَائِهِمْ أَفْضَلُ أَوْ فِي أَرْزَبٍ؟
 قَالُوا: بَلَى، هَذَا أَفْضَلُ وَفِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا
 حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ فَنَشَدْتُكُمْ بِاللهِ حُكَمَ الرَّجَالِ فِي صَلَاحِ
 ذَاتِ بَيْنِهِمْ، وَحَقِّنِ دِمَائِهِمْ أَفْضَلُ مِنْ حُكْمِهِمْ فِي بُضْعِ امْرَأَةٍ؟ خَرَجْتُ مِنْ
 هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ قُلْتُ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ قَاتِلْ وَلَمْ يَسِبْ، وَلَمْ يَغْنَمْ، أَفَتَسُبُّونَ أُمَّكُمْ
 عَائِشَةَ، تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا وَهِيَ أُمُّكُمْ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّا
 نَسْتَحِلُّ مِنْهَا مَا نَسْتَحِلُّ مِنْ غَيْرِهَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ قُلْتُمْ: لَيْسَتْ بِأُمَّنَا فَقَدْ
 كَفَرْتُمْ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ فَأَنْتُمْ بَيْنَ
 ضَلَائِلَتَيْنِ، فَأَتُوا مِنْهَا بِمَخْرَجٍ، أَفَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، وَأَمَّا مَخِي
 نَفْسِهِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنَا آتِيكُمْ بِمَا تَرْضَوْنَ. إِنْ نَبِيَّ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمِ يَوْمَ الْحُدَيْيَةِ صَالِحَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لِعَلِيٍّ: اكْتُبْ يَا عَلِيُّ هَذَا مَا صَالِحَ
 عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ قَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا قَاتَلْنَاكَ فَقَالَ رَسُولُ
 اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: اْمْحُ يَا عَلِيُّ اللّٰهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّي رَسُولُ اللهِ -
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، اْمْحُ يَا عَلِيُّ، وَاكْتُبْ هَذَا مَا صَالِحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ
 عَبْدِ اللهِ وَاللهُ لَرَسُولُ اللهِ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ، وَقَدْ مَحَى نَفْسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَحْوُهُ نَفْسَهُ

ذَلِكَ مَحَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ، أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ،
وَخَرَجَ سَائِرُهُمْ، فَقَتِلُوا عَلَى ضَلَالَتِهِمْ، فَقَتَلَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ^(١).
﴿ويمثل الخوارج في هذه الأيام: جماعة الجهاد، والقاعدة، وداعش.
والإباضية يعتبرون من الخوارج.

وقد اختلف العلماء فيتكفير الخوارج، والصحيح أن بدعتهم غير مكفرة
إلا إذا كفروا بأمر خارج عنها، كعبادة القبور أو إنكار شيء من القرآن، كما
فعلت العجاردة، وهذا هو اختيار شيخ الإسلام، وعليه شيخنا يحيى حفظه
الله، والله المستعان.



^(١) أخرجه الإمام النسائي في الخصائص ص (١٩٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى

الثالث: السابق بالخيرات.

قال ابن القيم في طريق المهجرتين (ص: ١٨٦):

[والسائرون] إلى الله وإلى دار السلام، وهم ثلاثة أقسام:

ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات بإذن الله.

وهؤلاء كلهم مستعدون للسير موقنون بالرجع إلى الله، ولكن متفاوتون

في التزود وتعبئة الزاد واختياره، وفي نفس السير وسرعته وبطئه.

فالظالم لنفسه مقصر في الزاد غير آخذ منه ما يبلغه المنزل لا في قدره ولا

في صفته، بل مفرط في زاده الذي ينبغي له أن يتزوده، ومع ذلك فهو متزود

ما يتأذى به في طريقه، ويجد غب أذاه إذا وصل المنزل بحسب ما تزود من

ذلك المؤذي الضار.

والمقتصد اقتصر من الزاد على ما يبلغه، ولم يشدَّ مع ذلك أحمال التجارة

الرابحة، ولم يتزود ما يضره، فهو سالم غانم لكن فاتته المتاجر الرباحة

وأنواع المكاسب الفاخرة. والسابق بالخيرات همه في تحصيل الأرباح وشد

أحمال التجارات لعلمه بمقدار الربح الحاصل، فيرى خسراناً أن يدخر شيئاً

مما بيده ولا يتجر به، فيجد ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجارتهم، فهو

كرجل قد علم أن أمامه بلدة يكسب الدرهم فيها عشرة إلى سبعمائة وأكثر،

وعنده حاصل وله خبرة بطريق ذلك البلد وخبرة بالتجارة، فهو لو أمكنه

بيع ثيابه وكل ما يملك حتى يهيئ به تجارةٍ إلى ذلك البلد لفعل، فهكذا حال السابق بالخيرات بإذن ربه يرى خسراناً بيناً أن يمر عليه وقت في غير متاجر. اهـ

قوله: «مراتب الدين ثلاثة»: فمن الأعلى إلى الأدنى الإحسان ثم الإيمان ثم الإسلام ومن الأدنى إلى الأعلى الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان. **والإسلام:** هو الاستسلام لله بالطاعة وقد تقدم.

والإيمان: هو الإقرار وسياتي تعريفه الشرعي.

والإحسان: هو المراقبة، وينقسم إلى قسمين:

١- **إحسان فيما بين العبد وبين الله - عز وجل -:** وهو أكمل أنواع الإحسان قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

٢- **إحسان بين العباد:** ويكون بكف الأذى وبذل الندى وطلاقة الوجه. **قوله:** «والدليل حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -»: وهو أبو حفص أمير المؤمنين ثاني أفضل هذه الأمة بعد النبي - صلى الله عليه وسلم -.

قال ابن عمر - رضي الله عنه -: [«كنا نقول ورَسُولُ اللَّهِ حَيٌّ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عِثْمَانُ وَلَمْ يَنْكَرْ ذَلِكَ عَلَيْنَا» متفق عليه.]

وهو الفاروق قال عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل إسلامه:
[«اللهم أعز الإسلام بأحب العمرين إليك»]، فأعز الله الإسلام بإسلام
عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -
: [«ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر» أخرجه البخاري .]

قوله: «في صحيح مسلم»: ثاني كتاب من الكتب المصنفة في الصحة أولها
البخاري ثم مسلم.

قوله: «رقم (٨)»: الصحيح أنه أول حديث في كتاب صحيح مسلم وما
كان قبله من الأحاديث فهي من المقدمة، وإنما هذا على ترقيم محمد فؤاد
عبد الباقي، وأحاديثها ليست على شرط الصحيح.

قوله: «أن جبريل عليه السلام»: هو أفضل الملائكة وأفضل الأملاك
عند الله - عز وجل - ثلاثة كان يتوسل النبي - صلى الله عليه وسلم -
بربوبيته الله - عز وجل - لهم حيث كان يقول: «اللهم رب جبرائيل
وميكائيل وإسرافيل»^(١) أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

فجبريل الملك الموكل بالوحي وإسرافيل الملك الموكل بالنفخ في الصور
وميكائيل الملك الموكل بالقطر واليهود تبغض جبريل قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ

^(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧٠).

عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ [البقرة: ٩٨].

قوله: «سأل رسول الله عن الإسلام»: ذكر المصنف الحديث على الاختصار وعلى ما عُلم مؤخرًا.

وإلا فإن لفظ الحديث: عن عمر -رضي الله عنه- قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله إذ جاء رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يعرفه منا أحد ولا يُرى عليه أثر السفر فجلس إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه ثم قال يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً. قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال فأخبرني عن أمراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاة الشاة يتطاولون في البيان قال ثم انطلق فلبث مليًا فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: يا عمر أتدرى من السائل،

قلت: الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- قال: هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم».

قوله: «أخرجه مسلم»^(١): وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- بالفاظ متقاربة.

قوله: «سأل عن الإسلام»: أي على أركانه وقد بينها النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قوله: «ثم عن الإيمان»: أي عن أركانه وقد بينها النبي -صلى الله عليه وسلم- وستأتي.

قوله: «عن الإحسان»: أي عن ركنه وسيأتي.



^(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجاء في صحيح الإمام البخاري (٥٠)، وفي صحيح الإمام مسلم (٩، ١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

قوله: «والدليل حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه»: وجاء عن عمر كما تقدم في حديث جبريل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «بني الإسلام على خمس» فشبّه النبي - صلى الله عليه وسلم - الإسلام بالبناء والبناء لا يقوم إلا على أركان وأعمده

قوله: «على خمس»: وهي أشهر وأظهر أمور الإسلام وإلا فمن الواجبات غير الخمسة مثل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة وغير ذلك لكن هذه الأركان اتفقت عليها الشرائع في الجملة ثم هي أعظم ما يتقرب إلى الله - عز وجل - به وهي جامعة لجميع أنواع العبادات القولية والفعلية والاعتقادية والمالية.

وفي الإيمان لابن أبي عبيد (ص: ٢٣): عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «[إن] للإسلام صوى ومنازا كمنار الطريق منها: أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئاً وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تسلم على أهلِكَ إذا دخلت عليهم وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم فمن ترك من ذلك شيئاً [فقد ترك سهماً من الإسلام ومن تركهن] فقد ولى

الإسلام ظهره^(١)، والحديث ضعيف السند، ولكنه ثابت المتن، على ما بينته في تحقيقي على كتاب الإيمان للقاسم بن سلام.

قوله: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم-»: وهذا ركن واحد لأن من شهد أن لا إله إلا الله ولم يقر لمحمد بالرسالة فليس بمؤمن.

﴿فكثير من اليهود والنصارى ربما يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وهو غير مؤمن؛ لأنه لم يؤمن برسالة محمد ﷺ.﴾

والشهادة الحقّة: هي الإخبار المطابق للواقع وتكون مع الاعتقاد، وإلا كانت كشهادة المنافقين.

قوله: «أن لا إله إلا الله»: أن لا معبود بحق إلا الله وهي أفضل كلمة ولا يدخل في الإسلام إلا بها؛ لحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم-»، وقد تقدم.

أي أرسله الله - عز وجل -، وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بالشهادتين في مواطن.

(١) أخرجه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في "كتاب الإيمان" (رقم الحديث ٣ بتحقيق الألباني)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٣٣٣)، وصححه في صحيح الجامع برقم (٢١٦٢).

قوله: «وإقام الصلاة»: أي المفروضة كما هو مبين في غير ما حديث فلا يطالب الإنسان أن يأتي بالنافلة وهو مضيع للفريضة، وهن خمس صلوات في اليوم والليلة، وكان فرضها ليلة المعراج، قبل الهجرة بثلاث سنوات.

والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام: وقواعده العظام ومن ضيعها فقد ضاع حظه من الدين لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: **«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»**^(١) وقال عمر - رضي الله عنه - لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة وعن أبي أيوب - رضي الله عنه - قال: **«جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: دُلّني على عملٍ أعمله يُدْني من الجنة، ويُباعدني من النار، قال: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ» فَلَمَّا أَذْبَرَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»**^(٢) متفق عليه.

ولها أوقاتها وشروطها وأركانها وستأتي إن شاء الله.

قوله: «وإيتاء الزكاة»: المراد به الزكاة المفروضة.

^(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٢١)، والإمام النسائي (٤٦٣)، والإمام ابن ماجه (١٠٧٩)، وهو

في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٧١).

^(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣)، وأخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (١٣٩٧)، من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فعن أبي أيوب -رضي الله عنه- قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِيَنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ» فَلَمَّا أَذْبَرَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

واختلف في فرضها: والصحيح أنها فرضت بمكة، وحددت أنصبتها بالمدينة، وأرسل رسول الله السعاة لجلبها في السنة التاسعة من الهجرة.

والزكاة: من الزكاء وهو النماء ومن التزكية وهي التطهير.

ولها أحكامها:

منها: إذا كانت زكاة الزرع: فيفرق بين ما سقي من السماء أو بالسانية، ففي حديث ابن عمر -رضي الله عنه- أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «فِيمَا سَقَتِ الْأَنْهَارُ، وَالْغَيْمُ الْعُشُورُ، وَفِيمَا سُقِيَ بِالسَّانِيَةِ نِصْفُ الْعُشْرِ»^(٢) أخرجه مسلم.

وإن كانت من المال الصامت أو من عروض التجارة: ففيها ربع العشر.

وضابطه: أن يقسم المال على أربعين، فالناتج هو الزكاة.

وتكون الزكاة في تسعة أصناف:

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩٨١).

في النقدين: الذهب والفضة، إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول، ونصاب الذهب ديناراً، ونصاب النفقة (٢٠٠) درهم.

وفي الغراس: النخل (التمر) والزبيب.

وفي الحبوب: (الحنطة والشعير) ونصابها وما قبلها إذا بلغت خمسة أوسق لحديث أبي سعيد متفق عليه: «لَيْسَ فِيهَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ، وَلَا فِيهَا دُونَ خَمْسِ دَوْدٍ صَدَقَةٌ، وَلَا فِيهَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ صَدَقَةٌ»^(١).

وفي بهيمة الأنعام: (البقر والغنم والابل)

وتكون زكاة الإبل والغنم: على ما في حديث أنس -رضي الله عنه- أَنَّ أَبَا بَكْرٍ -رضي الله عنه-، كَتَبَ لَهُ هَذَا الْكِتَابَ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ، «فَمَنْ سَأَلَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى وَجْهِهَا، فَلْيُعْطَهَا وَمَنْ سَأَلَ فَوْقَهَا فَلَا يُعْطِ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْإِبِلِ، فَمَا دُونَهَا مِنَ الْغَنَمِ مِنْ كُلِّ خَمْسٍ شَاةٍ إِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ إِلَى خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، فَفِيهَا بَنْتٌ مُحَاضٍ أَنْثَى، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَثَلَاثِينَ إِلَى خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فَفِيهَا بَنْتٌ لَبُونٍ أَنْثَى، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ إِلَى سِتِّينَ فَفِيهَا حَقَّةٌ طَرُوقَةٌ الْجَمَلِ، فَإِذَا بَلَغَتْ وَاحِدَةً وَسِتِّينَ إِلَى خَمْسٍ وَسَبْعِينَ، فَفِيهَا جَذَعَةٌ فَإِذَا بَلَغَتْ يَغْنِي سِتًّا وَسَبْعِينَ إِلَى

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٤٥٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٧٩).

تَسْعِينَ، ففِيهَا بِنْتَا لَبُونٍ فَإِذَا بَلَغَتْ إِحْدَى وَتَسْعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، ففِيهَا حَقَّتَانِ طَرُوقَتَا الْجَمَلِ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، ففِي كُلِّ أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونٍ وَفِي كُلِّ خَمْسِينَ حَقَّةٌ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا أَرْبَعٌ مِنَ الْإِبِلِ، فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا، فَإِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا مِنَ الْإِبِلِ، ففِيهَا شَاةٌ وَفِي صَدَقَةِ الْغَنَمِ فِي سَائِمَتِهَا إِذَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ شَاةٌ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ إِلَى مِائَتَيْنِ شَاتَانِ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى مِائَتَيْنِ إِلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ، ففِيهَا ثَلَاثُ شِيَاهٍ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ، ففِي كُلِّ مِائَةٍ شَاةٌ، فَإِذَا كَانَتْ سَائِمَةً الرَّجُلِ نَاقِصَةً مِنْ أَرْبَعِينَ شَاةً وَاحِدَةً، فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا وَفِي الرِّقَّةِ رُبْعُ الْعُشْرِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا تِسْعِينَ وَمِائَةً، فَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا»^(١) أخرجه البخاري.

ومن البقر: على ما في حديث معاذ -رضي الله عنه-: عَنْ طَاوُسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَعَثَ مُعَاذَ بْنَ الْجُبَلِ إِلَى الْيَمَنِ، «فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ ثَلَاثِينَ بَقَرَةً تَبِيعًا، وَمِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ مُسِنَّةً»^(٢)، فَأَتَى بِهَا دُونَ ذَلِكَ، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا، وَقَالَ: لَمْ أَسْمَعْ فِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَتَوَفَّى رَسُولُ

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٤٥٤).

^(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٦٢٣)، والترمذي (٦٢٣)، والنسائي (٢٥ / ٢٦)، وابن ماجه (١٨٠٣)، وأحمد (٢٣٠ / ٥)، وصححه ابن حبان (١٩٥ / ٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

الله قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ مُعَاذٌ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَبِهَذَا نَأْخُذُ لَيْسَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثِينَ مِنْ
الْبَقَرِ زَكَاةً، فَإِذَا كَانَتْ ثَلَاثِينَ فَفِيهَا تَبِيعٌ، أَوْ تَبِيعَةٌ، وَالتَّبِيعُ الْجَذْعُ الْحَوِيُّ، إِلَى
أَرْبَعِينَ، فَإِذَا بَلَغَتْ أَرْبَعِينَ فَفِيهَا مُسِنَّةٌ.

قال البيهقي في معرفة السنن والآثار - (٦ / ٤٤):

قال أحمد: قد روى المسعودي والحسن بن عمار عن الحكم عن طاوس
عن ابن عباس - رضي الله عنه - حديث معاذ - رضي الله عنه - موصولاً. اهـ
ومصارفها ثمانية: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ
وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ
السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠].

قوله: «والحج»: الحج في اللغة الزيارة وهو زيارة بيت الله الحرام
والإتيان بالمناسك في وقت مخصوص على هيئة مخصوصة.
وهو الذي بينه النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «خذوا عني
مناسككم»^(١) أخرجه مسلم عن جابر - رضي الله عنه -.

وكان فرضه: في السنة الثامنة من الهجرة، ولم يحج رسول الله إلا في السنة
العاشرة حين تطهرت الكعبة من المشركين.

فقد أرسل أبا بكر وعلي رضي الله عنه في العام التاسع بالبراءة:

^(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢٩٧).

كما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: «بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنَيْنِ يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَذِّنُ بِمَنَى: أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ثُمَّ أَرَدَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءةٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مَنَى يَوْمَ النَّحْرِ: «لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ»^(١).

وللحج شرط: وهو والاستطاعة.

وقد فسرت بالزاد والراحلة وأمن الطريق ويضاف في حق المرأة المحرم. لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تَوْمَنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَسَافِرَ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» أخرجه الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، وفي رواية: «يَوْمَ لَيْلَةٍ» وفي رواية: «يَوْمَ إِلَّا مَعَهَا مُحْرَمٌ مِنْهَا أَوْ مِنْ زَوْجِهَا»^(٢).

وأما مسألة العصبية النسائية: فلا دليل عليها؛ لأن النساء ليست بمحرم للنساء.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦٩)، والإمام مسلم في صحيحه (١٣٤٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٠٨٦، ١٠٨٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٣٣٨، ١٣٣٩).

قوله: «وصوم رمضان»: المراد به صوم شهر رمضان وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة.

وفيه: دليل على تسمية رمضان بهذا الاسم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

وساق المصنف اللفظ الذي رتب عليه البخاري صحيحه من تقديم الحج على الصيام.

ولهذه الأركان أحكامها وموضوعة كتب الفقه، وإنما ذكرت على ما يتعلق بباب العقيدة، وهي معرفة أركان الإسلام وقواعده العظام.

بيان حكم من ترك أركان الإسلام:

وقد اختلف العلماء في تكفير من ترك بعضها، والصحيح في هذه المسألة كفر من لم يقر بها، أو بشيء منها، أو من ناقض الشهادة بإحدى النواقض القولية أو الفعلية أو الاعتقادية، وكفر من ترك الصلاة على ما يأتي إن شاء الله تعالى.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٦١٠ / ٧):

وَأَمَّا مَعَ الْإِقْرَارِ بِالْوُجُوبِ إِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ فَفِي التَّكْفِيرِ أَقْوَالٌ لِلْعُلَمَاءِ هِيَ رَوَايَاتٌ عَنْ أَحْمَدَ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَكْفُرُ بِتَرْكِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَرْبَعَةِ حَتَّى الْحُجَّ وَإِنْ كَانَ فِي جَوَازِ تَأْخِيرِهِ نِزَاعٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فَمَتَى عَزَمَ عَلَى تَرْكِهِ بِالْكُلِّيَّةِ كَفَرَ وَهَذَا قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ وَهِيَ إِحْدَى الرِّوَايَاتِ عَنْ أَحْمَدَ اخْتَارَهَا أَبُو بَكْرٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَعَ الْإِقْرَارِ بِالْوُجُوبِ وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَهُوَ إِحْدَى الرِّوَايَاتِ عَنْ أَحْمَدَ اخْتَارَهَا ابْنُ بَطَّةَ وَغَيْرُهُ.

وَالثَّلَاثُ: لَا يَكْفُرُ إِلَّا بِتَرْكِ الصَّلَاةِ وَهِيَ الرِّوَايَةُ الثَّلَاثَةُ عَنْ أَحْمَدَ وَقَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ وَطَائِفَةٍ مِنَ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَطَائِفَةٍ مِنَ أَصْحَابِ أَحْمَدَ.

والرابع: يَكْفُرُ بِتَرْكِهَا وَتَرَكَ الزَّكَاةَ فَقَطَّ.

والخامس: بِتَرْكِهَا وَتَرَكَ الزَّكَاةَ إِذَا قَاتَلَ الْإِمَامَ عَلَيْهَا دُونَ تَرْكِ الصِّيَامِ

وَالْحَجِّ. انتهى

وقال أيضا كما في المجموع (٣٠٢ / ٧):

وَقَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِالشَّهَادَتَيْنِ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَأَمَّا الْأَعْمَالُ الْأَرْبَعَةُ فَاخْتَلَفُوا فِي تَكْفِيرِ تَارِكِهَا.

وَنَحْنُ إِذَا قُلْنَا: أَهْلُ السُّنَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِالذَّنْبِ فَإِنَّمَا نُرِيدُ بِهِ

الْمُعَاصِيَ كَالزُّنَا وَالشُّرْبِ وَأَمَّا هَذِهِ الْمُبَانِي فَبِهَا تَكْفِيرُ تَارِكِهَا نِزَاعٌ مَشْهُورٌ.

وَعَنْ أَحْمَد: فِي ذَلِكَ نِزَاعٌ.

وَإِحْدَى الرِّوَايَاتِ عَنْهُ: إِنَّهُ يَكْفُرُ مَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهَا وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي

بَكْرٍ وَطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ كَابِنِ حَبِيبٍ.

وَعَنْهُ رِوَايَةٌ ثَانِيَةٌ: لَا يَكْفُرُ إِلَّا بِتَرْكِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَقَطَّ.

وَرِوَايَةٌ ثَالِثَةٌ: لَا يَكْفُرُ إِلَّا بِتَرْكِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ إِذَا قَاتَلَ الْإِمَامَ عَلَيْهَا.

وَرِابِعَةٌ: لَا يَكْفُرُ إِلَّا بِتَرْكِ الصَّلَاةِ.

وَخَامِسَةٌ: لَا يَكْفُرُ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْهُنَّ. وَهَذِهِ أَقْوَالٌ مَعْرُوفَةٌ لِلْسَّلَفِ. اهـ

- والله الموفق -



[الفقرة السابعة والعشرون: ما هو الإيمان؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السابعة والعشرون: ما هو الإيمان؟

٢٧- فإذا قيل لك: ما هو الإيمان؟

فقل: هو نطق باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وهو يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

والدليل: على أنه نطق باللسان، وعمل بالجوارح: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»، متفق عليه.

والدليل: أنه اعتقاد بالقلب: حديث عمر - رضي الله عنه - الذي تقدم في أركان الإيمان، وقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»^(١)، متفق عليه.

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٤).

بعد أن تكلم المصنف حفظه الله على مرتبة الإسلام، ناسب أن يتكلم عن مرتبة الإيمان.

ومعرفة القول في الإيمان على طريقة السلف من الأمور المهمة، حيث خالف فيها الخوارج وكفروا المسلمين وأوجبوا النار لمن مات على الكبيرة وخالف فيها المرجئة ووقعوا فيما وقعوا فيه حتى أثبتوا الإيمان الكامل للزاني والسارق وشارب الخمر على أي حال كانوا بل ربما لتارك الصلاة بل لغير ذلك على ما هو مبين في المطولات، وضل فيه المعتزلة، فجعلوا فاعل الكبيرة في الدنيا في منزلة بين منزلتين، وأوجبوا له الخلود في النار في الآخرة موافقة للخوارج.

والإيمان في اللغة: الإقرار.

وقيل: التصديق.

وتعريفه بالإقرار أولى لأن الإقرار تصديق وزيادة من حيث أن الإنسان قد يصدق ولا يقر، بينما الإقرار يكون بتصديق مع العمل، وتعريفه بالإقرار هو اختيار شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - في كتابه الإيمان.

قوله: «فقل: هو نطق باللسان»: شهادة أن لا إله إلا الله، وقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من أعمال اللسان.

قوله: «واعتقاد بالقلب»: فيدخل فيه التصديق وما يليه كالتوكل والإنابة والخشية والإخلاص والخوف والرغبة والرغبة، وغير ذلك من أعمال القلوب.

قوله: «وعمل بالجوارح»: أي أعمال البدن كالصلاة والصوم والحج والزكاة والمشى إلى المسجد، وغير ذلك من أعمال البر التي تكون بالجوارح. وربما عرفه بعضهم بـ **قوله:** "الإيمان قول وعمل".

ويريد بالقول: قول القلب: وهو تصديقه.

وقول اللسان: وهو نطقه.

ويراد بالعمل: عمل القلب: وهو إخلاصه وتوكله وإنابته، وغيرها.

وعمل الجوارح: وهو الصلاة والصيام وغير ذلك.

وبمعرفة هذا التفصيل تفهم المسألة، وهي دخول الأعمال في مسمى الإيمان، فكل أعمال البر: القلبية أو القولية أو الفعلية داخلية في مسمى الإيمان.

قوله: «يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»: أي أن الإيمان يزيد بالأعمال الصالحة كالصلاة والصيام والحج والبر وغير ذلك وينقص بالمعاصي وتفصيله:

أن الزيادة تقع من أمرين:

الأول: فعل الصالحات

الثاني: ترك المنهيات من الأعمال.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: قال الله - عز وجل -: ﴿إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا " وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْزُقُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَارْزُقُوهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَارْزُقُوهُ بِمِثْلِهَا حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّاي " وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ»^(١) أخرجه مسلم.

والنقص يقع بأمرين:

الأول: ترك الواجبات.

والثاني: فعل المحرمات.

^(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢٩).

بيان أن ترك الواجب أشد، أم فعل المعصية أشد؟

وقد اختلف العلماء أيهما أشد إثمًا تارك الواجب أو فاعل المعصية.

وكان الترجيح: أن تارك الواجب أعظم إثمًا من فاعل المعصية،

ورجحوا ذلك بالنظر إلى قصة آدم عليه السلام - عليه السلام - وإبليس.

فآدم - عليه السلام -: وقع في النهي فتاب الله عليه ورُحِمَ.

وإبليس: خالف الأمر فطرد من رحمة الله عز وجل ورجم.

وقد ذكر ابن القيم في كتابه الفوائد أكثر من عشرين وجهًا في بيان هذه

المسألة في تعليقه على كلام سهل بن عبد الله ترك الأمر عند الله أعظم من

ارتكاب النهي لأن آدم نهي عن أكل الشجرة فأكل منها فتأب عليه وإبليس

أمر أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يتب عليه. اهـ

قوله: «والدليل على أنه نطق باللسان وعمل بالجوارح»: حديث أبي

هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «الإيمان بضع

وسبعون أو بضع وستون شعبة» رجع الحافظ ابن حجر - رحمه الله

تعالى - **قوله:** «بضع وستون».

والبضع: ما بين الثلاثة إلى العشرة.

قوله: «فأفضلها: قول: لا إله إلا الله»: أي أعلاها وأزكاها.

فيه: دليل على أن الإيمان يتفاضل فأعلاه قول لا إله إلا الله.

وهذا دليل على أن الإيمان نطقٌ باللسان ولا يصح الإيمان إلا بالاعتقاد.
ففيها: دليل على اعتقاد القلب أيضاً؛ لأنه لو قال: أشهد أن لا إله إلا الله بلسانه، ولم يقر بقلبه لم تنفعه، وقد كان المنافقون يقولون: لا إله إلا الله وما نفعتهم.

قوله: «وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق»: يعني أدنى مراتب الإيمان إزالة الأذى عن الطريق وهو أدنى الأعمال الصالحة.

كما في حديث أنس -رضي الله عنه-: «عُرِضْتُ عَلَى أَعْمَالٍ أَمْتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مُحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَدَى يُبَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النَّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا تُدْفَنُ»^(١) أخرجه مسلم.

ويستدل بهذا اللفظ على دخول عمل الجوارح في الإيمان.

قوله: «و الحياء شعبة من الإيمان»: والحياء خلقٌ عظيم يملك على مراقبة الله -عز وجل- وعدم مخالفة أمره.

وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»^(٢).

وفي رواية: «الحياء لا يأتي إلا بخير»^(٣)، من حديث عمران بن حصين -

رضي الله عنه-.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٥٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٧)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦١١٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٧).

ويدل على فضله حديث: «الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرْنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا، رُفِعَ الْآخَرُ»^(١) أخرجه الحاكم عن ابن عمر -رضي الله عنه-.

قوله: «متفق عليه»: الصحيح أن هذا اللفظ انفرد به مسلم والمتفق عليه بلفظ: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان».

قوله: «والدليل أنه اعتقاد بالقلب حديث عمر -رضي الله عنه- الذي تقدم في أركان الإيمان»:

وهو قوله: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره».

وهذا لا يكون إلا بالقلب: فتؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا. وبملائكة الله أنهم خلق من خلقه خلقهم من نور، وبرسله وكتبه وتؤمن بغير ذلك مما دل عليه من الأركان.

قوله: «وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾»:

التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله -عز وجل- في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة به -سبحانه وتعالى- وفعل الأسباب المأذون فيها شرعاً.

(١) أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه (ج ١ ص ٢٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(٧٥٢)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرطهما، فقد احتجا برواته، ولم يخرجاه بهذا اللفظ. اهـ

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»^(١) أخرجه الترمذي عن عمر - رضي الله عنه -.

وقد ضرب بالصحابة - رضي الله عنهم - **رضوان الله عليهم** - المثل الأعلى في هذه الشعيرة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ومن توكل على الله كفاه، ومن استهدى به هداه، ومن استعان به أعانه. والتوكل عمل قلبي، وهو أعظم المنازل التي يتميز بها السالك إلى الله - عز وجل -.

وقوله: «إن كنتم مؤمنين»: دل على أن التوكل شرط في الإيمان.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في مدارج السالكين (٢/ ١٢٨):

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْإِيمَانِ عِنْدَ انْتِفَاءِ التَّوَكُّلِ. فَمَنْ لَا تَوَكُّلَ لَهُ لَا إِيمَانَ لَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

^(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣٤٤)، والإمام ابن ماجه (٤١٦٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام

الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٩٨٦).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. اهـ

قوله: «وعن أنس»: وهو أبو حمزة الأنصاري، وقد تقدم.

قوله: «آية الإيمان حب الأنصار»: أي علامة الإيمان حب الأنصار وهذا عمل قلبي.

قوله: «و آية النفاق بغض الأنصار»: أي وعلامة النفاق بغض الأنصار وهو عمل قلبي.

والحديث: دليل على فضيلة الأنصار -رضوان الله عليهم- فقد آووا النبي - صلى الله عليه وسلم-، ونصروه وضحوا بأموالهم وأنفسهم وأكرموه.

فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَكَانَ شَهِيدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النَّبَإِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةُ مِنْ أَصْحَابِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ

شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ^(١) متفق عليه.

ولذلك أكرمهم الله برضاه عنهم وأكرمهم رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بالدعاء لهم بـ **قوله**: «اللهم اغفر للأَنْصَارِ ولأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ ولأَبْنَاءِ أَنْبَاءِ الْأَنْصَارِ»^(٢)، متفق عليه عن أنس.

وفي حديث عبد الله بن زيد -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكَتُ وَادِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا»^(٣) متفق عليه.

وفيه: أن بغض الصحابة -رضي الله عنهم- كفر؛ لأن الأنصار من حيث الجملة لفظ يطلق على المهاجرين والأنصار، فكلهم ناصرُوا النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فبغض الصحابة -رضي الله عنهم- والسب لهم لدينهم؛ كفر أكبر مخرج من الملة.

وهذا أحد أوجه كُفْرِ الروافض، حيث يكفرون أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٠٩).

^(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٩٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٠٦).

^(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٣٣٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٦١).

وقد استدل الإمام مالك - رحمه الله تعالى - على كفرهم بقول الله عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُهم فِي وُجُوهِهم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

قوله: «والدليل على أنه يزيد بالطاعة... قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾»:

(إنما المؤمنون): ظاهراً وباطناً.

(الذين إذا ذكر الله): بلسان الحال أو المقال، فالذكر طاعة الله - عز وجل -

كما قال سعيد بن جبير وغيره.

(وجلّت قلوبهم): رقت لذلك، واطمأنت وهذا عمل قلبي.

«وإذا تليت عليهم آياته»: أي القرآنية ويدخل فيها الأحاديث النبوية

«زادتهم إيماناً»: في قلوبهم وزيادة في العمل.

«وعلى ربهم يتوكلون»: أي يعتمدون.

وقوله: «وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾»: **السكينة: هي الطمأنينة.**

أنزلها الله على نبيه -صلى الله عليه وسلم-، وأصحابه -رضي الله عنهم- في مواطن؛ حتى لا يقع منهم التضعع أمام الكفار، **وزاد بنزولها إيمانهم:** قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: ٢٦].

وقوله: «يزداد الذين ءامنوا إيماناً»:

ومثلها: ﴿ويزداد الذين اهتدوا هدى﴾.

ففي القرآن أكثر من سبع آيات صريحة في زيادة الإيمان:

ذكر منها البخاري جملة في صحيحه فقال: "بَابُ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ"، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١] وَقَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

قوله: «والدليل على أنه ينقص بالمعصية أدلة زيادته»: فإنه قبل أن يزيد كان ناقصاً وما قبل الزيادة ينقص.

قوله: «قال الإمام البخاري في (كتاب الإيمان)»: وهو من أحسن الكتب المصنفة في الرد على المرجئة والخوارج وهو مطبوعٌ ضمن الجامع الصحيح

المسند من سنن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأيامه المعروف بـ: "صحيح البخاري".

(فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص): قاله تحت باب بعد ذكر قول الله - عز وجل -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

قوله: «وحديث شعب الإيمان الذي ذكرناه قريباً»: أي من الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه.

وهو حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «الإيمان بضع وستون شعبةً والحياة شعبةً من الإيمان» أخرجه البخاري ومسلم، حيث ذكر في لفظ مسلم أعلى وأدنى.

وقد ألف البيهقي - رحمه الله تعالى - كتاب: «شعب الإيمان» وأختصر إلى: «مختصر شعب الإيمان» ذكر فيه سبعة وسبعين شعبةً ويذكرها بأدلتها.

قال ابن القيم - رحمه الله - في كتاب الصلاة:

«وقد بينا أن المعاصي كلها شعب من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها شعب من شعب الإيمان، فالعبد تقوم به شعبة أو أكثر من شعب الإيمان، وقد يسمى بتلك الشعبة مؤمناً وقد لا يسمى، كما أنه قد يسمى بشعبة من شعب الكفر كافراً وقد لا يطلق عليه هذا الاسم فيها هنا أمران أمر اسمي

لفظي وأمر معنوي حكمي، فالمعنوي هل هذه الخصلة كفر أم لا؟، واللفظي هل يسمى من قامت به كافراً أم لا؟ فالأمر الأول شرعي محض، والثاني لغوي وشرعي» اهـ

قوله: «وحديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-:» أي ومن الأدلة على الزيادة والنقصان حديث أبي سعيد -رضي الله عنه- وهو: سعد بن مالك الأنصاري -رضي الله عنه- من المكثرين في رواية حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال الناظم - رحمه الله تعالى -:

والمكثرون في رواية الأثر *** أبو هريرة يليه ابن عمر
وأنس والحبر كالخدري *** وجابر وزوجة النبي
قوله: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده»: فمن رأى منكم يا معاشر المسلمين منكر فليكن مغير له بيده، وهذه أقوى درجات التغير، ودليل على قوة الإيمان.

قوله: «فإن لم يستطع فبلسانه»: أي فإن عجز عن التغير باليد فليغير بالقول، كقوله اتقوا الله، **وقوله:** هذا حرام وهذا حلال، افعلوا الحلال واتركوا الحرام، ويدخل فيه الخطب والمحاضرات والنصائح.

قوله: «فإن لم يستطع فبقبله»: أي إن عجز عن التغيير باليد واللسان فلا أقل من أن يبغضه بقلبه، وذلك أضعف الإيمان ولا يعذر فيه أحد لأنه عمل قلبي لا يطلع عليه إلا الله - عز وجل -.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢٥/٢):

فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَبِقَلْبِهِ»: مَعْنَاهُ فَلْيَكْرَهُهُ بِقَلْبِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِإِزَالَةٍ وَتَغْيِيرٍ مِنْهُ لِلْمُنْكَرِ؛ وَلَكِنَّهُ هُوَ الَّذِي فِي وَسْعِهِ. اهـ

وفي قوله: «وذلك أضعف الإيمان»: دليل على أن الإيمان ينقص.

قوله: «أخرجه مسلم»: في كتاب الإيمان رقم: (٤٩).

وفي ما تقدم من الأدلة تتقرر مسألة مهمة وهي مسألة دخول الأعمال في مسمى الإيمان، سواء كانت الأعمال القلبية أو القولية أو الفعلية. وهذه المسألة خالف فيها المرجئة، وزعموا أن الأعمال ليست من الإيمان، وقد رد عليهم العلماء قاطبة.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١٠٤/١):

وَالْمَشْهُورُ عَنِ السَّلَفِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، وَأَنَّ الْأَعْمَالَ كُلَّهَا دَاخِلَةٌ فِي مُسَمًّى الْإِيمَانِ.

وَحَكَى الشَّافِعِيُّ عَلَى ذَلِكَ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ أَذْرَكَهُمْ.

وَأَنْكَرَ السَّلَفُ عَلَى مَنْ أَخْرَجَ الْأَعْمَالِ مِنَ الْإِيمَانِ إنْكَارًا شَدِيدًا. وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَى قَائِلِهِ، وَجَعَلَهُ قَوْلًا مُحَدَّثًا: سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ، وَقَتَادَةُ، وَأَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَالزُّهْرِيُّ، وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، وَغَيْرُهُمْ.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: هُوَ رَأْيٌ مُحَدَّثٌ، أَدْرَكْنَا النَّاسَ عَلَى غَيْرِهِ.

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: كَانَ مَنْ مَضَى مِمَّنْ سَلَفَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ.

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ: [أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ فَرَائِضُ وَشَرَائِعُ] [وَحُدُودٌ] وَسُنَنٌ، فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا، اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ. وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا، لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ". [قِيلَ: الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى دُخُولِ الْأَعْمَالِ فِي الْإِيمَانِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ «النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: لَوْ فِدَ عَبْدُ الْقَيْسِ: أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ: «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَهَلْ

تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ^(١).

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ": عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» وَلَفْظُهُ لِمُسْلِمٍ.

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ": عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٢).

فَلَوْلَا أَنْ تَرَكَ هَذِهِ الْكِبَائِرَ مِنْ مُسَمَّى الْإِيمَانِ، لَمَا انْتَفَى اسْمُ الْإِيمَانِ عَنْ مُرْتَكِبِ شَيْءٍ مِنْهَا؛ لِأَنَّ الْإِسْمَ لَا يَنْتَفِي إِلَّا بِانْتِفَاءِ بَعْضِ أَرْكَانِ الْمُسَمَّى أَوْ وَاجِبَاتِهِ. اهـ

وأخرج الأجرى في الشريعة (٢/ ٥٥٣):

عن مُحَمَّد بن عَبْدِ الْمَلِكِ الْمُصَيِّصِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢٣، ١٣٩٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٧٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٧).

عُيِّنَتْ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَالَ: "قَوْلٌ وَعَمَلٌ
 قَالَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ قَالَ: "يَزِيدُ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَيَنْقُصُ حَتَّى لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنْهُ
 مِثْلُ هَذِهِ، وَأَشَارَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ، قَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ نَصْنَعُ بِقَوْمٍ عِنْدَنَا يَزْعُمُونَ
 أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ الْقَوْلُ قَوْلُهُمْ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ أَحْكَامُ
 الْإِيمَانِ وَحُدُودُهُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
 النَّاسِ كُلِّهِمْ كَافَّةً أَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه
 وسلم-، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ
 عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ
 بِالصَّلَاةِ، فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ، فَلَمَّا
 عَلِمَ اللَّهُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَمَرَهُمْ
 فَفَعَلُوا، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ وَلَا صَلَاتُهُمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ
 صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى مَكَّةَ فَيُقَاتِلُوا آبَاءَهُمْ
 وَأَبْنَاءَهُمْ، حَتَّى يَقُولُوا كَقَوْلِهِمْ، وَيُصَلُّوا صَلَاتَهُمْ، وَيُهَاجِرُوا هَجْرَتَهُمْ،
 فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، حَتَّى آتَى أَحَدُهُمْ بِرَأْسِ أَبِيهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه
 عليه وسلم-، هَذَا رَأْسُ شَيْخِ الْكَافِرِينَ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ
 الْأَوَّلُ، وَلَا صَلَاتُهُمْ، وَلَا هَجْرَتُهُمْ، وَلَا قِتَالَهُمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صِدْقَ
 ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالطَّوَّافِ بِالْبَيْتِ تَعْبُدًا، وَأَنْ يَخْلُقُوا

رُءُوسَهُمْ تَذَلُّلاً فَفَعَلُوا، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ، وَلَا صَلَاتِهِمْ، وَلَا مُهَاجَرَتِهِمْ، وَلَا قَتْلُ آبَائِهِمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ، فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، حَتَّى اتَّوَا بِهَا، قَلِيلَهَا وَكَثِيرَهَا، وَاللَّهُ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ، وَلَا صَلَاتِهِمْ، وَلَا مُهَاجَرَتِهِمْ، وَلَا قَتْلُهُمْ آبَاءَهُمْ، وَلَا طَوَافُهُمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ الصِّدْقَ مِنْ قُلُوبِهِمْ فِيمَا تَتَابَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ وَحُدُودِهِ قَالَ لَهُ: قُلْ لَهُمْ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. قَالَ سُفْيَانُ: فَمَنْ تَرَكَ حَلَّةً مِنْ خِلَالِ الْإِيمَانِ جَاحِدًا كَانَ بِهَا عِنْدَنَا كَافِرًا، وَمَنْ تَرَكَهَا كَسَلًا أَوْ تَهَاوُنًا، أَدَبْنَاهُ، وَكَانَ بِهَا عِنْدَنَا نَاقِصًا، هَكَذَا السُّنَّةُ أَبْلَغَهَا عَنِّي مَنْ سَأَلَكَ مِنَ النَّاسِ".

والكلام في هذا الباب حصر في خمسة أبواب:

الأول: أن الإيمان قول وعمل على ما تقدم.

الثاني: أن الإيمان يزيد وينقص.

الثالث: أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

الرابع: العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام والتحقيق أنها إذا اجتمعا

فالإسلام يدل على الأعمال الظاهرة والإيمان على الأعمال الباطنة، وإذا

افترقا دل كل منهما على معنى الآخر، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه

في قصة وفد عبد قيس قَالَ: "أَمَرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ، فَقَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا حُسْنَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَاءِ، وَالْحَتَمِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُقَيْرِ» زَادَ خَلْفَ فِي رِوَايَتِهِ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَعَقَدَ وَاحِدَةً.

ففسر الإيمان بأعمال الإسلام.

الخامس: الاستثناء في الإيمان والمراد بالاستثناء: قول أنا مؤمن إن شاء الله أو أرجوا إلى غير ذلك، والناس في هذه المسألة انقسموا إلى ثلاثة أقسام: قوم أوجبوا الاستثناء في الإيمان، وقوم حرموه، وقوم جوزوا الأمرين وهذا أصح الأقوال^(١).

ويكون الاستثناء جائزاً إذا كان خائفاً من تزكية النفس وكذا باعتبار ما يجتم له، أو كان عنده تقصير في فعل المأمورات، أما إن كان الاستثناء على الشك فهذا محرم لا يجوز قطعاً.

وقد نقل أبو يعلى إجماع السلف على جواز الاستثناء في الإيمان^(٢).

(١) راجع «الإيمان» لابن تيمية (٤١٠).

(٢) «مسائل الإيمان» لأبي يعلى (٤٤٥).

قال الآجري - رحمه الله تعالى - في الشريعة (٦٥٦/٢):

من صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم الاستثناء في الإيمان لا على
جهة الشك، نعوذ بالله من الشك في الإيمان، ولكن خوف التزكية لأنفسهم
من استكمال الإيمان لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا. **اهـ**



[تتمة: ذكر شيء من فضائل الصحابة رضي الله عنهم]

ومن باب تتممة الكلام نذكر شيئاً من فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨-٩﴾ [الحشر: ٨-٩].

وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرِ أَوْ أَنْشَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران: ١٩١-١٩٥].

وقال عز وجل: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

[التوبة: ٨٨-٨٩].

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

وقال عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤١-٤٢].

وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨].

وقال ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم -.

فمن فضائل الصديق الأكبر (أبوبكر رضي الله عنه):

ما جاء عند البخاري (٣٦٥٦): عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي».

وفي حديث أبي سعيد عند البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)؛ أن رسول الله جلس على المنبر؛ فقال: «عَبْدُ خَيْرِهِ اللَّهُ يَنْ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَيَنْ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ»؛ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْمُحَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامُ لَا تُبْقَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةً إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ».

وأخرج مسلم في صحيحه (٢٣٨٣): عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -؛ قال: قال رسول الله: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا».

وفي الصحيحين: البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤): عن عمرو بن العاص -رضي الله عنه-: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشٍ ذَاتِ السَّلَاسِلِ؛ فَاتَيْنُهُ، فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»؛ فَعَدَّ رِجَالًا.

وأخرج مسلم (١٠٢٨): عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وأخرج البخاري (٣٦٦١): عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرْفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ،

مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُ: كَذَبْتُ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُودِي بَعْدَهَا.

وأخرج البخاري (٣٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨٨): عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا الذَّنْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهَا حَتَّى اسْتَقْدَهَا، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذَّنْبُ فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهِ وَابُوبَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمَا تَمَّ ابُوبَكْرٍ وَعُمَرُ».

وأخرج البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩١): عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ فَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَزَعَهَا ذُنُوبًا أَوْ ذُنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنِ».

وفيها: البخاري (٣٦٦٦) ومسلم: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ

شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ لَكَ وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ عَلَى مَنْ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضُرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ.

وفي الصحيحين: البخاري (٣٦٧٤) ومسلم: عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -: «أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقُلْتُ: لَا لَزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا كُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا قَالَ: فَجَاءَ الْمَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَاهُنَا فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ أَرِيْسٍ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بَيْتِ أَرِيْسٍ وَتَوَسَّطَ قُفُّهَا وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبَيْتِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ فَقُلْتُ: لَا كُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الْيَوْمَ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «إِذْنُ لَهُ وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ» فَأَقْبَلْتُ: حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ

الله - صلى الله عليه وسلم - يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مَعَهُ فِي الْقُفِّ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبُئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقْنِي فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يُرِيدُ أَخَاهُ يَأْتِي بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «أُذِّنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَبَشِّرْكَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبُئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِي بِهِ فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «أُذِّنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ» فَجِئْتُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ وَبَشِّرْكَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِيَ فَجَلَسَ وَجَاهُهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ. قَالَ شَرِيكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَلَّتْهَا قُبُورُهُمْ».

ومن فضائل عمر - رضي الله عنه -:

نزيد على ما تقدم في البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم: عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرَّمِيصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشْفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفَنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا، فَقَالَ: لِعُمَرَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ، فَأَنْظَرُ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارٌ».

وأخرج البخاري (٣٦٨١) ومسلم: عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أُتِيتُ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ فِي ظُفْرِي، أَوْ قَالَ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ فَضْلَهُ عُمَرَ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَوْلَتْهُ قَالَ: «الْعِلْمُ». ورؤيا الأنبياء وحي.

واتفقا: على حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - البخاري رقم (٣٦٩١) ومسلم: قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ» قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الدِّينُ».

وأخرج البخاري (٢٦٨٣) ومسلم (٢٣٩٦): عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمُنَهُ وَيَسْتَكْثِرُنَّهُ عَالِيَةً أَصَوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَتَدَرْنَ الْحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَرَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَضْحَكُ فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّائِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ.

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَدَوَاتٍ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنِي، وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، قُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَغْلَطُ، وَأَفْظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَبَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَبَجًّا غَيْرَ فَبَجِّ».

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: صَعِدَ أَحَدًا وَأَبْوَكَرَ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ؛ فَجَفَّ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «اثْبُتْ أَحَدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ» رواه البخاري (٣٦٨٦).

ومن فضائل عثمان - رضي الله عنه -:

نزيد على ما تقدم قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في شأنه: «مَنْ يَخْفِرْ بِرُ رُومَةٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ» فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ» فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ.

وأخرج البخاري (٣٦٩٦): "عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْحِيارِ؛ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنَ عَبْدِ يَغُوثَ قَالَا: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الْوَلِيدِ؛ فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ، قَالَ مَعْمَرٌ: أَرَاهُ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ؛ فَاَنْصَرَفْتُ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَاتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا - صلى الله عليه وسلم - بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم -؛ فَهَاجَرْتُ الْهَجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَذْرَكْتَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -؟، قُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى الْعَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا - صلى الله عليه وسلم - بِالْحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَأَمَنْتُ بِمَا بَعَثَ بِهِ وَهَاجَرْتُ الْهَجْرَتَيْنِ كَمَا قُلْتُ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -

وسلم- وبَايَعْتُهُ؛ فَوَ اللَّهِ مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ -صلى الله عليه وسلم-، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ؛ أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ، أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الْوَلِيدِ؛ فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالْحَقِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا؛ فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ..

وأخرج رقم (٣٦٩٨): عن عُثْمَانَ ابْنِ مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتِ؛ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنْ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ؛ فَحَدَّثَنِي: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ، وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؛ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَى أَبَيْنَ لَكَ؛ أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ»، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؛ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ

رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»؛ فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الْآنَ مَعَكَ.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ (٢٢٠١): عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخْذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَسَوَّى ثِيَابَهُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ؛ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ، فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ».



ومن فضائل رابعهم وهو: علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -:

ما أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦): عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رضي الله عنه -: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَثَمُ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ؛ فَأَتِي بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ؛ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ؛ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

وقال عنه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي» رواه البخاري برقم (٤٤١٦)، ومسلم برقم (٢٤٠٤).

وفي مسلم (٧٨) عنه - رضي الله عنه - أنه قال: "وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ؛ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُجَبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ".

وعن بريدة عند أحمد (٣٤٧/٥) وغيره مرفوعاً: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ؛ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ».

ثم بقية العشرة و هم المذكورون في حديث عبد الرحمن بن عوف عند الترمذي (٣٧٤٧) قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ».

وجاء الحديث عن سعيد بن زيد أيضاً عند الترمذي (٣٧٤٨)، والحديث حسن.

وقد مات رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو عنهم راضٍ كما في البخاري (٣٧٠٠) عن عمر رَضِيَ الله عَنْهُ، وذكر علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وسعيداً.

هذه إشارات إلى فضائل هؤلاء القوم الذين نصر الله بهم الدين، وأعز بهم المسلمين.

ومن الواجبات تجاههم: أن نترحم عليهم ونذكر فضائلهم ونكف عن مساوئهم لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وفي حديث عائشة -رضي الله عنها- في مسلم: قالت: «يا ابن أخي، أمروا أن يستغفروا لهم؛ فسبوهم».

وقال السفاريني في «منظومته»:

وليس في الأمة كالصحابة	في الفضل والمعروف والإصابة
لأنهم شاهدوا المختار	وعاينوا الأسرار والأنوار
وجاهدوا في الله حتى بانا	دين الهدى وقد سما الأديانا
وقد أتى في محكم التنزيل	من فضلهم ما يشفي للغيل
وفي الأحاديث وفي الآثار	وفي كلام القوم والأشعار
ما قد ربا من أن يحيط نظمي	عن بعضه فاقنع وخذ من علمي
واحذر من الخوض الذي قد يزري	بفضلهم مما جرى لو تدري
فإنه عن اجتهاد قد صدر	فاسلم أذل الله من لهم هجر
وبعدهم فالتابعون أخرى	بالفضل ثم تابعوهم طرا

-وبالله التوفيق -



[الفقرة الثامنة والعشرون: كم أركان الإيمان؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثامنة والعشرون: كم أركان الإيمان؟

٢٨- فإذا قيل: كم أركان الإيمان؟

فقل: ستة أركان.

والدليل: حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في صحيح مسلم أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- سَأَلَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: «صَدَقْتَ»، وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-.

الشرح:

بعد أن ذكر حفظه الله ما يتعلق بمسائل الإيمان ناسب أن يذكر أركان الإيمان وهي الأصول العظام التي نزل بها القرآن، وجاءت بها سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي ستة أركان مبناها على اعتقاد القلب ومؤداها إلى صلاح الظاهر والباطن.

والدليل على هذه الأركان من القرآن: قول الله -عز وجل-: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾.

ودليل القدر: قوله الله - عز وجل -: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾
[القمر: ٤٩]، وقال - عز وجل -: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾
[الاحزاب: ٣٨].

والدليل من السنة: حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن النبي -
صلى الله عليه وسلم - سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال: «أن تؤمن
بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».
قوله: «أن تؤمن بالله»: أن تقر بالله - عز وجل - ربًّا، وبدأ به لأن حق الله
- عز وجل - هو المقدم رتبة ولفظًا والإيمان بالله - عز وجل - يتضمن أربعة
أركان الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته والأدلة على
وجوده عقلية وحسية وفطرية ونقلية.

وقد أحسن من قال:

وفي كل شيء له آية ❀❀❀ تدل على أنه واحد.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

والإيمان بالله أفضل الأعمال: فقد سئل النبي - صلى الله عليه وسلم -: **«أي العمل أفضل قال: إيمانٌ بالله وجهاد في سبيله»** أخرجه البخاري [عن أبي ذر - رضي الله عنه -].

وهو سبيل المؤمنين: قال الله - عز وجل -: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

قوله: «وملائكة»: ملائكة الله هم جنوده وخلقهم الله - عز وجل - من نور.

كما في حديث عائشة رضي الله عنها: **«خلق الجن من نار وخلق الملائكة من نور وخلق الإنسان مما ذكر لكم»** أخرجه مسلم. [

وهم خلق كثير قال الله - عز وجل - : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

❏ **ولا يجوز التفريق بينهم:** فمن أبغضهم أو كفر أو كذب بواحد منهم كان من الكافرين قال الله - عز وجل - : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].
❏ **وقد ذكر الله - عز وجل - كثيرًا من أوصافهم في كتابه:**

فمنهم: الصافون والمسيحون.

ومنهم: الرسائل والعاصفات والناشرات والفارقات.

ومنهم: المقسمات.

حالمهم كما قال الله - عز وجل - : ﴿لَا يَعصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ []

وهم مخلوقات عظيمة: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «لقد رأيت جبريل له ستمائة جناح ساد عظم خلقه ما بين السماء والأرض»^(١) متفق عليه، عن عائشة رضي الله عنها.

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٢٣٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٤).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام قد مرقت رجلاه في الأرض السفلى»^(١)، أخرجه أبو داود عن جابر -رضي الله عنه.

فمنهم: ملك الوحي وهو جبريل -عليه السلام-.

ومنهم: الملك الموكل بالنفخ في الصور، والإجماع على أنه إسرافيل -عليه السلام-.

ومنهم: مالك خازن النار: قال الله -عز وجل-: ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُورٌ﴾ [الزخرف: ٧٧].

ومنهم: خازن الجنة: ولا يثبت أن اسمه رضوان.

ومنهم: ملك الموت: ولا يثبت أن اسمه عزرائيل.

ومنهم: الملك الموكل بالقطر، وهو ميكائيل -عليه السلام-.

ومنهم: سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت المعمور كل يوم آخر ما عليهم.

ومنهم: الملائكة الموكلة بالأرحام.

ومنهم: ملك الجبال.

^(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٢٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم

وما من حركة ولا سكنة في هذا العالم إلا وكل بها ملائكة يقومون بها.
قال الله - عز وجل -: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

وقال - عز وجل -: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].
قال ابن أبي العز رحمة الله: منهم الصافات والمسبحات والتأنيث للجماعات لا الأفراد فإنهم رجال كما جاء في حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه -: «من هذا الرجل الذي يحش النار»^(١) أخرجه البخاري.
وإنما وصفهم بالإناث الكفار؛ قال الله - عز وجل -: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ - الآية.
فجعل الله سبحانه وتعالى الإيثار هو الإيثار بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة.
بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٠٤٧).

وقال صلى الله عليه وسلم، في الحديث المتفق على صحته، حديث جبرائيل وسؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

وأما الملائكة: فهم الموكلون بالسموات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾، ﴿فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾.

وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم.

وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمل وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها.

ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها وعمل آلاتها ملائكة،

فالملائكة أعظم جنود الله، ومنهم: المرسلات عرفا والناشرات نشرًا والفارقات فرقا والملقيات ذكرا.

ومنهم: النازعات غرقا، والناشطات نشطا، والسابحات سبحا، فالسابقات سبقا.

ومنهم: الصافات صفا، فالزاجرات زجرا، فالتاليات ذكرا.

ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات، التي مفردتها: "فرقة" و"طائفة" و"جماعة".

ومنهم: ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله.

ولفظ "الملك" يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره:

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ﴾، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾، ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به. لا يقصر عنه ولا

يتعداه، وأعلامهم الذين عنده: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾.

ومنهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون الأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد أظمت السماوات بهم، وحق لها أن تنط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راقع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفيهم بالعرش وحملهم له، وبراءتهم من الدنو، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص.

قال تعالى: ﴿كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ﴾.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.
 ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ
 وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾. انتهى من شرح الطحاوية.

قوله: «وكتبه»: المنزلة على رسله وهي كتب كثيرة قال الله - عز وجل -:
 ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥].
لكن علمنا منها: بالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم،
 وصحف موسى، **وقيل:** هي التوراة.

ونؤمن بأنها قد غيرت وبدلت إلا القرآن فهو كتاب مهيم، ومحفوظ
 قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].
 وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
 حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

فيجب علينا: أن نؤمن به وبما جاء فيه وأنه كلام الله غير مخلوق منه
 بدأ وإليه يعود وأن نعمل بمحكمه ونؤمن بمُتشابهه ونتعبد بقراءته آناء
 الليل وأطراف النهار.

فعن ابن عمر -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَآتَاءَ النَّهَارِ»^(١).

قوله: «ورسله»: أي والإيمان برسُل الله -عز وجل- فيؤمن بمن أخبر الله -عز وجل- منهم.

وقد قص الله -عز وجل- علينا منهم خمسة وعشرين رسولاً ونبياً. قال الله -عز وجل-: ﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَصَّصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

قال الله -عز وجل-: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقد نظمها بعضهم في قوله:

في تلك حجتنا منهم ثمانية *** من بعد عشر ويبقى سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح وكذا *** ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا
قال الله -عز وجل-: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ
دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا
هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٥٢٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٨١٥).

وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

ونؤمن بأن محمداً آخرهم، فيجب علينا أن نطيعه فيما أمر ونصده فيه فيما أخبره وأن ننتهي عما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله - عز وجل - إلا بما شرع ونؤمن أن كل رسول كان يرسل إلى قومه خاصة إلا النبي - صلى الله عليه وسلم - فإنه أرسل إلى الناس عامة.

قوله: «واليوم الآخر»: والمراد به القبر وما بعده فعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فيما يرويه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : «القبر أول منازل الآخرة فمن سلم منه فما بعده أيسر»^(١) أخرجه أحمد.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث والنشور وتطابير الصحف ومجيء الله - عز وجل - للفصل بين العباد، قال الله - عز وجل - : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ٥٨].

وقال الله - عز وجل - : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

^(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٢٦٧)، وحسنه في صحيح سنن ابن ماجه، وفي المشكاة (١٣٢)،

تخريج المختارة (٣٦٦ - ٣٦٧).

وقال الله -عز وجل-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَينقلبُ إلى أهله مسرورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

ويدخل فيه الإيمان بالصرائط والميزان والشفاعة وغير ذلك مما قصه الله -عز وجل- وأخبر عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

قوله: «وتؤمن بالقدر خيره وشره»:

أي أن الخير والشر من الله قال الله -عز وجل-: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

ويدخل في معنى هذه الآية الشر، قال الله -عز وجل-: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ومما يعمل العباد الشر.

وفي الحديث: «[الله خالق كل صانع وصنعه]»، أخرجه في خلق أفعال العباد.

فلا يتحقق الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بأن الله -عز وجل- خالق كل شيء.

خلق الخير وهو محبه ويرضاه، وخلق الشر وهو يبغضه ويأباه؛ لحكمة. ورأس الشر إبليس وخالقه الله سبحانه وتعالى.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بأربع مراتب:

الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء، ومن أنكر علم الله عز وجل كفر، قال ابن عمر رضي الله عنه: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي»، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا، فَانْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»^(١).

قال: ﴿والله بكل شيء عليم﴾، وقال: ﴿والله بكل شيء محيط﴾.

فلا يعزب عنه شيء في الأزل ولا في الأبد ولا تخفي عليه خافية.

الثانية: الإيمان بكتابة الله - عز وجل - القدر.

وأنه لما خلق القلم قال: «اكتب ما كان وما يكون إلى قيام الساعة»^(٢)،

أخرجه أبو داود عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -.

فما من حركة ولا سكون ولا نفس ولا أكل ولا شرب ولا دخول ولا خروج ولا كلام ولا شيء في هذا العالم إلا وهو مكتوب في اللوح المحفوظ.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٠٠)، والإمام الترمذي (٢١٥٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله

تعالى في السنن.

قال الله - عز وجل -: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال: ﴿وعنده أم الكتاب﴾، والمراد به اللوح المحفوظ.

الثالثة: الإيمان بمشيئة الله وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله - عز وجل - النافذة، قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿أَنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

﴿فالكفر والطاعة بمشيئة الله﴾، إلا أنه يجب الطاعة ويُثيب عليها ويبغض الكفر والمعصية ويعاقب عليها.

ومن المعلوم أن العبد هو الفاعل وليس بمجبور على شيء من الأعمال بل أنه يفعل باختياره، ولذلك يجاز به الله على فعل الطاعات وقد يعاقبه على فعل المنكرات، ولا اعتراض على قدر الله، لما خلق أو فعل فإن هذا السؤال سببٌ لحيرة كثير من الأمم، بل نؤمن أن ما من شيء خلقه الله إلا على مقتضى حكمته.

فخلق إبليس له حكمة وخلق جبريل له حكمة وبوجود إبليس تحققت مصالح عظيمة للمؤمنين حيث أنزل الله الكتب وأرسل الرسل وشرع الجهاد والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك فيجاهد

المؤمنون ويتحصلون على الدرجات العظيمة يجاهدون أنفسهم على طاعة الله وصبراً عن معصية الله ويجاهدون المنافقين والكافرين والشيطان قال الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

وأما معنى حديث علي - رضي الله عنه -: «والشر ليس إليك»^(١) أخرجه مسلم.

فالمراد به ما قاله النووي - رحمه الله تعالى -: (٥٩ / ٦):

قوله: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»: فَمِمَّا يَجِبُ تَأْوِيلُهُ لِأَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ كُلَّ الْمُحَدَّثَاتِ فِعْلُ اللَّهِ تَعَالَى وَخَلْقُهُ سَوَاءٌ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، وَحِينَئِذٍ يَجِبُ تَأْوِيلُهُ وَفِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: مَعْنَاهُ لَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْكَ قَالَهُ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ وَالنَّضَرُ بْنُ شَمِيلٍ وَاسْحَقُ بْنُ رَاهَوِيَّةَ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ وَالْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَالثَّانِي: حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ عَنِ الْمُزْنِيِّ وَقَالَ غَيْرُهُ أَيْضًا مَعْنَاهُ لَا يُصَافُ إِلَيْكَ عَلَى انْفِرَادِهِ.

^(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧١).

لَا يُقَالُ: يَا خَالِقَ الْقِرْدَةِ وَالْحَنَازِيرِ، وَيَا رَبَّ الشَّرِّ وَنَحْوُ هَذَا وَإِنْ كَانَ خَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ الشَّرُّ فِي الْعُمُومِ.

وَالثَّالِثُ: مَعْنَاهُ وَالشَّرُّ لَا يَصْعَدُ إِلَيْكَ إِنَّمَا يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

وَالرَّابِعُ: مَعْنَاهُ: وَالشَّرُّ لَيْسَ شَرًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكَ، فَإِنَّكَ خَلَقْتَهُ بِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ شَرٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ.

وَالْخَامِسُ: حَكَاهُ الْخَطَّابِيُّ: أَنَّهُ كَقَوْلِكَ فَلَانِ إِلَى بَنِي فَلَانٍ إِذَا كَانَ عِدَاؤُهُ فِيهِمْ أَوْ صَفْوُهُ إِلَيْهِمْ. **اهـ** وبالله التوفيق.

والقدر سر الله عز وجل، لم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا، ولا يتحقق الإيمان به إلا على وجه التسليم، قال الطحاوي في عقيدته:

ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجب به مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار. **اهـ**

والواجب على العبد أن يلتزم شرع الله عز وجل فعلاً وتركاً بعيداً عن البحث عن القدر، فإن علم الكتاب والسنة موجود، وعلم القدر مفقود، ونحن مطالبون بالعمل بالعلم الموجود، والله الموفق.

بيان أنواع التقدير:

الأول: التقدير العام الشامل: وهو شامل لجميع الكائنات وهو المكتوب في اللوح المحفوظ وقد تقدم دليله.

الثاني: التقدير المفصل للتقدير العام، وينقسم إلى نوعين.

النوع الأول: التقدير العمري؛ كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمُصَدِّقُ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ عَلَقَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعٍ: بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَاللَّهِ إِنْ أَحَدَكُمْ أَوْ الرَّجُلَ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا»، قَالَ آدَمُ: «إِلَّا ذِرَاعٌ»^(١)، متفق عليه.

النوع الثاني: التقدير الحولي، وهو ما يقدر في ليلة القدر من وقائع العام؛ كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٢٠٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٤٣).

النوع الثالث: التقدير اليومي، وهو ما يقدر من حوادث اليوم من حياة وموت وعز وذل... إلى غير ذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

ولا بد للمسلم من الإيمان بالقدر العام وتفصيله؛ فمن جحد شيئاً منهما؛ لم يكن مؤمناً بالقدر، ومن لم يؤمن بالقدر؛ فقد جحد ركناً من أركان الإيمان (١).

وبعضهم يضيف نوعاً رابعاً وهو التقدير البشري وهو المنصوص عليه في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الإرادة الربانية: تنقسم إرادة الله عَزَّ وَجَلَّ إلى إرادة كونية، وإرادة شرعية:

١ - **فالإرادة الكونية:** هي المعبر عنها بمشيئة الله تعالى، وهذه الإرادة لا يخرج عنها شيء، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء، فالطاعات، والمعاصي كلها بمشيئة الرب وإرادته، ومن أمثلتها قوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١].

(١) «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» للفرزاني (٣٠٧-٣٠٨).

٢- والإرادة الشرعية: تتضمن محبة الله عزَّ وَجَلَّ ورضاه.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

[البقرة: ١٨٥].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾

[المائدة: ٦].

الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية:

١- الإرادة الكونية: تكون فيما يحبه الله تعالى وما لا يحبه.

- الإرادة الشرعية: لا تكون إلا فيما يحبه الله عزَّ وَجَلَّ.

٢- الإرادة الكونية: لا بد أن تقع.

- الإرادة الشرعية: قد تقع وقد لا تقع.

٣- الإرادة الكونية: مرادفة للمشيئة.

- الإرادة الشرعية: مرادفة للمحبة والرضا.

٤- الإرادة الكونية: مقصودة لغيرها كخلق إبليس، فإنه رأس الشر لكن

خلقه الله عزَّ وَجَلَّ لحكمة، فتحقق بسبب وجوده الجهاد والأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر وغير ذلك.

- الإرادة الشرعية: مقصودة لذاتها.

٥ - الإرادة الكونية: متعلقة بربوبية الله وخلقها.

- الإرادة الشرعية: متعلقة بألوهية الله وشرعه.

٦ - الإرادتان مجتمعان في حق المطيع.

وتفترقان في حق العاصي.

مثاله: إيمان أبي بكر أراد الله عَزَّ وَجَلَّ كونًا وشرعًا، إما كونه أرادته كونًا فوقه دليل عليه، وأما أنه أرادته شرعًا، فالإيمان محبوب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، بينما إيمان أبي جهل أراد الله عَزَّ وَجَلَّ شرعًا ولم يردّه كونًا، ولو أرادته كونًا لوقع^(١).

مذاهب الناس في الإيمان بالقدر:

والناس في هذا الباب ينقسمون إلى طرفين ووسط:

أما الوسط: فهم أهل السنة والجماعة الطائفة المنصورة الفرقة الناجية أهل الحديث السلفيون.

قال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (٤٥٠-٤٤٩/٨):

مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه، وقد دخل في

(١) انظر «منهاج السنة» (١٨٠/٣-١٨٣)، «الطحاوية» (١١٤)، «الإيمان بالقضاء والقدر» (٩٧-٩٩).

ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاء؛ بل هو قادر على كل شيء ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم: قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة، وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء.

وقال (٤٥٢/٨): وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضاً على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم الله عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله بل لله الحجة البالغة. **اهـ**

وأما الطرفان المخالفان في هذا الباب فهما:

الجبرية: أصل قولهم من جهنم بن صفوان، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه، وغَلَوُ في إثبات القدر حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا فعل كالريشة في مهب الريح، وإنما تُسند إليه الأفعال مجازاً فيقال: صلى وصام، وقتل وسرق كما يقال طلعت الشمس

وجرت الريح، ونزل المطر، ومؤدى قولهم إلى اتهام الله بالظالم، وتكليف العباد ما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من أفعالهم واتهموه بالعبث في تكليف العباد وأبطلوا الحكمة والأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون.

وهؤلاء في الحقيقة يزعمون: أن الله هو الفاعل الحقيقي لأفعالهم بخلاف ما عليه أهل السنة الذين يقولون إن الله هو الخالق والعبد هو الفاعل، ولذا ترتب على فعله الثواب والعقاب.

ومن أسماء الجبرية: القدريّة المشركّة؛ لأنهم شابهوا المشركين في قولهم:

﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ ^(١) [الأنعام: ١٤٨].

وبلغ الجبر لدى غلاة الصوفية حتى قال بعضهم:

أصبحت منفعلًا لما يختاره مني ففعلي كله طاعات
وهؤلاء يرون كل ما يصدر من العبد من ظلم وكفر، وفسوق هو طاعة محضة؛ لأنها إنما تجري وفق ما قضاه الله وقدره، فهو محبوب لديه مرضي عنده، فإذا كان قد خالف أمر الشرع بارتكاب هذه المحظورات، فقد أطاع

(١) (الإيمان بالقضاء والقدر) (١٧٥).

بإرادة الله ونفَّذَ مشيئته فمن أطاع الله في قضاءه وقدره هو كمن أطاعه في أمره ونهيه كلاهما قد قام بحق العبودية لله^(١).

وعلى هذا القول فالكل مطيع، قوم نوح الذين أهلكهم الله عَزَّ وَجَلَّ وقوم فرعون وقوم لوط وقوم هود وقوم صالح، ولازمه أن يكون الله عَزَّ وَجَلَّ ظالماً لهم، تعالى الله عما افتراه الظالمون علواً كبيراً.

القدرية: وهم نفاة القدر وينقسمون إلى قسمين:

الأول: نفاة العلم: وهم الذين يقولون بأن الله لا يعلم الشيء إلا عند وقوعه، وكان أول ظهورهم في أواخر عهد الصحابة قال يحيى بن يعمر: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحيد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتفتته أنا وصاحبي أحداً عن يمينه، والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم - وذكر من شأنهم -، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برء مني،

(١) «شرح النونية» للهراس (٣٧٢/١).

والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. الحديث في «صحيح مسلم» رقم (٨)، وهذه الطائفة قد كفرها العلماء، وقد حكى النووي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وكذا شيخ الإسلام انقراضهم^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ:

هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر، قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم.

وهذه القدرية تسمى: مجوس هذه الأمة. قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»، شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة، كما قسمت المجوس، فصرفت الخير إلى يزدان، والشر إلى أهرمن.

قال الخطابي: إنما جعلهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة، يزعمون أن

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٥٣/١).

الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثنوية، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله تعالى والشر إلى غيره، والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر جميعاً لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، فهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقاً، وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما من عبادة فعلاً واكتساباً. اهـ

وما يدل على أن الله عَزَّ وَجَلَّ خالق الخير والشر: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦].

وقول النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنَعَتِهِ»^(١).

والعجب أن هؤلاء يخرجون أفعال العباد المخلوقة المربوبة من عموم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

ويدخلون في عموم هذه الآية القرآن الذي هو صفة الله عَزَّ وَجَلَّ.

وملخص القول أن سبب ضلال من ضل من هذه الفرق عدم جمعه بين الأدلة من القرآن والسنة، فعلى هذا كل دليل صحيح يستدل به الجبري فيه رد على القدرية النفاة، وكل دليل صحيح يستدل به القدري فيه رد على

(١) أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" (ص ٧٣) وابن أبي عاصم في "السنة" (٣٥٧ و ٣٥٨) وابن منده في "التوحيد" (ق ٣٩ / ٢) وابن عدي (٢٦٣ / ٢)، والحاكم (١ / ٣١) والبيهقي في "الأسماء والصفات" (ص ٢٦ و ٣٨٨)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٢٩٥).

الجبرية، ولشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ كتاب قيم بعنوان «الجامع الصحيح في
القدر» ألفه للرد على الشيعة القدرية النفاة.

انتهى من كتابي: "سلامة الخلف في عقيدة السلف".



فإن لم تكن تراه وهذا هو الواقع لأن الله - عز وجل - لا يُرى إلا في الآخرة كما في الحديث: «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»^(١) أخرجه مسلم عن رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -.

قوله: «فإنه يراك»: يراك بعينين حقيقتين لا يخفي عليه شيء.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ^٢ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

فلو تخلق العباد بمراقبة الله - عز وجل - لما عُصوا الله - عز وجل - ولزاد إيمانهم وارتفعت درجاتهم لكن الله المستعان قال حنظلة - رضي الله عنه -: «يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(٢).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٦٩)(٢٩٣١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٥٠).

وعن ابن عمر -رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوْوُوا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصَّدَقُ، فَلِيدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمَلٍ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرْزٍ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَيَّ عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَرَزَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرْزٍ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيَهُمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بَلْبِنٍ عَنِّي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَحِثْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغُونَ مِنَ الْجُوعِ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبُوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعُهُمَا، فَيَسْتَكِنَا لِشَرِبَتِيهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَتَنْظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَيَّ رَاوَدْتُمَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبْتُ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ،

فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمَكَّنْتَنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَقْضِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»^(١) متفق عليه.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٤ / ٤٧):

وَأَمَّا الْإِحْسَانُ فَقَدْ جَاءَ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ:

تَارَةً مَقْرُونًا بِالْإِيمَانِ، وَتَارَةً مَقْرُونًا بِالْإِسْلَامِ، وَتَارَةً مَقْرُونًا بِالتَّقْوَى، أَوْ بِالْعَمَلِ.

فَالْمَقْرُونُ بِالْإِيمَانِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

وَالْمَقْرُونُ بِالْإِسْلَامِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾.

^(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٧٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤٣).

وكقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾.

والمقرون بالتقوى: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

وقد يذكر مفردًا كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

وقد ثبت في "صحيح مسلم": عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله - عز وجل - في الجنة، وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عيانًا في الآخرة.

وعكس هذا ما أخبر الله تعالى به عن جزاء الكفار في الآخرة: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

وجعل ذلك جزاء لحالهم في الدنيا، وهو تراكم الران على قلوبهم، حتى حُجِبَتْ عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك أن حُجِبُوا عن رؤيته في الآخرة.

فقوله - صلى الله عليه وسلم - في تفسير الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ...» إلخ.

يشير إلى أَنَّ العبدَ يعْبُدُ اللهَ تعالى على هذه الصِّفة، وهو استحضارُ قُربِهِ،
وأنَّه بينَ يديه كأنَّه يراه، وذلك يُوجبُ الخشْيَةَ والخوفَ والهيبةَ والتَّعْظِيمَ،
كما جاء في رواية أبي هريرة -رضي الله عنه-: «أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ».
ويُوجِبُ أيضًا النَّصْحَ في العبادة، وبذل الجُهد في تحسينها وإتمامها
وإكمالها. اهـ

﴿فمراقبة الله -عز وجل- أمرها عظيم تحلى بها الأنبياء، وتعنى بها
الأصفياء فأكرمهم الله -عز وجل- وجزاهم الجزاء الأوفى قال الله -عز
وجل-: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، والله
المستعان.



[الفقرة الثلاثون: ما حكم سب الله، وسب رسوله، وسب دينه، أو

الاستهزاء؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثلاثون: ما حكم سب الله، وسب رسوله، وسب دينه، أو

الاستهزاء بذلك؟

٣٠- فإذا قيل لك: ما حكم سب الله، وسب رسوله، وسب دينه، أو

الاستهزاء بذلك؟

فقل: هذا كفر أكبر، من تعمده خرج من ملة الإسلام، والدليل قول الله

تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ❀ لا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ❀ [التوبة: ٦٦ - ٦٥].

ولا فرق في الحكم: بين من سب نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- أو

سب غيره من الأنبياء والمرسلين، سواء كان الرسول من بني آدم أو من
الملائكة، أو عاداهم، أو عادى أحدا منهم.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿الله يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾

[الحج: ٧٥].

وقوله تعالى: ﴿لَا نَفَرُ قِيَمًا أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ ❀ [البقرة: ٢٨٥].

الفقرة الثلاثون: ما حكم سب الله، وسب رسوله، وسب دينه، أو الاستهزاء؟

الإسلام حملهم للإسلام كان من الكافرين الخارجين من الملة لأن هذا الفعل لا يصدر إلا عن رجل ضعف في قلبه حب الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وكان قلبه بعيدا عن التوقير والتعظيم ومخالفا لله -عز وجل- : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

قال شيخ الإسلام في الصارم المسلول (ص: ٣):

قال الإمام إسحاق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام: "أجمع المسلمون على أن من سب الله -عز وجل-، أو سب رسوله -صلى الله عليه وسلم- أو دفع شيئا مما أنزل الله عز وجل، أو قتل نبيا من أنبياء الله عز وجل: "أنه كافر بذلك وإن كان مقرا بكل ما أنزل الله. اهـ

وقد نهى الله -عز وجل- عن سب آلهة المشركين حتى لا يسب المشركون الله فكيف بمن سبه قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - في الاستغاثة (ص: ٣٧٦):

لا ريب أن الاستخفاف بالنبي -صلى الله عليه وسلم- كفر، والاحتجاج بهذه الآية يدل على أن الاستهزاء بالله كفر؛ وبآيات الله كفر، ورسوله كفر، من جهة أن الاستهزاء كفر وحده بالضرورة، فلم يكن ذكر الاستهزاء بآياته ورسوله [شرطاً] [في ذلك].

فعلم أن الاستهزاء بالرَّسُول -صلى الله عليه وسلم- أيضًا كفر وإلا لم يكن في ذكره فائدة، وكذلك الاستهزاء بالآيات، فإن الاستهزاء بهذه الأمور متلازم، فإن من استهزأ بآيات الله التي جاء بها الرَّسُول فهو مستهزئ بالرَّسُول ضرورة، ومن استهزأ بالرَّسُول فهو مستهزئ برسالته حقيقة، ومن استهزأ بآيات الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- فهو مستهزئ به، ومن استهزأ بالله فإنه مستهزئ بآياته ورسوله -صلى الله عليه وسلم- بطريق الأولي، وأما الذين نزلت فيهم هذه الآية فقد [نزلت في المنافقين في غزوة تبوك].

لكن هؤلاء الضالون أولى بالدخول في الاستهزاء بالله وبآياته ورسوله -صلى الله عليه وسلم- من منازعيهم، فإن كانت الآية تتناول المتأولين من أهل القبلة كانوا أحق بالدخول، وإن لم تتناول المتأولين كان منازعوهم أحق بالخروج منها لو كانوا مخطئين، وأما [مع] كونهم مصيبين فلا وجه لتناول الآية لهم، وذلك أن هؤلاء الضالون مستخفون بتوحيد الله، يعظمون دعاء غيره من الأموات، وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به، كما أخبر تعالى عن المشركين بقوله ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ ﴿٤٢٧﴾ إِنَّ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ

صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٤١﴾

[الفرقان: ٤١ - ٤٢]. فاستهزءوا بالرَّسُول لما نهاهم عن الشرك. اهـ

وحكم من سب الله - عز وجل - وسب رسوله - صلى الله عليه وسلم - وسب دينه أن يقتل ردةً إن لم يتب لله - عز وجل - فإن تاب إلى الله - عز وجل - قتل حدًّا في سب الرَّسُول - صلى الله عليه وسلم -.

قال الخطابي: لا يعلم في ذلك خلافاً. اهـ

وأما سب الله - عز وجل - وسب الدين: فيكفي منه التوبة قال الله - عز وجل -: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وسبب التفريق: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قبض ولا يجوز لأحد أن يتنازل عن حقه، بينما حق الله - عز وجل - مبني على المسامحة.

والدليل: على قتل من سب رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: حديث ابن عباس - رضي الله عنه -: «أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمٌّ وَلَدِ تَشْتُمُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا، فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمَغُولُ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ، فَلَطَخَتْ مَا هُنَاكَ بِالْدَّمِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -»



وَسَلَّمَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: «أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ»، فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَرَلَّزُلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَمَّا هَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا، فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللَّوْلُوتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَلَا أَشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَذَرٌ»^(١).

وقد انتشر سب الله ورسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: في البلدان التي انتشرت فيها الاشتراكية إلا من رحم الله - عز وجل -، وهذا بسبب البعد عن الاستقامة وعدم إقامة الشريعة.

فلو علم الإنسان أنه إذا سب الله وسب رسوله ﷺ وسب دين الإسلام أقیم عليه الشرع لانزجر حتى ولو كان منافقاً لأخفي النفاق في قلبه ولما أبداه وأظهره ولا يمكن أن يظهر سب الله وسب رسوله إلا من هذا حاله.

قوله: «فقل هذا كفرٌ أكبر»: لأن الكفر ينقسم إلى قسمين:

^(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٣٦١)، والإمام النسائي في سننه (٤٠٧٠)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٦٠٥).

كفر أكبر مخرج من الملة، وكفر أصغر غير مخرج من الملة.
فالكفر الأكبر يخلد في النار والأصغر لا يخلد في النار.
والكفر الأكبر يبيح الدم والمال والعرض والأصغر لا يبيح ذلك.
والكفر الأكبر يحبط جميع العمل، والأصغر لا يحبط جميع العمل.
قوله: «من تعمده خرج من ملة الإسلام»: خرج به المخطئ والمكره، قال الله - عز وجل - : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].
وعن أنس - رضي الله عنه - قال رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - في الرجل الذي ضاعت راحلته: «اللهم أنت عبيدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»^(١)، ولم يؤاخذ.
وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

بيان موانع التكفير:

فلا بد في التكفير من توفر الشروط وانتفاء الموانع، ومن موانع التكفير: الجهل، والخطأ، والنسيان، والإكراه، والتأويل الذي له حظ من النظر.
وقد ذهب جمهور العلماء إلى وجوب استتابة المرتد حتى ترفع عنه الشبهة التي أوقعته فيما وقع فيه.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قوله: «خرج من ملة الإسلام»: خروجًا كليًا وبهذا تعلم على أن المكفرات تكون بالقول والفعل والاعتقاد فمن سب الله بلسانه ولو لم يعتقد بقلبه كان كافرًا ومن تنقص الله بقلبه ولو لم يتلفظ بلسانه كان كافرًا ومن طاف بغير أو عبده أو نذر له كان كافرًا وهذا رد على من زعم أن الكفر لا يكون إلا بالجوحد.

وقد خطئ العلماء الطحاوي لما قال: «وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودٍ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ».

قال ابن باز - رحمه الله تعالى- كما في مجموع فتاواه (٢ / ٨٣):

هذا الحصر فيه نظر فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين إذا كان لا ينطق بهما، فإن كان ينطق بهما دخل الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود لأسباب كثيرة بينها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك طعنه في الإسلام أو في النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى الله عليه وسلم أو استهزاؤه بالله ورسوله - **صلى الله عليه وسلم** - أو بكتابه أو بشيء من شرعه سبحانه لقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

ومن ذلك عبادته للأصنام أو الأوثان أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم وطلبه منهم المدد والعون ونحو ذلك؛ لأن هذا يناقض قول لا إله إلا الله

لأنها تدل على أن العبادة حق لله وحده، ومنها الدعاء والاستغاثة والركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك، فمن صرف منها شيئاً لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة والجن وأصحاب القبور وغيرهم من المخلوقين فقد أشرك بالله ولم يحقق قول: لا إله إلا الله، وهذه المسائل كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم، وهي ليست من مسائل الجحود وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة، وهناك مسائل أخرى كثيرة يكفر بها المسلم وهي لا تسمى جحوداً وقد ذكرها العلماء في باب حكم المرتد فراجعها إن شئت. وبالله التوفيق. اهـ

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ❀
لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾:»

ذكر ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره:

عن زيد بن أسلم أن رجلاً من المنافقين قال لعوف بن مالك -رضي الله عنه- في غزوة تبوك: "ما لقائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فقال له عوف -رضي الله عنه- كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فقال زيد: قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنه-: فنظرت إليه متعلقاً بحقب ناقة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تنكبه الحجارة يقول إنما كنا نخوض

الفقرة الثلاثون: ما حكم سب الله، وسب رسوله، وسب دينه، أو الاستهزاء؟

ونلعب فيقول له النبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿أَبَاللهِ وآياته ورسوله
كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ما يزيده ^(١). اهـ

فجعل الله - عز وجل - ذلك ردة وطعناً فيه وطعناً في رسوله ﷺ وطعناً
في كتابه؛ لأن الطعن في حملة الدين بسبب الدين الذي يحملونه، طعن في
المُرسل والمُرسل المبلغ له.

وقد قال الله - عز وجل -: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.
فعن ابن عمر - رضي الله عنه - قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي يَشْتَدُّ قَدَامَ
النبي - صلى الله عليه وسلم - والحجارة تنكبه وهو يقول: يا محمد، إِنَّمَا كُنَّا
نَخَوْضُ ونَلْعَبُ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: ﴿أَبَاللهِ وآياته
وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

قوله: «يقال ولا فرق في الحكم بين من سب نبينا محمداً أو سب غيره من
الأنبياء والمرسلين»: سواء كان الرسول من بني آدم أو الملائكة قال تعالى:
﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ
لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

(١) أخرجه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦٩١١) (١٤/٣٣٣).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى- في الصارم المسلول (ص: ٥٦٥):

والحكم في سب سائر الأنبياء كالحكم في سب نبينا فمن سب نبيا مسمى باسمه من الأنبياء المعروفين كالمذكورين في القرآن أو موصوفا بالنبوة مثل ما يذكر حديثا أن نبيا فعل كذا أو قال كذا فيسب ذلك القائل أو الفاعل مع العلم بأنه نبي وإن لم يعلم من هو أو يسب نوع الأنبياء على الإطلاق فالحكم في هذا كما تقدم لأن الإيمان بهم واجب عموما وواجب الإيمان خصوصا بمن قصه الله علينا في كتابه وسبهم كفر وردة إن كان من مسلم ومحاربة إن كان من ذمي.

قد تقدم في الأدلة الماضية ما يدل على ذلك بعمومه لفظا أو معنى وما أعلم أحدا فرق بينهما وإن كان أكثر كلام الفقهاء إنما فيه ذكر من سب نبيا فإنما ذلك لمسيس الحاجة إليه وأنه وجب التصديق له والطاعة له جملة وتفصيلا ولا ريب أن جرم سابه أعظم من جرم ساب غيره كما أن حرمة أعظم من حرمة غيره وإن شاركه سائر إخوانه من النبيين والمرسلين في أن سابه كافر محارب حلال الدم. **اهـ**

قوله: «والدليل قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ

النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]:»

أي أن الأنبياء من عباد الله المصطفين قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣] وفيه: دليل على تفاضل البشر والملائكة.

وساق المصنف الآية لبيان أن الله - عز وجل - اصطفى الأنبياء لعلمه بعلو منزلتهم وشرفهم وكرمهم، فتتقصهم طعن في الله تعالى، وهو كفر وردة.

قوله: «وقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]:»
 ممن ذكر في القرآن أو ممن لم يُذكر فكلهم أنبياء الله ورسله يقابلون بالتصديق والتوقير والتعزير وأما التعبد فلا يكون إلا بما جاء به محمد ﷺ.
 قوله: «وقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]:»

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾، يعني القرآن.
 ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، عشرُ صُحُفٍ.
 ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾، يعني أولاد يعقوب وهم اثنا عشر سبطاً، واحدُهم سبطٌ، سُمُوا بذلك؛ لِأَنَّهُ وَلِدَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ

الفقرة الثلاثون: ما حكم سب الله، وسب رسوله، وسب دينه، أو الاستهزاء؟

جَمَاعَةٌ وَسَبَطَ الرَّجُلَ حَافِدُهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَبَطًا
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَسْبَاطُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَالْقَبَائِلِ مِنَ
الْعَرَبِ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَالشُّعُوبِ مِنَ الْعَجَمِ، وَكَانَ فِي الْأَسْبَاطِ أَنْبِيَاءُ
وَلِذَلِكَ قَالَ: وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ وَقِيلَ هُمْ بَنُو يَعْقُوبَ مِنْ صُلْبِهِ صَارُوا كُلُّهُمْ
أَنْبِيَاءُ.

﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ يَعْنِي التَّوْرَةَ.

﴿وَعِيسَى﴾ يَعْنِي الْإِنْجِيلَ.

﴿وَمَا أُوتِيَ﴾ أُعْطِيَ.

﴿النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، أَيُّ نُؤْمِنُ بِالْكُلِّ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَتُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتُكْفِرُ بِبَعْضٍ كَمَا فَعَلَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.
﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

أفاده البغوي في تفسيره: (١ / ١٥٦).

أي أنهم كلهم رسل الله فلا يجوز التفريق بينهم ومن فرق بين المتماثلات
أو جمع بين المتفرقات كان من المخطئين.

قوله: «وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وفي الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل رحمه الله:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا الله على ما نقول وكيل، قال: "هاتوا". قالوا: أخبرنا عن علامة النبي، قال: "تنام عيناه ولا ينام قلبه"، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر قال: "يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت"، قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه قال: "كان يشتكي عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا"، قال عبد الله قال أبي، قال بعضهم: يعني الإبل فحرم لحومها قالوا: صدقت؛ أخبرنا ما هذا الرعد قال: "ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده أو في يده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله"، قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع. قال: "صوته"، قالوا: صدقت، إنما بقيت واحدة وهي التي نبأيعك إن أخبرتنا بها فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك. قال: "جبريل عليه السلام". قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان.

الفقرة الثلاثون: ما حكم سب الله، وسب رسوله، وسب دينه، أو الاستهزاء؟

فأنزل الله عز وجل ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ إلى آخر الآية أخرجه أحمد.
وقد ساهم الله عز وجل كافرين بغض النظر إن كانت عداوته لمحمد أو
كانت عداوته لجبريل، أو كانت عداوته لنوح أو لإبراهيم وبهذا تعلم خطر
هذا الفعل القبيح من الاستهزاء بالدين وما يقوم به كثير من الممثلين نسأل
الله السلامة والعافية".



[الفقرة الواحدة والثلاثون: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم

القيامة؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الواحدة والثلاثون: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم

القيامة؟

٣١- فإذا قيل لك: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم القيامة؟

فقل: جزاء المؤمنين الجنة في أعلى عليين.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ ۖ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٧].

وجزاء الكافرين النار في أسفل سافلين.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

والدليل: أن الجنة في أعلى عليين: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ

عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٣-١٥].

والدليل: أن النار في أسفل سافلين.

حديث البراء - رضي الله عنه - قال: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال فيما يروي عن ربه - عز وجل - : ﴿اَكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سَجِّينَ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى﴾^(١)، أخرجه أحمد في "المسند" وهو حديث صحيح.

ولا نشهد بالجنة أو النار إلا لمن شهد له.

الدليل؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:

٣٦].

الشرح:

ساق المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان حال المؤمنين والكافرين في الدارين.

وقد تضمنت هذه الفقرة عدة فوائد أولها أن الله - عز وجل - أكرم المؤمنين بكرامات عظيمة فأكرمهم في الدنيا بطمأنينة القلب وانسراح الصدر قال الله - عز وجل - : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقال الله - عز وجل - : ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

^(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٨٥٣٤)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٤١).

الفقرة الواحدة والثلاثون: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم القيامة؟

وأكرمهم بالرزق الحسن قال الله - عز وجل -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِىْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

إلى غير ذلك من الوعد العظيم الذي امتن الله به على المؤمنين ثم إن المؤمن هو الحي حياة الإيمان بينما الكافر يعتبر من الأموات.

قال الله - عز وجل -: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وكما قيل:

ليس من مات فاستراح بميتٍ *** إنما الميت ميت الأحياء
فجزاء المؤمنين في الدنيا: جنة انشراح الصدر وطمأنينة القلب وهدوء
البال وطيب الرزق ورضا الله والحياة بالطاعة إلى غير ذلك.

وقد قيل: إن في الدنيا لجنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

وجزاءه في الآخرة: جنة في أعلى عليين قال الله - عز وجل -: ﴿كَلَّا إِنَّ
كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ ﴿٢﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٣﴾ يَشْهَدُهُ
الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨ - ٢١].

وقد فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - عليين بأنها أعلى الجنة: «اكتبوا
كتاب عبدي في عليين في السماء السابعة» أخرجه أحمد عن البراء. [



وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئْتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ مُجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَكَيِّئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جِئْتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَمَمَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكَيِّئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقْرِيُّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ [الرحمن: ٤٦ - ٧٨].

والدليل: قول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

الفقرة الواحدة والثلاثون: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم القيامة؟

هذا إخبار من الله - عز وجل - أن خير الناس هم أهل الإيمان والعمل الصالح وهذه الخيرية في الدنيا.

قال الله - عز وجل -: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي الحديث: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً. أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»^(١)، أخرجه أحمد.

وأما في الآخرة فقال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة: ٨].

وفي الآية دليل على أبدية الجنة والنار.

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «ومن يدخل الجنة ينعم لا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه» أخرجه مسلم.

وفي الباب حديث: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَعْمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٠٠١)، والإمام ابن ماجه في سننه (٤٢٨٨)، من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١١١٣)، وقال هذا حديث حسن.

الفقرة الواحدة والثلاثون: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم القيامة؟

قوله: «رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ»: فيه إثبات صفة الرضا لله - عز وجل - وما رضي الله عنهم إلا لرضاه عن أعمالهم.

قوله: «ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ»: أي هذا الوعد لمن خشي ربه، وقال تعالى:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠، ٩١].

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٦﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٤، ٣٥].

والخشية للعلماء، قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

ويلتحق بهم من سار على سيرهم فنسأل الله - عز وجل - أن يرزقنا الخشية والإخلاص له وأن يجعلنا من أهل الإيمان والعمل الصالح.

قوله: «وجزاء الكافرين النار في أسفل سافلين»: هذا في الآخرة وفي الدنيا حياة ضنكة، قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

وقال الله - عز وجل -: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

الفقرة الواحدة والثلاثون: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم القيامة؟

فهم في الدنيا معذبون بقسوة قلوبهم وضيق صدورهم وسوء أحوالهم وإن تنعموا بأكلهم وشربهم فما هو إلا تنعم جسدي.

قال الله -عز وجل-: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى هُمْ﴾ [محمد: ١٢].

فالأنعام تأكل وتشرب وتتبعل لكنها أنعام سائمة لا تستطيع أن تعلم سبب ضررها من نفعها.

قوله: «في أسفل سافلين»: أي في النار.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

«وسجين في الأرض السفلى»، أخرجه أحمد عن البراء -رضي الله عنه-.

قوله: «والدليل قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]».

هذا خبر من الله عز وجل بحال المشركين يوم القيامة.

وساق الشيخ هذه الآية؛ ليدل على أبدية النار وإن من دخلها من الكفار

لا يخرج منها قال الله -عز وجل-: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وهذا رد على المعتزلة الضلال ومن إليهم ممن يقول بفناء الجنة والنار.



قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ وأسماؤها كثيرة، منها النار، وسقر، وجهنم، وغير ذلك.

قوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا﴾.

كما قال الله - عز وجل -: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

قال الله - عز وجل -: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

قوله: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾:

كقوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، وهذه مصيبة أخرى أنهم لا يلحقهم الموت فيستريحون ولا يخفف عنهم العذاب فيهدئون بل هم فيها يعذبون على جميع أحوالهم.

قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * * * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * * * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩ - ٢٢].

قوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾: أي هذا جزاء الكافرين بما كانوا يعملون لأن الله ليس بظلامٍ للعبيد.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وفيها دليل: أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بسبب عمله ولا يدخل أحد النار إلا بذلك.

وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ»
قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ
 وَرَحْمَةٍ»^(١)، متفق عليه عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، فالمنفى بآء العوض
 والمثبت بآء السبب.

قوله: «والدليل أن الجنة في أعلى عليين قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً
 أُخْرَى﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾:

حيث رأى جبريل وذهب بعضهم إلى أنه رأى ربه وهذا قول ضعيف
 اعتمد على رواية شريك بن عبد الله أبي نمر ويدل على ضعفه ما جاء في
 تفسير قوله تعالى: «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى»: أي رأى جبريل - عليه السلام -
 مرة أخرى، الأولى حين بعثه الله رآه على كرسي بين السماء والأرض
 والأخرى ليلة المعراج رآه وله ستمائة جناح ساد عظم خلقه ما بين السماء

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٦٧٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨١٦).

الفقرة الواحدة والثلاثون: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم القيامة؟

والأرض، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلَقُهُ سَادًّا مَا بَيْنَ الْأَفْقَيْنِ»^(١).

قوله: «عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى»: وهي سدرة عظيمة كأن أوراقها آذان الفيلة وكان ثمرها القلال.

فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: وفيه: «فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرُهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمُعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يُعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ»، قَالَ: "فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِي تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى"^(٢) أخرجه مسلم.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُبْطَأُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»، قَالَ: "إِذْ يَغْشَى ﴿النجم: ١٦﴾ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى"، قَالَ: «فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ»، قَالَ: "فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٦٢).

الفقرة الواحدة والثلاثون: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم القيامة؟

ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقَحِّمَاتُ»^(١)، فكان الجمع أن أصولها في السماء السادسة وفروعها السماء السابعة.

قال الله - عز وجل - : ﴿إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦] من الحسن لا يقدر قدره إلا الله ، كما تقدم في الحديث .

قوله: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٣ - ١٤].

وسميت جنة المأوى؛ لأن المؤمنين يؤن إليها، وسقفها عرش الرحمن وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدُوسَ فَإِنَّهُ أَعْلَى وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ»^(٢)، أخرجه البخاري .

قوله: «والدليل أن النار في أسفل سافلين، حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: فيما يروي عن ربه - عز وجل - (في الحديث القدسي): «.

قوله: «في الأرض السفلى»: هذا هو الشاهد.

قوله: «أخرجه أحمد»: أي في مسنده وهو حديث صحيح وأخرجه ابن أبي الشيبة، وهو في الصحيح المسند لشيخ مقل - رحمه الله تعالى -،

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٠٩).



ولفظه: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الْقَبْرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَهُوَ يُلْحِدُ لَهُ، فَقَالَ: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ" ثَلَاثَ مَرَارٍ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَنَزَّلَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّمْسُ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَفَنٌ وَحَنُوطٌ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ، صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ: أَنْ يُعْرِجَ بِرُوحِهِ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ قَالُوا: رَبِّ عَبْدُكَ فُلَانٌ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُوهُ، فَإِنِّي عَهَدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى" قَالَ: "فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -، إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ، فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، فَيَنْتَهَرُهُ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ، ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ حَسَنُ الْوَجْهِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِكَرَامَةٍ مِنَ اللَّهِ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ، فَيَقُولُ:



وَأَنْتَ فَبَشِّرْكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ، مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، كُنْتُ وَاللَّهِ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَبَابٌ مِنَ النَّارِ، فَيَقَالُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلُكَ لَوْ عَصَيْتَ اللَّهَ، أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ هَذَا، فَإِذَا رَأَى مَا فِي الْجَنَّةِ قَالَ: رَبِّ عَجَلْ قِيَامَ السَّاعَةِ كَيْمَا أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، فَيَقَالُ لَهُ: اسْكُنْ. وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ غَلَاظُ شِدَادٍ، فَاَنْتَرَعُوا رُوحَهُ، كَمَا يُتْنَزَعُ السَّفُودُ الْكَثِيرُ الشَّعْبِ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْتَلِّ، وَتُنْزَعُ نَفْسُهُ مَعَ الْعُرُوقِ، فَيَلْعَنُهُ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ، إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ: أَنْ لَا تَعْرِجَ رُوحَهُ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ، قَالُوا: رَبِّ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ عَبْدُكَ، قَالَ: أَرْجِعُوهُ، فَإِنِّي عَاهَدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ: فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِ أَصْحَابِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -، إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيِّكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقُولُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَوْتَ، وَيَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتْنِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِهِوَانٍ مِنَ اللَّهِ، وَعَذَابٍ مُقِيمٍ، فَيَقُولُ: وَأَنْتَ، فَبَشِّرْكَ اللَّهُ بِالشَّرِّ مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، كُنْتُ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا، ثُمَّ يُفَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ، لَوْ ضَرَبَ بِهَا

جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ". قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: "ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ وَيَمْهَدُ مِنْ فُرْشِ النَّارِ"^(١).

حكم الشهادة لمعين بالجنة أو بالنار:

قوله: «ولا نشهد بالجنة أو النار إلا لمن شهد له الدليل»: هذه فقرة أخرى يذكرها أهل السنة والجماعة وهي من صميم عقيدتهم أنهم لا يشهدون لأحد من المكلفين بجنة ولا نار إلا لمن شهد له الله عز وجل ورَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأن هذه أمور غيب لا يعلمها إلا الله.

وقد شهد رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لجمع من الصحابة - رضي الله عنهم -:

منهم: خديجة بنت خويلد وبلال والرميصاء أو الغميصاء، - رضي الله عنه -.

والعشرة كما في حديث سعيد بن زيد - رضي الله عنه -: «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة وعبد الرحمن ابن عوف في الجنة والزبير في الجنة وسعد ابن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة في الجنة»^(٢) أخرجه الترمذي وغيره.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٨٦١٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٤١).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٧٤٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي.

الفقرة الواحدة والثلاثون: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم القيامة؟

وشهد لثابت بن قيس بن شماس ولعبد الله بن سلام والحسن والحسين -
رضوان الله عليهم- وشهد لغيرهم.

وكذلك النار من شهد له رَسُولُ اللَّهِ شَهِدْنَا له ومن مات على الكفر يقيناً
يشهد له بالنار.

قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي
نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [البينة: ٦].

قوله: «لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾»: لأن الجنة
والنار شأنها غيبي والجمع بين ما تقدم، وبين حديث النبي - صلى الله عليه
وسلم -: «مَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ : «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ،
وَجَبَتْ»، وَمَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ : «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ،
وَجَبَتْ»، قَالَ عُمَرُ: فِدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مَرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُتِنِي عَلَيْهَا خَيْرٌ،
فَقُلْتُ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمَرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُتِنِي عَلَيْهَا شَرًّا، فَقُلْتُ:
«وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ
أَتْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَتْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ
شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي
الْأَرْضِ»^(١) أخرجه مسلم عن أنس - رضي الله عنه -.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٦٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٤٩).

الفقرة الواحدة والثلاثون: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم القيامة؟

وهذا عائدٌ إلى شهادة النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم نحن على الرجاء؛ لأن الأدلة تدل على ذلك، نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين.

وقد جاء عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِمْ، بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَتْ: «طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَى، حِينَ اقْتَرَعْتُ الْأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ، فَاسْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقُلْتُ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، قَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ» قُلْتُ: لَا أَدْرِي وَاللَّهِ، قَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ» قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ: فَوَاللَّهِ لَا أَزْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي، فَحِثُّ رَسُولِ اللَّهِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «ذَاكَ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ» ^(١)، أخرجه البخاري، وهذا قبل أن يوحى إليه أن أمره على أحسن المحامد.

وفي مسلم: عن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوْلَ وَجْهِهِ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ،

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٠٠٣).



فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نَعِدُ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(١)، أخرجَه مسلم.

📖 **وذهب بعض أهل العلماء إلى الشهادة لبعضهم:** كعمر بن عبد العزيز، والإمام أحمد، ومن إليهم؛ لكثرة خيرهم والإجماع على الشهادة لهم بالخير.

(١) أخرجَه الإمام مسلم في صحيحه (١٢١).

الفقرة الواحدة والثلاثون: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم القيامة؟

لكن الأولى أن نبقى على الدليل مع أننا نعتقد أن الصحابة - رضي الله عنهم - كلهم في الجنة، وأن كل مسلم في الجنة؛ لأن الله - عز وجل - حرم الخلود في النار على المسلمين، كما حرم دخول الجنة على الكافرين، وبالله التوفيق.



[الفقرة الثانية والثلاثون: كم عدد الدور؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثانية والثلاثون: كم عدد الدور؟

٣٢ - فإذا قيل لك: كم عدد الدور؟

فقلم : ثلاثة :

١ — دار الدنيا الفانية، والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

٢- دار البرزخ، والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

٣- **دار القرار، والدليل:** قول الله تعالى مخبرا عن مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

الشرح:

ساق المصنف هذه الفقرة لبيان بعض ما يتعلق بالإيمان بالغيب، ومنه الحياة البرزخية، وما فيها من النعيم أو العذاب والحياة الأخروية، وما يتعلق بها.

والمراد بالدور المراحل التي يمر بها الإنسان من دنياه إلى أخرها، وسميت دور لأنه يسكن كل واحدة منها فترة من الزمن فتصير كداره.

١- **دار الدنيا:** سميت دنيا؛ لدنائتها أو لدنوها، وهو قربها.

فالحياة فيها قليلة، والنعيم فيها زائل، والفرح فيها ذاهب، والحزن فيها حاصل.

قال الشاعر:

ثمانية لا بد منها على الفتى *** ولا بد أن تجري عليه الثمانية
سرور وهم واجتماع وفرقة *** ويُسّر وعسر ثم سقم وعافية
وهي دار الموت: قال الله - عز وجل -: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿الرحمن: ٢٦، ٢٧﴾.

﴿أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].
﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾
[آل عمران: ١٥٤].

وهي دار الحاجة والفقر والقلة والذلة إلا من رحم الله - عز وجل - ودار
الأمراض والأسقام وقد مرض فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - وأوذي
ومات مع أنه أكرم خلق الله - عز وجل - على الله ، فليست بدار سرور
فنعيمها زائل وشرها إن لم يتقه الإنسان باقي عليه نسأل الله السلامة.

قال الله - عز وجل - مخبرا عن دنائها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أي متاع المغرورين الذين غرر بهم الشيطان.

قال الله - عز وجل - : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحديد: ٢٠].

فلا يفرح بما فيها فحلاها حساب وحرامها عذاب: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ مغفرة للمؤمنين وعذاب شديد على الكافرين.

وفي الحديث: «الدنيا ملعونة ملعون فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم»^(١) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

وفي الحديث: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»^(٢) أخرجه الترمذي عن سهل بن سعد - رضي الله عنه -.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣٢٢)، وابن ماجه في سننه (٤١١٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه

الله تعالى في صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣٢٠)، والإمام ابن ماجه في سننه (٤١١٠)، وصححه الإمام

الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي.

وقد ذمها رسول الله ﷺ ذمًا بليغًا: فعن جابر - رضي الله عنه - قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتُهُ، فَمَرَّ بِجَدِي أَسْكَ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرَهُمْ؟» فَقَالُوا: مَا نَحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيًّا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسْكُ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»^(١) أخرجه مسلم.

ولكن الإنسان بسبب الغفلة يفرح بالقرب وينسى البعيد حتى وإن كان في القريب العطب وفي البعيد السلامة.

وهي سجن المؤمن: كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(٢)، أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

وقد أحسن من قال:

نَصَبْتُ لَنَا الدُّنْيَا زَخَارِفَ حُسْنِهَا *** مَكْرًا بِنَا وَخَدِيعَةً مَا قَصَّرْتُ
لَمْ تَحُلْ قَطُّ لِدَائِقِي قَدْ ذَاقَهَا *** إِلَّا تَغَيَّرَ طَعْمُهَا وَتَمَرَّرْتُ
خَدَاعَةً بِجَمَالِهَا إِنْ أَقْبَلْتُ *** فَجَاعَةٌ بِزَوَالِهَا إِنْ أَدْبَرْتُ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥٦).

وَهَابَةٌ سَلَابَةٌ لِهَبَاتِهَا *** خَرَابَةٌ لَجَدِيدِ مَا قَدْ عَمَّرتُ
كَمْ ذَا مِنْ الْأُمَمِ السَّوَالِفِ أَهْلَكَتْ *** لَوْ أَنَّهَا نَطَقَتْ بِذَلِكَ لَأَخْبَرَتْ
يَا رَبِّ فِيكَ وَإِنْ عَصَيْتُكَ مَطْمَعِي *** فَاسْتُرْ عَلَيَّ إِذَا الذُّنُوبُ تَكَاثَرَتْ
٢- (دار البرزخ): وهي حياة ما بعد الموت إلى النفخ في الصور.

والقبر أول منازل الآخرة، وهو إما روضة من رياض الجنة للمؤمنين
الموحدين، وإما حفرة من حفر النار للكافرين المنافقين، يعذبون فيها، ومن
شاء الله من عصاة المؤمنين كما سيأتي.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:

١٠٠].

وسُمي برزخ لأنه فاصل بين الدنيا والآخرة وهي حياة طويلة إلا أنها
دون الآخرة.

٣- دار الآخرة: وهي الدار الطويلة التي تكون من البعث إلى الأبد.

قوله: «دار القرار»: سميت بدار القرار لقرار الناس فيها إما في جنة

خالداً فيها أبداً وإما في النار خالدين فيها أبداً.

كما قال الله - عز وجل -: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾

[الشورى: ٧]، نسأل الله السلامة.

وتسمى **بدار الحيوان**؛ لأن الحياة فيها أبدية وحياتها لا تنقطع، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

إما خلود في الجنة مع النعيم، وأما خلود في النار مع العذاب الأليم. ففي حديث أبي سعيد -رضي الله عنه-: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُجَاءُ بِالْمُوتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ - زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ - فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَسْرِبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ فَيَسْرِبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ " قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا» ^(١)، أخرجه مسلم.

وقال الله -عز وجل-: ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧٣٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٤٩).

وقد تقدم قول الله - عز وجل -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝١ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۝٢٦﴾ [فاطر: ٢٦-٢٧].

وقال الله - عز وجل -: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر: ٤٨].
وقال الله - عز وجل -: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨﴾ [غافر: ١٨].

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٥٠﴾ [الاعراف: ٥٠].

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۝٣ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٤ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ۝٥ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ۝٦﴾.

ويقول الله - عز وجل -: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝١ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۝٢ أَلَمْ

تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُتِبَتْ بِهَا تُكْذَّبُونَ ❀ قَالُوا رَبَّنَا عَلَبْتَ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ❀ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ❀ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ❀ [المؤمنون: ١٠٣ - ١٠٨].

وأما المؤمن هو في نعيم مقيم يُرفع الدرجات العلى، قال الله - عز وجل -
: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].
ويقال له: «اقرأ، وارتق، ورتّل كما كُنت تُرتّل في الدنيا، فإنّ منزلك عند آخر آية تقرأها»، أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-.
قوله: «والدليل قول الله تعالى مخبرا عن مؤمن آل فرعون»: سمي بذلك لشهرة المناظرة بينه وبينهم، ولتسمية الله - عز وجل - له بذلك حيث قال:
﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾.

وقصته في سورة غافر: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ❀ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ❀ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ❀ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ

مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ❀ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ
لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ
أَصْحَابُ النَّارِ ❀ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ❀ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ
❀ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ
أَشَدَّ الْعَذَابِ ❀ [غافر: ٣٨ - ٤٦].

قوله: ❀ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ❀
[غافر: ٣٩]:

أي أن الحياة الدنيا متاع زائل فاني وإن الآخرة هي دار القرار، لا تحول
منها إلى غيرها، ولا فناء لمدتها، ولا نقصان فيها هو من شأنها.

قال تعالى عن حال الجنة: ❀ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ❀ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ❀
[الواقعة: ٣٢، ٣٣].

وقال تعالى: ❀ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَّا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ❀ [ص: ٥٤].

وقال تعالى: ❀ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ❀ [ق: ٣٥].

وقال: ❀ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ❀ [الحاقة: ٢٤].

وقال تعالى: ❀ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا
دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ❀ [الرعد: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٧]، إلى غير ذلك.

وعَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَذْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَحْذَانَهُمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ مُلْكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أََمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ"، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] الآية" ^(١)، أخرجه مسلم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٩).

-وبالله التوفيق-



الفقرة الثالثة والثلاثون: ما أول منازل الآخرة؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثالثة والثلاثون: ما أول منازل الآخرة؟

٣٣- فإذا قيل لك: ما أول منازل الآخرة؟

فقل: أول منازل الآخرة القبر، والدليل حديث عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَهُوَ بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَهُوَ بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»، أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وهو حديث حسن.

الشرح:

لما بين حفظه الله أقسام الدور ناسب أن يذكر ما يتعلق بالحياة البرزخية، وهي القبر وما فيه.

قوله: «فقل القبر أول منازل الآخرة»: وذلك أن الإنسان ينتقل من الحياة الدنيا دار التكليف إلى حياة الجزاء، وأولها القبر، فيفتن في قبره، ويسأل عن أعماله على ما يأتي.

قوله: «والدليل حديث عثمان بن عفان -رضي الله عنه-»: ذو النورين زوج بنتي النبي -صلى الله عليه وسلم- رقية وأم كلثوم، ولا يعلم عن رجل تزوج بنتي نبي غيره، وهو ثالث الأمة فضلاً بعد رسول الله -صلى

الله عليه وسلم-، وثالث الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين، قتل شهيداً، وقد جاوز الثمانين، قتله الخوارج عليهم لعائن الله، وكان قتله ثلثة في الإسلام لم تسد بعد ذلك، والله المستعان.

قوله: «إن القبر أول منازل الآخرة»: أي بداية الآخرة للميت وفي المثل السائر من مات قامت قيامته.

قوله: «فإن نجا منه فما بعده أيسر منه»: لأنه نجا من شر عريض وحاله كما قال الله -عز وجل-: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٩٤﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٩٥﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٦﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٨﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٩﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة ٨٨-٩٤].

قوله: «وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»: أي من لم يسلم من عذاب القبر فما بعده أشد، وهو عذاب الآخرة، وهذا في حق الكافر.

قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٧].

وقد تقدم في حديث البراء -رضي الله عنه- أنه يقول: «رب لا تقم الساعة»، مع شدة حاله، والله المستعان.

ومن الأدلة على طول المقام فيه: قول الله - عز وجل - : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون ٩٩-١٠٠].



[الفقرة الرابعة والثلاثون: ماذا تعتقد في عذاب القبر ونعيمه؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الرابعة والثلاثون: ماذا تعتقد في عذاب القبر ونعيمه؟

٣٤- فإذا قيل لك: ماذا تعتقد في عذاب القبر ونعيمه؟

فقل: أعتقد أنه حق لمن كان له أهلاً، والدليل حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت: رَسُولُ اللَّهِ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ: «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ»، متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

وعنها أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»، متفق عليه.

وفيه: إثبات عذاب القبر، وفتنة القبر، وفتنة الدجال الأكبر.

ومن الأدلة على نعيمه حديث البراء - رضي الله عنه -.

وفيه: «وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقَالُ: وَالْبُسُوءُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ طَيِّبِهَا وَرَوْحِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ»، أخرجه أحمد في المسند وهو حديث صحيح.

الشرح:

ساق - حفظه الله - هذه الفقرة استطراداً لما يتعلق بالقبر وما فيه.

وقد تضمنت أموراً:

الأول: إثبات عذاب القبر ويكون للكفار ولمن شاء الله من عصاة المسلمين، أسأل الله السلامة.

الثاني: إثبات نعيم القبر: ويكون للمؤمنين الموحدين الممتثلين دين رب العالمين.

الثالث: فتنة القبر وهي السؤال: "من ربك وما دينك وما نبيك"، وتكون لعامة الأموات من المؤمنين والكافرين والصغار والكبار، على الصحيح من أقوال أهل العلم، ولا ينجوا منها إلا أربعة أصناف:

الأول: الأنبياء؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «فبي تفتنون وعني تسألون»^(١)، أخرجه أحمد عن عائشة رضي الله عنها.

الثاني: الشهداء؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في حديث رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -: «كفي ببارقة السيوف على رؤوسهم فتنة»^(٢) أخرجه النسائي.

الثالث: المرابطون؛ كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة،

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٠٨٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٣١٥).

(٢) أخرجه الإمام النسائي في سننه (٢٠٥٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الجامع (٤٤٨٣)، وفي صحيح النسائي.

ويؤمن فتان القبر»^(١) رواه أبو داود عن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه -،
وأخرجه مسلم عن سلمان - رضي الله عنه -.

الرابع: الصديقون؛ على قول لأهل الله لأن الصديقين أفضل من الشهداء.

وفي القبر ضمة: وهي شاملة لكل أحد، ويسلم منها الأنبياء على القول الصحيح؛ لحديث ابن عمر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال في شأن سعد بن معاذ - رضي الله عنه -: «هذا الذي اهتز له العرش: «لقد ضم ضمة ثم فرج عنه»^(٢) أخرجه النسائي.

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أن في القبر لضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ»^(٣)، الذي اهتز له عرش الرحمن، أخرجه النسائي.
ولو كانت الضمة شاملة للأنبياء؛ لقال النبي - صلى الله عليه وسلم -:
«لنجوت منها أنا» والله أعلم.

ثم بعد الضمة: إما نعيمٌ وإما عذابٌ على ما تقدم بيانه.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩١٣) من حديث سلمان رضي الله عنه، والإمام أبو داود في سننه

(٢٥٠٠) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام النسائي في سننه (٢٠٥٥)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم

(٧٦٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٣١١٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في التعليقات

الحسان (٣١٠٢)، وفي الصحيحة (١٦٩٥).

وفي كتابي: "عذاب القبر ونعيمه ذكر بعض أدلة عذاب القبر" حيث قلت: عذاب القبر ونعيمه ثابت بالكتاب والسنة، والإجماع.

أما الكتاب: فأدلته متنوعة وإليك بعضها:

قال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ...﴾:

وهو الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور اهـ

قال الحافظ في «الفتح» (٢٩٩/٣):

قال القرطبي: الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر.

وقال غيره: وقع ذكر عذاب القبر في هذه الآية مفسراً؛ لكنه حجة على من أنكر عذاب القبر **اهـ**

وقال تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ * يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[الطور: ٤٥-٤٧].

قال في شرح الطحاوية: وهذا يحتمل أن يراد به القتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر؛ لأن كثير منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو أن المراد أعم من ذلك. **اهـ**

وقد بوب البخاري في صحيحة: "باب ما جاء في عذاب القبر".

وقوله تعالى: ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ * [الأنعام: ٩٣].

وقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ * [التوبة: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿[غافر: ٤٥-٤٦].

قال الحافظ رحمه الله في شرح الآية الأولى (٢٩٩/٣): وهذا وإن كان قبل الدفن، فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة، وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة، يعذب بعد موته، ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا من شاء الله.

وفي تفسير الآية الأخرى قال: روي عن الحسن من طريق محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾: عذاب الدنيا، وعذاب القبر. **وقال الحافظ رحمه الله:** وقال الطبراني بعد أن ذكر اختلافًا: والأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تحتل أحد ما تقدم ذكره من الجوع، أو السبي، أو الإذلال أو غير ذلك. اهـ

وقول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. **قال الإمام البخاري رحمه (٤٦٩٩):** حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] نزلت في عذاب القبر.

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى كما في «أهوال القبور» (٥٨): وأما نعيم القبر فقد دل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ

وَجَنَّتْ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ [الواقعة: ٨٨-٩١].

وأقول: عذاب القبر يدل عليه في هذه الآية أيضًا: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزِّلَ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٢-٩٤].

واستدل كذلك ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه «الروح» بهذه الآية على النعيم والعذاب في القبر.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «الروح» ومنها: ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

وقد أحتج بهذه الآية جماعة منهم: عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - على عذاب القبر. اهـ

وقال ومنها: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٢٩].

قال: وقد اختلف السلف متى يقال لها ذلك فقال طائفة: يقال لها عند الموت، وظاهر اللفظ مع هؤلاء فإنه خطاب للنفس التي تجردت عن البدن، وخرجت منه، وقد فسر ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله في

حديث البراء وغيره: «يقال لها: أخرجي راضية مرضياً عنك» ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: ٢٩]، مطابق لقوله ﷺ: «اللهم الرفيق الأعلى». اهـ
وقد استدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢].

لكن من باب الفائدة: الحديث الذي أخرجه الترمذي برقم (٣٣٥٢) من طريق حجاج بن أرطاة، عن المنهال، عن زر بن حبیش، عن علي -رضي الله عنه- قال: «ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: ﴿أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢]»، وهو حديث ضعيف.
حجاج ابن أرطاة: الراجح ضعفه.

والمنهال بن عمرو: لم يسمع من زر كما في «التهذيب».
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]، استدل بها على عذاب القبر.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].
قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكر الآية: تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ. اهـ

وقول الله -عز وجل-: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وهذه من أصرح الأدلة على أن في القبر نعيم وعذاب؛ لقوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، أي قبل البعث.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، أي البعث، وهذا ظاهر لمن تأمله.

واستدل بقول الله - عز وجل -: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

قالوا: المعيشة الضنكة في القبر، والعمى في الآخرة، وقد جاء مرفوعاً من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عند الحاكم.

وقول الله - عز وجل -: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [ابراهيم: ٢٧].

قال البراء بن عازب - رضي الله عنهما - فيما يرويه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نزلت في عذاب القبر^(١)، متفق عليه.

وأما الأدلة من السنة فمتواترة:

منها: حديث أبي هريرة وابن عباس وعائشة - رضوان الله عليهم -: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشْهِيدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ،

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٦٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٧١).

وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ^(١)،
أخرجه مسلم. اهـ

وكم هي الأدلة الدالة على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يستعين بها من عذاب القبر، وحديث البراء وقد تقدم.

قوله: «أنها سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - عن عذاب القبر فقال «عذاب القبر حق»: متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

والحديث فيه قصة وهي: «أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذُكَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ زَادَ غُنْدَرٌ: «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ»^(٢).

قوله: «وعنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يتعوذ من فتنة القبر»: وقد تقدم أن الفتنة هي السؤال: (من ربك وما دينك وما نبيك).

وفي الصحيحين: عن أسماء رضي الله عنها قالت: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، مَا مِنْ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٨٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٧٢).

شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَإِنَّهُ قَدْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ: مَا عَلِمَكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ الْمُؤَقِنُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا، ثَلَاثَ مَرَارٍ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ، فَتَمْ صَالِحًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرتَابُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: شَيْئًا، فَقُلْتُ».

قوله: «و فتنة المسيح الدجال»: والمسيح الدجال رجل من بني آدم من اليهود يدعي النبوة ثم الألوهية ويفتن الله - عز وجل - به العباد.

وسمي بالدجال؛ لكذبه وتلييسه وفتنته عظيمة على ما بيناه في كتابنا:

"تحذير العقال من فتنة المسيح الدجال".

وهو موجود الآن؛ لحديث فاطمة بنت قيس -رضي الله عنها- وفيه:

«فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُتَّادِي، مُنَادِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ،

فَقَالَ: «لَيَلْزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمَ الدَّارِيِّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لُحْمٍ وَجُدَامٍ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَعُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمِعْتُ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وَثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُكُمْ عَلَى خَبْرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَعَانَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرَبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا

الجُساسَةُ؟ قَالَتْ: اَعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزَعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنٍ تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبْرِيةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنٍ تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنٍ تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُحِبُّكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أَوْشِكُ أَنْ يُؤَدَّنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرَجَ فَاسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَّتَا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنِّي عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَعَنَ بِمُخَصَّرَتِهِ فِي الْمَنَبْرِ: «هَذِهِ

طَيِّبُهُ، هَذِهِ طَيِّبُهُ، هَذِهِ طَيِّبَةٌ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَيْمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١)، أخرجَه مسلم.

وقد بينت ثبوت الحديث في كتابي المذكور، وقد دافع عنه الحافظ ابن حجر في رسالة الأجوبة المصرية.

وقد أخرج مسلم في صحيحه قصة الدجال: عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ، حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ، حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَاْمُرُوا حَاجِبُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنِ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ،

(١) أخرجَه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٤٢).

فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَانْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبَنُثُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشْهَرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: " كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَوْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتَنْبُتُ، فَتَرْوَحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا، وَأَسْبَعَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِيبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكَ، فَتَبْعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُتَمَلِّئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَينِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُحَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُذْرِكَهُ بِبَابٍ لَدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ

وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ، فَحَرَّزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُخَصِّرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَ أَصْحَابَهُ - رضي الله عنهم -، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَ أَصْحَابَهُ - رضي الله عنهم -، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُضْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَ أَصْحَابَهُ - رضي الله عنهم - إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَ أَصْحَابَهُ - رضي الله عنهم - إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُحْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالرَّلْفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِي ثَمَرَتِكَ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقُحْفِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَاهِمُ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ

مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ،
فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» ^(١).

وينجوا من هذه الفتنة من شاء الله أن يسلم، فهو لا يضر المسلمين، كما
قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «وَأِنَّهُ لَا يَضُرُّ مُسْلِمًا» ^(٢)، أخرجه
ابن حبان عن حذيفة -رضي الله عنه-.

ولا يدخل مكة والمدينة: كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- «لا يدخل
مكة ولا المدينة» متفق عليه عن أنس -رضي الله عنه-.

ومن أسباب السلامة منه: الاستعاذة منه كما في حديث الباب.

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في حديث أبي الدرداء -رضي الله
عنه-: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ» ^(٣)

أخرجه مسلم عن أبي الدرداء -رضي الله عنه-، وغير ذلك.

وأما حديث: «لا يدخل الدجال اليمن» فهو حديثٌ موضوع.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٦٨٠٧ - الإحسان)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٣٠٦).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٠٩).

ويقتله المسيح عيسى ابن مريم كما تقدم في حديث النواس -رضي الله عنه-، وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «ينزل عيسى ابن مريم حكماً مقسطاً فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير»^(١) متفق عليه.

ويكون في زمنه ظهور المهدي -عليه السلام-: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ» - قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ: «لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ»، ثُمَّ اتَّفَقُوا - «حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مَنِيَّ» - أَوْ «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي". زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا» وَقَالَ: فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: «لَا تَذْهَبُ، أَوْ لَا تَنْقُضِي، الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»^(٢) أخرجه أبو داود.

قوله: «متفقٌ عليه»: وجاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه- وابن عباس رضي الله عنه، وفيه إثبات عذاب القبر وفتنة القبر وفتنة الدجال الأكبر وسمي بالدجال الأكبر لكثرة الدجاجلة سواه كما قال النبي -صلى الله عليه

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٢٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٥).

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٢٨٢)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود:

وسلم-: «يكون قبل الساعة ثلاثون دجالاً كذاباً كلهم يزعم أنه نبي»^(١)،
أخرجه مسلم في مقدمته.

قوله: «ومن الأدلة على نعيمه حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه-:
«وأما المؤمن فيقال: وألبسوه من الجنة، وأفتحو له باباً إلى الجنة، فيأتيه من
طيبها وروحها، ويُفسح له في قبره مدَّ بصره»:

أخرجه أحمد في المسند وهو حديث صحيح، وقد تقدم الحديث بطوله،
ومنها قول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ
وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩].

-والحمد لله رب العالمين-



(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٩٨٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وهو في الصحيحة للإمام
الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٦٨٣)، الحديث بمجموع الطريقتين حسن، وهو صحيح بشواهده الكثيرة:
من حديث أبي هريرة وجابر بن سمرة وثوبان مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلى الله عليه
وسلم رضي الله عنهم.

[الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ

الكتاب؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب

وأخذ الكتاب؟

٣٥- فإذا قيل لك: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ

الكتاب؟

فقل: أعتقد أنه حق.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي

لَتُبْعَنَّ ثُمَّ لَتَنبَوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نَّكَرٍ﴾ خُشْعًا

أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّتَشِيرٌ ﴿مُهِطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ

يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [القمر ٦-٨].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا

﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ ﴿فَسَوْفَ

يَدْعُو نُبُورًا﴾ ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-١٢].

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّتاب؟

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الاسراء ٧١-٧٢].

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان ما يتعلق ببقية الإيمان باليوم الآخر وقد علمنا أن القبر أول منازل الآخرة والإيمان بالقبر وما فيه من النعيم والعذاب يدخل في الإيمان بالغيب الذي قال الله - عز وجل - عنه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

﴿والغيب﴾: كل ما غاب عن الإنسان ويدخل فيه الإيمان باليوم الآخر وسمي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده وهو يوم القيامة حيث يقوم الناس لرب العالمين.

وله أسماء منها: يوم البعث؛ لخروج الناس من قبورهم.

ويوم الحشر: لأنهم يحشرون ويجمعون إلى ربهم حفاة عراة غرلا بهما كما

جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه في مسلم.

ويوم الجمع؛ لاجتماع الجن والإنس بل وتبعث الحيوانات حتى يقضى

بينها.

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه؟

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلَحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءِ»^(١)، أخرجہ مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه.

ويجيء الرب سبحانه وتعالى قال الله - عز وجل -: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا * الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا * وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٨].

وتنقطع فيه الصداقات والمودات إلا ما كان لله - عز وجل -.

قال الله - عز وجل -: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

ويوم التغابن؛ لكثرة ما يقع فيه من الغبن، حيث يظهر التفاوت بين الخلائق، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩].

(١) أخرجہ الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨٢).

ويوم التلاق؛ لتلاقي الناس فيه والقضاء بينهم.

ويوم الفصل؛ لأنه يفصل بين العباد فيه قال الله - عز وجل -: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧].

ومن أسماء القيامة القارعة والحاقة والواقعة والطامة الكبرى والساعة وغير ذلك من الأسماء التي جاءت في القرآن والسنة الصحيحة. **وكثرة التسميات:** تدل على عظم شأن المسمى بها لاسيما إذا كانت التسميات مشتقة من المعاني.

فسميت بالقارعة؛ لأنها تقرر آذان العباد وتسبب لهم الفرع والخوف. ومن أسماؤه يوم الفرع الأكبر إلى غير ذلك حيث يغضب الله فيه غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. **قوله: «إِذَا قِيلَ لَكَ مَا تَعْتَقِدُ فِي الْبَعْثِ»:** وهو خروج الناس من قبورهم.

قال الله - عز وجل -: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦]. وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۖ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣ - ١٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

ويكون النفخ في الصور مرتين: قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

قال - عز وجل - : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

قوله: «والوقوف»: أي بين يدي الله - عز وجل - قال الله - عز وجل - : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

وعن المقداد - رضي الله عنه - قال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تُدْنَى السَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ» - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْنِي بِالمِيلِ؟ أَمَسَافَةً الْأَرْضِ، أَمْ المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه؟

أَعْمَاهُمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْحِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمًّا قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ^(١) أخرجـه مسلم.

قوله: «والحساب»:

والحساب على قسمين:

حساب عرض: في شأن المؤمنين، وهو الذي قال الله عنه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴿[الانشقاق: ٧-٨].

وقد فـسره النبي - صلى الله عليه وسلم - بالعرض: كما في حديث عائشة رضي الله عنها، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عُدِّبَ» فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدِّبَ^(٢) متفق عليه.

ويكون العرض لإظهار نعمة الله ومنتـه على العبد، ففي حديث أبي ذر - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ

(١) أخرجـه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٦٤).

(٢) أخرجـه الإمام البخاري في صحيحه (١٠٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٧٦).

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ: اغْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيَقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيَقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا " فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ^(١) أخرجَه مسلم.

الثاني: حساب المقاصة، وهو حساب الله - عز وجل - لمن يريد فضيحتة ومعاقبته.

ويقدم الناس على الله - عز وجل - فيحاسبهم على مثاقيل الذر.
قال الله - عز وجل -: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

والميزان له كفتان ولسان على ما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة، وتوزن يوم القيامة ثلاثة أشياء على الصحيح من أقوال أهل العلم:

الأول يوزن العامل: كما في حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -:
«أنه كان يجتني سواكا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه

(٢) أخرجَه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٠).

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه فقال والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»^(١)، أخرجه أحمد.

الثاني يوزن العمل: كما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٢) متفق عليه.

وكما في حديث أبي سلمى -رضي الله عنه- راعي النبي - صلى الله عليه وسلم -: «بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يموت للعبد فيحتسبه» أخرجه أحمد (٤٤٣/٦).

الثالث توزن الصحف: كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المعروف بحديث البطاقة: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجًّا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٩٩١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم

(٨٣٧)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٤).

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، يَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجِلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعُ السَّجِلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجِلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ^(١)، أخرجه الترمذي.

مسألة: هل توزن أعمال الكفار؟

للعلماء في هذه المسألة قولان:

الأول: أنها توزن لعموم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ٩).
 ﴿وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾
 ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُجُونَ﴾ ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٣-١٠٥).

وفي البخاري ومسلم: [من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «يؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واطروا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ (الكهف: من الآية ١٠٥).]

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٣٩)، وابن ماجه في سننه (٤٣٠٠)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٧٨٧)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّتاب؟

والحديث ليس نص أنه لا يوزن وإنما فيه أن وزنه لا مقدار له إذ لا حسنات له.

وقد رجح هذا القول القرطبي رحمه الله في "التذكرة" (٢٧٢-٢٧٣)

قال:

فإن قيل أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه فتقابل الحسنات بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن والكافر لا يكون له حسنات فما الذي يقابل بكفره وسيئاته وأناى يتحقق في أعماله الوزن؟

فالجواب أن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن الكافر يُحضر له ميزان فيوضع كفره وسيئاته في إحدى كفتيه ثم يقال له هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى فلا يجد فيشال الميزان فترفع الكفة الفارغة وتقع المشغولة، فهذه خفت موازينه وهذا ظاهر الآية.

الثاني: أن الكافر يكون منه صلة الأرحام ومواساة الناس وعتق مملوك وغيرها مما لو كانت للمسلم لكانت طاعة فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع في ميزانه غير أن الكفر إذا قابلها رجح بها.

انتهى

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

وقد قال الله - عز وجل - : ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ يحاسبك وهو مطلع على ظواهرك وبواطنك، قال الله - عز وجل - : ﴿أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

قال تعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] نسأل الله السلامة.

قال الله - عز وجل - : ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ؛ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ نَارٍ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦-١٠].

قال الله - عز وجل - : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

قوله: «وأخذ الكتاب»: والناس في الكتاب على حالين:

الأول: من يأخذ كتابه بيمينه وهم المؤمنون قال الله - عز وجل - : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ﴾ [الاحقاف: ١٩-٢٠].

وقال الله - عز وجل - : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ؛ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨].

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

وقال: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١].

الثاني: من يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره وهم الكفار قال الله - عز وجل -: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ ۖ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ ۖ﴾ [الحاقة ٢٥-٢٦].

قال الله - عز وجل -: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُو بُرُورًا ۖ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق ١٠-١٢].

وهذا الكتاب هو الكتاب الذي تكتب فيه أعمال العبد من خيرٍ وشر قال الله - عز وجل -: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٣].

وكله مسطورٌ على العبد قال الله - عز وجل -: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

وتشهد الجوارح على الإنسان، قال الله - عز وجل -: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۖ﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ



﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرِثُونَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت: ١٩، ٢٣].

وفي حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَضَحِكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ قَالَ مِنْ مُحَاطَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهودًا قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ انْطِقِي قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ ثُمَّ يُحَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ»^(١) أخرجه مسلم.

وقوله: «اعتقد أنه حق»: أي أعتقد أن الإيمان باليوم الآخر وما فيه حق لأن الله - عز وجل - أخبر عنه وأخبر عنه رسول الله ﷺ وما أخبر الله - عز وجل - به وأخبر عنه رسوله ﷺ وصح عنه فهو حق.

قوله: «والدليل»: أي على إثبات البعث من القرآن.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٦٩).



الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾: أي أنهم كذبوا بالبعث والزعم في الغالب يأتي على الأمر الذي يكون مبني على الظن والشك زعموا أن لن يبعثوا أي من قبورهم بعد موتهم.

ومثله: ما جاء عن خباب - رضي الله عنه - قال: «كُنْتُ قَيْنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِرِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضًا، قَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: «لَا أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ تُبْعَثَ»، قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ، فَسَأَوْنِي مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ، فَزَلْتُ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا، أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^(١) متفق عليه.

وعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمُسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: " لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ »^(٢).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٠٩١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٩٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٤).

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

فالشاهد: أن الكفار لا يؤمنون بالبعث والنشور وإنما يضيفون ذلك إلى الدهر، قال الله - عز وجل - مخبراً عن تعجبهم من الإعادة: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وقال الله - عز وجل - ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْنا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الاسراء: ٤٩].

حيث كانوا يستبعدون البعث ولهذا تجد أن السور المكية تتكلم على مسألة البعث والنشور ويقرره الله - عز وجل - لهم بأدلة لا تبقى معها شبهة لمعرض.

قال الله - عز وجل - ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

وقال تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ [عبس: ١٧ - ٢٢].

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

ويقول الله - عز وجل -: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠ - ٣٦].

وهذا إخبار بأن إعادة النشأة ليست بأصعب من ابتدأها فإذا كان الذي أوجدتهم من العدم لم يعجزه ذلك فمن باب أولى إحيائهم بعد الموت ويُركَّب الناس من عجب الذنب كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ، خُلِقَ وَفِيهِ يَرْكَبُ»^(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

قوله: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾: أمره الله أن يقسم على أمرين:

الأول: أنهم سيبعثون من قبورهم وأكده بالقسم ولام القسم والنون.
والثاني: «ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ»: أي تخبرون وتحاسبون على ما عملتم.
وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ: أي أن البعث والحساب يسير على الله فلا يعجزه

شيء.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٩٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٥٥).



الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰتاب؟

وقد أمر الله -عز وجل- نبيه -صلى الله عليه وسلم- على أن يقسم على ثلاثة أمور في القرآن:

الأول: أن القرآن حق، قال الله -عز وجل-: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣].

الثاني: على البعث: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾.

الثالث: الساعة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبا: ٣].

قوله: «وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾»: أي فأعرض عنهم وانتظر بهم يوماً عظيماً وهولاً جسيماً.

قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾: إسرافيل -عليه السلام- حين ينفخ في الصور، لقوله -عز وجل-: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٨]

قوله: ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾: وهذا يكون يوم القيامة حيث يدعون إلى أمرٍ يستنكرونه ويتخوفونه.

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

قوله: ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ﴾: تنظر إلى الأعلى ولا تغمض، وأصواتهم كما قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

من شدة الخوف كما أخبر الله - عز وجل - بقوله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً﴾ [ابراهيم: ٤٢-٤٣].

لا يرتد اليهم طرفهم وأفندتهم هواء من شدة تخوفهم مما يقدمون عليه. قال الله - عز وجل - ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [ابراهيم: ٤٨].

وقد سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال: «في ظلمة دون الجسر»^(١)، أخرجه مسلم عن ثوبان - رضي الله عنه -.

وتكون حين تبدل مستوية، قال الله - عز وجل -: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧].

قوله: ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣١٥).

يخرجون من القبور حيث ينبتون كما تنبت البقلة: ففي حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه -: «ثُمَّ يُرْسَلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ يُنْزَلُ اللَّهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظَّلُّ - نَعْمَانُ الشَّائِكُ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» (١).

ويسرعون حال خروجهم إلى أرض المحشر:

قال الله - عز وجل -: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٤﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: ٤٤-٤٣]، نسأل الله السلامة والعافية.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّتَشِيرٌ﴾: أي لكثرتهم حيث يحشر الأولون والآخرين.

﴿مُهْطِعِينَ﴾: أي مسرعين لإجابة النداء.

﴿إِلَى الدَّاعِ﴾: الذي يأمرهم بالحضور للموقف العظيم:

﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾: حين يحضر عذابهم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٤٠).

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: شديد، كما قال الله - عز وجل -: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ١٠].

وفعلًا أنه يوم شديد لاسيما على الكفار لما فيه من الأهوال:

قال الله - عز وجل -: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الاعراف: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

قوله: «وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: هذا في حق المؤمن.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾: وهو العرض كما تقدم.

﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾: مستبشرًا بما رأى ووعد به.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾: وهذا في حق الكافر والمنافق.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾: يدعو على نفسه بالويل والثبور، لما يرى من

الحزى والفضيحة.

قال الله - عز وجل -: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾

[الفرقان: ١٤].

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰتاب

﴿وَيُضَلَّىٰ سَعِيرًا﴾: أي تحيط به السعير من كل جانب، وهذا جزاء ما

قدموا.

قال الله - عز وجل - : ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٢٦-٣٠].

وهو يوم عظيم تبداه أهوال عظيمة من تشقق السماء:

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧ - ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا الْعُشُورُ عُطِّلَتْ﴾ ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلِفَتْ﴾ ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ﴾ [التكوير: ١ -

١٤].



وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾
[الانفطار: ١ - ٥]

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾: أي يحشر كل أناس مع إمامهم الذي كانوا يعبدونه.

ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في الصحيحين: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ»، وفي لفظ: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰتاب؟

وَاحِدًا» متفق عليه، قال الله - عز وجل -: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ

إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] ^(١)، متفق عليه.

﴿فَمَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: وهم أهل الإيمان.

﴿فَأُولَٰئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ﴾: يقرؤونه مستبشرين لأنهم يرون الأعمال

الصالحة.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: مما عملوه من الحسنات بل يجدون أعمالهم كاملة،

والفتيل: هو الخيط الرقيق الذي يكون في وسط نواة التمرة.

وفي النواة ثلاثة أشياء ذكرت في القرآن:

النقيير ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

والفتيل ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

والقطمير ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:

١٣].

أما النقيير: فهي نقطة صغيرة تكون في مؤخرة النواة.

وأما الفتيل: فهو خيط صغير يوجد في شق النواة.

وأما القطمير: فهو اللفافة البيضاء التي تحيط بالنواة وتفصلها عن

التمر.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤٣٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٢).

قوله: «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ»: أي الدنيا.

«أَعْمَى»: عن الإيمان فالمراد عمى القلب والبصيرة، قال الله - عز وجل -
: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

قوله: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾: أعمى البصر والبصيرة، كما قال:
﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥].

قوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: والجزاء من جنس العمل عموا عن طريق
الإسلام فعموا عن طريق الجنان، والله المستعان.

والكلام في وصف هذا اليوم يطول؛ لكثرة ما فيه من وعد ووعد.
ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالصراط والميزان والحوض
وغير ذلك مما أخبر الله عنه وأخبر عنه رسوله.

قال شيخ الإسلام في الواسطية (ص: ٨):

وَمَنْ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ: فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِنَعِيمِهِ
فَأَمَّا الْفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ. فَيَقَالُ لِلرَّجُلِ: "مَنْ رَبُّكَ وَمَا
دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللَّهُ رَبِّي وَالْإِسْلَامُ دِينِي وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

نَبِيِّ وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَذْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ فَيَضْرِبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ»، ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ: إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى فَتَعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

وَتُنَشَّرُ الدَّوَاوِينُ - وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ - فَأَخِذْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَأَخِذْ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾.

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ كَمَا وَصَفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَمَّا الْكُفَّارُ: فَلَا يُحَاسِبُونَ مُحَاسَبَةً مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ

الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ اللّٰه

وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ وَتُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ بِهَا. وَفِي عَرِصَةِ الْقِيَامَةِ: الْحَوْضُ الْمُرْوَدُّ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ آيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ طُولُهُ شَهْرٌ وَعَرْضُهُ شَهْرٌ مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرِبَهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ - وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمَحٍ الْبَصَرِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرَكَابِ الْإِبِلِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْحَفُ زَحْفًا وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَاللَّيْلِ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَّمِ: أُمَّتُهُ. اهـ



[الفقرة السادسة والثلاثون: هل المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السادسة والثلاثون: هل المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة؟

٣٦- فإذا قيل لك: هل المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة؟

فقل: نعم يرونه في عرصات القيامة وفي الجنة.

والدليل قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾

[القيامة: ٢٢ - ٢٣].

وفي الصحيحين: من حديث جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - أَنَّ

النبي - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وأخرج مسلم: من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبدالرحمن بن

أبي ليلى، عن صهيب - رضي الله عنه -، أَنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم -

قَالَ: «إِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا

أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟

قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ

وَجَلَّ»^(٢).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٥٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٣٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨١).

والحديث صحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا أرى الانتقاد يتم فيه.

فقد نقل الإمام مسلم في «التميز»: الإجماع على أن حماد بن سلمة أثبت الناس في ثابت.

وقال ابن معين: من خالف حماد بن سلمة في ثابت، فالقول قول حماد، وفيه أيضا: بيان لقول الله - عز وجل -: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ﴾ [الآيتان من سورة آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

والكفار لا يرون الله - عز وجل - يوم القيامة، والدليل: قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

الشرح:

ساق المصنف هذه الفقرة لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات رؤية الله - عز وجل - يوم القيامة.

وهذه مسألة من مسائل العقيدة: خالف فيها المبتدعة من الخوارج والمعتزلة ومن إليهم، ويذكرها الناس في باب الصفات وليست من بابه بل إنها من باب الإيمان باليوم الآخر، وإنما تذكر في باب الصفات لأن الرؤية متعلقة بالنظر إلى وجه الله - عز وجل -.

ووجه الله - عز وجل - ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع قال الله - عز وجل -: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].
وقال الله - عز وجل -: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن ٢٦-٢٧].

وكان من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ»^(١)، أخرجه النسائي عن عمار - رضي الله عنه -.
وفي حديث أبي موسى - رضي الله عنه - قال، قال: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه منتهى إليه بصره من خلقه»^(٢).

والوجه من صفات الذات: وفسره المبتدعة بالشوا، وهذا تفسير باطل، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد استعاذ بالوجه ففي حديث جابر - رضي الله عنه - حين أنزل الله - عز وجل -: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال: أعوذ بوجهك، قال «أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ» قال أعوذ بوجهك، قال «أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا» قال هذه أيسر^(٣)، أخرجه البخاري، فلو كان الوجه مخلوقا ما جاز الحلف أو الاستعاذة به.

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٣٠٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن النسائي.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧٩)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٦٢٨).

قوله: «إذا قيل لك هل المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة؟»:

فقل: نعم لأن هذا مبني على أدلة من كتاب الله، وسنة رسول الله -صلى

الله عليه وسلم- ، وأقوال السلف -رضوان الله عليهم-.

وزد على ذلك: أن العقل يدل على الرؤية فإن كل موجود يمكن أن يُرى.

وقوله: «هل المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة»: كأنه يشير إلى مسألة

خلافية، وهي هل يرى الله -عز وجل- كل من في الموقف أم أنها خاصة بالمؤمنين.

وقوله: «يوم القيامة»: أراد به الرد على من يزعم أن الله -عز وجل-

يُرى في الدنيا.

لأن الناس في الرؤية ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الجهمية والمعتزلة ومن اليهم يقولون: لا يرى في الدنيا ولا

في الآخرة وهؤلاء يردون دلالة الكتاب والسنة والأجماع.

والقسم الثاني: غلاة الصوفية: الذين يزعمون أنه يرى في الدنيا

والآخرة، وهؤلاء يردون دلالة الكتاب والسنة والإجماع.

فمن زعم أن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة: فهو كافر كفر أكبر مخرج

من الملة؛ لرده أدلة الكتاب والسنة.

ومن زعم أنه يرى في الدنيا والآخرة: فهو كافر كافر أكبر مخرج من الملة؛
لأنه جوز ما يخالف الدليل، على ما يأتي إن شاء الله.
القسم الثالث: أهل السنة والجماعة: حيث قالوا بأن الله -عز وجل-
يرى في الآخرة.

والدليل والإجماع: قول الله -عز وجل-: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة ٢٢-٢٣].

وقول الله -عز وجل-: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾.
وقول الله -عز وجل-: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَاقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣].
وقوله ﷺ: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ»
(١): أخرجه مسلم عن رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -،
وأخرجه البزار عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-.

وقد سأل موسى عليه السلام ربه أن يريه نفسه فقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾.

واستدل المبتدعة بهذه الآية: على أن الله لا يُرى مطلقاً وهذا استدلال باطل فإنه لم يقل إني لا أرى ثم قيدها بممكن وهو ثبوت الجبل لثبت الجبل

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بعد رقم (١٦٩) (٤/٢٢٤٥).

قال الله - عز وجل - : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الاعراف: ١٤٣].

وليس من دليل يستدل به المبتدعة على نفي الرؤية إلا كان فيه رد عليهم.
ومما يستدل به المبتدعة على نفي الرؤية: قوله - عز وجل - : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الانعام: ١٠٣].

وفيه رد عليهم فإن الله - عز وجل - يُرى ولا يحاط به لأنه الكبير العظيم الواسع المجيد.

ودليل هذا المعنى قول الله - عز وجل - : ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

فنفي موسى - عليه السلام - الإدراك، وهو الإحاطة ولم ينف الرؤية.
ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله - عز وجل - يُرى يوم القيامة في موطنين:

الأول: في عرصات القيامة: وهذا قبل دخول الجنة قال الله - عز وجل - : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].
﴿وَاعْلَمُوا أَنكُمْ مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ» قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: " مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقُطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرِدُونَ؟ فَيَحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهُمْ سَرَابٌ يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقُطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرِدُونَ؟ فَيَحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهُمْ سَرَابٌ يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقُطُونَ فِي النَّارِ

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَتَّظَرُونَ؟ تَتَّبِعُ كُلُّ
أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ،
وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ
شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ
يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ
اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى
قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ،
فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ
الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه
وسلم-، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: " دَحْضُ مَرَلَّةٍ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَالَالِيبِ
وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ
الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَنَاجِ
مُسَلَّمٌ، وَمُخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ
مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ
الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا

يُصَوِّمُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيُحْجُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتَحَرَّمْ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا"، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَافْرُءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا هُمًّا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيُخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُّ وَأَخْيَضَرُّ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضُ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ،

قَالَ: " فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عَتَقَاءَ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا^(١) أخرجه البخاري ومسلم.

الثاني: في الجنة: قال الله - عز وجل - ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ وسيأتي تفسيرها.

وقول الله - عز وجل - ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. والزيادة: هي النظر إلى وجه الله - عز وجل -، فسرّها بذلك رَسُولُ اللَّهِ وأبو بكر وغير واحد من الأئمة.

وفي قوله - عز وجل - ﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]. أن المزيد هو النظر إلى وجه الله - عز وجل -.

قوله: «قول الله - سبحانه وتعالى - ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» [القيامة: ٢٢-٢٣]:

﴿ناصرة﴾: من النصارة بالضاد وهي الحسن.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤٣٩)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٣).

﴿إلى ربها ناظرة﴾: أي نظر العين وهذا هو التفسير الصحيح، حيث عدي النظر بإلى - سلامة الخلف -

قوله: «وفي الصحيحين: من حديث جرير بن عبدالله البجلي -رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: **«إنكم سترون ربكم يوم القيامة»^(١) :**

وتتمت الحديث: **«كما ترون القمر ليلة البدر».**

وفي هذا تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، وهذا خبر ثابت عن النبي - صلى الله عليه وسلم- لا يرده إلا جهمي.

كما قال وكيع: "من رد حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير فهو جهمي".

قوله: «وأخرج مسلم: أي الإمام مسلم من طريق حماد بن سلمة وهو إمام في السنة ومن الأثبات في ثابت، عن ثابت وهو أبو محمد البناني وهو من الأثبات في أنس بن مالك عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب الرومي -رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: **«إِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟»** فيه إثبات الكلام لله -عز وجل- وأنه يتكلم بحرف وصوت يسمع وفيه كرامة الله -

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٥٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٣٣).

عز وجل - لأهل الجنة حيث يكلمهم ويسمعونه ويردون عليه فيقولون:
«أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا»^(١)، لأن المؤمن وجهه أبيض.

قال الله - عز وجل -: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران ١٠٦-١٠٧].

قوله: «أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟»: لأن الفوز بالجنة والنجاة من النار من أعظم النعيم، قال الله - عز وجل -: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قوله: «فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ عَنْ وَجْهِهِ»: وحجابه النور ففي حديث أبي موسى - رضي الله عنه - قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ النَّارِ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(٢) متفق عليه، والمراد بالنار في الحديث، المشرفة لا المحترمة.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧٩).

قوله: «فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ - عز وجل -»: فهو أعلى نعيم الجنة، وكان من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ».

قوله: «والحديث صحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا أرى الانتقاد يتم فيه. فقد نقل الإمام مسلم في «التميز»: الإجماع على أن حماد بن سلمة أثبت الناس في ثابت.

وقال ابن معين: من خالف حماد بن سلمة في ثابت، فالقول قول حماد: يشير رحمه الله إلى إعلال الدارقطني للحديث، حيث قال في التتبع برقم (٧٨): "ورواه حماد بن زيد عن ثابت عن ابن أبي ليلى قوله".

قوله: «والكفار لا يرون الله - عز وجل - يوم القيامة والدليل قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]: رؤية الكفار لله عز وجل يوم القيامة:

هذه مسألة خلافية بين أهل السنة ولهم فيها ثلاثة أقوال:
الأول: لا يروه إلا المؤمنون: ويستدلون بقول الله - عز وجل -: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

الثاني: يراه جميع من في الموقف، ومنهم الكفار ثم يحتجب عنهم، ويستدلون بقول الله - عز وجل -: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، والحجب إنما يكون بعد نظر.

الثالث: يراه المؤمنون والمنافقون وبعض أهل الكتاب، لما تقدم في حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

والصحيح: أن جميع من في الموقف يرى الله - عز وجل - ثم يحتجب عنهم، والحجب لا يكون إلا بعد رؤية.

ويستدل أصحاب هذا القول بعموم قول - صلى الله عليه وسلم -: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ»^(١) متفق عليه،

وبقوله ﷺ: «فَيَقُولُ أَفْظَنْنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ» أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: فقالوا كل أدلة اللقاء تدل على الرؤية إلا أنه لا يلزم من رؤية الكفار لله - عز وجل - أنهم يتنعمون بها تنعم المؤمنين.

قال الشيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٨ - ٤٨٩):

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٥١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠١٦).

وَهَذَا مُقْتَضَى قَوْلِ مَنْ فَسَّرَ "الَلِّقَاءَ" فِي كِتَابِ اللَّهِ بِالرُّؤْيَةِ؛ إِذْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَطَّةَ الْإِمَامُ قَالُوا فِي قَوْلِ اللَّهِ: {الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ} وَفِي قَوْلِهِ: {مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ} وَفِي قَوْلِ اللَّهِ: {وَأَمَّا لَكِثْرَةُ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ} وَفِي قَوْلِهِ: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ} وَفِي قَوْلِهِ: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ} إِنَّ الَلِّقَاءَ يُدُلُّ عَلَى الرُّؤْيَةِ وَالْمُعَايَنَةِ. وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَدْ اسْتَدَلَّ الْمُتَّبِتُونَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ}. وَمِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَنْ قَالَ "الَلِّقَاءَ" إِذَا قُرِنَ بِالتَّحِيَّةِ فَهُوَ مِنَ الرُّؤْيَةِ وَقَالَ ابْنُ بَطَّةَ: سَمِعْتُ أَبَا عُمَرَ الزَّاهِدَ اللَّغَوِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبًا يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} أَجْمَعَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ الَلِّقَاءَ هَاهُنَا لَا يَكُونُ إِلَّا مُعَايَنَةً وَنَظْرَةً بِالْأَبْصَارِ. اهـ

قال الشافعي - رحمه الله تعالى -: فلما حجب الكفار في الغضب دل على

أن المؤمنين يرونه في الرضى.

وللدارقطني كتاب في الرؤية، ولي بحمد الله رسالة ذكرت فيها أدلة أهل

السنة والجماعة، والرد على شبه أهل البدعة والشناعة، والحمد لله.



[الفقرة السابعة والثلاثون: ماذا تعتقد في القرآن الكريم الذي في

المصحف؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السابعة والثلاثون: ماذا تعتقد في القرآن الكريم الذي في

المصحف؟

٣٧- فإذا قيل لك: ماذا تعتقد في القرآن الكريم الذي في المصحف؟

فقل: أعتقد أنه كلام الله - عز وجل -، ليس بمخلوق.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى

يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

الشرح: ****

ساق المصنف هذه الفقرة لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن،

وأنه كلام الله - عز وجل - غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، والكلام في هذه

المسألة ينقسم إلى قسمين:

الأول: إثبات صفة الكلام لله - عز وجل -.

الثاني: إثبات أن القرآن كلام الله - عز وجل -.

وإجماع أهل السنة قائم على أن الله - عز وجل - متكلمٌ بحرفٍ وصوتٍ متى شاء وكيف شاء بما شاء والأدلة على ذلك من القرآن والسنة الصحيحة متواترة.

منها: قول الله - عز وجل -: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].
وقال الله - عز وجل -: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الاعراف: ١٤٣].

وقال الله - عز وجل -: ﴿مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].
وقال الله - عز وجل -: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦].
وقال الله - عز وجل -: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

وفي حديث أبي سعيد - رضي الله عنهما - عند البخاري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ»^(١) متفق عليه.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣٤٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٢٢).

وأما الأدلة على أن القرآن كلام الله - عز وجل -:

فمنها: قول الله - عز وجل -: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]

ومنها: قول الله - عز وجل -: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾

[الفتح: ١٥].

ومنها: قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ يَنْصُرُنِي

حَتَّىٰ أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي»^(١)، أخرجه أحمد، وفي رواية: «كلام ربي».

ومنها: قول عائشة رضي الله عنها: «ما كنت أظن أن يتكلم الله فيَّ

بوحى»^(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

وقال عمرو بن دينار: «أدركت سبعين من أصحاب رسول الله كلهم

يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود»^(٣).

ومن أدلة إثبات صفة الكلام أن الكلام صفة كمال ومعطي الكمال

أولى به، وقد ذم الله - عز وجل - الأصنام التي لا تسمع ولا تنطق.

قال الله - عز وجل - مخبراً عن إبراهيم: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا

فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤٤٥٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(٢١٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٦٦١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٧٠).

الظَّالِمُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٨﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٣ - ٦٧].

وقال الله - عز وجل -: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

ويقول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

فالخلق بقوله كن ويقول في عيسى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، سماه كلمة لأنه كان بالكلمة، وليس هو الكلمة.

وفي الحديث: «وأشهد أن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه»^(١) متفق عليه.

ويجوز الحلف بكلام الله - عز وجل - والقرآن لأنه صفة الله سبحانه وتعالى غير مخلوق.

وأفتى العلماء قديما وحديثا بكفر من قال بخلق القرآن حتى قال ابن القيم في نونيته:

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨).

ولقد تقلد كفرهم خمسون في *** عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنهم *** بل حكاه قبله الطبراني
فإجماع أهل السنة قائم على القول بتكفير من يقول بخلق القرآن.
وللقائلين بهذا القول شبه: أخذوها من مثل قول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّا
جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

فقالوا: جعل بمعنى خلق؛ وهذا كلام فاسد.
فإنَّ جَعَلَ تأتي بمعنى صير وهذا إذا عدت إلى مفعولين وتأتي بمعنى
خلق إذا نصبت مفعولا واحدا وفي هذه الآية نصبت مفعولين: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ
قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، أي صيرناه قرآنا عربيا.

ومثل قول الله - عز وجل -: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].
قالوا: والقرآن شيء، يقال لهم المراد خالق كل شيء مخلوق وإلا فإن الله
- عز وجل - شيء وليس بمخلوق.

قال الله - عز وجل -: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ﴾ [الانعام: ١٩].

والمعتقد الصحيح: أن الله - عز وجل - تكلم بكلام حقيقي سمعه منه
جبريل عليه السلام، وبلغ جبريل محمداً - صلى الله عليه وسلم -.

ومما يدل على أن المتكلم هو الله - عز وجل - حقيقة:

قول الله - عز وجل -: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤].

فمن زعم أنه مخلوق فقد جَوَزَ قول هذا الكلام لغير الله - عز وجل -، وكيف يجوز لمخلوق أن يقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

والأدلة على إثبات كلام الله: أكثر من ألف دليل: من القرآن والسنة والإجماع والآثار الواردة، فيما ذكره بعض أهل العلم.

قوله: «إذا قيل لك: ماذا تعتقد في القرآن الكريم الذي هو في المصحف»: انتقد بعضهم على الشيخ حفظه الله قوله (في المصحف) ولا انتقاد فإن الشيخ حفظه الله يريد أن يخاطب صغار السن بما يعلمون وإلا فالقرآن كلام الله ثم إن المصحف هو الذي اتفق عليه الصحابة - رضي الله عنهم - ثم إن القرآن منه ما قد نسخ وهو كلام الله كما جاء في بعض الأحاديث نُسخَت سورة من المسبحات كنا نعدها بطول الطولين.

فالقرآن كلام الله، منه بدأ قولاً: قال الله - عز وجل -: ﴿تَنْزِيلُ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢].

وقال الله - عز وجل -: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ٢].

وقال الله - عز وجل -: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

والله يعود أي في آخر الزمان: حيث يرفع من الصدور، كما في حديث حذيفة - رضي الله عنهما -: «وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ»^(١) أخرجه ابن ماجه.

قوله: «فقل: أعتقد أنه كلام الله - عز وجل -»:

والمراد بكلام الله صفته، فإن الإضافة إضافة صفة إلى موصوف: كقولهم وجه الله ويد الله وسمع الله.

وليست إضافة تشريف، كما يقول المبتدعة ويكون حكمها كقولهم: بيت الله وناقاة الله وروح الله فإن الكلام معنى يقوم بغيره فأضافته إلى الله إضافة صفة إلى موصوف.

بينما البيت والناقاة تقوم بنفسها، وإضافتها إلى الله إضافة تشريف أو خلق وإيجاد أو ملك.

وهذه القاعدة من مهمات القواعد، وتسمى بقاعدة الإضافة.

قوله: «ليس بمخلوق»: لا بد أن يؤتى بهذا القيد وقد يقول قائل كيف تقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا تقول وجه الله ليس بمخلوق وسمع الله ليس بمخلوق وقدرة الله ليست بمخلوقة أقول نأتي بهذا اللفظ

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٠٤٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(٣٩٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح ابن ماجه.

لأنه قد وجد أناس من المبتدعة يقولون القرآن كلام الله ويريدون به أنه مخلوق فلا بد من البيان:

قوله: «والدليل»:

أي على أنه كلام.

قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾:

أي إذا أتى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من المشركين من يستجير من القتل أو الأسر فأمره الله أن يجيره، ولا يتعرض له بسوء، بل تقام الحجة عليه، ولو أجار أضعف المسلم تعين قبول إيجارتهم.

ففي مسلم: عن أمِّ هانئ بنت أبي طالب - رضي الله عنها -، تقول: "ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ، قَالَتْ: فَسَلَّمْتُ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قُلْتُ: أُمُّ هَانِئِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ»، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَاتِلُ رَجُلًا أَجَرْتُهُ، فَلَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِئٍ قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ: وَذَلِكَ ضَحَى^(١).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٣٦).

قوله: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾: أي القرآن، فإن سمع كلام الله ودخل في الإسلام عصم دمه وماله وعرضه وإن لم يدخل في الإسلام كان مؤاخذاً بما هو عليه من الكفر والطغيان، ومن أراد الزيادة في بيان هذه المسألة فليرجع إلى كتابي: "سلامة الخلف في طريقة السلف"، فقد ذكرت كثيراً من شبه أهل البدع، والرد عليها، والله الحمد والمنة.



الفقرة الثامنة والثلاثون: هل القرآن عربي أم أعجمي؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثامنة والثلاثون: هل القرآن عربي أم أعجمي؟

٣٨- فإذا قيل لك: هل القرآن عربي أم أعجمي؟

فقل: هو عربي.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[الزخرف: ٣].

وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

الشرح: *

لما بين المصنف - حفظه الله - أن القرآن كلام الله - عز وجل - ناسب أن

يبين أنه بلسان عربي مبين.

وهذا مما لا خلاف فيه قال عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - عندما

أمرهم بجمع القرآن: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ،

فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ»^(١) أخرجه البخاري.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٠٦).

وإذا أراد أحد أن يترجم القرآن: فلا يجوز له أن يترجمه الترجمة اللفظية، وإنما يترجم معانيه، فإن الترجمة الحرفية تفسد التركيب والمعاني التي أرادها الله وقد يفهم منه غير المراد.

فمثلاً قوله: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ﴾، يترجم المعنى على أن الله - عز وجل - في السماء، وقد ذهب العلماء إلى منع كتابة القرآن بغير لغة العرب.

قال الزرقاني في مناهل العرفان (٢/ ٩٦):

ونسترعي نظرك إلى أمور مهمة:

أولها: أن علماءنا حظروا كتابه القرآن بحروف غير عربية، وعلى هذا يجب عند ترجمة القرآن بهذا المعنى إلى أية لغة أن تكتب الآيات القرآنية إذ كتبت بالحروف العربية كيلا يقع إخلال وتحريف في لفظه، فيتبعها تغير وفساد في معناه.

ولا شك أن الحروف اللاتينية المعروفة خالية من عدة حروف توافق العربية فلا تؤدي جميع ما تؤديه الحروف العربية فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربي لوقع الإخلال والتحريف في لفظه ويتبعها تغير المعنى وفساده وقد قضت نصوص الشريعة بأن يسان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل والتحريف وأجمع علماء الإسلام سلفاً وخلفاً على أن كل تصرف في القرآن يؤدي إلى تحريف في لفظه أو تغيير في معناه ممنوع منعاً

باتا ومحرم تحريرا قاطعا وقد التزم الصحابة -رضوان الله عليهم- ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن بالحروف العربية.

قوله: «إنا جعلناه قرآنًا عربيًّا»:

أي صيرناه على ما تقدم.

👉 **وكون القرآن نزل بلسان عربي مبين:** فيه رد على أصحاب التفويض الذين يقولون بأن الله أنزل القرآن ولم يبين ما فيه من المعاني لاسيما باب الأسماء والصفات.

فقوله: ﴿مبين﴾: أي مبين واضح فإذا قلت للعربي يسمع، يبصر، وله وجه ويد وقدرة وإرادة، وأنه تعالى يقبض ويسط ويطوي كل هذه معاني معلومة عند العرب.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: دليل على أهمية تدبر وتعقل القرآن.

قال الله -عز وجل-: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

قوله: وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ﴾: أي القرآن من الله - عز وجل -.

﴿الروح الأمين﴾: أي جبريل عليه السلام.

وقد قال - عز وجل - : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿ ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١].

قوله: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾: لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا جاءه جبريل بالوحي يقرأ معه فيشتد ذلك عليه.

فأنزل الله - عز وجل - : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩]،

كما في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - في الصحيحين.

وهذه فضيلة للغة العرب أن الله اصطفاهما واختارها لغة للقرآن الذي هو الكتاب الخالد الناسخ والمهيمن على غيره من الكتب.

وتتميز لغة العرب على غيرها من اللغات بأمر:

الأول: كثرة تراكيبها فالكلمة الواحدة لها تراكيب عدة وتختلف معانيها باختلاف السياقة واختلاف السابق واللاحق.

مثل كلمة: (استوى) قال الله - عز وجل - : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤] أي كمل.

قوله: وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أي علا.

وقوله: ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ أي تعلوا.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

نقل ابن القيم: الإجماع على أنها بمعنى الارتفاع والصعود.

واستوى الطعام أي نضج، واستوى الماء والخشبة أي تساويا.

فإذا سبقتها على دل على العلو والارتفاع، وإذا سبقها الواو دل على

المساواة، وإذا عدت بنفسها دلت على الكمال.

الثاني: أنها تزيد في العقل كما قال بعض أهل العلم.

الثالث: أنها مختصرة عن غيرها، ففيها الضمائر، وغير ذلك، والله الموفق.



الفقرة التاسعة والثلاثون: هل لله أسماء وصفات؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة التاسعة والثلاثون: هل لله أسماء وصفات؟

٣٩- فإذا قيل لك: هل لله أسماء وصفات؟

فقل: نعم له أسماء وصفات تليق بجلاله.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:

١٨٠].

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾.

وفي الصحيحين: من حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال: «لَا نَهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ»، فأقره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ذلك.

فيه: فضل هذه السورة العظيمة التي تعدل ثلث القرآن، كما في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنهما-.

وقد ذكرنا من أسماء الله الحسنى ما فتح الله به بأدلتها من القرآن وصحيح السنة في آخر الكتاب.

ساق المصنف هذه الفقرة لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، والقول فيها من أهم المهمات، إذ هي متعلقة بمعرفة الله - عز وجل -، وشرف العلم بشرف المعلوم، والعلم بها أحد أقسام التوحيد الثلاثة، على ما تقدم.

وهذه الفقرة من أهم الفقرات: إذ أن المخالفين لأهل السنة والجماعة في هذا الباب كثير لا كثرة الله:

منهم المعطلة: الذين عطلوا الله - عز وجل - من أسمائه وصفاته أو من بعض معانيها كالجهمية والمعتزلة والخوارج والروافض والأشاعرة وما تفرع منهم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٨٦).

فكلهم يخالفون في هذا الباب فبعضهم لا يثبت الأسماء ولا الصفات كالجهمية.

وبعضهم يثبت الأسماء مجردة عن الصفات كالمعتزلة.

وبعضهم يثبت بعض الأسماء وبعض الصفات كالأشاعرة.

ومنهم الممثلة: الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه.

فهؤلاء عطلوا الله - عز وجل - من كماله المقدس مع أنه القائل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

و ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع العليم﴾، أي ليس له مثل ولا نظير ولا ند على ما يأتي إن شاء الله.

والقول بأن صفات الله كصفات المخلوقات: تمثيل الكامل بالناقص، ولا يقول هذا أو يعتقده، إلا كافر جاهل برب العالمين.

قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ الإمام البخاري - رحمه الله تعالى:-

«من عطل الله من صفاته كفر، ومن مثله بخلقه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول - صلى الله عليه وسلم - تمثيل، ولا تعطيل».

والصفات ثلاثة أقسام:

١ - صفات كمال لا نقص فيها: كالسمع والبصر والعلم والإرادة والقوة فهذه تثبت لله - عز وجل -.

٢ - صفة نقص لا كمال فيها: كالمرض والصمم والنوم والسنة فهذه تنفي عن الله - عز وجل -.

٣ - صفات كمال من وجه ونقص من وجه: فتثبت لله - عز وجل - في حال كمالها، كالمرء والكيد ونحوه فهذه تكون كمالاً من وجه ونقص من وجه.

قوله: «إِذَا قِيلَ لَكَ: هَلْ لِلَّهِ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ؟ فَقُلْ: نَعَمْ»: إِذْ أَنْ مَا مِنْ مَوْجُودٍ إِلَّا وَلَهُ صِفَاتٌ وَاللَّهُ - عز وجل - هُوَ الْكَامِلُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَيَعْرِفُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَسْمَائِهِ مِنْهَا مَا هُوَ مُخْتَصٌّ بِهِ كَاسْمِ الْجَلَالَةِ لِلَّهِ وَالرَّحْمَنِ وَالظَّاهِرِ وَالْقَاهِرِ وَالْمُتَكَبِّرِ وَمِنْهَا يَكُونُ غَيْرُ مُخْتَصٍّ كَالْمُؤْمِنِ وَالرَّحِيمِ وَالْعَالَمِ وَالْعَلِيمِ لَكِنَّ اللَّهَ - عز وجل - مِنْ كُلِّ اسْمِ الْكَمَالِ الْمَطْلُوقِ.

قوله: «فَقُلْ: نَعَمْ لَهُ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ»:

بِهَذَا الْقَيْدِ، فَقَوْلُهُ لَهُ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ رَدٌّ عَلَى الْمَعْطَلَةِ.

وقوله: «تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ»: رَدٌّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ.

قوله: والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾
[الأعراف: ١٨٠]:

أي أن لله الأسماء الحسنى، أي المبالغة في الحسن كماله، فمن أحسنها أنها في القرآن والسنة، وأنها أسماء مدح وكمال، وأنها تتضمن صفات، فإذا دعوت الله - عز وجل - تدعوه بأسمائه، كقوله يا الله يا رحمن يا رزاق، ونحو ذلك، ولا يجوز أن تدعوا بصفاته، فلا تقول: يا رحمة الله، أو يا وجه الله، أو يا يد الله.

بل إن بعض أهل العلم ذهب إلى تكفير من فعل ذلك.

ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته العلى كأن تقول: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على كل شيء وبرحمتك التي وسعت كل شيء أسألك كذا وكذا كما في الحديث: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخط وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(١)، أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

قوله: «وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]:

أي ومن الأدلة على إثبات الصفات قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٨٦).

أي الوصف الأعلى وقيل هو كلمة لا إله إلا الله، وقيل: الإخلاص، وكلها معاني صحيحة.

قوله: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»: أي ذو العزة والحكمة، وسيأتي مزيد بيان لمعاني الأسماء في آخر الكتاب، والله الموفق.

قوله: وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: أي ومن الأدلة سورة الإخلاص، أي قل يا محمد الله - عز وجل - واحد.

قوله: «اللَّهُ الصَّمَدُ»: قيل: الذي تصمد إليه الخلائق.

وقيل: الذي لا جوف له وقيل السيد الذي كمل في سؤدده.

وقيل: هو الذي لم يلد ولم يولد. فيكون من تفسير القرآن بالقرآن ولا بأس أن يدل على جميع المعاني:

قوله: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»: أي ليس له مثل ولا نظير ولا ند.

وهذا كقوله - عز وجل - : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]

وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢].

وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]: أي لا تعلم له مثيلاً ونظيراً،

وقد فسر هذه السورة بما أرجوا نفعه في: "النبراس في تفسير سورتي الإخلاص".

قوله: «وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قال للنبي: **لأنها صفة الرحمن**»:

أي ومما يدل على باب الصفات.

ما في الصحيحين: عن عائشة - رضي الله عنها -: «أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «سأله لأي شيء يصنع ذلك؟»، فسأله، فقال: **لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها**، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أخبروه أن الله يحب»، وإقرار النبي ﷺ شرع.

والحديث فيه قصة: فعن عائشة - رضي الله عنها -: «أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه - رضي الله عنهم - في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «سأله لأي شيء يصنع ذلك؟»، فسأله، فقال: **لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها**، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «أخبروه أن الله يحب»^(١)، متفق عليه.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣٧٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٨١٣).

وصفات الله مشتقة من أسمائه وأفعاله:

والقاعدة: "أن كل اسم يتضمن صفة وكل فعل تؤخذ منه صفة لله - عز وجل -".

فيغضب ويرضى ويسخط وينزل وكل ذلك على ما يليق بوجهه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله.

وفي الآية رد على النفاة والمثلة الغلاة:

فقوله: «ليس كمثله شيء»: رد على المثلة إذ أن الله ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته، ولا أفعاله.

وقوله: «وهو السميع البصير»: رد على المعطلة.

وفيها دليل: لأهل السنة والجماعة في الجمع بين النفي والإثبات في هذا الباب، وبالله التوفيق.

قوله: «وفيه فضل هذه السورة العظيمة التي تعدل ثلث القرآن»:

وهذا يدل على أن القرآن يتفاضل.

ومن هذا أخذ العلماء أن أسماء الله - عز وجل - تتفاضل.

ومنها: القول بالاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

وقد اختلف فيه العلماء اختلافاً كثيراً ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري والصحيح أن الاسم الأعظم هو لفظ الجلالة: (الله).

وما يدل على أن هذه السورة ثلث القرآن: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أَرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»^(١) متفق عليه.

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ - رضي الله عنهم -: «أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَكَيْفَ يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ»^(٢) متفق عليه.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨١٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠١٥).

قوله: «وأسماء الله -عز وجل- غير محصورة بعدد معلوم لنا»: هذه مسألة أجمع عليها أهل السنة والجماعة ونُقل الخلاف عن ابن حزم ولا يعتد بخلافه في هذا الباب، وقد رددت هذه المسألة برسالة مستقلة بعنوان: "التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين".

حيث قلت: أسماء الله (عز وجل) الحسنى، لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد فإن لله عز وجل أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب له.

أدلة القائلين بعدم الحصر:

ومما يستدل به على عدم حصر أسماء الله في تسعة وتسعين اسماً

١- ما أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٩١): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قُطٌّ، هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي، وَتُورَ صَدْرِي، وَتَجْلِيَ حُزْنِي، وَتَذْهَبَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا»، قَالَ:

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»^١.

٢- مما استدل به العلماء على أن أسماء الله غير محصورة بعدد معين.

ما أخرجه الإمام مسلم رقم (٤٨٦): عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: «فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ؛ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعْتُ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

والشاهد من الحديث قوله: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ».

قال شيخ الإسلام في "درء تعارض العقل والنقل":

فأخبر ﷺ أنه لا يحصى ثناء عليه، ولو أحصى أسمائه، لأحصى صفاته كلها، فكان يحصى الثناء عليه؛ لأن صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه. اهـ

(٣/ ٣٣٢-٣٣٣).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٣/١٠)، وأبو يعلى (٥٢٩٧)، وابن حبان كما في "الإحسان" (٩٧٢)، كلهم من

طريق يزيد بن هارون به. وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٠٣٥٢)، وفي الدعاء (١٠٣٥)، والحاكم في

"المستدرک" رقم (١٩٢٩).



٣- واستدل العلماء أيضاً بما أخرجه البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣): من حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة الطويل، قال: «فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي».

٤- ومما استدل به أهل العلم على أن أسماء الله غير محصورة بالتسعة والتسعين: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١).

قال شيخ الإسلام: (٤٨٦-٤٨١/٢٢):

فأمر أن يدعوا بأسمائه الحسنی مطلقاً، ولم يقل ليست أسماؤه الحسنی، إلا تسعة وتسعين اسماً، والحديث قد سلم معناه، والله أعلم. اهـ

٥- واستدل العلماء أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(٢). وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٣).

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -:

أي لا يطلعون على شيء من علم ذاته، وصفاته، إلا بما أطلعهم الله عليه، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(٤).

(١) [سورة الأعراف، آية: ١٨٠].

(٢) [سورة طه، آية: ١١٠].

(٣) [سورة البقرة، آية: ٢٥٥].

(٤) [سورة طه، آية: ١١٠].

٦- وما استدلل به العلماء على أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين: الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، أكثر من تسعة وتسعين.

قال ابن الوزير رحمه الله تعالى في "إيثار الحق على الخلق" (ص ١٥٨):

وقد ثبت أن أسماء الله تعالى أكثر من ذلك المروي بالضرورة، والنص: أما الضرورة، فإن في كتاب الله أكثر من ذلك، كما سيأتي بيان ذلك، وأما النص فحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: ما قال عبدٌ أصابه هم أو حزن. اللهم إني عبدك... الحديث. اهـ

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٢٢ / ٤٨٢):

وإن قيل لا تدعوا إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة، قيل: هذا أكثر من تسعة وتسعين. اهـ

٧- وما يدل على أن أسماء الله تعالى غير محصورة في تسع وتسعين، دخول كثير من الأسماء المضافة في اسمائه الحسنی.

فقد قال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٢٢ / ٤٨٥):

وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين. اهـ

وقال رحمه الله في "درء تعارض العقل والنقل" (٣/ ٢٣١):

ولما كانت حاجة النفوس إلى معرفة ربها أعظم الحاجات، كانت طرق معرفتهم له أعظم من طرق معرفة ما سواه، وكان ذكرهم لأسمائه أعظم من ذكرهم لأسماء ما سواه، وله سبحانه في كل لغة أسماء وله في اللغة العربية أسماء كثيرة. اهـ مختصراً

قال ابن القيم رحمه الله في "شفاء العليل" (٢٧٧):

قوله: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»، لا ينبغي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة، أي له أسماء موصوفة بهذه الصفة، كما يقال لفلان، مائة عبد أعدهم للتجارة، وله مائة فرس أعدهم للجهاد، وهذا قول الجمهور، وخالفهم ابن حزم، فزعم أن أسماء تنحصر في هذا العدد. اهـ



قال المصنف حفظه الله تعالى:

قوله: «وقد ذكرنا من أسماء الله الحسنى ما فتح الله به بأدلتها من القرآن وصحيح السنة في آخر الكتاب»:

الشرح:

أي كالرد على القول بحصرها بتسعة وتسعين اسماً، على ما يأتي إن شاء الله - عز وجل -.



الفقرة الأربعون: هل أحد غير الله يعلم الغيب؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الأربعون: هل أحد غير الله يعلم الغيب؟

٤٠ - فإذا قيل لك: هل أحد غير الله يعلم الغيب؟

فقل: لا أحد يعلم الغيب إلا الله.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل

عمران: ١٧٩].

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الشرح: *

ساق المصنف هذه الفقرة لبيان اختصاص الله - عز وجل - بعلم الغيب

المطلق.

وفيه: رد على الصوفية ومن إليهم، حيث يزعمون أن أولياءهم يعلمون

الغيب، بل وما في الضمائر والسرائر يعرف ذلك من قرأ في بعض كتبهم،

كأحياء علوم الدين، وكرامات الأولياء للنبهاني، وغيرها.

والغيب ينقسم إلى قسمين:

غيب مطلق: وهذا الذي يختص الله - عز وجل - بعلمه قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

فمن ادعى علم الغيب المطلق كفر.

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ❀ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ❀ [الجن: ٢٦، ٢٧].

غيب نسبي: وهو ما غاب عن زيد وظهر لعمره، وهذا غير داخل في المذموم.

وقد سمي الله - عز وجل - نفسه ووصفها في كثير من الآيات أنه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ❀.

والغيب ما غابَ عن العيان، والشهادة ما ظهرَ وبان، فلا يخفي عليه شيء.

وكفر العلماء الساحر والكاهن والعراف لادّعائهم للغيب المطلق مع أن الله - عز وجل - يقول: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ❀ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ❀ [الجن: ٢٦-٢٧].

وقال الله -عز وجل-: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

قوله: «فقل: لا أحد يعلم الغيب إلا الله»: أي الغيب المطلق الذي اختص الله -عز وجل- به ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه مثل قيام الساعة، ومتى يكون المطر، وما يكون في الأرحام أو ما في الغد على ما يأتي.

وليس من الغيب المطلق معرفة نوع جنين المرأة بعد أن يتخلق فإنها يعرف نوعه بجهاز وهذا ليس من الغيب وإنما أخبر الطبيب بما رأى حيث أن الجهاز أظهر لها نوع الجنين، ثم إن علم الجنين قد خرج من علم الله إلى علم الملك فيكتب رزقه وأجله وذكر أو أنثى وشقي أو سعيد.

قوله: «والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾
[آل عمران: ١٧٩]:

لأن مسألة الغيب تتعلق بالقدر والله -عز وجل- جعل القدر سرًا مكتومًا ولو أن الناس علموا الغيب لحصل فساد عريض وفي ذلك مطعن في حكمة الله، فقد غيَّب الله -عز وجل- ما يكون على الناس وأمر بالطاعة ونهى عن المعصية للاختبار والابتلاء.

هم فالمؤمن يطيع الله - عز وجل - ويكون له ما في علم الله - عز وجل - من الغيب والكافر يعصي الله - عز وجل - ويكون له ما في علم الله - عز وجل -.

ثم إن عدم معرفة الغيب من أسباب الرهبة والخوف من الله - عز وجل - ومن الأسباب الداعية إلى ملازمة السلامة والثبات والدعاء لأن الإنسان إذا علم ما سيكون سيحصل منه تفريط وتضييع واعتماد على ما في علمه فله - عز وجل - الحكمة البالغة والحجة الدامغة وفي حديث أبي هريرة في الملائكة الذين يحضرون مجالس الذكر يقول الله: «قَالَ: "فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟" قَالَ: "فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟" قَالَ: "فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا" قَالَ: "يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟" قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ» قَالَ: "يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا" قَالَ: "يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ" قَالَ: "يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا" قَالَ: "يَقُولُ: فَكَيْفَ

لَوْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً^(١) أخرجهم مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنهما-.

ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لَوْ لَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَا أَسْمَعَنِي»^(٢)، متفق عليه عن أنس -رضي الله عنهما-.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

فيخبر رسوله بما أراد كما حصل من النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزوة بدر من قوله هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان، ولما قالت المرأة: «وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ»، قال: «لَا تَطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، ورسوله -صلى الله عليه وسلم-»^(٣).

فكان لا يعلم إلا ما علمه الله -عز وجل- وهكذا حاله بعد موته من باب الأولى.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٨٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٦٧).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٠٠١)، من حديث الربيع بنت معوذ رضي الله عنها، وقوله الأخير في صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ففي حديث أبي هريرة -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «أَصْحَابِي، أَصْحَابِي، قِيْلَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدُثُوا بَعْدَكَ»^(١).

قوله: «وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: أي الغيب المطلق وهذا حصرٌ فلا يكون الاطلاع عليه والعلم بها إلا من الله -عز وجل- فإنه لا تخفي عليه خافية والغيب عنده شهادة.

قوله: «وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾: وتتمة الآية: «وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» [الأنعام: ٥٩].

ومفاتيح الغيب خمس: قد فسرهما النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في حديث عبدالله ابن عمر -رضي الله عنهما- كما في البخاري: «مفاتيح الغيب خمسة ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]»^(٢).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الإمام

مسلم في صحيحه (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه

(٢٣٠٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٦٢٧).

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى (٦ / ٢٩٤):

الآية نَزَلَتْ فِي الْوَارِثِ بْنِ عَمْرٍو، بْنِ حَارِثَةَ، بْنِ مُحَارِبٍ، ابْنِ حَفْصَةَ، مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنِ السَّاعَةِ وَوَقْتِهَا وَقَالَ: إِنَّ أَرْضَنَا أَجْدَبَتْ فَمَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ؟ وَتَرَكْتُ، أَمْرًا قُبْلِي، فَمَتَى تَلْدُ؟ وَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ وُلِدْتُ فَبَآئِي أَرْضٍ أَمُوتُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وَقَرَأَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ: "بِأَيِّ أَرْضٍ"، وَالْمَشْهُورُ: "بِأَيِّ أَرْضٍ" لِأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ فِيهَا مِنْ عِلَامَاتِ التَّائِيثِ شَيْءٌ.

وَقِيلَ: أَرَادَ بِالْأَرْضِ الْمَكَانَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَلِيحِيُّ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّعِيمِيُّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَاعِدَةَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ». ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. اهـ

ولما سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - متى الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.

وفي هذه الآية دليل: على علم الله الأزلي وأنه محيط بكل شيء.

وفيها: رد على غلاة المعتزلة الذين يزعمون أن الله لا يعلم وقد كفرهم العلماء.

قال ابن عمر - رضي الله عنهما -: «إذا لقيتهم فأخبرهم أنني منهم بريء، وهم مني برء، والذي نفس ابن عمر بيده لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهباً ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر» أخرج مسلم.

وفي قول عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى -: «ناضروهم بالعلم فإن أنكروه كفروا وإن أقروا به خصموا».

ثم جاءوا بقول جديد قالوا: يعلم الكلليات ولا يعلم الجزئيات، وهذا قول مستحدث، فما من شيء موجود إلا وهو جزئي على القاعدة المنطقية، لأن الكلليات إنما تكون بالذهن، والله الموفق.



[الفقرة الواحدة والأربعون: متى تقوم الساعة؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الواحدة والأربعون: متى تقوم الساعة؟

٤١ - فإذا قيل لك: متى تقوم الساعة؟

فقل: أمر الساعة من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقوله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧].

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ»،

أخرجه البخاري من حديث ابنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما -.

الشرح: *

لما تكلم المصنف حفظه الله على مسألة الغيب ناسب أن يذكر ما يتعلق

بعلم الساعة.

قوله: «فقل: أمر الساعة من أمور الغيب»: أي المطلق «التي لا يعلمها

إلا الله» فلم يطلع عليها ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] أي أن

علمها مختص به.

وقوله: «إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ» [فصلت: ٤٧]: أي لا إلى غيره.

قال الله - عز وجل -: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ۖ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ۖ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَحْشَاهَا ۖ﴾ [النازعات ٤٢-٤٥].

وقال الله - عز وجل -: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الاحزاب: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

في آية غير هذه وهذه الأسئلة لم تأت من المسلمين وإنما كانت من الكفار والمنافقين الذين يتشككون في البعث والنشور. وقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»^(١)، أخرجه البخاري من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٦٩٧).

وقد تقدم وهو حديث: «خمس لا يعلمهن إلا الله»، إلا أن الله - عز وجل - قد جعل لها علامات كبرى وصغرى إن شاء الله على ما يأتي.

والله الموفق



[الفقرة الثانية والأربعون: كم شروط قبول العمل؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثانية والأربعون: كم شروط قبول العمل؟

(٤٢) فإذا قيل لك: كم شروط قبول العمل؟

فقل: ثلاثة:

١ - الإسلام، فالكافر لا يقبل الله عمله.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً

مَثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]

٢ - الإخلاص.

والدليل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - القدسي، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ»، رواه مسلم.

٣ - المتابعة، لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

والدليل: حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن النبي - صلى الله عليه وسلم -

نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»^(١)
أخرجه مسلم.

ومع ذلك فإن الكافر مخاطب بفروع الشريعة:

كما قال الله - عز وجل -: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿١٠﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿١١﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿١٢﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿١٣﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٤﴾ حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المدرثر ٤٢-٤٧].

ويحاسب على كفره وعلى ما ترك من الطاعات وما ارتكب من المعاصي والسيئات.

قوله: «والدليل:»: أي على رد عمله قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى (٦ / ١٠٣):

وَهَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ يُحَاسِبُ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَمِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَتَحَصَّلُ هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأَعْمَالِ -الَّتِي ظَنُّوا أَنَّهَا مَنَاجَاةٌ لَهُمْ- شَيْءٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا فَقَدَتِ الشَّرْطَ الشَّرْعِيَّ، إِمَّا الْإِحْلَاصَ فِيهَا، وَإِمَّا الْمُتَابَعَةَ لِشَرْعِ اللَّهِ. فَكُلُّ عَمَلٍ لَا يَكُونُ خَالِصًا وَعَلَى الشَّرِيعَةِ الْمَرْضِيَّةِ، فَهُوَ بَاطِلٌ. فَأَعْمَالُ الْكُفَّارِ لَا تَحُلُّو مِنْ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ، وَقَدْ تَجَمَّعَتْهُمَا مَعًا، فَتَكُونُ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٤).

أَبْعَدَ مِنَ الْقَبُولِ حِينَيْدٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.

قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالثَّوْرِيُّ: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ أَيُّ: عَمَدْنَا.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: (قَدِمْنَا): عَمَدْنَا. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: أَتَيْنَا عَلَيْهِ.

وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ الْحَارِثِ، عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي **قوله:** ﴿[فَجَعَلْنَاهُ] هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، قَالَ: شُعَاعُ الشَّمْسِ إِذَا دَخَلَ فِي الْكُوَّةِ. وَكَذَا رُويَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ عَنْ عَلِيٍّ. وَرُويَ مِثْلُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَالسُّدِّيِّ، وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِهِمْ. وَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هُوَ الشُّعَاعُ فِي كُوَّةٍ أَحَدِهِمْ، وَلَوْ ذَهَبَ يَقْبِضُ عَلَيْهِ لَمْ يَسْتَطِعْ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ قَالَ: هُوَ الْمَاءُ الْمِهْرَاقُ.

وَقَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ الْحَارِثِ، عَنْ عَلِيٍّ: ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ قَالَ: الْهَبَاءُ رَهَجُ الدَّوَابِّ. وَرُويَ مِثْلُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَالضَّحَّاكِ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي **قوله:** ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ قَالَ: أَمَا رَأَيْتَ يَبْسُ الشَّجَرِ إِذَا ذَرَتْهُ الرِّيحُ؟ فَهُوَ ذَلِكَ الْوَرَقُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ: أَخْبَرَنِي عَاصِمُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي سَرِيعِ الطَّائِي، عَنْ يَعْلَى بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: وَإِنَّ الْهَبَاءَ الرَّمَادُ.

وَحَاصِلُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ التَّنْبِيهُ عَلَى مَضْمُونِ الْآيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَمِلُوا أَعْمَالًا اعْتَقَدُوا أَنَّهَا شَيْءٌ، فَلَمَّا عُرِضَتْ عَلَى الْمَلِكِ الْحَكِيمِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا، إِذَا إِنَّهَا لَا شَيْءَ بِالْكُلِّيَّةِ. وَشُبِّهَتْ فِي ذَلِكَ بِالشَّيْءِ التَّافِهِ الْحَقِيرِ الْمُتَفَرِّقِ، الَّذِي لَا يَقْدِرُ مِنْهُ صَاحِبُهُ عَلَى شَيْءٍ بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إِبْرَاهِيم: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٦٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩].

وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى تَفْسِيرِ ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. اهـ
وهذا كما قال الله -عز وجل-: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ ❀ وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ❀ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ❀ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ❀ [الغاشية ١-٤].

والشاهد أنها عاملة ناصبة: أي ذات عمل، ولكنه لا يقبل منها على قول لأهل العلم، ومع ذلك تصل نار حامية تسقى من عين آنية لأن الله - عز وجل - لم يتقبل منهم.

قوله: «وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]: دليل على أن العمل لا يقبل من غير المسلم.

والمراد بالمتقين أهل الإسلام لأن الكافر ليس بمتقي قال الله - عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

قوله: «٢ - الإخلاص»: أي الثاني من شروط قبول العمل الإخلاص، وهو تخلص النية من كل إرادة غير الله - عز وجل -.

قوله: «والدليل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]:

والإخلاص عمل قلبي قال الله - عز وجل -: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [آل ليله الدين الخالص] [الزمر: ٢-٣].

وسميت سورة الإخلاص بهذا الاسم؛ لخلوصها في الكلام على التوحيد.

فالشيء الخالص: هو الذي لا يشوبه شيء، ولذلك يقال ذهبٌ خالص وفضةٌ خالصة.

﴿ **فالإخلاص لله - عز وجل -:** أن لا يشوب العمل شيء من الشوائب من رياء أو عجب أو غير ذلك نسأل الله السلامة.

قوله: «وَمَا أُمِرُوا»:

والأمر هو الله - عز وجل -: ﴿ **إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ** ﴾، أي يوحده - عز وجل -

﴿ **مُخْلِصِينَ** ﴾: أي حال كونهم مخلصين لله - عز وجل - فلا يشرك معه غيره لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا.

وقال الله - عز وجل - بعدها: ﴿ **وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ** ﴾ [البينة: ٥].

فالدين القويم: هو الإخلاص لله - عز وجل - بالتوحيد، والتقرب إليه بما فرض وشرع.

قوله: «وفي حديث أبي هريرة القدسي»: القدسي لأنه مضاف إلى الله - عز وجل - القدوس فيثبت أن الله متكلم بمثل هذه الأحاديث لكن لا يتعبد بقراءتها في الصلاة.

قال ابن العثيمين في القول المفيد على كتاب التوحيد (١ / ٨١): وقد اختلف العلماء رحمهم الله في لفظ الحديث القدسي هل هو كلام الله تعالى، أو أن الله تعالى أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم معناه واللفظ لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قولين:

القول الأول: أن الحديث القدسي من عند الله لفظه ومعناه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أضافه إلى الله تعالى، ومن المعلوم أن الأصل في القول المضاف أن يكون بلفظ قائله لا ناقله، لا سيما والنبي صلى الله عليه وسلم أقوى الناس أمانة وأوثقهم رواية.

القول الثاني: أن الحديث القدسي معناه من عند الله ولفظه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لوجهين:

الوجه الأول: لو كان الحديث القدسي من عند الله لفظا ومعنى، لكان أعلى سنداً من القرآن، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه تعالى بدون واسطة، كما هو ظاهر السياق، أما القرآن، فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢].
وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]

الوجه الثاني: أنه لو كان لفظ الحديث القدسي من عند الله، لم يكن بينه وبين القرآن فرق، لأن كليهما على هذا التقدير كلام الله تعالى، والحكمة تقتضي تساويهما في الحكم حين اتفاقا في الأصل، ومن المعلوم أن بين القرآن والحديث القدسي فروقا كثيرة: منها: أن الحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته، بمعنى أن الإنسان لا يتعبد لله تعالى بمجرد قراءته، فلا يثاب على كل حرف منه عشر حسنات، والقرآن يتعبد بتلاوته بكل حرف منه عشر حسنات.

ومنها: أن الله تعالى تحدى أن يأتي الناس بمثل القرآن أو آية منه، ولم يرد مثل ذلك في الأحاديث القدسية.

ومنها: أن القرآن محفوظ من عند الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

والأحاديث القدسية بخلاف ذلك، ففيها الصحيح والحسن، بل أضيف إليها ما كان ضعيفا أو موضوعا، وهذا وإن لم يكن منها لكن نسب إليها وفيها التقديم والتأخير والزيادة والنقص.

ومنها: أن القرآن لا تجوز قراءته بالمعنى بإجماع المسلمين، وأما الأحاديث القدسية فعلى الخلاف في جواز نقل الحديث النبوي بالمعنى والأكثر على جوازه.

ومنها: أن القرآن تشرع قراءته في الصلاة ومنه ما لا تصح الصلاة بدون قراءته، بخلاف الأحاديث القدسية.

ومنها: أن القرآن لا يمسه إلا طاهر على الأصح، بخلاف الأحاديث القدسية.

ومنها: أن القرآن لا يقرؤه الجنب حتى يغتسل على القول الراجح، بخلاف الأحاديث القدسية.

ومنها: أن القرآن ثبت بالتواتر القطعي المفيد للعلم اليقيني، فلو أنكر منه حرفا أجمع القراء عليه، لكان كافرا، بخلاف الأحاديث القدسية، فإنه لو أنكر شيئا منها مدعيا أنه لم يثبت، لم يكفر، أما لو أنكره مع علما أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله، لكان كافرا لتكذيبه النبي صلى الله عليه وسلم وأجاب هؤلاء عن كون النبي صلى الله عليه وسلم أضافه إلى الله، والأصل في القول المضاف أن يكون لفظ قائله بالتسليم أن هذا هو الأصل، لكن قد يضاف إلى قائله معنى لا لفظا، كما في القرآن الكريم، فإن الله تعالى يضيف أقوالا إلى قائليها، ونحن نعلم أنها أضيفت معنى لا لفظا، كما في "قصص الأنبياء" وغيرهم، وكلام الهدهد والنملة؛ فإنه بغير هذا اللفظ قطعا.

وبهذا يتبين رجحان هذا القول، وليس الخلاف في هذا كالخلاف بين الأشاعرة وأهل السنة في كلام الله تعالى، لأن الخلاف بين هؤلاء في أصل كلام الله تعالى، فأهل السنة يقولون: كلام الله تعالى كلام حقيقي مسموع يتكلم سبحانه بصوت وحرف، والأشاعرة لا يثبتون ذلك، وإنما يقولون: كلام الله تعالى هو المعنى القائم بنفسه، وليس بحرف وصوت، ولكن الله تعالى يخلق صوتاً يعبر به عن المعنى القائم بنفسه، ولا شك في بطلان قولهم، وهو في الحقيقة قول المعتزلة، لأن المعتزلة يقولون: القرآن مخلوق، وهو كلام الله، وهؤلاء يقولون: القرآن مخلوق، وهو عبارة عن كلام الله، فقد اتفق الجميع على أن ما بين دفتي المصحف مخلوق.

ثم لو قيل في مسألتنا- الكلام في الحديث القدسي:- إن الأولى ترك الخوض في هذا، خوفاً من أن يكون من التنطع الهالك فاعله، والاختصار على القول بأن الحديث القدسي ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه وكفي، لكان ذلك كافياً، ولعله أسلم والله أعلم. اهـ

قوله: «قال الله تبارك وتعالى»: فيه إثبات أن الله -عز وجل- متكلم بحرف وصوت على ما تقدم.

قوله: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك»: قوله الشركاء ليس لأن له شريك لكن على الحال الذي عليه الناس إذ جعلوا لله شركاء قال الله -عز وجل-

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

فيقول: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك»: أي أن الله -عز وجل- غني عن ذلك ويبطل أي عمل يدخله مشاركة أو تنديد وغير ذلك فالله -عز وجل- يعبد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

قوله: «من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري»: وإن كان المشارك ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا.

«تركته وشركه»: أي لم يقبل الله -عز وجل- منه عمله.

قال النووي: والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به. اهـ

وفي هذا الحديث: وعيد عظيم للمشركين الذين ينددون إما بالشرك الأكبر أو الأصغر.

وفي مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنهما- سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ

وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ" ^(١) أخرجه مسلم.

قوله: «٣- المتابعة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم-»: أي الشرط الثالث من شروط قبول العمل المتابعة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم-، لأن الله - عز وجل - جعله واسطه بيننا وبينه فلا نعلم كيف نعبد الله - عز وجل - إلا بالطريقة التي بينها رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

فقد أمر الله - عز وجل - العباد بـ قوله: «أقيموا الصلاة».

وبين ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فنصلي كصلاته، قال رسول الله ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي» أخرجه البخاري عن مالك بن حويرث رضي الله عنه.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٠٥).

وأمر بالزكاة والصيام فنصوم ونزكي كما فعل النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأمر بالحج فنحج كما حج النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهو القائل: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»^(١).

فدين الإسلام مبني على الإخلاص لله - عز وجل - والمتابعة للنبي فإن الله - عز وجل - إنما أرسله لذلك قال الله - عز وجل -: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

والواجب علينا التأسي: بالنبي - صلى الله عليه وسلم - قال الله - عز وجل -: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال الله - عز وجل -: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الاحزاب: ٣٦].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢٩٧).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ»^(١).

وكم هي الأحاديث والآيات الدالة على وجوب متابعة النبي - صلى الله عليه وسلم - قال الله - عز وجل -: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الاعراف: ٣] الآية.

قال سفيان ابن عيينة: «وجدنا الأمر كله بالاتباع» أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه.

قال رجل لسعيد بن المسيب: ما يضرني إذا أحرمت من مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - قال أخشى عليك الفتنة قال وأي فتنة في أميال أزيدها، فتلى عليه قول الله - عز وجل -: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال بعضهم: أيعذبني الله على الصلاة بعد العصر فرد عليه: يعذبك على مخالفة السنة.

👉 والمتابعة منها الواجب: كالمتابعة في الواجب.

ومنها المستحب كالمتابعة: في المستحبات.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٦٠٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(٩٢١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

فالشرب قائما جائز، والشرب قاعداً أفضل؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر به.

ولا تكون المتابعة لغير رَسُولِ اللَّهِ إِذْ أَنْ كُلَّ النَّاسِ قَدْ أَمَرُوا بِمُتَابَعَةِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَمَنْ دُونَهُ.

وفي هذه الفقرة رد على بعض أصحاب المذاهب الذين يقولون لا يصح التعبد لله - عز وجل - إلا بالتمذهب.

فالمذهبية ليست من ديننا، قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، فلم يقل الحنبلية ولا الشافعية ولا المالكية ولا الحنفية.

ثم إن هؤلاء لم يؤسسوا مذاهب ويدعوا إليها، إنما تعصب لهم أناس بعد ذلك.

حتى قال قائلهم:

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت *** فوصيتي للناس أن يتحنبلوا
وكان الواجب أن يوصي الناس أن يتبعوا الكتاب والسنة.

ويقول آخر: (لولا مالك لكان الدين هالك).

وأما الأحناف: فعندهم من الغلو المفرط ما يتعجب منه، فأبو حنيفة عندهم سراج الأمة.

مع أن الشافعي يقول: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"، أقوالهم مشهورة في نبذ التقليد، ولمراجعة ذلك مقدمة صفة صلاة النبي ﷺ للشيخ الألباني رحمه الله.

قوله: «والدليل: حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها»:

أي الدليل: على المتابعة وكونها أم المؤمنين رد على الرافضة الملحددين الذين يطعنون فيها، وقد برأها الله.

مما أججه أهل النفاق، وبراءتها في سورة النور من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠].

قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

قوله: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»: هذا لفظ مسلم، وقد اتفق عليه الشيخان بلفظ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

وساق المصنف الحديث لبيان شرطية المتابعة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قال النووي - رحمه الله تعالى - (١٢ / ١٦):

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» وَفِي الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

قَالَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ: الرَّدُّ هُنَا بِمَعْنَى الْمُرْدُودِ وَمَعْنَاهُ فَهُوَ بَاطِلٌ غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِهِ.
وَهَذَا الْحَدِيثُ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ صَرِيحٌ فِي رَدِّ كُلِّ الْبِدْعِ وَالْمُخْتَرَعَاتِ.
 وَفِي الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ زِيَادَةٌ وَهِيَ أَنََّّهُ قَدْ يُعَانِدُ بَعْضُ الْفَاعِلِينَ فِي بِدْعَةٍ سَبَقَ
 إِلَيْهَا، فَإِذَا احْتَجَّ عَلَيْهِ بِالرَّوَايَةِ الْأُولَى، يَقُولُ: أَنَا مَا أَحْدَثْتُ شَيْئًا.
فِيُحْتَجُّ عَلَيْهِ: بِالثَّانِيَةِ الَّتِي فِيهَا التَّصْرِيحُ بِرَدِّ كُلِّ الْمُحْدَثَاتِ سَوَاءً أَحْدَثَهَا
 الْفَاعِلُ أَوْ سَبَقَ بِإِحْدَاثِهَا.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ لِمَنْ يَقُولُ مِنَ الْأَصُولِيِّينَ إِنَّ النَّهْيَ يَقْتَضِي
 الْفَسَادَ. اهـ

تنبيه: هذه الثلاثة الشروط التي ذكرها المصنف شروط جميع الأعمال، إلا
 ما كان من أخذ الزكاة على مانعها جداً، فإنها تجزئ عنه بغير نية، وبقيت
 شروط لكل عمل تتعلق به لم تذكر في هذا الموطن، والله الموفق.



الفقرة الثالثة والأربعون: كم أنواع التوسل المشروع؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثالثة والأربعون: كم أنواع التوسل المشروع؟

٤٣ - فإذا قيل لك: كم أنواع التوسل المشروع؟

فقل: ثلاثة أنواع:

١- التوسل بأسماء الله وصفاته:

والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:

١٨٠].

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

٢- توسل العبد إلى الله تعالى بعمله الصالح:

والدليل: قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

وقوله: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل

عمران: ٥٣].

ومن السنة: حديث: «الثلاثة الذين انطبقت عليهم صخرة، فسدت عليهم الغار، فتوسل كل واحد منهم بخالص عمله». متفق عليه من حديث عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-.

٣- التوسل بدعاء الرجل الصالح:

والدليل: حديث أنس بن مالك -رضي الله عنهما- قال: «بينما رَسُولُ اللَّهِ يُخْطِبُ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، قَحَطَ الْمَطَرُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا. فَدَعَا، فَمُطِرْنَا».

فهذا الحديث فيه: أنهم توسلوا إلى الله -عز وجل- بدعاء أفضل الخلق، ولم يجلسوا في بيوتهم ويقولون: نسألك بجاه نبيك، أو بحق نبيك، ولو كان ذلك مشروعاً لفعلوه، ولكن لم يفعل هذا منهم أحد في حياته، ولا بعد موته، فقد استسقى عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- بعد موت النبي -صلى الله عليه وسلم-، وطلب من العباس -رضي الله عنه- أن يدعو الله لهم؛ لأنه شيخ كبير صالح.

كما هو مبين في «فتح الباري» (٣/ ١٥٠): أن العباس دعا الله -عز وجل-، ولو توسلوا بجاهه لتوسلوا بجاه النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو حي، فهو أعظم، ولم يفعلوا.

وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

الأول: مشركون منددون وهم من دعوا وسألوا غير الله أن يقضي حوائجهم أو يفرج كربهم أو يزيل همومهم أو غير ذلك.

الثاني: أصحاب توسل بدعي لم يشرعه الله - عز وجل - وهم الذين يتوسلون بذات النبي - صلى الله عليه وسلم - كقولهم بحق أو جاه أو منزلة محمد أو حق القرآن أو حق الفاتحة أو حق عيسى أو حق فلان وفلان.

القسم الثالث: من لم ينظر إلى الوسائل من أصلها ولم يطلب القرب من الله عز وجل.

ثم إن التوسل من حيث هو، ينقسم إلى قسمين:

الأول: مشروع.

والثاني: ممنوع.

قوله: «فإذا قيل لك: كم أنواع التوسل المشروع؟»: قوله المشروع خرج به التوسل الممنوع.

قوله: «فقل: ثلاثة أنواع»:

١ - التوسل بأسماء الله وصفاته:

والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

الآية الأولى: تدل على أن من أسباب الوسيلة والقرب من الله - عز وجل - دعاء الله - عز وجل - بأسمائه وصفاته إما على الإجمال أو التفصيل.
لك أن تقول: اللهم إني أسالك بأسمائك الحسنی وصفاتك العلی أن تغفر ذنبي وأن تستر عيبي وأن تصلح شأني وأن تصلح ذريتي إلى غير ذلك.

ولك أن تقول: اللهم إني أسالك بانك أنت الرزاق ذو القوة المتين أن توسع لي في رزقي وأن ترزقني العلم والعمل إلى غير ذلك.
ولك أن تقول: اللهم اغفر لي ذنبي إنك أنت الغفور الرحيم.
وربما يكون التوسل بصفة بعينها: كقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتوسل بالصفات كثيرا، فكان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(١).

وكان يقول: «يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك»^(٢).

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢١٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٣٥٢٢)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها، وكلا الحديثين يصحهما الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن الترمذي. وجاء من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في مسند أحمد، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١١٨٠)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٥٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وكان يقول: «اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا احصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(١).

وكان يقول: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»^(٢).

ويقول: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على كل شيء أحيني اذا كانت الحياة خير لي وامتنني اذا كان الموت خير لي»^(٣).

وفي حديث الاستخارة: «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرُك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدرُ ولا أقدرُ، وتعلمُ ولا أعلمُ، وأنت علامُ الغيوب، اللهم إن كنت تعلمُ أن هذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ودنياي وعاقبةِ أمري وآخره فيسره لي ويسرنى له»^(٤) أخرجه البخاري عن جابر -رضي الله عنهما-.

ويكون الاسم المتوسل به أو الصفة مناسبٌ للسؤال الذي يطلب من الله عز وجل.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٨٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٦٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(٨٠٥)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٣٠٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن النسائي.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٨٢).

قوله: «٢- توسل العبد إلى الله تعالى بعمله الصالح»:

أي بالعمل الذي أخلص فيه لله كقول الله - عز وجل - ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا
أَنْزَلْتَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

هذا عمل صالح من المتوسل فلا تقول اللهم إني أسألك بعمل زيد أو
عمل عمرو.

لأن السلف رضوان الله عليهم أحرص الناس على الخير وما قالوا
نسألك بجاه محمد ولا بجاه أبي بكر ولا فاطمة ولا الحسين ولا الحسن ولا
خديجة ولا عمر ولا عثمان ولا طلحة، إلى غير ذلك.

قوله: «والدليل: قوله تعالى - عز وجل - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا
فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]»:

يشني الله - عز وجل - على المؤمنين الذين يتوسلون بأيمانهم إلى الله في
مغفرة ذنوبهم، وأن ينجيهم من عذاب النار.

قوله: وقوله: «رَبَّنَا آمَنَّا»: أقررنا وأنقذنا.

﴿بِمَا أَنْزَلْتَ﴾: أي القرآن.

﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾: أي تابعناه في ما دق وجل من الشرع والدين.

﴿فَاكْتُبْنَا﴾: عندك.

«مَعَ الشَّاهِدِينَ»: لك بالوحدانية، ولنيك بالرسالة، ولدينك بالحق والصدق.

قوله: «وفي السنة حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم صخرة فسدت عليهم الغار»:

وهو حديث عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- في الصحيحين قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفِرَ مِّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوُّوا إِلَى غَارٍ فَأَنْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصَّدَقُ، فَلِيدُعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أُرْزُ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أُرْزُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَنَسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبُوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيَهُمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَابْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَحِثْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغُونَ مِنْ الْجُوعِ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبُوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ

أَنْ أَدْعُهُمَا، فَيَسْتَكِنَا لِشَرِّبَتَيْهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَاَنْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَيَّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتَيْهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمَكَّتَنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُخْ خَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»^(١) متفق عليه.

فتوسلوا إلى الله بخالص أعمالهم.

قوله: «٣- التوسل بدعاء الرجل الصالح»: بحيث تقول يا فلان أَدعِ الله لي وأدلتة كثيرة فقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - يأتون إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ويدعو لهم فتُفرج كربهم وتقضى حوائجهم.

عن عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما -: "أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَتْ: إِنِّي أَصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ» فَقَالَتْ:

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٧٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤٣).

أَصْبِرْ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا^(١) أَخْرَجَهُ
البخاري.

وحديث أنس بن مالك -رضي الله عنهما- أنه ذُكِرَ: «أَنْ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ
الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وَجَاهَ الْمُنْبَرِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ
يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ -
صلى الله عليه وسلم-: هَلَكْتَ الْمَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثَنَا،
قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ
اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا» قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا
قَرْعَةً وَلَا شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ، وَلَا دَارٍ قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ
سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا
رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ -
صلى الله عليه وسلم-: هَلَكْتَ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ
يُمْسِكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٥٦٥٢)، وَالْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (٢٥٧٦).

حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالْأَجَامِ وَالظَّرَابِ وَالْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَأَنْقَطَعْتُ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ»^(١) متفق عليه. وهذا نوع من أنواع الاستسقاء.

لأن الاستسقاء ثلاثة أنواع:

الأول: الدعاء المجرد: كأن تقول على أي حال أو مكان اللهم أسقنا الغيث ودليله حديث عمير مولى أبي اللحم -رضي الله عنه-: «أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَسْقَى عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ قَرِيبًا مِنَ الزُّورَاءِ قَائِمًا يَدْعُو يَسْتَسْقَى رَافِعًا يَدَيْهِ لَا يُجَاوِزُ بَهَا رَأْسَهُ مُقْبِلًا بِبَاطِنِ كَفِيهِ إِلَى وَجْهِهِ»^(٢)، أخرجه أبو داود.

الثاني: الدعاء في الخطبة: ودليله حديث أنس المذكور حيث قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «اللهم أعثنا ثلاثاً».

الثالث: صلاة الاستسقاء: وهو الخروج إلى المصلى والصلاة بالناس، فعن عائشة عند أبي داود: قَالَتْ: "شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمَنْبَرٍ، فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٠١٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٨٩٧).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١١٦٨)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(١٠٢٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح. ورجاله رجال الشيخين إلا محمد بن سلمة المرادي فمن

رجال مسلم.

يُخْرِجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَى الْمُنْبَرِ، فَكَبَّرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَذَبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ»، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَأَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ، أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْحِدُهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُوفُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ ضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ، فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ -صلى الله عليه وسلم-»^(١).

قوله: «فهذا الحديث فيه أنهم توسلوا إلى الله -عز وجل- بدعاء أفضل

الخلق»: ولم يتوسلوا بذاته أو بجاهه، فهذه من البدع.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١١٧٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود

رحمه الله تعالى.

👉 **أما إذا قالوا نسألك يا محمد أن تسقينا:** فهذا شرك أكبر مخرج من الملة، ولو كان ذلك مشروعاً لفعله الصحابة - رضي الله عنهم -، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

قوله: «وقد استسقى عمر بن الخطاب»: - رضي الله عنهما - وهو أمير المؤمنين بمحضر منالصحابة - رضي الله عنهم - بالعباس بن عبدالمطلب أي طلب منه الدعاء.

والأثر أخرجه البخاري برقم: (١٠١٠): «عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه -، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بَنِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ»

ولو كان التوسل بالذات لكن توسلهم بذات النبي - صلى الله عليه وسلم - أنفع لهم لأن ذات النبي - صلى الله عليه وسلم - لا تأكلها الأرض لكن إنما كان التوسل بدعاء الرجل الصالح ويشترط أن يكون حياً حاضراً قادراً.

ومثله: توسل معاوية - رضي الله عنهما -: «وَعَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ الْخَبَائِرِيِّ، أَنَّ السَّمَاءَ قُحِطَتْ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ - رضي الله عنهما - - وَأَهْلُ دِمَشْقَ يَسْتَسْقُونَ فَلَمَّا قَعَدَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْمُنْبَرِ قَالَ: "أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ

الْأَسْوَدَ الْجَرْشِيِّ؟، فَادَّاهُ النَّاسُ، فَأَقْبَلَ يَتَخَطَّى النَّاسَ، فَأَمَرَهُ مُعَاوِيَةُ فَصَعِدَ الْمُنْبَرَ فَقَعَدَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِخَيْرِنَا وَأَفْضَلِنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِبِزِيدِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْجَرْشِيِّ، يَا بِزِيدُ، ارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى اللَّهِ، فَرَفَعَ يَزِيدُ يَدَيْهِ، وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ، فَمَا كَانَ أَوْشَكَ أَنْ تَارَتْ سَحَابَةٌ فِي الْغَرْبِ، كَأَنَّهَا تُرْسٌ، وَهَبَتْ لَهَا رِيحٌ، فَسُقِينَا، حَتَّى كَادَ النَّاسُ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مَنَازِلَهُمْ". أخرجہ ابن أبي عاصم في (الآحاد والمثاني) (٨٥٦).

قال الألباني - رحمه الله تعالى - في التوسل (ص ٤٦): ومن الغريب حقاً أنك ترى هؤلاء يعرضون عن أنواع التوسل المشروعة السابقة، فلا يكادون يستعلمون شيئاً منها في دعائهم أو تعليمهم الناس مع ثبوتها في الكتاب والسنة وأجماع الأمة عليها، وتراهم بدلاً من ذلك يعمدون إلى أدعية اخترعوها، وتوسلات ابتدعوها لم يشرعها الله عز وجل، ولم يستعملها رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ولم ينقل عن سلف هذه الأمة من أصحاب القرون الثلاثة الفاضلة، وأقل ما يقال فيها: إنها مختلف فيها، فما أجدرهم بقوله تبارك وتعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

وهل هذه إلا أحد الشواهد العلمية: التي تؤكد صدق التابعي الجليل؟

حسان بن عطية المحاربي رحمه حيث قال: "ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة".
هذا ولم نفرد نحن بإنكار تلك التوسلات المبتدعة، بل سبقنا إلى إنكارها كبار الأئمة والعلماء، وتقرر ذلك في بعض المذاهب المتبعة.
ألا وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، فقد جاء في "الدر المختار"
"٢/ ٦٣٠" - وهو من أشهر كتب الحنفية - ما نصه:

عن أبي حنيفة - رحمه الله تعالى -: "لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به،
والدعاء المأذون فيه، المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾. اهـ



[الفقرة الرابعة والأربعون: هل في الدين بدعة حسنة؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الرابعة والأربعون: هل في الدين بدعة حسنة؟

٤٤ - فإذا قيل لك: هل في الدين بدعة حسنة؟

فقل: كل بدعة ضلالة.

والدليل: حديث العرباض المذكور برقم (١٩)، وفيه: «وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا خَطَبَ ... يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». أخرجه مسلم.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْخَوْضِ فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لِيَرُدُّ عَلَى أَقْوَامٍ أَعْرِفُهُمْ، وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، قَالَ: إِنَّهُمْ مِنِّي فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي» متفق عليه.

الشرح:

ساق المصنف هذه الفقرة للرد على من زعم أن في الدين بدعة حسنة، وهذا القول يخالف قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن كل مُحَدَّثَةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة»، فأتى بلفظ: «كل» الدال على العموم.

ومعرفة البدعة من السنة من المسائل المهمة: فالبدع والمحدثات ليست من الدين، وإنما هي دين قام على الرأي والهوى والقياس الفاسد والاستحسان والغلو والجفاء والجهل والطعن في دين الله - عز وجل - من قبل الزنادقة ونحوهم والتقليد للكفار ومن إليهم من علماء السوء، وغير ذلك، والله المستعان.

والبدعة: هي الدين الذي لم يشرعه الله - عز وجل -.

فقولهم: (الدين): خرج الأفعال الدنيوية مثل لبس الساعة وركوب السيارة، ونحوها لكن لو قال أنا سأذكر الله - عز وجل - بين ظهر وعصر كل يوم اثنين بكذا وكذا من الأذكار لأنه يوم مبارك ولد فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - فتخصيص يوم الاثنين بمثل هذه العبادة بدعة لأنه أراد أن يتقرب إلى الله بشيء لم يشرعه الله.

وهنا قاعدة مهمة: "الأصل في العبادات التوقيف والمنع حتى يأتي

الدليل، والأصل في العادات الإباحة ":

فليس للعبد أن يتعبد الله جل وعلا إلا بما شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال جل وعلا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وفي الصحيحين: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عليه الصلاة والسلام قال: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١).

قال ابن العثيمين في شرح الأربعين النووية (ص: ٩٧):

«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»:

(من): شرطية.

و(أحدث): فعل الشرط، وجواب الشرط: (فهو رد).

واقترن الجواب بالفاء لأنه جملة اسمية، وكلما كان جواب الشرط جملة اسمية وجب اقترانه بالفاء.

وعلى هذا قول الناظم فيما يجب اقترانه بالفاء:

اسمية طلبية وبجامد *** وبما وقد وبلن وبالتنقيس

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧١٨)، وجاء الحديث عند الإمام البخاري في صحيحه (٢٦٩٧)،

وعند الإمام مسلم في صحيحه (١٧١٨)، بلفظ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ».

وقوله: «فَهُوَ رَدٌّ»: أي مردود.

ف: رَدُّ مصدر بمعنى مفعول، والمصدر يأتي بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول.

ومن إتيانه بمعنى المفعول قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ﴾ (الطلاق: الآية ٦) أي محمول.

وقوله: «مَنْ أَحَدَثَ»: أي أوجد شيئاً لم يكن.

«فِي أَمْرِنَا»: أي في ديننا وشريعتنا.

«مَا لَيْسَ مِنْهُ»: أي ما لم يشرعه الله ورسوله.

«فَهُوَ رَدٌّ»: فإنه مردود عليه حتى وإن صدر عن إخلاص.

وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة: ٥).

ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

وهذا الحديث أصل من أصول الإسلام، دل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: الآية ١٥٣).

وكذلك الآيات التي سقناها دالة على هذا الأصل العظيم. وقد اتفق العلماء - رحمهم الله - أن العبادة لا تصح إلا إذا جمعت أمرين:
أولهما: الإخلاص.

والثاني: المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، والمتابعة أخذت من هذا الحديث ومن الآية التي سقناها. اهـ

قوله: «فكل بدعة ضلالة»: بيان أن البدع كلها ضلالة مخالفة للكتاب والسنة، ومن قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة فتقسيمه مردود عليه لأنه يخالف الدليل، وما خالف الدليل فهو باطل.

وأما قول عمر - رضي الله عنهما - عن صلاة التراويح: نعم البدعة، فيراد به البدعة اللغوية، وإلا فإن أصل صلاة التراويح وقيام رمضان موجود في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر - رضي الله عنهما -.

و أما حديث جرير - رضي الله عنهما - عند مسلم: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»^(١).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠١٧)، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

فالمراد بالسنة الحسنة: إحياء أمر قد دعا إليه القرآن والسنة، وليس معناه أنهم أحدثوا ما لم يأذن به الله.

فكل بدعة ضلالة، وكل محدثة في دين الله فهي بدعة.

وجاء في رواية: **«وكل ضلالة في النار»**؛ لأنها ليست من الدين، ولو كان من البدع ما هو حسن لسبقنا إليه الصحابة - رضي الله عنهم - لحرصهم على الخير والواقع خلاف ذلك.

قال ابن وضاح في كتاب البدع والنهي عنها (ص: ١٥):

عن حارثة بن مضرب: "أن الناس نودي فيهم بعد نومة أنه من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة، فأنطلق النساء والرجال حتى امتلأ المسجد قيامًا يصلون قال أبو أسحق أن أُمِّي وجدتي فيهم. فأتى بن مسعود فقليل له أدرك الناس. فقال ما لهم؟ قيل نودي فيهم بعد نومة أنه من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة، فخرج أبْن مسعود يشير بثوبه ويلكم أخرجوا لا تعذبوا. إنما هي نفخة من الشيطان أنه لم ينزل كتابًا بعد نبيكم ولا ينزل بعد نبيكم فخرجوا وجلسنا إلى عبد الله فقال إن الشيطان إذا أراد أن يوقع الكذب انطلق فتمثل رجلًا فيلقى آخر فيقول له أما بلغك الخبر فيقول الرجل وما ذاك فيقول كان من الأمر كذا وكذا فأنطلق وحدث أصحابك

قال فينطلق الآخر فيقول لقد لقينا رجلاً إني لأتوهمه أعرف وجهه زعم أنه كان من الأمر كذا وكذا وما هو إلا الشيطان. **اهـ**

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ -**رضي الله** عنهما-: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ» أخرجه الدارمي. [

وَعَنْ حُذَيْفَةَ -**رضي الله عنه**، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا»^(١) أخرجه البخاري.

وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو **رد**»، وعند العلماء أن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.

بمعنى لا يوفق للتوبة كما هو معنى حديث أنس -**رضي الله عنهما** -: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»^(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٨٢).

(٢) أخرجه الإمام الطبراني في "الأوسط" (رقم ٤٣٦٠)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٢ / ٣٨٠)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٦٢٠)، وقال فيه: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير هارون بن موسى وهو الفروي، قال النسائي وتبعه الحافظ في "التقريب": "لا بأس به" وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٠ / ١٨٩): "رواه الطبراني في "الأوسط" ورجاله رجال "الصحيح" غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة".

ولذلك يُهجر أهل البدع مطلقاً: بخلاف أهل المعاصي، إلا إذا علم أن الهجر سبب لصلاحه.

وأما المبتدع فإنه يهجر حتى يتوب من بدعته، أو يموت على حاله.
ومن قول السلف رضوان الله عليهم يقولون: لا تشهد جنازتهم ولا يعاد مرضاهم ولا تحضر ولائمهم.

وربما استدلوا بحديث يحسنه بعض أهل العلم: «القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشيعهم»^(١)، أخرجه أبو داود.
وقد هجر النبي - صلى الله عليه وسلم - كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية - رضي الله عنهم - لما وقع منهم ما وقع من التخلف عن غزوة تبوك وهم من الصحابة رضي الله عنهم الأفاضل.

واستدل العلماء بهذا الحديث: على هجر أهل البدع، وهؤلاء الصحابة - رضي الله عنهم - لم يكونوا من أهل بدعة، لكن لما حصل منهم التخلف، خشي النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يكون قد أصابهم ما أصاب غيرهم من النفاق، فهجرهم حتى أظهر الله - عز وجل - توبتهم.
وهجر أهل البدع: إجماع بين العلماء، كما نقله غير واحد.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٦٩١)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في المشكاة (١٠٧) -

[٢٩]، وفي صحيح أبي داود.

﴿والبدعة ضررها عظيم: وكان من شروط التوبة منها.﴾

أن يكون مع بقية الشروط الإصلاح والبيان.

قال الله - عز وجل -: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠].

بيان شروط التوبة:

- ١- الإخلاص، لأن التوبة عبادة، والعبادة لا تصح إلا بالنية.
- ٢- وأن تكون في زمن تقبل فيه التوبة أي قبل الغرغرة، لحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغْ»، أخرجه أحمد عن ابن عمر -رضي الله عنهما-.
- وقبل طلوع الشمس من مغربها؛ لحديث: «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (١) أخرجه الترمذي عن صفوان بن عسال -رضي الله عنهما-.
- ٣- الإقلاع عن الذنب.
- ٤- الندم على فعله.
- ٥- العزم على عدم العودة إليه.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٢٤٧٩)، من حديث معاوية رضي الله عنهما، وجاء عند النسائي (٤١٧٢)، من حديث عبد الله بن وقدان السعدي رضي الله عنه، وكلا الحديثين يصحهما الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود رحمه الله تعالى.

فيشترط في توبة المبتدع: هذه الشروط الخمسة، ويُزاد إليها الإصلاح، أي إصلاح ما أفسد إن كان قد كتب كتباً ينصر بها البدع، فعليه أن يكتب ما ينصر به السنة والبراءة من تلك البدعة.

ويضاف إلى هذه الشروط: البيان من أنه كان على ضلال حتى لا يغتر الناس ببدعته.

وانظر إلى الإمام أبي الحسن الأشعري - رحمه الله تعالى -: لما تاب من بدعته الأشعرية، وقبل ذلك من الاعتزال، كما في سير أعلام النبلاء (١١) / (٣٩٤):

قال: وَبَلَّغْنَا أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ تَابَ وَصَعِدَ مِنْبَرَ الْبَصْرَةِ، وَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَقُولُ: بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَرَى بِالْأَبْصَارِ، وَأَنَّ الشَّرَّ فِعْلِي لَيْسَ بِقَدْرِ، وَإِنِّي تَائِبٌ مُعْتَقِدٌ الرَّدَّ عَلَى الْمُعْتَرِ لَةِ. **اهـ**

وصعد على المنبر وقال انخلع من البدعة كما أخلع هذا الثوب أو كما قال وأظهر أنه على مذهب الإمام الرباني أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. كما تقدم

قوله: «وحدث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -»: وهو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن حرام - رضي الله عنهما - قتل أبوه يوم أحد.

قوله: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا خطب»: أي في كل خطبة له سواء خطبة الجمعة أو العيد أو غيرها، وهذا التحذير من البدعة يدل على عظيم شرها.

قوله: «يقول»: أي بعد أن يحمد الله ويشني عليه.

قوله: «أما بعد»: كلمة يؤتى بها للفصل بين الحمد والثناء وبين ما بعدها.

قوله: «فإن خير الحديث كتاب الله»: أي القرآن، قال الله - عز وجل -: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣].

قوله: «وخير الهدى»: وفي بعضها الهدي، لكن الهدى أبلغ.

قوله: «هدى محمد»: سواء الهدي القولي أو الفعلي أو الاعتقادي.

قوله: «وشر الأمور محدثاتها»: أي وشر ما يحذر ويتقى البدع المحدثه على غير مثال سابق، وكما قيل:

وخير الأمور السالفات على الهدى *** وشر الأمور المحدثات البدائع

قوله: «وكل بدعة ضلالة»: أي كل أحداث في الدين فهو ضلالة وليست من الهدى في شيء بل من طريق الضالين المبتدعين.

قوله: «عن أبي سعيد الخدري»: هو سعد بن مالك أن النبي - صلى الله عليه وسلم -

قوله: «أنا فرطكم على الحوض»: أي متقدمكم الذي يصلحه لكم وفيه إثبات الحوض قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿[الكوثر ١-٢].

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَأْوُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»^(١)، أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -.

قوله: «فمن ورده شرب منه»: ولا يرده إلا المسلمون وأما غير المسلمين فإنهم يطردون عن الحوض:

ويطرد عن الحوض طائفتين من أهل الملة:

الأولى: أهل البدع:

لما جاء في الصحيحين: عن أبي هريرة - رضي الله عنهما -: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدُثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي»^(٢).

الثانية: بعض العصاة: فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه -، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: " أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٧٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٩٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٨٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٩٠، ٢٢٩٢)، من

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

"، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: "أَمْرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعْنِهِمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسِيرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ - يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتِ النَّارِ، أَوَّلَى بِهِ. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا" ^(١) أخرجه أحمد.

قوله: «لا يظماً أبداً»: وهذا من عظيم نعيمه، سقانا الله منه.

قال النووي في شرح مسلم (١٥ / ٥٤):

وَالظُّمَأُ: مَهْمُوزٌ مَقْصُورٌ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ، وَهُوَ الْعَطَشُ، يُقَالُ ظَمِئَ يَظْمَأُ ظَمًّا فَهُوَ ظَمَانٌ، وَهُمْ ظِمَاءٌ بِالْمَدِّ كَعَطَشَ يَعْطِشُ عَطْشًا فَهُوَ عَطْشَانٌ، وَهُمْ عَطَاشٌ.

قَالَ الْقَاضِي: ظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الشُّرْبَ مِنْهُ يَكُونُ بَعْدَ الْحِسَابِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي لَا يُظْمَأُ بَعْدَهُ.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤٤٤١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

قَالَ: وَقِيلَ لَا يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ قُدِّرَ لَهُ السَّلَامَةُ مِنَ النَّارِ.

قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَقُدِّرَ عَلَيْهِ دُخُولُ النَّارِ لَا يُعَذَّبُ فِيهَا بِالظَّمَاءِ، بَلْ يَكُونُ عَذَابُهُ بَغَيْرِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ ظَاهِرَ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ جَمِيعَ الْأُمَّةِ يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ ارْتَدَّ وَصَارَ كَافِرًا. اهـ

قوله: «أنهم مني»: أي على ما ظهر له وفيه حرص النبي - صلى الله عليه وسلم - على أمته.

قوله: «فيقال إنك لا تدري ما بدلوا بعدك»: أي يقال له إنك لا تعلم ما وقعوا فيه من البدع بعد موتك، وفيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يعلم الغيب قال الله - عز وجل -: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

وهذا رد على الصوفية الذين يدعونه ويرجونه من دون الله - عز وجل -.

قوله: «فأقول سحقا سحقا»: أي بعدا بعدا.

وقوله: «في مكان سحيق»: أي بعيد.

قوله: «لمن بدل بعدي»: أي ابتدع في دين الله - عز وجل - بترك أو فعلا.

والشاهد أن هذه الفقرة فيها: التحذير من البدع بأنواعها سواء البدع المكفرة، والتحذير منها أشد، أو البدع المفسقة والتحذير منها حاصل.

والإنسان عليه أن يلازم سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - القولية
والفعلية والاعتقادية؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات
الأمور» أخرجه الترمذي وأبو داود.

-والله الموفق-



[الفقرة الخامسة والأربعون: من شر البرية الذين يجب علينا بغضهم؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الخامسة والأربعون: من شر البرية الذين يجب علينا بغضهم؟

٤٥ - فإذا قيل لك: من شر البرية الذين يجب علينا بغضهم؟

فقل: هم اليهود، والنصارى، والمشركون.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ

فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

ورسوله﴾ [المجادلة: ٢٢].

الشرح: *

ذكر المصنف هذه الفقرة للتحذير من الاغترار بالكفار ودينهم، لأن

كثيراً من الناس بسبب جهلهم تأثروا بأخلاق الكفار المزيفة وعقائدهم،

ولو كانوا من ذوي الأخلاق لآمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ

نبياً.

وقد قال الله - عز وجل - في شأنهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

ووصفهم بالأنعام في جميع شأنهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

ووصفهم بأنهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمًى فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].
قوله: «إِذَا قِيلَ لَكَ: من شر البرية»: أي شر المخلوقات، اشتق من البري وهو الخلق.

قوله: «الذين يجب علينا بغضهم؟»: لأن الكفار من اليهود والنصارى ومن إليهم لا تجوز محبتهم، قال الله - عز وجل -: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ [المتحنة: ٤].

فهذا دليل: على أنهم لا يحبون وأن حبهم لما هم عليه من الدين يعتبر من الكفر الأكبر المخرج من الملة ويجب على المسلمين أن يتبرؤوا من طريقهم وأن لا تكون بينهم وبينهم الموالاة، إلا كما قال الله - عز وجل -: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ . [

وقال الله - عز وجل - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾.

﴿فاليهود والنصارى ومن إليهم﴾: حادوا الله - عز وجل - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وحاربوا الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وكذبوا الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - والمحبة لهم تناقض دين الإسلام.

وهم أشر من الخنازير والكلاب: قال الله - عز وجل - ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الاعراف: ١٧٩].

لأن الأنعام غير مكلفة وليست بذوات عقل وإنما هي بهيمة عجماء وأما هؤلاء فأتاهم الله سمعًا وأبصارًا وأفئدة قال الله - عز وجل - ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفئِدَتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الاحقاف: ٢٦].

وبغضهم ليس من المستحبات أو المباحات بل يجب عليك كما أنه يجب عليك أن تحب الله عز وجل ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وتحب

للمؤمنين ما تحب لنفسك من الخير فيجب عليك أن تبغض الكفار وما هم عليه من طريق الشر.

وليعلم من يسارع إليهم أنهم لن يرضوا عنه حتى يكفر، قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

وقال الله تعالى مبيناً حسدهم للمؤمنين: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقر: ١٠٥].

وقال الله - عز وجل - مبيناً شدة عداوتهم للمؤمنين: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

والآية نزلت في النجاشي: وإلا فإن النصارى يبغضون أهل الإسلام، كما هو معلوم في تاريخهم الماضي والحاضر، فكم قاموا به من المذابح، والظلم، والاستغلال، والفتك بدين الإسلام، وما أدخل اليهود إلى فلسطين إلا النصارى بما يسمى بوعد بلفور لعنة الله عليهم ترى.

﴿فمن يتوهم ظاهراً باطناً فهو كافر كافر أكبر خرج من الملة:﴾ وأما من اتقى شرهم أو كانت بينه وبينهم عهود ومواثيق فإن ذلك لا يؤثر فقد

صالح النبي - صلى الله عليه وسلم - الكفار في غزوة الحديبية، وكانت بينه وبين اليهود عهود ومواثيق، كما هو معلوم في السيرة.

قوله: «فقل: هم اليهود»: المنسوب إلى دين موسى - عليه السلام - ذكرهم لشهرتهم وشهرة فسادهم وإعراضهم.

قوله: «والنصارى»: المنسوب إلى دين عيسى - عليه السلام -، وقد نصبوا العداء للإسلام وأهله، ولو كانوا أتباع لأنبيائهم لأنابوا بمحمد ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» أخرجه مسلم.

قوله: «والمشركون»: يدخل فيها اليهود والنصارى وهذا من الإجمال بعد التفصيل ويدخل فيها المجوس وعباد الأوثان والقبور والجن والشياطين وغير ذلك فكل من عبد مع الله - عز وجل - غيره فهو مشرك.

قوله: «والدليل»: أي على أنهم شر البرية قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، لأنهم كفار وما هم بخارجين من النار.

قال الله - عز وجل -: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

قوله: «أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ»: أولئك اسم إشارة لما تقدم من اليهود والنصارى والمشركين فهم شر البرية والأشرار لا يجوز أن يتأسى بهم، لأن التأسي بهم يؤدي إلى غضب الله - عز وجل - والخسران المبين في الدنيا والآخرة.

والعجب أن كثيرًا من الناس يميل إلى اليهود والنصارى غافلاً أو متغافلاً عن مثل هذه الآية التي تصفهم بشر البرية وربما تأثر بحياتهم المادية ولا عبرة بها إذ أن العبرة بموافقة الكتاب والسنة.

فَعَنْ سَهْلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»^(١).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠٩١).

وقد قال الله - عز وجل - في بيان حال المشركين يوم القيامة: ﴿فَلَا نُقِـمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

وفي الحديث: «يؤتى بالرجل العظيم السمين لا يزن عند الله جناح بعوضه»^(١) أخرجه الشيخان عن أبي موسى - رضي الله عنهما -.

قوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وتتمه الآية: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.

فلما كتب الله في قلوبهم الإيمان تنكروا للكافرين برب العالمين وأبغضوهم وعادوهم وقتلوهم بأمر الله - عز وجل -.

قال الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُم فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ * قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكنٌ ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فترَبَّصوا حتَّى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القومَ الفاسقين﴾ [التوبة ٢٣-٢٤].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧٢٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٨٥).

فكيف تقع مودة في قلب المؤمن لرجل جعل عيسى ربه وعبد من دون الله - عز وجل - وآخر جعل عزيزاً ربه وعبد من دون الله - عز وجل -، وعبد الأوثان والأصنام والحجار والصماء العمياء التي لا تنفع ولا تضره، وكيف يقع الحب والولد لهم، وهم يكذبون محمداً ﷺ ويطعنون في ما جاء به من الحق، فإذا لم يكن حبك وبغضك لدين الله - عز وجل - وما إليه فلا خير فيك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»^(١) متفق عليه.

-وبالله التوفيق-



(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٣).

وقد عرفها الرئيس الأمريكي «نكولن» بأنها: حكم الشعب بالشعب وللشعب.

والديمقراطية، هي المذهب الذي يرجع أهل السلطة السياسية إلى الإرادة العامة للأمة.

وقال أحمد بن عبد الكريم: يشير مفهوم الديمقراطية إلى نسق سياسي قائم على مبدأ ممارسة الحكم من خلال موافقة المحكومين وتقبلهم له. ومن هذه الموافقة تستمد الحكومة شرعيتها، وبالتالي تصبح الديمقراطية مذهباً فلسفياً، ونظاماً تطبيقياً للحكم، في الوقت نفسه فهي كنظام فلسفي تعني: أن الأمة هي مصدر السلطة والقوة، وإرادتها منبع السيادة ومصدرها في الدولة، ولا تكون هذه السيادة شرعية إلا إذا انبعثت من إرادة الأمة، واستندت إليها.

وهي كنظام حكم تكفل الحقوق والحريات الفردية، وبالتالي يصبح الشكل الديمقراطي للحكم طريقة حياة، وطريقة للنظر إلى الأشياء والشعور تجاه الإنسانية والمجتمع والسلوك الإنساني. اهـ^(١).

(١) من «الديمقراطية في اليمن» ص (٦٥).

فانظر أخي المسلم: هل تجد في تعريف الديمقراطية إشارة إلى العمل بدين الإسلام، والتعبد لله - عز وجل - أم نظرتها إلى إرادة الأمة والحرية الفردية، ولو كانت في الشرك والزنا، ونحو ذلك.

بيان نشأتها:

فكرت الديمقراطية ظهرت قبل الميلاد من أناس ملحدين وفلاسفة تائهين، حيث شهدت مدينتي أثينا وإسبراط اليونانيتين تطبيق هذه الفكرة، **وقد عبر عنها أفلاطون بقوله:** إن مصدر السيادة هو الإرادة المتحدة للمدينة، أي الشعب.

في حين وضع أرسطو أنواع الحكومات فقال: إنها ثلاث:

ملكية، وأرستقراطية، وجمهورية.

أي، يتولى الشعب زمام أموره بنفسه.

ثم اندثرت بعد ذلك الديمقراطية، وعاشت أوروبا تحت نظام الإقطاع لقرون طويلة، ثم ظهرت من جديد حيث لعبت الأيدي اليهودية بجد على ظهورها تحت شعار ما يسمى «بالماسونية».

والماسونية: معناها البناؤون الأحرار.

وهي في الاصطلاح: منظمة يهودية سرية هدامة إرهابية غامضة، محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد.

وتستتر تحت شعارات خداعة: (حرية - إخاء - مساواة، إنسانية)، جل أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، من يوثقهم عهدًا بحفظ الأسرار.

ويقومون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، تمهيدًا لتأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية، كما يدعون، وتتخذ الموصولية والنفعية أساسًا لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية.

بيان أهداف الماسونية:

١ - القضاء على جميع الأديان تحت شعار (الدين لله والوطن للجميع).

٢ - تكوين جمهورية ديمقراطية لا دينية عالمية فوضوية.

٣ - جعل الماسونية سيدة الأحزاب.

٤ - القضاء على الأخلاق.

٥ - نشر الإباحية والانحلال.

٦ - إسقاط الحكومات الشرعية.

٧ - تسليح الشعوب المتصارعة لإشعال نار الفتنة.

وكان للمفكر الإنجليزي «جون لوك» دور كبير في الدعوة إلى مبادئ الديمقراطية في القرن السابع عشر ضد السلطان المطلق للملوك، وتأثيره الكبير في المفكرين عامة، خلال القرن الثامن عشر خاصة، «فولتير» و«مونتسكيو» و«روسو» من المفكرين الفرنسيين أدى ظهور هؤلاء المفكرين إلى قيام الثورة الأمريكية، وإعلان الاستقلال عام ١٧٧٦م، وتقرير مبدأ الحقوق والحريات للأفراد.

وقامت قبل ذلك الثورة الإنجليزية: عام ١٦٤٩م وعام ١٦٨٨م، وأعلنت وثيقة الحقوق سنة ١٦٨٩م التي أرست النظام البرلماني.

وكان لتعاليم دعاة الديمقراطية خاصة [روسو] وقيام الثورة الإنجليزية وبعدها الأمريكية وبداية المناادة بها في الثورة الفرنسية، تحت شعار الحرية، الإخاء، المساواة. ثم بلورت ذلك في إطار قانوني ملزم، وكان ذلك في إعلان الحقوق الفرنسي الصادر عام (١٧٨٩م)، حيث جاء في المادة الثالثة (الأمّة مصدر السيادة ومستودعها وكل شخص يتولى الحكم إنما يستمد سلطته منها).

ثم بثّ في الدستور الفرنسي الصادر عام (١٧٩١م)، (فنص على أن السيادة ملك للأمّة، ولا تقبل التجزئة ولا التنازل عنها ولا التملك بالتقادم.

فتلخص من هذا: أن الثورة الفرنسية، ومن قبلها الأمريكية والإنجليزية نقلت المبدأ الديمقراطي الذي نادى به المفكرون إلى مبدأ وضعي مطبق بالفعل، ومنصوص عليه في دساتير الحكم المختلفة. ثم انتشرت فكرة الديمقراطية بين الدول العالمية، وجميعهم استقوها من فرنسا.

بل قد أنخرط في هذه الاستجابة كثير من الدول الإسلامية، والله المستعان.

فتأمل وفقك الله: مما تقدم تجد أن الديمقراطية طريق وضعه الكفار من اليهود والنصارى والملاحدة وجعلوا الحكم والسلطة للشعب، وتناسوا لبعدهم عن الدين أن الحكم لله جل وعز، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

فنحن عبيد الله، والكون ملك الله يسيره كيف يشاء، فينبغي أن نسير على ما يحبه ويرضاه، ونجتنب ما يبغضه ويأباه.

بيان مبادئ الديمقراطية:

وللديمقراطية مبادئ وأسس تسير عليها:

١ - سيادة الأمة، فمن المعلوم أن السيادة المطلقة لله عز وجل، فعند أن قالوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يا سيدنا، قال: «السيد الله» فهو الذي حقه أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، وهو السيد الكامل له الحمد، ونحن عبيده، والكون ملكه.

٢ - الحكومة النيابية.

ومعناها: "أن الحكومات يشكلها ويوافق عليها المجالس النيابية المنتخبة من قبل الشعب".

٣ - فصل السلطات.

تشريعية: "وهي التي تسن القوانين".

تنفيذية: "وهي التي تعمل على تنفيذ هذه القوانين الوضعية".

قضائية: "وهي التي تفصل بين المتخاصمين بهذه القوانين الوضعية".

٤ - علو الدستور الوضعي.

ومعنى هذا: أن لا صوت يعلو فوق الدستور، ولو كان كتاب الله وسنة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

٥ - الحقوق الفردية، أو الحريات العامة.

بمعنى أن كل فرد له حرية الدين والفعل والقول ما لم يتعارض مع حق غيره.

٦ - تعدد الأحزاب، والطوائف.

مخالفين أمر الله - عز وجل - قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

وكلها مبادئ تتعارض مع الكتاب والسنة.

وتعرّف السيادة عند أصحاب الديمقراطية: أنها تلك السلطة العليا التي تملك حق التشريع ولا تعرف بجانبها أو فوقها تنظيم، فهي سلطة تسموا فوق الجميع، وتفرض نفسها على الجميع بما تملك من سلطة الأمر والنهي العليا.

ومن تصور معنا: هذه الجملة، السلطة للشعب، لا يشك بأن النظام الديمقراطي، نظام إلهي جاهلي، لا يصلح للبلدان الإسلامية، التي تؤمن

بالوحي المنزل من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣].

ونظرية السيادة: جاءت من اليهود والنصارى في أوروبا عند أن أرهقهم حكامهم الذين يحكمون بدينهم المحرف المبدل، فجعل الملوك السيادة لهم، وجعل الناقمون عليهم السيادة، للشعب.

أما الشريعة الإسلامية فقد بين الله سبحانه وتعالى الحقوق التي على الحكام والمحكومين.

فالسيادة المطلقة في ديننا الله تعالى، فلا ينازع جل وعز في سلطانه، إذ له الخلق والأمر، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

الفروق بين دين الله - عز وجل - ودين الديمقراطيين:

الديمقراطية دينٌ يسير عليه أصحابه يحل لهم ويحرم، ويأمر وينهي، وهم يحاولون العمل به والدعوة إليه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وإليك الفروق الجلية بين دين الله عز وجل ودين الديمقراطيين:

١ - دين الله عز وجل يدعو الناس إلى أفراد الله عز وجل بالعبادة.

ودين الديمقراطيين يدعو الناس إلى حرية الاعتقاد، فلا فرق عندهم بين عبادة الله عز وجل وبين عبادة الوثن والصنم.

٢- دين الله عز وجل يدعو إلى تحكيم الكتاب والسنة.

بينما دين الديمقراطيين يدعو إلى الحكم بالأحكام التي وضعها البشر، وإن كانت فيها المحادة لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

٣- دين الله عز وجل من عند الله سبحانه وتعالى محفوظ يحفظه.

بينما دين الديمقراطيين نتاج لأفكار الفلاسفة والملاحدة ومنكري البعث، من الشيوعيين واللا دينيين وغيرهم.

٤- دين الله عز وجل يدعو إلى مكارم الأخلاق والبعد عن سفاسفها.

بينما دين الديمقراطيين يدعو إلى سفاسف الأخلاق والخنا والفجور.

٥- دين الله عز وجل حد للناس حدودًا وأوجب عليهم عدم مخالفتها، وفيها صلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم.

بينما دين الديمقراطيين جعل للفرد الحرية المطلقة مما جعل الناس كالبهائم، لا يتورعون عن باطل فعلوه، وكأنهم غير مكلفين.

٦- دين الله عز وجل كرم المرأة، وأمرها بالحشمة والعفة.

بينما دين الديمقراطيين أهان المرأة، ودعاها إلى الخنا والفجور والتحلل والسفور.

٧- دين الله عز وجل العزة فيه لله ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- وللمؤمنين.

بينما دين الديمقراطيين العزة فيه للعلمانيين والاشتراكيين والعصاة، ومن كان عن شرعة الله من المتمردين.

٨- دين الله عز وجل جعل القوامة للرجال على النساء في الولايات العامة والخاصة والبيت، إلى غير ذلك.

بينما دين الديمقراطيين رفع المرأة فوق قدرها، ودعا إلى قوامتها على الرجال، وتوليها الولايات العامة والخاصة، وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: [«لن يفلح قوم ولّو أمرهم امرأة»]. أخرجه البخاري عن أبي بكرة -رضي الله عنه-.

٩- دين الله عز وجل هو الإسلام الذي فيه كل خير.

بينما دين الديمقراطيين حرب على الإسلام وأهله، وهذا هو الهدف الذي من أجله أسسها الماسنيون اليهود، ودعوا إليها، وعظموا شأنها، وزينوها بالشعارات الجوفاء.

فيا أمة الإسلام اتقوا الله وعودوا إلى كتاب ربكم وسنة نبيكم، إن أردتم العزة والسؤدد في الدنيا والآخرة.

وأسأل الله عز وجل بمنّته وكرمه أن يبصر المسلمين بدينهم، ويردهم إلى سنة نبيهم، وأن يذل الكافرين ويخذلهم، إنه على كل شيء قدير.

وقد تكلمت عن هذا الطاغوت بأوسع مما ذكر في كتابي الأدلة الرضية في حكم الديمقراطية.



٢- المجالس النيابية بما أن لها الاستقلالية الكاملة والمطلقة في التشريع، فقد يقدم لها حكم الله عز وجل، كتحريم الخمر، فتناقشه كراي، وربما أقرته، وربما أوقفته، وربما ردته، فهل بعد هذا من ضلال، اللهم سلم.

٣- المجالس النيابية الديمقراطية تحارب شرع الله، وتصوت ضده، فربما جوزت الشرك والفساد، إلى غير ذلك.

٤- المجالس النيابية مرجعيتها الدساتير الوضعية، لا الكتاب والسنة. فبهذا تعلم خطر ما عليه الديمقراطيون من محاربة لشرع الله عز وجل، وتحاكم إلى غير الله عز وجل، وتشريع لم يشرعه الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

بينما تجد أن الدين الإسلامي يقرر أن التشريع حق لله عز وجل، فهو الواحد الأحد العالم بما يصلح للخلق أجمع، ولقد أرسل الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع، ليكون الدين كله لله عز وجل.

وأمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يحكم بين الناس بشرعه يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

بينما النظام الديمقراطي الظالم يدعو الشعب إلى اختيار ممثلين لهم، ثم يشرع الممثلون القوانين الوضعية، فيسير الناس عليها، ويعملون بها، ويطبقونها.

وقد ذم الله عز وجل أهل الكتاب حيث اتخذوا علماءهم أرباباً من دون الله، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله. اهـ

والديمقراطيون جعلوا التشريع للشعب كما جعل اليهود والنصارى التشريع لأحبارهم ورهبانهم.

بيان المخالفات التي ترتكب من قبل النيابيين في التوحيد:

وقد أخبر النبي ﷺ أن من أساء الله عز وجل الحسنى: **«الحكم»**:
كما في حديث أبي شريح -رضي الله عنه- عند أحمد: **«إن الله هو الحكم إليه الحكم»**.

ويقول الله تعالى: **﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾** [الرعد: ٤١].
ومن صفاته العلي أنه يحكم بين عباده، كما قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** [الزمر: ٣].

وقال الله عز وجل منكراً على كفار قريش عند أن طلبوا من نبيه التحاكم إلى غير شرع الله عز وجل: **﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْماً﴾** [الأنعام: ١١٤].
قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: قل لهم يا محمد كيف أضل وأبتغي غير الله حكماً، والحكم أبلغ من الحاكم، كما تقرر في مثل هذه الصفة المشتقة. أمره سبحانه وتعالى أن ينكر عليهم ما طلبوه منه من أن يجعل بينه وبينهم حكماً فيما اختلفوا فيه. اهـ

قوله: «فقل: هي شرك أكبر»: أي مخرج من الملة، وشركها في توحيد الأسماء والصفات وفي الألوهية على ما تقدم فهي تضاد حكم الله قال الله -عز وجل -: **﴿لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾** [التين: ٨].

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحُكْمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»^(١)، أخرجه أبو داود عن أبي شريح - رضي الله عنه -.

قوله: «والدليل: قول الله تعالى:- ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]:
أي الحكم الشرعي الموافق لمصالح العباد ظاهراً وباطناً دنيوياً وأخروياً
هو حكم الله فيجب أن يأخذ العباد به.

وقد قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ﴾.

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ﴾، على تفصيل معلوم عند أهل العلم بأن الأصل في الحكم بغير
ما أنزل الله - عز وجل - أنه كفر دون كفر إلا في حالات:

الأول: إذا كان يعتقد أن حكم الله لا يصلح لهذا الزمن.

الثاني: إذا كان يعتقد أن حكم غير الله كحكم الله أو أحسن.

قوله: «وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]:

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٥٥)، والإمام النسائي في سننه (٥٣٨٧)، وهو في الصحيح المسند

للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١١٨١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

أي حكمه القدري والشرعي وقد أنزل أحكامه في القرآن وأوحاها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح السنة.

فلا يجوز أن يحكم بغير الكتاب والسنة فمن حكم بالهوى أو الراي الباطل فانه على ضلال.

قال الله - عز وجل -: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

تنبيه: بقي أن يعلم: أن حكمنا على الديمقراطية بالكفر لا يعني أننا نكفر المجتمعات المسلمة ولا حكامهم المسلمين، وإنما هذا الحكم هو على الفكرة من حيث هي، أما الحكم على المعين فإنه يختلف من شخص إلى شخص فمن توفرت فيه الشروط وانتفت الموانع كان كافراً ومن لا فلا.

وأهل السنة والجماعة من أبعد الناس عن فكر الخوارج والمعتزلة، ومن سار على سيرهم من الإخوان المسلمين والسروريين القطبيين، وحببتهم على ذلك.

حديث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَيُّ أَمْرٍ قَال لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعْتُ عَلَيْهِ»^(١).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦١٠٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٠)، من حديث ابن عمر

رضي الله عنهما.

وقال أيضًا: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما».

ومع ذلك لا يسعهم السكوت عن منكر، وإن كثر من يدعو إليه؛ لقول رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - كما في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقِّ إِذَا رَأَهُ، أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ» (١).

ولحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَقُولَ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فَإِذَا لَقَّنَ اللَّهُ عَبْدًا حُجَّتَهُ، قَالَ: يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ، وَفَرَّقْتُ مِنَ النَّاسِ» (٢)، والله المستعان.



(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (١١٠١٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٤١٤).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٠١٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٣٩٧).

الفقرة الثامنة والأربعون: ما حقيقة الانتخابات؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثامنة والأربعون: ما حقيقة الانتخابات؟

٤٨ - فإذا قيل لك: ما حقيقة الانتخابات؟

فقل: هي من النظام الديمقراطي المنابذ لشرع الله الحق، وهي تشبه بالكفار، والتشبه بهم لا يجوز، وفيها ضرر كثير، وليس فيها أي نفع ولا أي فائدة على المسلمين، ومن أهم أضرارها: مساواة الحق بالباطل والمحق بالباطل حسب الأكثرية، وتضييع الولاء والبراء، وتمزيق شمل المسلمين، وإلقاء العداوة والبغضاء والتحزب والتعصب بينهم، والغش، والخداع، والاحتيال، والزور، وضياح الأوقات والأموال، وإهدار حشمة النساء، وزعزعة الثقة في علوم الشريعة الإسلامية وأهلها.

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة التحذير من شر مستطير وفتنة عظيمة، وهي نتاج من نتائج الديمقراطية، حيث أن الانتخابات عندهم هي الطريق لاختيار الحاكم وأعضاء المجالس النيابية، وغير ذلك.

وقولنا في الانتخابات أنها محرمة لأُمور أجملها في الآتي:

١- الانتخابات تقليد للكافرين، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿مُتَّبِعِينَ إِيَّاهُ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

ورسول الله -صلى الله عليه وسلّم- يقول: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

٢- الانتخابات فيها مساوات الرّجل بالمرأة، والحرّ بالعبد، والعاصي الفاسق بالمتّقّي الطّائع، والعالم بالجاهل، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠].

ويقول: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦].

ويقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ مالكم كيف تحكمون﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

ويقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

[٩]

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٠٣١)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى فيه: حسن صحيح،

وصححه في الإرواء برقم (١٢٦٩).

٣- الانتخابات فيها تصوير ذوات الأرواح، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المصوّر كما في حديث أبي جحيفة-رضي الله عنه- عند البخاري، وقال: «من صوّر صورة كلّ أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ»^(١).

ويقول-صلى الله عليه وسلم-: «يخرج من النار عنقٌ يقول: وكّلت بثلاثة»^(٢).

٤- هذه الانتخابات فيها قول الزور والكذب، ورسول الله صلى الله عليه عليه وسلم يقول: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور»^(٣).

وقد امتدح الله المؤمنين بأنهم لا يشهدون الزور: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

٥- الانتخابات يقع فيها إزهاق الأنفس؛ عصبية لحزب، أو مرشح.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١١٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥٧٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤٠٦)، وقال فيه: هذا حديث صحي ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٦٥٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٨٧)، من حديث أبي بكره رضي الله عنه.

وقد قال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما﴾ [النساء: ٩٣].
ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما»^(١).

٦ - الانتخابات فيها الخروج على الحاكم المسلم، ومنازعة ملكه.
وقد أوجب الله تعالى السمع والطاعة لأمراء المسلمين في غير معصية الله تعالى.

ومن الأدلة قول الله عز وجل: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].
ويقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فَإِنَّ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ أَنْ تُطِيعُونِي، وَإِنَّ مِنْ طَاعَتِي أَنْ تُطِيعُوا أئِمَّتَكُمْ»؛ أخرجه أحمد (٥٦٧٩)، عن ابن عمر رضي الله عنه.

وفي الصحيحين: البخاري (٧١٢٧) ومسلم (١٨٣٩): عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي».

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٨٦٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وكانت من البيعة التي يأخذها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أصحابه السمع والطاعة، والأمر الذي أمر به تجاه الأئمة السمع والطاعة.

ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مسلم (١٨٣٦): «عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ».

ففي الحديث وجوب السمع والطاعة في جميع الحالات واللحظات إلا أن يأمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

ففي حديث ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»؛ أخرجه البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩).

وفي حديث علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»؛ أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠).

ومن تمت له البيعة واستتب له الأمر من المسلمين: فلا يجوز الخروج عليه، ولا منازعته، ومن خرج عليه، أو نازعه كان من المشايق المخالفين لكتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين، ففي حديث أبي سعيد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «إِذَا بُويعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا»؛ أخرجه مسلم (١٨٥٣).

وعن عرفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ بِجَمِيعٍ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ»؛ أخرجه مسلم (١٨٥٢).

وإن جار وظلم، فالجور والظلم عليه، ولا يجوز الخروج عليه.

ففي حديث حذيفة -رضي الله عنه-: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِع»، أخرجه مسلم (١٨٤٧)؛ لأن ضربه لك بالظلم إثم عليه وضرره عليك، لكن الخروج إثم عليه وضرره متعدي يقع به فساد البلاد والعباد، والإمام جنة يحفظ به الأمن، وتستتب به الأمور، وتقام به الحدود وتحفظ به الأموال والأعراض.

ففي مسلم (١٨٤١): من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُنْتَقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرُ بغيرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ».

والخروج ضرره عظيم، ففي حديث أبي هريرة عند مسلم (١٨٤٨): «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنه-: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيُضِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»؛ أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

وهب أن الأمراء لم يقوموا بها أوجب الله عزَّ وجلَّ عليهم: «فَنِعِمَّتِ الْمُرْضِعَةُ، وَبُسَّتِ الْفَاطِمَةُ»، «وَأَمَّا أَمَانَةُ، وَإِنَّمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا».

في مسلم (١٨٢٥): عن أبي ذر -رضي الله عنه-: «فُوا بَبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمُ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ».

«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»؛ متفق عليه عن ابن عمر البخاري (٢٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩).

«اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»؛ أخرجه مسلم (١٨٢٨) عن عائشة رضي الله عنها.

والعدل فضيلته عظيمة: ففي حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنها- عند مسلم (١٨٢٧) وفيه: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ

عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا.

ولا يجوز الخروج على الحاكم المسلم بحال:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»؛ أخرجاه من حديث عبادة، البخاري (٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

وفي حديث عوف بن مالك عند مسلم (١٨٥٥): «أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ».

وفي حديث أم سلمة -رضي الله عنه- عند مسلم (١٨٥٤): «أَلَا نَقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا»؛ البخاري (٧٢٠٠)، ومسلم (١٧٠٩).

شروط الخروج على الحاكم:

ولا يخرج على الحاكم إلا إذا ظهر كفره.

قال الشيخ ابن عثيمين في الشرح الممتع (١/ ٣٢٣-٣٢٤):

والأئمة لا يجوز الخروج عليهم إلا بشروط مغلظة؛ لأن أضرار الخروج عليهم أضعافاً مضاعفات ما يريد هؤلاء من الإصلاح، وهذه الشروط هي:

الأول: أن نعلم علم اليقين أنهم أتوا كفراً.

الثاني: أن نعلم أن هذا الكفر صريح ليس فيه تأويل، ولا يحتمل التأويل، صريح ظاهر واضح؛ لأن الصريح كما جاء في الحديث هو الشيء الظاهر البين العالي، كما قال الله تعالى عن فرعون أنه قال لهامان: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿١﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ ﴿٢﴾﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

فلا بد أن يكون صريحاً، أما ما يحتمل التأويل، فإنه لا يسوّغ الخروج عن الإيمان.

الثالث: أن يكون عندنا فيه من الله برهان ودليل قاطع مثل الشمس أن هذا كفر، فلا بد إذن أن نعلم أنه كفر، وأن نعلم أن مرتكبه كافر لعدم التأويل، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»^(١)، وقالوا: أفلا نناذبهم عند ذلك؟ قال: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ»^(٢)، أي: ما داموا يصلون.

الرابع: القدرة على إزالته، أما إذا علمنا أننا لا نزيله إلا بقتال، تُراق فيه الدماء وتستباح فيه الحرمات، فلا يجوز أن نتكلم أبداً، ولكن نسأل الله أن يهديه أو يزيله؛ لأننا لو فعلنا وليس عندنا قدرة، فهل يمكن أن يتزحزح

(١) أخرجه البخاري في الفتن/باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سترتون بعدي أموراً

تذكرونها (٧٠٥٦)، ومسلم في المغازي، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٧٠٩) (٤٢) عن عبادة بن الصامت.

(٢) أخرجه مسلم في المغازي، باب خيار الأئمة وشرارهم (١٨٥٥) عن عوف بن مالك.

هذا الوالي الكافر عما هو عليه؟ لا، بل لا يزداد إلا تمسكاً بها هو عليه، وما أكثر الذين يناصرونه، إذاً يكون سعيها بالخروج عليه مفسدة عظيمة، لا يزول بها الباطل بل يقوى بها الباطل، ويكون الإثم علينا، فنحن الذين وضعنا رقابنا تحت سيوفه، ولا أحد أحكم من الله، ولم يفرض القتال على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** إلا حين كان لهم دولة مستقلة، وإلا فإنهم كانوا يهانون في مكة، الذي يجبس، والذي يقتل، والذي توضع عليه الحجارة المحماة على بطنه، ومحمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يرجع من الطائف، يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه، ولم يؤمر بالقتال؛ لأن الله حكيم؛ ولذلك مع الأسف الشديد لا تجد أحداً عصى الرسول وخرج على الإمام بما للإمام فيه شبهة، إلا ندم وكان ضرراً على شعبه، ولم يزل الإمام، ولا أريد بالإمام الإمام الأعظم؛ لأن الإمام الأعظم ذهب من زمان، لكن إمام كل قوم من له سلطة عليهم. **اهـ**

وذكر شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ من الشروط أيضاً: أن لا يستعان بالكفار، وأن يبدل بخير منه، وأن لا تقع فتنة في المسلمين.

٧- الانتخابات محادة لله عز وجل، لأن من دخل فيها يساهم في صعود من يستبعد الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعيّة.

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

٨- الانتخابات تعتمد على الأكثرية، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

ويقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

٩- الانتخابات لا تقدم على نصره الرجل المناسب كما يزعمون، ولكن كلّ أبناء حزبٍ أو طائفة يحاولون نصر مرشّحهم، حتّى وإن كان من أفسق خلق الله، وصدق الله إذ يقول: ﴿كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

١٠- المرشّحون يزكّون أنفسهم، ويكذبون الكذبة التي تبلغ الآفاق، وقد نهى الله عزّ وجلّ عن تزكية النفس بقوله: ﴿وَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

١١- المرشّحون همّهم إرضاء مرشّحيهم بصورة أو بأخرى، ولا يهمّهم رضي الله - عز وجل -.

والدليل على ذلك: تقرّبهم للروافض والحزبيين والصوفية والعصاة، وغير ذلك من دون نكير عليهم.

ونخشى عليهم من حديث عائشة -رضي الله عنها-: «من أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّاسَ»^(٢).

هذه بعض المفاصد كل واحدة منها كفيلة بتحريم الانتخابات، وكلّ ما ذكر وغيره من مفاصدها يعتبر من كبائر الذنوب، ولا تكفرها الصلاة والقيام، بل ولا الصَّيام والصَّدقة، ولا بدّ لها من توبة، ناهيك عن تضييع الأموال والتخوّض فيها بغير حقّ، وتضييع الأوقات وأدّيّة المسلمين بتعليق صور المرشّحين في الشوارع والحارات والطّرات.

وقد يسأل بعضهم: كيف نختار إمام المسلمين؟! أو رئيس الجمهوريّة؟! **قلنا لهم:** افعلوا ما فعله أسلافكم من الصّحابة والتّابعين -رضوان الله عليهم-.

فإمام المسلمين ينصّب بثلاث طرق:

الأولى: عهد الإمام أو الرّئيس السّابق له كما عهد أبو بكر -رضي الله عنه- إلى عمر -رضي الله عنه- وأقره الصّحابة فكان إجماعاً.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٤١٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي.

الثانية: أن يجتمع أهل الحلّ والعقد، من العلماء والأعيان والعقلاء، ويختارون رئيساً لهم كما صنع الستة **رضي الله عنهم** حين البيعة لعثمان بن عفان رضي الله عنه.

الثالثة: أن يأخذها قهراً فلا يخرج عليه، إذا استتب له الأمر وكان من المسلمين.

شبهة: أن الانتخابات هي الشورى!!!

قلنا لهم: كذبتهم وأيم الله، فإنّ بين الشورى والانتخابات بون شاسع وفرق واسع.

١- الشورى من الله - عز وجل -، والانتخابات من عند أعداء الله.

٢- الشورى غير ملزمة، والانتخابات ملزمة.

٣- الشورى فيما لا يخالف الكتاب والسنة، والانتخابات لا يهمهم خالفوا الكتاب والسنة أو لا.

٤- الشورى في أمور الدولة تختصّ بالرجال الأكفاء، من علماء وعقلاء، والانتخابات يشترك فيها البرّ والفاجر، والرجال والنساء جميعاً، والله المستعان.



[الفقرة التاسعة والأربعون: ما حكم الحزبية؟]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة التاسعة والأربعون: ما حكم الحزبية؟

(٤٩) فإذا قيل: ما حكم الحزبية؟

فقل: الحزبية حرام، إلا حزب الله.

والدليل: قول الله تعالى -: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٢﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا

دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وقوله تعالى -: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:

١٠٣].

و-قوله تعالى -: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

[الأنبياء: ٩٢].

وقوله: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول

الله -صلى الله عليه وسلم-: «... وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ

فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً (أَيَّ فِرْقَةً) وَاحِدَةً»، قالوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا

أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، أخرجه الترمذي (٢٦/٥).

وله شاهد: من حديث معاوية -رضي الله عنه-، أخرجه أبوداود رقم: (٤٥٩٧)، وأحمد (١٠٢ / ٤)، وله شواهد أخرى، فالحديث حسن. **وقوله: «كُلُّهَا فِي النَّارِ»:** فيه بيان حال أهل الأهواء وجرحهم. **قال الإمام الشوكاني في تفسيره:** حزب الله جنده الذين يمثلون أوامره...

قلت: فتبين بذلك أن حزب الله هم الممثلون أوامره بالتمسك بكتابه وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

الشرح:

ساق المصنف هذه الفقرة لبيان مسألة من مهمات العقيدة في عصرنا وهي الحزبية فقد ظهرت وتجلت في صور عدة.

والأحزاب المعترف بها في الدولة منقسمة إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أحزاب يكون اتجاهها إسلامي: وغالبا ما يمثلها الإخوان المسلمون ومن إليهم من أصحاب الجمعيات وربما تسموا في بعض البلدان بالحزب السلفي مثل حزب النور السلفي في مصر وحزب الرشاد السلفي في اليمن وليسوا من السلفية في شيء بل هي من الأحزاب المبتدعة.

الثاني: حزبيات دنيوية: جمعتهم الدنيا وتكتلوا من أجل الوصول إلى مناصب ووزارات ومسؤوليات.

الثالث: أحزاب أصولها كفرية طاغوتيه قائمة على نظريات باطلة مثل الاشتراكية والعلمانية والشيوعية.

والذي يهمننا أن الحزبية حرام: إلا التحزب لدين الله - عز وجل - فإن المتحزبين لدين الله - عز وجل - يسمون بحزب الله كما ساهم الله - عز وجل - بذلك في آخر سورة المجادلة **قال الله - عز وجل -:** ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وليس المراد بحزب الله مجرد التسمي كما يسمى حسن نصر الله حزبه الطاغوتي، وكما يسمى الحوثيون أنفسهم بأنصار الله.

فالتسميات إن لم تكن مطابقة للواقع فهي عارٌ على من تسمى بها فحزب الله اللبناني هو الوارث لحركة أمل الرافضية اللبنانية التي سفكت دماء المسلمين واستحلت أعراضهم وفعلت في لبنان والمخيمات الفلسطينية ما لم يفعلته اليهود أيام احتلالهم للبنان ثم بعد ذلك تحول إلى المسمى حزب الله يظهر العداء لإسرائيل وفي الواقع أنهم أعوان لإسرائيل على ضرب

المسلمين فاتخذوا عداة إسرائيل ستارًا ثم تمددوا في البلاد الإسلامية فعملوا حزبًا لهم في الكويت والسعودية والبحرين واليمن، فيقتلون أهل الإسلام وينشرون الرفض والإجرام وكم صاح المسلمون للتحذير منهم بينما تجد كثيراً من الناس يغتر بمظهرهم، والله المستعان.

فالمراد بـ (حزب الله): حقا أهل السنة والجماعة لانهم تحزبوا لله ولكتابه ولسنة رسوله - **صلى الله عليه وسلم** - بينما أهل البدع تحزبوا للشيطان ولما خالف الحق، وربما تحزبوا لأهوائهم أو لقبائلهم أو لجنسهم أو لولهم فالحزبيات لها طرائق عدة.

وكانت الحزبية في الزمن الماضي تسمى بالفرق: من الافتراق والعجب أن تجد بعض قادة الجماعات المبتدعة يجعلون الحزبية كالمذهبية، وهذا قولٌ باطل لأُمور:

الأول: أرادوا به تمرير البدعة الشنعاء التي تفرق الأمة.

الثاني: لا يجوز الاستدلال بالمذهبية لان المذهبية أصلاً غير مُسلم بسُنيتها وإن كنا لا نبدع إلا من بدعه الكتاب والسنة لا بمجرد النسبة إلى المذهب الحنفي أو الحنبلي أو المالكي أو الشافعي إلا من قدم أقوال هؤلاء على قول رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - فلا شك في ابتداعه لأنه تعصب للمذهب وهجر قول الله وقول رسوله ﷺ.

وربما قال بعض رؤساء الجماعات: بأن الحزبيات صمام أمان للمجتمع وهذا قول فيه مغالطة شديدة فإن المجتمع لحقته الشدة والضراء بسبب الحزبيات.

الثالث: الحزبيات تخالف قول الله - عز وجل -: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقول الله - عز وجل -: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

ولهذا قال الشيخ مقبل - رحمه الله -: أظهر علامات الحزبية الولاء والبراء الضيق.

أي أن ولائهم وبرائهم في حدود الحزب، ولو كان يهودياً أو نصرانياً كما جوزوا في مصر دخول النصارى في حزب الإخوان المسلمين.

قوله: «والدليل: قول الله تعالى -: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾»:

فيه: التحذير من التشبه بالكفار، وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(١)، أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه-.

قوله: «مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ»: تفرقوا إلى فرق كثيرة.

قوله: «وَكَانُوا شِيعًا»: كانوا متشايعين يشايح بعضهم بعضا، لا لكتاب الله -عز وجل-، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ولكن لمجرد الرأي والهوى وغير ذلك.

قوله: «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ»: أي يفرح بباطله وما هو عليه لاسيما في زمن انتشار الديمقراطية حيث أن من مبادئها التعددية الحزبية.

قوله: -وقوله تعالى-: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]:

أي وتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ جميعاً ولا تفرقوا.

ففي هذا ذم للحزبية من حيث ذكر ضدها وهو وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٠٣١) وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى فيه: حسن صحيح في

صحيح أبي داود رحمه الله تعالى.

والاعتصام: يكون باعتقادهما والعمل بهما والدعوة إليهما وتعظيم شأنهما والسير على طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وقد فسر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القرآن بأنه حبل الله، كما في صحيح مسلم من حديث [زيد بن أرقم -رضي الله عنه-].

قوله: «-وقوله تعالى:- ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]:

أي أن الله -عز وجل- يأمر الأمة أن تكون واحدة في سيرها كما هي واحدة في شأنها، بينما الحزبية جعلت الأمة الواحدة طرائق قددا ولم تكن واحدة إلا اذا كانت على كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

قال الله -عز وجل:- ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قوله: «وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ»: أي وحدوا الله -عز وجل- واجتمعوا على الحق الذي أمركم الله -عز وجل- به.

قوله: «وقوله: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]:

معناه أن حزب الشيطان هم الخاسرون.

كما قال الله - عز وجل -: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ] [المجادلة: ١٩ - ٢٠].

وسموا بحزب الشيطان لتحزبهم لأفكاره وآرائه وما يدعوا إليه.

والناس في حزب الشيطان متفاوتون كحالهم من جهة البدعة فمنهم من يتمحض تحزبه للشيطان كتحزب الكفار الذين كفرهم مخرج من الملة ومنهم من يكون تحزبهم دون الكفر.

قوله: «عن عبدالله بن عمرو بن العاص»: وهو أبو محمد عابد الصحابة - رضي الله عنهما -.

تكلم فيه الزمخشري تنقّصاً فرد عليه الإمام الشوكاني قال في فتح القدير:

وأما الطعن على صاحب رسول الله، وحافظ سنته، وعابد الصحابة، عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، فإلى أين يا محمود، أتدري ما صنعت، وفي أيّ واد وقعت، وعلى أي جنب سقطت؟ ومن أنت حتى تصعد إلى هذا المكان، وتتناول نجوم السماء بيدك القصيرة، ورجلك العرجاء، أما كان لك في مكسري طلبتك من أهل النحو واللغة ما يردك عن الدخول فيما لا تعرف، والتكلم بما لا تدري، فيا الله العجب ما يفعل القصور في علم

الرواية، والبعد عن معرفتها إلى أبعد مكان من الفضيحة لمن لم يعرف قدر نفسه، ولا أوقفها حيث أوقفها الله سبحانه. اهـ

قوله: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة»: تقدم حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «افترقت اليهود على واحد وسبعين فرقة، وافترت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»^(١)، أخرجه أبو داود، والمراد بالفرقة الطريقة والملة.

وهذه الفرق من أمة الإجابة وليست بالفرق الكافرة وأما الرفضة والجهمية والباطنية والفلاسفة ومن إليهم فهم في أمة الدعوة وليسوا من أمة الإجابة على ما يأتي.

قوله: «كلها في النار إلا ملة واحدة»: معنى ذلك أنها مستحقة للنار وقد استشكل هذه اللفظة بعض أهل العلم على أنها منكرة من حيث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أخبر أن أكثر أهل الجنة من المسلمين فرداً على هذا الاعتراض من أن المعنى أنها مستحقة للنار ثم يكون الأمر على ما هو معلوم

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٥٩٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في الصحيح المسند

للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٣١٧)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

من عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب الكبائر من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

وسمي أهل السنة بالطائفة المنصورة والفرقة الناجية لسلامتهم من الفرقة ولنجاتهم من الوعيد بالنار. والطائفة المنصورة كل يدعيها. والحال كما قال بعضهم:

وكل يدّعي وصلاً بليلى *** ولى لا تقر لهم بذاك
فلو ذهبت إلى الإخوان المسلمين والسرورية والأشاعرة والصوفية تجد أنهم يقولون بأنهم الطائفة المنصورة.
"والدعوى إن لم تكن عليها بينات أصحابها أدياء".
﴿وضابط الفرقة الناجية: قول رسول - صلى الله عليه وسلم -: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(١).

أي من كان في الاعتقاد والعبادات والمعاملات على طريقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما أجمع عليه أصحابه لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه هم الذين كانوا على الحق والهدى واجتمعوا عليه فلا حق إلا بأخذ سبيلهم والسير على طريقهم.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٤١)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي.

وفي رواية: «الَّذِينَ يُضْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»^(١).

وفي رواية: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»،
قَالَ: قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «النُّزَاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»^(٢).

وفي رواية: «يعصيهـم أكثر ممن يطيعهم».

وأما حديث: «هم في أكناف بيت المقدس»، ففيه كلام من حيث أن
اللفظة شاذة انفرد بها يحيى بن أبي عمرو السيباني.

ومن هنا نعلم أن الطائفة المنصورة ليست مختصة بأصحاب المساجد
فمنهم المزارع والتاجر والصياد والمسؤول والعسكري وغير ذلك.

فمن كان على طريقة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه فهو من
الفرقة الناجية الطائفة المنصورة.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٦٩٠)، من حديث سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن سنة،

رضي الله عنهما، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٢٧٣).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٣٩٨٨)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في الصحيحة تحت

حديث رقم (١٢٧٣): رواه الدارمي (٢ / ٣١١ - ٣١٢)، وأحمد وابنه عبد الله (١ / ٣٩٨) والبيهقي

في "الزهد الكبير" (ق ٢٤ / ٢)، والبخاري في "شرح السنة" (١ / ١٠ / ٢) عن حفص بن غياث

عن الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله مرفوعاً. وقال البخاري: "هذا حديث

صحيح"، وأقول: هو كما قال لولا أن أبا إسحاق وهو السبيعي عمرو بن عبد الله مدلس وقد عنعنه

في جميع الطرق عنه مع كونه كان اختلط، فأنا متوقف في صحته بعد أن كنت تابعا في تصحيحه برهة

من الزمن غيري. والله أعلم.

وقد رد الحديث بدعوى النكارة الشوكاني وابن الوزير ومع ذلك رد عليهم المقبل - رحمه الله - ونقل كلامه الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة عند تخريج الحديث المذكور.



١ - أساء القرامطة:

لما كانت هذه الفرقة بالخطورة بمكان، فإنهم يغيرون أسمائهم من بلد إلى آخر لأجل أن يغتر بهم الأغمار الذين يغرههم البهرج والزيوف، والذين هم أتباع كل ناعق.

ففي اليمن يُسمون المكارمة، وفي المدينة النبوية النخالة، وفي الهند البهرة، وفي لبنان الدروز، وفي سوريا النصيرية، وفي بلاد المغرب العلويون، **ويسمون في البحرين:** "البحارنة، ويسمون بالدهرية، ومن أسمائهم العبيدية"، ويسمون: بالإسماعيلية إلى غير ذلك من المسميات.

واسمهم العام الباطنية، والقرامطة.

وكانت لهم دولة في اليمن وهي الدولة الصليحية التي أسسها علي بن الفضل الصليحي لعنه الله وأخزاه.

٢ - سبب ظهور دعوتهم:

ذكر الغزالي في كتابه «فضائح الباطنية» السبب (ص ٢٦، ٢٧):

فقال: تشاور جماعة من المجوس والمزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين وطائفة كبيرة من ملاحدة الفلاسفة المتقدمين، وضربوا سهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابههم من استيلاء أهل الدين، وينفس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين [ثم فكروا وقدروا وخرجوا بقولهم]

فسيبيلنا أن نتحل عقيدة طائفة من فرقهم هم أركههم عقولاً وأسخفهم رأياً، وألينهم عريكة لقبول المحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات، وهم الروافض ونتحصن بالانتساب إليهم، والاعتزاء إلى أهل البيت عن شرهم، ونتودد إليهم بما يلائم طبعهم من ذكر ما تم على سلفهم من الظلم العظيم والذل الهائل، وتباكى لهم على ما حلَّ بآل محمد ص وتتوصل به إلى تطويل اللسان في أئمة سلفهم الذين هم أسوتهم، وقدوتهم، حتى إذا قبحنا أحوالهم في أعينهم، وما ينقل إليهم شرعهم بنقلهم وروايتهم اشتد عليهم باب الرجوع إلى الشرع وسهل علينا استدراجهم إلى الانخلاع عن الدين، وإن بقي عندهم معتصم بظواهر القرآن ومتواتر الأخبار أو همنا عندهم، أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وأن إمارة الأحق الانخداع بظواهرها وعلامة الفطنة اعتقاد بواطنها، ثم نبث إليهم عقائدنا ونزعم أنها المراد بظواهر القرآن اهـ

ومذهبهم كما قال الغزالي وغيره ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض.
أقول: ومعلوم أن الروافض من أشر الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وأكذبها وأدجلها، فما بالك إذا كان هذا ظاهر المكارمة، فما باطنهم؟

٣- مذهبهم جملة:

مذهبهم ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدار العلم في قول الإمام المعصوم، وعزل العقول أن تكون مدركة للحق لما يعترها من الشبهات ويتطرق إلى النظر من الاختلافات، وإيجاب لطريقة الحق بطريق التعليم والتعلم، وحكم بأن المعلم المعصوم هو المستبصر، وأنه مطلع من جهة الله على جميع أسرار الشرائع، يهدي إلى الحق ويكشف عن المشكلات، وأن لكل زمان لا بد فيه من إمام معصوم يُرجع إليه فيما يستبهم من أمور الدين.

٤ - ضررهم على الإسلام وأهله:

قال البغدادي في «الفرق بين الفرق» (ص ٢٥٠):

اعلموا -أسعدكم الله-: أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يُضلون بالدجال في وقته ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقَطَر. اهـ

ومن عقائدهم:

١ - عقيدتهم في الله عز وجل:

يعتقدون أن الله عز وجل لا يسمى باسم، ولا يوصف بوصف، مع أن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ويقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

فيقول أحد دعائهم: وهو المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة الإسماعيلي، حيث قال لعنه الله: "فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة، ولا يوماً إليه بالإشارة مكيفة، ولا يقال عليه حياً ولا قادراً، ولا عالماً ولا عاقلاً، ولا كاملاً، ولا تاماً، ولا فاعلاً".

وقد تقدم شيء في باب الأسماء والصفات تعرف به ضلال هؤلاء.

٢ - عقيدتهم في النبوات:

قال إحسان إلهي ظهير: فالنبي عندهم شخص يتحلّى بالخصال الاثنتي

عشرة:

١ - أن يكون تام الأعضاء.

٢ - أن يكون جيد الفهم.

٣ - أن يكون جيد اللفظ.

٤- أن يكون فطناً ذكياً.

٥- أن يكون حسن العبارة.

٦- أن يكون محباً للعلم والإفادة.

٧- أن يكون محباً للصدق.

٨- أن يكون غير شره في الأكل والشرب والنكاح.

٩- أن يكون كبير النفس.

١٠- أن يكون زاهداً في الدنيا.

١١- أن يكون محباً للعدل.

١٢- أن يكون قوي العزيمة.

وقالوا: "إذا اجتمعت هذه الخصال في واحد من البشر في دور من أدوار القراتات في وقت من الزمان، فإن ذلك الشخص هو المبعوث، وصاحب الزمان والإمام للناس ما دام حياً، فإذا بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ودّون التنزيل ولوّح التأويل، وأحكم الشريعة وأوضع المنهاج، وأقام السنة، وألف شمل الأمة، ثم توفي ومضى لسبيله بقيت تلك الخصال في أمته وراثته منه، وإن اجتمعت تلك الخصال في واحد من أمته أو جلها فهو الذي يصلح أن يكون خليفة في أمته بعد وفاته. اهـ

إذا فالنبوة عندهم مكتسبة، وهو نفس قول الفلاسفة، ويجوز عندهم أن يكون بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رسول إذا تحققت هذه الأوصاف، وزد على ذلك:

٣- عقيدتهم في الوصاية والوصي:

يعتقدون أن مرتبة الوصاية تلي مرتبة النبوة، وليس هناك فرق كبير بين المرتبتين، بل إن أحد من كبارهم وهو: [زاهد علي مؤلف كتاب: «تبيين المعاني لديوان ابن هاني»].

إشارة إلى أن المتقدمين كانوا يرون أن الوصي أفضل من النبي -صلى الله عليه وسلم-، والبعض الآخر كانوا يقولون بالمساواة بينهما بدون تفضيل واحد على آخر.

ونقلوا عن علي -رضي الله عنه-: حسب ما يروونه عنه وهم يكذبون عليه-: "أنا ومحمد من نور واحد، من نور الله تعالى أمر الله ذلك النور، أن ينشق إلى نصفين، فقال للنصف الأول كن محمدًا وللنصف الثاني كن عليًا" (١).

وانظر إلى ما قاله السوري في قصيدته:

فأنزل الله على نبيه *** أن يظهر النص على وصيه

(١) انتهى من «الإسماعيلية تاريخها وعقائدها» (ص ٣٥٠).

فخاف من أصحابه لعلمه *** بكيدهم وما نوا من ظلمه
وقيل لا تُشرك فإن أشركت *** ليحبطن الله ما عملت
فقم وبلغ لا تخف فرحمتي *** تنالك اليوم وكن في عمتي
فانظر يا هداك الله لطاعته ومرضاته كيف يزعمون أن قول الله عز وجل:
﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية (المائدة: ٦٧)، نزل من أجل تبليغ
الوصية هذه التي قد رد دعواها علي رضي الله عنه، فعند البخاري (١٨٧٠)
ومسلم (١٣٧٠): «من زعم أن عندنا شيئاً نقرأه إلا كتاب الله وهذه
الصحيفة فقد كذب - وصحيفة معلقة فيها أسنان الإبل وأشياء من
الجراحات» الحديث.

٤ - عقيدتهم في الإمامة:

قال الغزالي: "وقد اتفقوا أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم
بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر، وحل الإشكالات في القرآن والأخبار
والمعقولات، واتفقوا على أنه المتصدي لهذا الأمر، وإن ذلك جارٍ في نسبهم
لا ينقطع أبد الدهر ولا يجوز أن ينقطع..." اهـ
إلى غير ذلك، فإنهم لا يؤمنون بالمعاد والنبوات والرسالات، ولا
بالقرآن والسنة كما شرع الله، ويستبيحون الحرام.

حتى قال قائلهم:

خذي العود يا هذه واضربي نقيم شرائع هذا النبي
تقضي نبيّ بني هاشم وهذا نبيّ بني يعرب
فحط الصلاة وحط الزكاة وحط الصيام ولم يتعب
وحل البنات مع الأمهات ومن فضله زاد حل الصبي

قوله: «٢- والرافضة»: وهم سبابة أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ولهم غير ذلك من العقائد لكن هذه أظهرها فهم يكفرون أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا سبعة عشر صحابيا ويغلون في آل البيت ويدعونهم ويرجونهم من دون الله ويجعلون الخلافة والإمامة في اثني عشر إماما منهم، ولذا سموا بالاثني عشرية ودينهم قريب من الباطنية من حيث الغلو والقول بخلق ونقصان القرآن وغير ذلك.

وقيل في سبب تسمية الرافضة بهذا الاسم؛ أن زيد بن علي - رحمه الله - قالوا له ما تقول في أبي بكر وعمر قال وزيرا جدي قالوا إذن نرفضك قال اذهبوا أنتم الرافضة.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - في منهاج السنة مبيناً التشابه بين
الرافضة واليهود (١ / ٢٤):

وآية ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود:

قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود.

وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي.

وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل
سيف من السماء.

وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد
من السماء.

واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم.

وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم.

والحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لَا تَزَالُ أُمَّتِي
بِخَيْرٍ - أَوْ قَالَ: عَلَى الْفِطْرَةِ - مَا لَمْ يُؤَخَّرُوا الْمَغْرِبَ إِلَى أَنْ تَشْتَبِكَ
النُّجُومُ»^(١).

واليهود تزول عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة.

واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤١٨)، من حديث أبي أيوب رضي الله عنه، وهو في الصحيح المسند

للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١١٦).

واليهود تسدل أثوابها في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون على النساء عدة، وكذلك الرافضة.

واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن.

واليهود قالوا: افترض الله علينا خمسين صلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون: السام عليكم،
والسام الموت، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يأكلون الجري، والمرماهى، والذئاب، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة.

واليهود يستحلون أموال الناس كلهم، وكذلك الرافضة.

وقد أخبرنا الله عنهم بذلك في القرآن أنهم: ﴿قالوا ليس علينا في الأميين
سبيل﴾ [سورة آل عمران: ٧٥].

واليهود تسجد على قرونها في الصلاة، وكذلك الرافضة،
واليهود لا تسجد حتى تحقق برءوسها مرارا شبه الركوع، وكذلك
الرافضة.

واليهود تبغض جبريل -عليه السلام-، ويقولون هو عدونا من
الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون: غلط [جبريل -عليه السلام- بالوحي
على محمد -صلى الله عليه وسلم-].

وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة النصارى: ليس لنسائهم صداق إنما يتمتعون بهن تمتعا، وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة، ويستحلون المتعة.

وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين:

سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى -عليه السلام-.

وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى.

وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم-.

أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، ولا تجاب لهم دعوة، دعوتهم مدحوضة، وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله. اهـ

قلت: هذا الكلام بعضه ثابت عن الشعبي -رحمه الله تعالى- كقوله: "لو كانت الشيعة من البهائم لكانوا حمرا، ولو كانت من الطير لكانوا رخما". فإن هذا ثابت عنه. اهـ

وقد سطرت في مقدمة كتابي عذاب القبر ونعيمه بعض عقائد الرافضة

الحوثين قلت فيه:

ومن أشر هذه الفرق الرافضة، وهي ليست من فرق الإسلام، كما نص على ذلك غير واحد من العلماء فقد قال ابن حزم: تستدلون علينا بقول الرافضة ما هم بمسلمين، حيث قد بلغ من شرهم وخبثهم أنهم خالفوا في التوحيد، فهم لا يؤمنون بصفات الله سبحانه وتعالى، وهم معطلة في هذا الباب.

وأوائلهم مشبهة، فأول من أظهر التشبيه بيان بن سمعان الشيعي المقتول سنة ١١٩ هـ تقريباً، فقد زعم أن ربه على صورة إنسان، وأن جزءاً إلهياً حل في علي تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وأول من أطلق أن الله جسم في ملة المسلمين: هو هشام بن الحكم الرافضي توفي سنة (١٩٩) نقل ذلك شيخ الإسلام كما في «منهاج السنة النبوية».

وهم ينكرون رؤية المؤمنين لله يوم القيامة، مع أنها ثابتة بالكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح.

وينكرون أن الله في السماء: رادين قول الله تعالى: ﴿أَمْ أَمِتُّمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٧]، وغيرها من الأدلة.

وهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر، ورسول الله ﷺ يقول: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، وهو حديث صحيح، جمع طرقه الإمام الوادعي رحمه الله في كتابه «الشفاعة».

وهم أيضًا أول من أحدث الشرك في هذه الأمة، حيث ألّوها عليًا رضي الله عنه، وهم من الذين اتخذ القبور مساجد، مع أن رسول الله ﷺ حذر من ذلك، كما سترى في الفصل الأخير من هذه الرسالة.

وهم يعتقدون أن القرآن ناقص، ويعتقدون قرآن غير هذا، وهو ما يسمى (بمصحف فاطمة).

وهم يعتقدون أن كلام الله مخلوق، مع العلم أن العلماء قد كفروا من قال بخلق القرآن، كما نقل ذلك اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة»، بل الله سبحانه وتعالى قال عمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ❀ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ❀ [المدثر: ٢٥-٢٦].

وبالاختصار فمعتقدهم في باب التوحيد هو معتقد المعتزلة.

وهم يكفرون صحابة رسول الله ﷺ، الذين تقدم بعض الثناء عليهم من الله في كتابة العزيز، ومن النبي ﷺ وغيرها من الفضائل التي ليس هذا موضع بسطها.

وهم يهتمون عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة
بالزنا، ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

مع أن الله قد أنزل في براءتها قرآن يتلى إلى يوم القيامة، كما في سورة
النور.

وأما مخالفتهم في العبادات والأحكام فإلى ما لا نهاية بل ويشابهون اليهود
في كثير من الاعتقادات، وعلى أيديهم هدمت كثير من الخلافات
الإسلامية، كالخلافة العباسية.

قوله: «والجهمية»: وهم اتباع الجهم بن صفون المقتول على الزندقة سنة:
(١٢٩) الذي أخذ دينه من الجعد بن درهم المقتول على الزندقة: (١١٨هـ).

وهم يعطلون الله عز وجل من أسمائه وصفاته ويزعمون أن الله لا فوق
ولا تحت ولا حي ولا ميت ولا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا
منفصل.

ويزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله - عز وجل - لا يرى يوم القيامة
ويقولون بفناء الجنة والنار، ويقولون بعدم وجود الجنة والنار الآن، إلى غير
ذلك.

وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (٣/ ٤٢٣):

قال خَلَفُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْبَلْخِيِّ: "كَانَ جَهَنَّمُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَكَانَ فَصِيحًا، لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ، فَلَقِيَهُ نَاسٌ مِنَ السُّمَنِيَّةِ، فَكَلَّمُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: صِفْ لَنَا مَنْ تَعْبُدُ.

قَالَ: أَجْلُونِي، فَأَجَّلُوهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، قَالَ: هُوَ هَذَا الْهُوَاءُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ "

وقَالَ: "كَانَ جَهَنَّمُ عَلَى مَعْبَرٍ تَرْمِذٍ، وَكَانَ رَجُلًا كُوفِيًّا الْأَصْلَ، فَصِيحَ اللِّسَانِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ، وَلَا مُجَالَسَةٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، كَانَ تَكَلَّمَ كَلَامَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَكَلَّمَهُ السُّمَنِيَّةُ فَقَالُوا لَهُ: صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ لَا يَخْرُجُ كَذًا وَكَذًا، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَيَّامٍ، فَقَالَ: هُوَ هَذَا الْهُوَاءُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ.

قَالَ أَبُو مُعَاذٍ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ وَكَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ "

وقد أخذ الجهم عقيدته من الجعد بن درهم.

وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (١٦٤/ ٦٤١):

ذَكَرَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: "أَوَّلُ مَنْ أَتَى بِخَلْقِ الْقُرْآنِ جَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ وَقَالَ: فِي سَنَةِ نَيْفٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، ثُمَّ مِنْ

بَعْدَهُمَا بَشْرُ بْنُ غِيَاثِ الْمُرَيْسِيِّ، لَعَنَهُ اللَّهُ، وَكَانَ صَبَاغًا يَهُودِيًّا . وَكَفَرَهُ
 سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَعَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ،
 وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، وَوَكَيْعٌ، وَأَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ
 الْقَاسِمِ، وَشَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَبَشْرُ بْنُ
 الْوَلِيدِ، وَيُوسُفُ بْنُ الطَّبَّاعِ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ حَسَّانَ الشَّامِيِّ، وَمُحَمَّدٌ وَيَعْلَى ابْنَا
 عُبَيْدِ الطَّنَافِسيَّانِ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ، وَأَبُو قَتَادَةَ الْحَرَّانِيُّ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ
 عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَاجِشُونُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْفَرْيَابِيِّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ
 دُكَيْنٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيِّ، وَبَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ
 الزَّاهِدُ، وَأَبُو الْبَخَرِيِّ وَهْبُ بْنُ وَهْبٍ السُّوَّائِيُّ الْمَدَنِيُّ قَاضِي بَغْدَادَ،
 وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى النَّيسَابُورِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ
 الْمَدِينِيِّ، وَعَبْدُ السَّلَامِ بْنُ صَالِحٍ الْهَرَوِيُّ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ

وسبب ضلال الجهم؛ ما ذكره الإمام أحمد في «الرد على الجهمية» من
 مناظرة الجهم بن صفوان للمشركين السمنية وأن الجهم قال في مناظرته
 لهم: إن الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو
 غائب عن الأبصار ولا يكون في مكان دون مكان. قال شيخ الإسلام: فقد
 شبه الجهم الله بالروح التي في الإنسان من جهة أن كلاهما لا يشبه بشيء من
 الحواس الخمس مع تدبيره لذلك الجسم

قوله: «وغلاة الصوفية»: خرج به المتصوفة المتزهدة من جهة اللباس أو حضور الموالد والأذكار المبتدعة أما من بلغ به الحال إلى الشرك الأكبر وهو دعاء المقبورين والنذر والذبح لهم والطواف بقبورهم، والقول بوحدة الوجود، وغير ذلك فهذا هو الكفر الأكبر المخرج من الملة.

ونذكر هنا مجمل عقيدة غلاة الصوفية:

١- عقيدتهم في الله - عز وجل -:

يعتقد المتصوفة في الله عقائد شتى منها الحلول كما هو مذهب الحلاج ومنها وحدة الوجود حيث لا انفصال بين الخالق والمخلوق وهذه هي العقيدة الأخيرة التي انتشرت منذ القرن الثالث والى يومنا هذا أطبق عليها أخيرا كل رجال التصوف وأعلام هذه العقيدة هم ابن عربي وابن سبعين، والتلمساني وعبد الكريم الجيلي، وعبد الغني النابلسي وعامة رجال الطرق الصوفية المحدثين.

٢- عقيدتهم في الرسول - صلى الله عليه وسلم -:

يعتقد الصوفية في الرسول عقائد شتى فمنهم من يزعم أن الرسول **صلى الله عليه وسلم** لم يصل الى مرتبتهم وحالهم، وأنه جاهل بعلوم رجال التصوف كما قال البسطامي: **خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله.**

ومنهم من يعتقد أن الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - هو قبة الكون وهو الله المستوي على العرش وأن السموات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خلقت من نوره وأنه أول موجود وهذه عقيدة ابن عربي ومن جاء بعده.

٣- عقيدتهم في الأولياء:

يعتقد الصوفية في الأولياء عقائد شتى فمنهم من يفضل الولي على النبي وعامتهم يجعل الولي مساويا لله في بعض صفاته فهو يخلق ويرزق ويحي ويميت ويتصرف في الكون ولهم تقسيمات للولاية فهناك الغوث المتحكم في كل شيء في العالم والأقطاب والأربعة الذين يمسكون الأركان الأربعة في العالم بأمر الغوث، والأبدال السبعة الذين يتحكم كل واحد منهم في قارة من القارات السبع بأمر الغوث.

ومنهم النجباء وهم المتحكمون في المدن كل نجيب في مدينة!!.

وهذا خلاف الولاية في الإسلام التي تقوم على الدين والتقوى والعبودية الكاملة لله قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وأن الولي لا يملك من أمر نفسه شيئا فضلا أنه يملك لغيره، قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم «قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا».

٤ - عقيدتهم في الجنة والنار:

وأما الجنة: فإن الصوفية جميعا يعتقدون أن طلبها منقصة عظيمة وأنه لا يجوز للولي أن يسعى إليها ولا أن يطلبها ومن طلبها فهو ناقص، وإنما الطلب عندهم والرغبة في الفناء المزعوم في الله، والاطلاع على الغيب والتصرف في الكون.

وأما النار: فإن الصوفية يعتقدون أيضا أن الفرار منها لا يليق بالصوفي الكامل لأن الخوف منها طبع العبيد وليس الأحرار ومنهم من تبجح أنه لو بصق على النار لأطفأها كما قال أبو يزيد البسطامي ومن يعتقد بوحدة الوجود منهم يعتقد أن النار بالنسبة لمن يدخلها تكون عذوبة ونعيمًا لا يقل عن نعيم الجنة بل يزيد وهذا هو مذهب ابن عربي وعقيدته.

٥ - عقيدتهم في إبليس وفرعون:

وأما إبليس: فيعتقد عامة الصوفية أنه أكمل العباد وأفضل الخلق توحيدًا لأنه لم يسجد إلا لله بزعمهم وأن الله قد غفر له ذنوبه وأدخله الجنة. **وكذلك فرعون:** عندهم أفضل الموحدين لأنه قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ فعرف الحقيقة؛ لأن كل موجود هو الله، ثم هو قد آمن في زعمهم ودخل الجنة.

٦- عقيدة غلاة الصوفية في العبادات:

يعتقد غلاة الصوفية أن الصلاة والصوم والحج والزكاة هي عبادات العوام ويسمون أنفسهم الخاصة، أو خاصة الخاصة ولذلك فلهم عبادات مخصوصة.

وقد شرع كل قوم منهم شرائع خاصة بهم كالذكر المخصوص بهيئات مخصوصة، والخلوة والأطعمة، والملابس المخصوصة والحفلات. ولا يهم في التصوف أن يخالف الشريعة الصوفية ظاهر الشريعة المحمدية الإسلامية فالحشيش والخمر واختلاط النساء بالرجال في الموالد وحلقات الذكر ذلك لا يهم لأن للولي شريعته التي تلقاها من الله مباشرة، ويقول بعضهم: حدثني قلبي عن ربي.

٧- عقيدة غلاة الصوفية في الحلال والحرام:

فأهل وحدة الوجود لا شيء يحرم عندها لأن العين واحدة.. ومنهم من اعتقد أن الله قد أسقط عنه التكاليف وأحل له كل ما حرم على غيره.

٨- طريقة غلاة الصوفية في التربية:

ومن أخطر ما في الصوفية منهجهم في التربية حيث يستحذون على عقول الناس، ويلغونها وذلك بإدخالهم في طريق متدرج يبدأ بالتأنيس، ثم بالتهويل والتعظيم لشأن التصوف ورجاله ثم بالتلبيس على الشخص ثم

بالرزق لعلوم التصوف شيئاً فشيئاً ثم بالربط بالطريقة وسد جميع الطرق بعد ذلك للخروج (١).

والفرق الخارجة من الملة كثيرة هذه أصولها قال يُونُسُ بْنُ أَصْبَاطٍ يَقُولُ: "أُصُولُ الْبِدْعِ أَرْبَعٌ: الرَّوَافِضُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِيَّةُ، ثُمَّ تَشَعَّبَ كُلُّ فِرْقَةٍ ثَمَانِي عَشْرَةَ طَائِفَةً، فَتِلْكَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً، وَالثَّلَاثَةُ وَالسَّبْعُونَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا النَّاجِيَةُ» أَخْرَجَهُ الْآجِرِيُّ فِي الشَّرِيعَةِ (٢٠).

فمن أراد معرفة التفاصيل يجد ذلك في كتب الملل والنحل والديانات، وبالله التوفيق.

بهذا نكون قد انتهيت من شرح: (المبادئ المفيدة في التوحيد والعقيدة)، هذا الباب الذي دعا إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منذ بعثه الله، وحتى توفاه، وهو لب الدعوة الرسالية في كل زمن وحين، وأجمع عليه سلف الأمة قديماً وحديثاً، فالواجب العناية به تعلماً وتعليماً ودعوة وتعظيماً والسير على سير السلف في باب الولاء والبراء حتى تتميز الطريقة السلفية حالاً وقالاً على الطريقة الخلفية البدعية، فجزى الله خيراً شيخنا على ما

(١) ملخص بتصريف من كتاب: (الخطوط العريضة للعقيدة الصوفية).

سطره في هذه الوريقات، والحمد لله الذي وفقني لهذا التعليق المتمم
للفائدة، وبالله التوفيق.



والأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين:

الأول: الأحكام التكليفية:

وهي خمسة أنواع.

الثاني: وضعية وهي الصحة والفساد والقبول والرد، وغير ذلك.

هو ويرتب المؤلفون الكلام في الفقه: على الواجبات فيبدؤون بالطهارة

لأنها مفتاح الصلاة، ثم يُثَنَّنُ بأحكام الصلاة، لأنها أهم أركان الإسلام

وقواعده العظام بعد الشهادة، ثم أحكام الزكاة ثم الصيام ثم الحج إلا أن

البخاري -رحمه الله- قدم الحج على الصيام اعتماداً على ما جاء عن ابن عمر

-رحمه الله- أنه قال: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن

محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان»^(١).

وقد صنفت في هذا الفن المطولات والمختصرات وذلك لحاجة الناس

إليه ولكثرة الخلاف فيه.

والواجب أن يتعلم المكلف الحكم بدليله فإن كان من ذوي الأهلية

فنعلم الخلاف ليكون مميزاً بين راجح المسائل من مرجوحها، فلا حرج،

قال قتادة: «من لم يعرف الخلاف لم يشم الفقه بأنفه» أخرج ابن عبد البر في

جامع بيان العلم وفضله، وبالله التوفيق.



(١) أخرج الإمام البخاري في صحيحه (٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦).

[شرح حديث: «اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم...»]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

حديث أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه -.

عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ» وهو حديث حسن.

الشرح:

ساق المصنف الحديث لبيان أركان الإسلام، ومنها وجوب تعلم الفقه إذ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر الحديث في أكثر جمع للصحابة - رضوان الله عليهم -، وكان في عرفة في حجة الوداع التي كانت في السنة العاشرة من الهجرة.

قوله: «عن أبي أمامة الباهلي»: هو صدي بن عجلان بن الحارث الباهلي - رضي الله عنه - مات سنة ست وثمانين وله أحاديث.

قوله: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ»: جاء في بعض الروايات أن هذه الخطبة كانت في منى وقد خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - في عرفات ومنى وله عدة خطب رواها عنه

مجموعة من الصحابة -رضوان الله عليهم- تكلم فيها عن مهمات الدين وفيه: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يهتم بمجامع الناس فيعلمهم ما يحتاجون إلى تعلمه وسميت حجة الوداع لأنها الحجة التي ودع فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الناس وقال: «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»^(١).

قوله: فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ»:

بدأ بها لأنها أساس العبادة، وفي رواية: «اعبدوا ربكم».

فتقوى الله -عز وجل- إذا أفردت هي بمعنى العبادة، ويدخل فيها فعل المأمور وترك المحذور.

فمعنى: (اتقوا الله ربكم): أي (اعبدوا الله ربكم) و وحدوه وأفردوه بما يجب له وبدأ به لأن حق الله مقدم على كل حق ولأن الأعمال لا تقبل إلا إذا أدي حق الله.

وفي حديث معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: «أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لَا يَعِدَّ بِهِمْ»^(٢).

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٨٨٦)، والنسائي في سننه (٣٠٦٢)، وابن ماجه في سننه (٣٠٢٣)،

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١١٠٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٥٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٠).

والأمر بتقوى الله من المهمات، فقد جاء في مواطن من كتاب الله - عز وجل - منها قول الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

وقال الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾.

وقال الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الاحزاب: ١]، مع أنه ﷺ أتقى الناس، وهو القائل: "أنا أتقاكم لله وأعلمكم بما أتقى".

وقال الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

وهي وصية الله للأولين والآخرين: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

فينبغي للخطيب أن يستغل مجامع الناس وأن يبين لهم ما يحتاجون إلى بيانه.

قوله: «وَصَلُّوا خَمْسَكُم»: ثناها لأن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام وتركها كفر كما جاء في حديث جابر - رضي الله عنه -: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(١) أخرجه مسلم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٢).

وعن بريدة -رضي الله عنه- قال، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:
«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»^(١) أخرجه الترمذي.

والمراد بالخمس: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ وَصَلَاتَهُنَّ لَوَقْتَهُنَّ فَاتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»^(٢) أخرجه أحمد عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-.

قوله «وَصُومُوا شَهْرَكُمْ»: أي شهر رمضان قال الله -عز وجل-: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فهو الشهر الذي فرض الله علينا صيامه وشرع لنا قيامه ومن أفطره متعمداً كان على أثم عظيم وخطرٍ جسيم.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٢١)، والنسائي في سننه (٤٦٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام

الوادعي رحمه الله برقم (١٧١).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٢٥)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(٥٣٩).

قوله: «وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ»: المراد بها الزكاة المفروضة وتكون في النقدين الذهب والفضة وفي الحبوب الحنطة والشعير وفي الغراس الزبيب والتمر وفي بهيمة الأنعام البقر والغنم والإبل ولها أحكامها. فتؤدى زكاة الأبل والغنم والبقر والنقدين الذهب والفضة على الحول بشرط بلوغ النصاب.

وأما الأربعة المتبقية: فتؤدى حين الحصاد قال الله - عز وجل -: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١].

فإذا بلغ خمسة أوسق: أخرجت زكاته يوم الحصاد؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول في حديث أبي سعيد - رضي الله عنه -: «ليس فيما دون خمس ذود صدقة ولا فيما دون خمسة أوسق صدقة ولا فيما دون خمسة أواق صدقة»^(١)، متفق عليه.

وقد تضمن الحديث بيان نصاب الفضة والإبل ونصاب الغراس والحبوب وأما نصاب البقر والغنم فقد جاءت فيها أحاديث أخرى ولها موطنها.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٤٤٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٧٩).

فمن ترك الزكاة جاحداً كفر ومن تركها بخلاً لا يكفر على الصحيح،
وأما قول الله - عز وجل -: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ١١].

مفهومها أن تارك الصلاة ومانع الزكاة ليس بأخ لنا.

وأما الصلاة: فقد تقدمت الأدلة على كفره.

وأما الزكاة ففي الصحيحين: « مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي
مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِي
عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ،
فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خُمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ،
إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ »^(١).

فقوله: « يرى منزله إما إلى الجنة أو إلى النار »: دليل على أنه لا يكفر لأن

الكافر ليس له سبيل إلى الجنة.

قوله « وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ »: طاعة ولي الأمر المسلم من المتعينات قال الله -

عز وجل -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ
مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

والآية يدخل فيها العلماء والأمراء والعلماء يدخلون دخولاً أولياً.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩٨٧).

لقول الله - عز وجل -: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وطاعة ولي الأمر المسلم من طاعة الله - عز وجل - كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنه -: «فَإِنَّ مِّنْ طَاعَةِ اللَّهِ أَنْ تُطِيعُونِي، وَإِنَّ مِّنْ طَاعَتِي أَنْ تُطِيعُوا أَيْمَتَكُمْ، أَطِيعُوا أَيْمَتَكُمْ»^(١) أخرجه أحمد.

وأكثر الفساد العريض الواقع في الأمة بسبب الخروج على الأمراء حيث ضعفت الدول وتسلبت السفهاء.

فلا يجوز الخروج على الحاكم وإن كان ظالماً إلا إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً لا تأويل فيه عندهم فيه من الله برهان، وإن وجد البرهان فلا يخرج عليه إلا إذا كان باستطاعت المسلمين أن يبدلوه بخير منه وأن لا تقع فتنة بين أهل الإسلام.

وأما الخروج على الحاكم المسلم: فلا يجوز بحال كان ظالماً أو صالحاً أو فاسقاً.

(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (٥٦٧٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٧٤٩)،

وقال فيه: والحديث أخرجه أبو يعلى (ج ٩ ص ٣٤٠)، والبخاري كما في "كشف الأستار" (ج ٢

ص ٢٥٠).

قوله: «تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»: أي بهذه الأعمال لأن الجنة إنما يصل إليها العبد بسبب العمل الصالح.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢].

وقال الله عز وجل: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

ولا تعارض بين هذا الحديث وبين **قول النبي - صلى الله عليه وسلم -** «لن يدخل أحدٌ منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل»^(١)، أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها. فالحديث محمول على العوض، والآية وما في بابها محمول على السبب، فدخل الجنة له سبب وهو الإيمان والعمل الصالح؛ **لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -** «لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة»^(٢).

تنبيه: قد يقول قائل لماذا لم يذكر الحج في هذا الحديث والجواب أنه قد ذكر في رواية أحمد، وفيه: «وحجوا بيتكم»، أو أن النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٦٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٦٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨١٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٠٦٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١١١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وسلم- ذكر أشهر العبادات التي تتعين وتكرر على الجميع ولم يذكر الحج لأن الحج إنما تتعلق أحكامه بالبلد الحرام وفي وقت محدد من العام ويجب في العمر مرة، والله أعلم.



الفقرة الواحدة والخمسون: ومحلها النية؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الواحدة والخمسون: ومحلها النية؟

٥١- كل عبادة لا بد لها من نية، والنية محلها القلب.

والدليل: حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ» متفق عليه.

الشرح:

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان منزلة النية من العبادات، فلا صحة لعبادة إلا بالنية، وهي إخلاص العمل لله - عز وجل -، وإرادة الفعل لهذا العمل، والنية في اللغة القصد.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١ / ٦٥):

وَأَعْلَمُ أَنَّ النِّيَّةَ فِي اللُّغَةِ نَوْعٌ مِنَ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فُرِّقَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ بِمَا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ. وَالنِّيَّةُ فِي كَلَامِ الْعُلَمَاءِ تَقَعُ بِمَعْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا: بِمَعْنَى تَمْيِيزِ الْعِبَادَاتِ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ، كَتَمْيِيزِ صَلَاةِ الظُّهْرِ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ مَثَلًا، وَتَمْيِيزِ صِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ صِيَامِ غَيْرِهِ، أَوْ تَمْيِيزِ الْعِبَادَاتِ مِنَ الْعَادَاتِ، كَتَمْيِيزِ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ مِنْ غُسْلِ التَّبَرُّدِ وَالتَّنَظُّفِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ النِّيَّةُ هِيَ الَّتِي تُوجَدُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ الْفُقَهَاءِ فِي كُتُبِهِمْ. وَالْمَعْنَى

الثاني: بِمَعْنَى تَمَيُّزِ الْمُقْصُودِ بِالْعَمَلِ، وَهَلْ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمْ غَيْرُهُ، أَمْ اللَّهُ وَغَيْرُهُ. اهـ

قوله: «كل عبادة لا بد لها من نية»: كل من ألفاظ العموم فلا بد أن يكون العبد قاصداً بالفعل التقرب إلى الله - عز وجل - وامثال أمره ويدخل فيها العبادات القولية والفعلية والاعتقادية.

وقد تقدم أن العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والمعتقدات فكل عبادة لا بد لها من نية فطلب العلم والصلاة والصيام والصدقة وبر الوالدين والإحسان إلى الجيران وغير ذلك عبادات فإن فعلها العبد لله أجر عليها وقبلت منه.

قوله: «والنية محلها القلب»: أجمع العلماء على أن محل النية القلب لأن النية القصد والعزم على فعل شيء، ومصدر ذلك القلب ولم ينزع في ذلك أحد إذ أنه أمر متفق عليه بين العقلاء، ولكن جرى الخلاف في حكم التلفظ بالنية^(١).

والتلفظ بها بدعة، فإن النيات في القلوب والله - عز وجل - مطلع عليها ولم يؤثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا عن الصحابة أنهم كانوا إذا أرادوا الصلاة أو الصيام أو الحج أو القيام قال أحدهم اللهم نويت أصلي،

(١) النية وآثارها في الأحكام الشرعية (١/٣٠٦).

نويت أزكي، نويت أتصدق فإن الله - عز وجل - مطلع على أعمال العباد وعلى سرائرهم والتلفظ بالنية بدعة كما سيأتي.

قوله: «والدليل: حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»:

وفي لفظ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

وحديث عمر فرد اتفق عليه البخاري ومسلم.

قال الحافظ رحمه الله تعالى في الفتح (١ / ١١):

وَقَدْ تَوَاتَرَ النَّقْلُ عَنِ الْأَئِمَّةِ فِي تَعْظِيمِ قَدْرِ هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لَيْسَ فِي أَخْبَارِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - شَيْءٌ أَجْمَعَ وَأَغْنَى وَأَكْثَرَ فَايْدَةً مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ.

وَاتَّفَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ وَالشَّافِعِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ الْبُيْهَقِيُّ عَنْهُ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَحَمَزَةُ الْكِنَانِيُّ عَلَى أَنَّهُ ثَلَاثُ الْإِسْلَامِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: رُبْعُهُ.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٠٧).

وَاخْتَلَفُوا فِي تَعْيِينِ الْبَاقِي:

وَقَالَ بَن مَهْدِيٍّ أَيضًا: يَدْخُلُ فِي ثَلَاثِينَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: يَدْخُلُ فِي سَبْعِينَ بَابًا.

وَيُحْتَمَلُ: أَنَّ يُرِيدَ بِهَذَا الْعَدَدِ الْمُبَالِغَةَ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ أَيضًا: يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ هَذَا الْحَدِيثُ رَأْسَ كُلِّ

بَابٍ.

وَوَجَّهَ الْبَيْهَقِيُّ كَوْنَهُ ثُلُثَ الْعِلْمِ: بِأَنَّ كَسْبَ الْعَبْدِ يَقَعُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ، فَالْنِيَّةُ أَحَدُ أَقْسَامِهَا الثَّلَاثَةِ وَأَرْجَحُهَا؛ لِأَنَّهَا قَدْ تَكُونُ عِبَادَةً مُسْتَقِلَّةً، وَغَيْرَهَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا كَانَتْ خَيْرَ الْأَمْرَيْنِ.

وَكَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِكَوْنِهِ ثُلُثَ الْعِلْمِ أَنَّهُ أَحَدُ الْقَوَاعِدِ الثَّلَاثِ، الَّتِي تُرَدُّ إِلَيْهَا جَمِيعُ الْأَحْكَامِ عِنْدَهُ، وَهِيَ هَذَا، «وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، «وَالْحَلَالُ بَيْنٌ وَالْحَرَامُ بَيْنٌ» الْحَدِيثَ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ أَخْرَجَهُ الْأَيْمَةُ الْمُشْهُورُونَ إِلَّا الْمُوطَّاءَ وَوَهُمَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي الْمُوطَّاءِ مُغْتَرًّا بِتَخْرِيجِ الشَّيْخَيْنِ لَهُ وَالنَّسَائِيِّ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ.

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ: قَدْ يَكُونُ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى طَرِيقَةِ بَعْضِ النَّاسِ مَرْدُودًا لِكَوْنِهِ فَرْدًا؛ لِأَنَّهُ لَا يُرَوَّى عَنْ عُمَرَ إِلَّا مِنْ رِوَايَةِ عَلْقَمَةَ، وَلَا عَنْ عَلْقَمَةَ إِلَّا مِنْ رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَلَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ رِوَايَةِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ.

وَهُوَ كَمَا قَالَ: فَإِنَّهُ إِنَّمَا اشْتَهَرَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ وَتَفَرَّدَ بِهِ مَنْ فَوْقَهُ. وَبِذَلِكَ جَزَمَ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْبَزَّارُ وَبْنُ السَّكَنِ وَحَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنَانِيُّ.

وَأَطْلَقَ الْخُطَّابِيُّ: نَفَى الْخِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَهُوَ كَمَا قَالَ لَكِنْ بِقَيْدَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الصَّحَّةُ؛ لِأَنَّهُ وَرَدَ مِنْ طُرُقٍ مَعْلُومَةٍ ذَكَرَهَا الدَّارَقُطْنِيُّ وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مَنْدَةَ وَغَيْرُهُمَا.

ثَانِيَهُمَا: السِّيَاقُ لِأَنَّهُ وَرَدَ فِي مَعْنَاهُ عِدَّةُ أَحَادِيثَ صَحَّتْ فِي مُطْلَقِ النِّيَّةِ كَحَدِيثِ عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ «يَعْتُونَ عَلَى نِيَاتِهِمْ»، وَحَدِيثِ بَنِ عَبَّاسٍ «وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ»، وَحَدِيثِ أَبِي مُوسَى «مَنْ قَاتَلَ لِيَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا، وَحَدِيثِ بَنِ مَسْعُودٍ «رُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَيْنِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ»، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَحَدِيثِ عُبَادَةَ «مَنْ غَزَا وَهُوَ لَا

يُنَوِّي إِلَّا عَقَالًا فَلَهُ مَا نَوَى»، أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَسَّرُ
حَصْرُهُ. اهـ

قال السعدي - رحمه الله -:

النية شرط لسائر العمل *** بها الصلاح والفساد للعمل

وفي الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً
أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»^(١) أخرجه مسلم.

بيان خطر فساد النية، إذ أنها تحيل الطاعات معاصي وسيئات:

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ
فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ
يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ،
وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا
عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ:
كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيقَالَ: هُوَ قَارِئٌ،
فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ
عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٨٥).

عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا
لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ
فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١) أخرجه مسلم.

قوله «بِالنِّيَّة»: جاءت في رواية: (بالنيات).

فقال بعض أهل العلم: (الإفراد): بالنسبة إلى نية الشخص.

و(بالجمع): على كثرة الأعمال، والله أعلم.



(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٠٥).

[الفقرة الثانية والخمسون: التلفظ بالنية بدعة]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثانية والخمسون: التلفظ بالنية بدعة.

٥٢- التلفظ بالنية بدعة.

والدليل: حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم -

قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه.

الشرح: ****

ساق المصنف هذه الفقرة لبيان أن التلفظ بالنية بدعة، وذلك لتحذير من

هذه البدعة، حيث انتشرت بين كثير من المسلمين.

قال ابن القيم - رحمه الله -: زاد المعاد (١ / ١٩٤):

وَلَا تَلَفَّظَ أَيُّ النَّبِيِّ ﷺ بِالنِّيَّةِ الْبَتَّةَ، وَلَا قَالَ أَصَلِّيَ لِلَّهِ صَلَاةَ كَذَا مُسْتَقْبَلِ
الْقِبْلَةِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ إِمَامًا أَوْ مَأْمُومًا، وَلَا قَالَ أَذَاءً وَلَا قِضَاءً وَلَا فَرَضَ
الْوَقْتِ، وَهَذِهِ عَشْرُ بَدَعٍ لَمْ يَنْقُلْ عَنْهُ أَحَدٌ قَطُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَلَا ضَعِيفٍ،
وَلَا مُسْنَدٍ وَلَا مُرْسَلٍ لَفْظَةً وَاحِدَةً مِنْهَا الْبَتَّةَ، بَلْ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ،
وَلَا اسْتَحْسَنَهُ أَحَدٌ مِنَ التَّابِعِينَ وَلَا الْأَثَمَةِ الْأَرْبَعَةِ، وَإِنَّمَا غَرَّ بَعْضُ
الْمُتَأَخِّرِينَ قَوْلَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّلَاةِ: إِنَّهَا لَيْسَتْ كَالصِّيَامِ، وَلَا
يَدْخُلُ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا بِذِكْرٍ، فَظَنَّ أَنَّ الذِّكْرَ تَلَفُظُ الْمُصَلِّيِ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ

الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ بِالذِّكْرِ تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ لَيْسَ إِلَّا، وَكَيْفَ يَسْتَحِبُّ الشَّافِعِيُّ أَمْرًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ خُلَفَائِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَهَذَا هَدْيُهُمْ وَسِيرَتُهُمْ، فَإِنْ أَوْجَدْنَا أَحَدًا حَرَفًا وَاحِدًا عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ قَبْلَنَاهُ وَقَابَلْنَاهُ بِالتَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ، وَلَا هَدْيَ أَكْمَلَ مِنْ هَدْيِهِمْ، وَلَا سُنَّةَ إِلَّا مَا تَلَقَّوْهُ عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ -صلى الله عليه وسلم- اهـ

هـ فالتلفظ بالنية بدعة؛ لأنه لم يأت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وعن الصحابة -رضوان الله عليهم- ولو كان خيرًا لسبقونا إليه. وأما ما ذكر عن الشافعي من جواز التلفظ بها؛ فإنما فهم على غير القصد.

قال النووي -رحمه الله- في المجموع (٣/ ٢٧٧):

إِذَا نَوَى حَجًّا أَوْ عَمْرَةً أَجْزَأُ وَإِنْ لَمْ يَتَلَفَّظْ، وَلَيْسَ كَالصَّلَاةِ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِالنُّطْقِ.

قَالَ أَصْحَابُنَا: غَلِطَ هَذَا الْقَائِلُ وَلَيْسَ مُرَادُ الشَّافِعِيِّ بِالنُّطْقِ فِي الصَّلَاةِ هَذَا بَلْ مُرَادُهُ التَّكْبِيرُ: وَلَوْ تَلَفَّظَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَنْوِ بِقَلْبِهِ لَمْ تَنْعَقِدْ صَلَاتُهُ بِالْإِجْمَاعِ فِيهِ، وَلَوْ نَوَى بِقَلْبِهِ صَلَاةَ الظُّهْرِ، وَجَرَى عَلَى لِسَانِهِ صَلَاةُ الْعَصْرِ انْعَقَدَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ. اهـ

قوله: «والدليل: حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه: وقد تقدم لفظ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

وهذا لفظٌ عام يدخل فيه كل محدثة ومنها التلفظ بالنية والزيادات التي لم يشرعها الله، فالله لا يقبل من العمل إلا ما توفر فيه شرطان:

الأول: الإخلاص لله - عز وجل -.

الثاني: المتابعة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وقد تقدم الكلام على هذه المسألة، والله المستعان.



الفقرة الثالثة والخمسون: ما هي البدعة؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثالثة والخمسون: ما هي البدعة؟

٥٣- فإذا قيل لك: ما هي البدعة؟

فقل: هي ما أحدث بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم - بقصد التعبد، وليس عليها دليل من الكتاب، ولا من السنة.

الشرح: *

لما بين حفظه الله أن التلفظ بالنية بدعة ناسب أن يعرف البدعة.

وقد اختلف العلماء في تعريف البدعة: وأخصر التعاريف بأنها الدين الذي لم يشرعه الله.

وقولنا (الدين): خرج به العادات، فإن العادات ليست من الدين، فمن ركب سيارة جديدة، أو اتخذ مكبر صوت، أو ساعة، أو فعل شيئاً من هذه الأشياء لا ينكر عليه لأنه لم يرد التعبد.

ولكن من صلى في وقت لم يشرعه الله وخصصه بدون دليل أو خصص أياماً بالصيام بغير دليل أو فعل أفعلاً يتقرب بها إلى الله على غير دليل فهذه هي البدعة.

قال الله - عز وجل -: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الاحزاب: ٤٦].

قال العلماء: قوله: «داعياً إلى الله»: دليل على الإخلاص.

وقوله «بإذنه»: دليل على المتابعة.

فمن دعا إلى غير الله فقد أشرك ومن دعا إلى الله بغير إذنه فقد ابتدع فأنت مطالب أن تدعوا إلى الله بإذنه وأن تعبد الله بما شرع الله - عز وجل -.

ولما جاء النفر الثلاثة إلى زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - قال بعضهم: «لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١)، متفق عليه.

فقد أرادوا أن يتعبدوا لله - عز وجل - بأمور لم يشرعها الله - عز وجل - ولم يبينها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠٦٣)، والإمام مسلم في صحيحه (١٤٠١).

والبدعة تنقسم إلى قسمين:

١ - بدعة مكفرة يكفر متعاطيها: كفر أكبر مخرج من الملة كبدعة التجهم والرفض والباطنية وبدعة القول بخلق القرآن وغير ذلك من البدع.

٢ - وبدعة مفسدة: كبدع التحزب والأشعرية وغير ذلك.

وإن كان لازم القول بالبدعة عظيم لكن جرى العلماء على هذا التقسيم فلازم الابتداع أن الدين ناقص ويحتاج إلى زيادة وتام وفيه الاعتراض على ما شرع الله والزيادة على ما جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله - عز وجل - يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ولهذا كانت البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها ولأن العاصي يشعر أنه مذنب ويحتاج أن يتوب أما المبتدع فإنه يشعر أنه يتقرب إلى الله بهذه البدع والمخالفات.

فإذا أردت أن تتقرب إلى الله تقرب إليه بما شرع قال الله - عز وجل -: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمرا: ٣١].

فما نحتاج إلى زيادة على ما جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قوله: «فقل: هي ما أحدث بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم -»: أي ما كان على غير مثال سابق عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.

قوله: «يقصد التعبد»: خرج به العادة.

قوله: «وليس عليها دليل من الكتاب ولا من السنة»: أي أنها قامت على الرأي والعقل ولم تكن عائدة إلى أدلة الكتاب والسنة العامة والخاصة وإنما قامت على الرأي والهوى والأقيسة الفاسدة وغير ذلك.

فالواجب على الناس اتباع الكتاب والسنة والعودة إليهما ففيهما السلامة من البدع والمحدثات والمخالفات والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله. ويشترط لتوبة المبتدع ما قاله الله - عز وجل -: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾، على ما تقدم بيانه.

وشروط التوبة: الإقلاع والندم والعزم على عدم العود، وهذه شروط عامة في جميع الذنوب، ويزاد هنا وجوب الإصلاح والبيان تحذيراً للناس مما كان عليه من الضلالة.

وفي حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»^(١) أخرجه ابن أبي عاصم.

(١) أخرجه الإمام إسحاق بن راهويه كما في مسنده برقم (٣٩٨)، والإمام الطبراني في الأوسط (٤٢٠٢)، والإمام ابن أبي عاصم في السنة برقم (٣٧)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في حجة النبي صلى الله عليه وسلم (ص ١٠١): رواه الطبراني والضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة)، وغيرهما، بسند =

والمراد بحجب التوبة: أنه لا يوفق لها، وإلا فإن التوبة جائزة من كل ذنب، حتى من الشرك **قال الله - عز وجل -:** ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].
وسبب عدم توفيقه للتوبة؛ أنه يرى أنه على حق زد على ذلك أن الهوى يتجارى بصاحبه حتى يهلك.

وفي الحديث: «إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمُ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»^(١)
 أخرجه الطبراني عن معاوية - رضي الله عنه -.



= صحيح وحسنه المنذري، وصححه أيضًا الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٥٤).

(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (١٦٩٣٧)، والإمام أبو داود في سننه (٤٥٩٧)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب: حسن صحيح برقم (٥١)، وصححه في المشكاة برقم (١٧٢)، ((٣٣)).



الفقرة الرابعة والخمسون: خلق الله الماء طهوراً يطهر النجاسات والأحداث

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الرابعة والخمسون: خلق الله الماء طهوراً يطهر النجاسات والأحداث.

٥٤- خلق الله الماء طهوراً يطهر النجاسات والأحداث.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال: ١١].

الشرح:

بعد أن ذكر المصنف حفظه الله بعض ما يتعلق بأحكام البدعة ناسب أن يشرع في المقصود من بيان أحكام الطهارة، وبدأ بأحكام المياه لبيان أن المياه تزيل النجاسات وترفع الأحداث.

والأصل في المياه الطهارة لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾

[الفرقان: ٤٨].

ولقول النبي -صلى الله عليه وسلم- «الماء طاهر لا ينجسه شيء»^(١)

أخرجه الأربعة عن أبي سعيد -رضي الله عنه-.

(١) أخرجه الإمام أبو داود (٦٦)، والنسائي (١٧٤)، والترمذي (٦٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله

تعالى في الإرواء برقم (١٤).

الفقرة الرابعة والخمسون: خلق الله الماء طهوراً يطهر النجاسات والأحداث

وقد أجمع العلماء على معنى أن النجاسة إنما تلحقه: «إذا تغير طعمه أو ريحه أو لونه بسبب نجاسة وقعت فيه».

فلا يدخل ما تغير طعمه بطول مكثه أو لونه لغبار أو كثرة تحريك أو ريحه لشيء خارج عن النجاسات.

وقد امتن الله - عز وجل - على عباده بالماء، قال الله - عز وجل -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

قوله: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا»: دليل على أن الماء النازل من السماء طاهر في نفسه مطهر لغيره وقد ذهب بعضهم إلى أنه غير طاهر وهذا قول ضعيف لا يحتاج أن يذكر لأن ظاهر القرآن، وفعل النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه والعلماء المعتبر بهم على أنه طاهر مطهر.

وقد سماه الله - عز وجل - مَاءً طَهُورًا وقال: ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ فدل على أنه طهور في نفسه مطهر لغيره.

والنجاسات إنما تزال بالماء عند جمهور العلماء، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - لما بال ذلك الأعرابي في المسجد قال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - «صبوا عليه ذنوباً من ماء»^(١).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الفقرة الرابعة والخمسون: خلق الله الماء طهوراً يطهر النجاسات والأحداث

وهو المعتبر في رفع الأحداث: كالجنابة، فلو أغتسل بعصير أو مرق أو نحو ذلك من المائعات ما أجزأه لأن اشتراط الماء متعين في هذا الحال ولو توضأ بنوع من العصائر والأشربة لم يجزئه عند جماهير العلماء لقول الله - عز وجل -: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [النساء: ٤٣].

ومن المياه الطاهرة: البحر قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»^(١).

وهذا محل إجماع بين الصحابة - رضي الله عنهم -، إلا ما روي عن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو - رضوان الله عليهم -: "كراهية الوضوء بماء البحر"، كما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، وقيل بأنها رجعا عنه لكن الحديث مقدم وقد عمل به العلماء.

قوله: «خلق الله»: قال الله - عز وجل -: ﴿الله خالق كُلِّ شَيْءٍ﴾.

وقوله: «طهور»: بفتح الطاء اسم الماء وبالضم اسم للفعل.

ومعنى طهور: أنها تطهر به النجاسات كبول الإنسان وغائطه ودم الحيض والنفاس.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود (٨٣)، والنسائي (١/ ٥٠ و ١٧٦ و ٧٠٧)، والترمذي (٦٩)، وابن ماجه (٣٨٦) وابن أبي شيبة (١٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في الإرواء برقم (٩).

الفقرة الرابعة والخمسون: خلق الله الماء طهوراً يطهر النجاسات والأحداث

ويرفع الأحداث والمراد بها: نواقض الوضوء من غائطٍ أو بولٍ أو ريحٍ أو جماعٍ أو ردةٍ أو أكل لحم الابل أو مس الفرج على ما يأتي ذكره إن شاء الله.
قال الله - عز وجل -: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣].

وقال الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦].

وفي حديث أبي ذر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ وَضُوءٌ لِلْمُسْلِمِ وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عَشْرَ سِنِينَ، وَإِذَا وَجَدَ الْمَاءَ فَلْيُمِسَّهُ بَشْرَتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ خَيْرٌ»^(١) أخرجه أحمد.

قوله: «والدليل: قول الله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]:

والمراد بالسماء: السحاب؛ لأن المطر ينزل منه والسماء في اللغة كل ما علا وارتفع.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٢٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في الإرواء برقم



قال الله - عز وجل -: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيَقْصِبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾
[النور: ٤٣].

قوله: «-وقوله تعالى -: ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾»
[الأنفال: ١١]:

أي ترفع به الأحداث وتزال به النجاسات على ما تقدم، والله أعلم.



الفقرة الخامسة والخمسون: ماذا يقول من أراد دخول الخلاء؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الخامسة والخمسون: ماذا يقول من أراد دخول الخلاء؟

٥٥- ماذا يقول من أراد دخول الخلاء؟

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ، قَالَ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخُبَائِثِ» متفق عليه.

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان ما يستحب أن يلازمه المسلم من الاستعاذة بالله من الشرور.

والخلاء: هو مكان قضاء الحاجة في الحمام أو الصحراء.

وقوله: (كان النبي - صلى الله عليه وسلم -): يدل على اللزوم والاستمرار.

قوله: «إذا دخل في الخلاء»: أي مكان قضاء الحاجة سمي بذلك لأنه مكان خالي عن السكان ويتخلى فيه الإنسان.

والحكمة من هذا الدعاء: أن يحال بين الإنسان وبين الشياطين.

قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾
[الاعراف: ٢٧].

زد على ذلك أن الأرض فيها كثير من الأدواء والبلاء فيدفع شرها بالدعاء.

قوله «إذا دخل الخلاء»: أي أراد أن يدخل الخلاء كقول الله - عز وجل -
: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]:
أي إذا أردت أن تقرأ، والأخيلة تكون في الغالب بيوت الجن،
ومساكنهم ومأوى الهوام.

قوله: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخُبَائِثِ»:
أي يا الله إني أستعيذ بك.

والعوذ يكون من المرهوب، واللوذ يكون للمطلوب.
فإذا قلت: «اللهم إني أسألك رزقاً»، هذا يسمى لوذاً.
وإذا قلت: «اللهم إني أعوذ بك من الشر وأهله» فهذا يسمى عوذاً.

قال بعضهم:

يا من ألوذ به فيما أوَمَلَه *** ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبرُ الناس عظمًا أنت كاسره *** ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

والاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله: لا تجوز، فمن فعل ذلك فقد أشرك.

وأما الاستعاذة بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه: فهي جائزة.
كأن تقول: يا فلان أعذني من فلان، وهو حاضر ويقدر أن يدفعه ويستطيع أن ينصره.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به»^(١).

قوله: «من الخبث والخبائث»: قيل: الخبث ذكور الجن والخبائث إناثهم.
وفي شرح النووي على مسلم (٤ / ٧١):

الْخُبْتُ بِضَمِّ الْبَاءِ جَمَاعَةُ الْخَبِيثِ، وَالْخَبَائِثُ جَمْعُ الْخَبِيثَةِ.

قَالَ: يُرِيدُ ذُكْرَانَ الشَّيَاطِينِ وَإِنَاثَهُمْ. اهـ

وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها: أنه إذا خرج قال: «غفرانك»
أخرجه الترمذي وغيره، وهي رواية ضعيفة، فيها يوسف بن أبي بردة
مجهول حال، وجمهور العلماء على تحسينها.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦٠١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٨٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

واختلف العلماء في سبب قولها بعد الخروج من الخلاء:

ف قيل: لأنه شغل عن ذكر الله - عز وجل -.

وقيل: غفرائك؛ لأنك أزلت عني الأذى، وقد يتعذر علي أن أشكر كما

يجب علي، وفضائل الله - عز وجل - على عباده كثيرة.

قال الله - عز وجل -: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، والله المستعان.



الفقرة السادسة والخمسون: من آداب قضاء الحاجة

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السادسة والخمسون: من آداب قضاء الحاجة:

٥٦- من آداب قضاء الحاجة: عن سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: «عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى الْحِرَاءَةَ. قَالَ: أَجَلُ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ»، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

الشرح:

ساق المصنف هذه الفقرة لأهمية ملازمة الآداب الشرعية في قضاء الحاجة وغيرها.

ومن آداب قضاء الحاجة: الاستنجاء بالماء، والاستنجاء بالماء أفضل من الاستنجاء بالحجارة عند الجمهور، وذلك أن الاستنجاء بالماء يُذهب العين والأثر، بينما الاستنجاء بالحجارة يُذهب العين ويبقى الأثر، وكلاهما مجزئ.

*** فائدة: للاستنجاء ثلاث حالات:**

الأولى: الاستنجاء بالماء: فقد ثبت عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في

هذا الحديث.

الثاني: الاستنجاء بالحجارة: وقد ثبت عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكلاهما في صحيح البخاري، أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ابغِزِ أَحْجَارًا أُسْتَنْفَضَ بِهَا وَلَا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلَا بِرُوثَةٍ». فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمَلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي حَتَّى وَضَعْتُ إِلَى جَنْبِهِ ثُمَّ انصَرَفْتُ، حَتَّى إِذَا فَرَّغْتُ، مَشَيْتُ فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرُّوثَةِ؟ قَالَ: «هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجَنِّ، وَإِنِّي أَتَانِي وَفَدَ جَنٌّ نَصِييْنِ، وَنَعَمَ الْجَنُّ! فَسَأَلُونِي الزَّادَ فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرُوثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا»^{(١) (٢)}.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَيْنِي بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ»، فَأَتَيْتُهُ بِحَجَرَيْنِ وَرُوثَةٍ حِمَارٍ، فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرُّوثَةَ، وَقَالَ: "إِنَّهَا رِكْسٌ"^(٣).

«وقد نهى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الاستنجاء بأقل من ثلاثة أحجار»، كما في حديث سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٨٦٠).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٥٦).

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٢٦٣).

قال الحافظ في التلخيص (١/ ١٩٥):

عَارَضَ الْحَنْفِيَّةُ هَذَا الْحَدِيثَ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ السَّابِقِ، وَفِيهِ: «فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ».

قَالَ الطَّحَاوِيُّ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عَدَدَ الْأَحْجَارِ لَيْسَ بِشَرْطٍ؛ لِأَنَّهُ قَعَدَ لِلْغَائِطِ فِي مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ أَحْجَارٌ، لِقَوْلِهِ: «نَاوِلْنِي»، فَلَمَّا أَلْقَى الرَّوْثَةَ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِسْتِنْجَاءَ بِالْحَجَرَيْنِ مُجْزِئٌ، إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ، لَقَالَ: "ابْغِنِي ثَالِثًا". اهـ

* وَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ فِيهِ هَذِهِ الزِّيَادَةَ بِإِسْنَادٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، قَالَ: فِي آخِرِهِ: «فَأَلْقَى الرَّوْثَةَ وَقَالَ: "إِنَّمَا رِكْسٌ، أَتَيْتَنِي بِحَجَرٍ" ^(١)، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي مَا ذَكَرَ اسْتِدْلَالٌ لِأَنَّهُ مُجَرَّدُ احْتِمَالٍ، وَحَدِيثُ سَلْمَانَ نَصٌّ فِي عَدَمِ الْإِقْتِصَارِ عَلَى مَا دُونَهَا، ثُمَّ حَدِيثُ سَلْمَانَ قَوْلٌ، وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ فِعْلٌ، وَإِذَا تَعَارَضَا قُدِّمَ الْقَوْلُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

* **ونهى عن الاستنجاء بالعظم والبعر**، كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُتَمَسَّحَ بِعَظْمٍ، أَوْ بِبَعْرٍ».

* **ونهى عن الاستنجاء بالعظم والروث**: كما في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أَتَانِي دَاعِي الْجَنِّ

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده برقم: (٢٤٦٣٩)، والترمذي برقم: (١٩)، والنسائي برقم: (٤٦)، وأبو

يعلى في مسنده برقم: (٤٥١٤)، وغيرهم بإسناد صحيح.

فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَأَنْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ «وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ: " لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ فَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامٌ إِخْوَانِكُمْ»^(١).

الثالث: الجمع بين الحجارة والماء: لم يثبت ذلك عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع أن الجماهير على جوازه واستحبابه، من حيث أن الحجر يزيل العين ويخفف النجاسة، والماء يزيله.

وما جاء في قصة أهل قباء، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُمْ عَنْ سَبَبِ مَدْحِ اللَّهِ لَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾؟ فَقَالُوا: إِنَّا نَتَّبِعُ الْحَجَارَةَ بِالْمَاءِ»، فإنه من طريق محمد بن عبد العزيز وهو ضعيف، كما قال أبو حاتم، والثابت عنهم في غير ما حديث أنهم كانوا يستنجوا بالماء، كما في حديث عائشة رضي الله عنها وغيرها.

وجاء الاستنجاء من حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت لنسوة: «مُرْنَ أَزْوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْتَنْجُوا بِالْمَاءِ فَإِنِّي أَسْتَحْيِيهِمْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ»^(٢).

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٤٥٠).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٩)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(١٥٦٩)، وقال فيه: هو حديث صحيح على شرط الشيخين.

وقد مالِك إلى أنه لم يثبت عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه استنَجى بالماء، وهذا قولٌ ضعيف، فقد ثبت في حديث أنس رضي الله عنه، الذي ذكره المصنف: «فِستنجي بالماء»، وفي مسلم: «ذهب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ فَقَرَّبَ إِلَيْهِ، غَلَامٌ نَحْوِي، إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ، فَخَرَجَ وَقَدْ اسْتَنْجَى بِالْمَاءِ».

ومَن كان يكره الاستنجاء بالماء حذيفة رضي الله عنه، وابن المسيَّب. ثم إن الاستنجاء واجبٌ مستقل وليس هو من الوضوء وإنما إذا قضى الإنسان حاجته وجب عليه إزالة النَجَس.

والحديث يدل على شمولية الإسلام، وقد جاء عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ مُسْلِمٍ قَالَ: «قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُم نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى الْخِرَاءَةَ. قَالَ، فَقَالَ: أَجَلْ. لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ. أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ...»^(١) أخرجه مسلم.

* وفيه: التستر حين قضاء الحاجة: فإن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدخل الخلاء، ففي حديث المغيرة رضي الله عنه، [«كان إذا أراد الحاجة أبعد المذهب» أخرجه أبو داود].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢).

وذهب بعض أهل العلم إلى عدم جواز استخدام الماء للاستنجاء لأنه شراب وهذا لا يتأتى لأمر:

الأول: أنه يُستخدم لغير الشراب، كالغسل، وإزالة النجاسة.

الثاني: أنه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد استخدمه.

قوله: «عن سلمان الفارسي -رضي الله عنه-»: وهو ممن عمر طويلاً قيل مائتين وخمسين سنة وقيل أكثر من ذلك كان مجوسياً ثم تنصر ثم أسلم وحسن إسلامه.

قوله: «أنه قيل له: «علمكم نبيكم كل شيء»»: قيل أن القائل له ذلك من الكافرين أو المنافقين أراد أن يستهزئ بدين الإسلام، وفي الحديث دليل على كمال الإسلام.

قوله: «حتى الخراءة»: بالكسر أي طريقة قضاء الحاجة ومنه قوله : «إذا قتلتم فأحسنوا القِتلة» أي طريقة القتل.

قوله: «أجل»: قالها مفتخراً بها، أي نعم علمنا ذلك وهذا ليس بنقيصة بل هذا من تمام الدين وكماله فإذا كان قد علم أمور قضاء الحاجة فمن باب أولى تعليم التوحيد والصلاة والصيام وتعليم كل ما يكون نافعا للعبد في دنياه وأخراه.

قال شيخ الإسلام في مقدمة الحموية (ص: ١٧٧):

فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج [الله] به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردُّوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر أنه أكمل له ولأئمة دينهم، وأتم عليهم نعمته - محال مع هذا وغيره - أن يكون قد ترك باب الإيِّمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهاً، فلم يميز [بين] ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه.

فإن معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول.

وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الكتاب اعتقادًا وقولًا؟! ومن المحال أيضًا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علّم أُمَّته كل شيء حتى الخراءة، وقال: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»، وقال فيما صح عنه أيضًا: «ما بعث الله من نبي إلا كان

حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: [«لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً»].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم [مقاماً] فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه»^(١) رواه البخاري.

محال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين - وإن دقت - أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم [ويعتقدونه] بقلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مُسكة من إيمان وحكمة، أن لا يكون [بيان] هذا الباب قد وقع من الرسول صلى الله عليه وسلم على غاية التمام، إذا كان قد وقع ذلك منه، فمن المحال أن [يكون] خير أمته وأفضل قرونها قصرها في هذا الباب، زائدين فيه أو ناقصين عنه. اهـ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣١٩٢) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٩١) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

قوله: «لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول»: وهذا أيضاً قد جاء وفي حديث أبي أيوب -رضي الله عنه-: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولكن شرقوا أو غربوا»^(١) متفق عليه.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى حَاجَتِهِ، فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا»^(٢) أخرجه مسلم.

قوله: «شرقوا أو غربوا»: في حق المدني واليمني أما من كانت جهته المغرب والمشرق فإنه لا يشرق ولا يغرب وإنما يتجه إلى الشمال أو الجنوب ﴿﴾ ومن عجب بعض المتفكّهة أنهم ذكروا في هذا الباب ولا يستقبل النيرين أي الشمس والقمر ونحو ذلك.

وعلق عليه الشوكاني في السيل الجرار (١/ ١٩٧) بقوله:

وأما استقبال القمرين فهذا من غرائب أهل الفروع فإنه لم يدل على ذلك دليل لا صحيح ولا حسن ولا ضعيف وما روي في ذلك فهو كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن رواية الكذابين وإن كان ذلك بالقياس على القبلة فقد اتسع الخرق على الراقع ويقال لهذا القائل ما هكذا تورد يا سعد الإبل وأعجب من هذا إلحاق النجوم النيرات بالقمرين فإن الأصل باطل فكيف بالفرع وكان ينبغي لهذا القائل أن يلحق السماء فإن لها شرفا

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٩٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٥).

عظيما لكونها مستقر الملائكة ثم يلحق الأرض لأنها مكان العبادات والطاعات ومستقر عباد الله الصالحين فحينئذ يضيق على قاضي الحاجة الأرض بما رحبت ويحتاج أن يخرج عن هذا العالم عند قضاء الحاجة. وسبحان الله ما يفعل التساهل في إثبات أحكام الله من الأمور التي يبكي لها تارة ويضحك منها أخرى. اهـ

وعن ابن عمر -رضي الله عنه- ودليله: «رَقِيتُ فَوْقَ بَيْتِ حَفْصَةَ، فَإِذَا أَنَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا عَلَى مَقْعَدَتِهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، مُسْتَدْبِرَ الشَّامِ» متفق عليه.

وفي حديث جابر ابن عبد الله -رضي الله عنه-: «نَهَى نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بَبُولٍ، فَرَأَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ بِعَامٍ يَسْتَقْبِلُهَا»^(١) أخرجه أحمد.

قال الشوكاني في نيل الأوطار (١/ ١٠٣):

وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى الْمُنْعِ مِنْ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ وَاسْتِدْبَارِهَا بِالْبَوْلِ وَالْعَائِطِ، وَقَدْ اختلفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ عَلَى أَقْوَالٍ:

الأوّل: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ لَا فِي الصَّحَارِي وَلَا فِي الْبُنْيَانِ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ الصَّحَابِيِّ وَمُجَاهِدٍ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَالثَّوْرِيِّ وَأَبِي ثَوْرٍ وَأَحْمَدَ فِي

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٣)، والإمام الترمذي في سننه (٩)، وابن ماجه في سننه (٣٢٥)،

وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في السنن.

رَوَايَةٌ، كَذَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ وَنَسَبَهُ فِي الْبَحْرِ إِلَى الْأَكْثَرِ وَرَوَاهُ ابْنُ حَزْمٍ فِي الْمُحَكَّمِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَسُرَّاقَةَ بْنِ مَالِكٍ وَعَطَاءٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَعَنْ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

الْمَذْهَبُ الثَّانِي: الْجَوَازُ فِي الصَّحَارِي وَالْبُنْيَانِ وَهُوَ مَذْهَبُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَرَبِيعَةَ شَيْخِ مَالِكٍ وَدَاوُدَ الظَّاهِرِيِّ، كَذَا رَوَاهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ عَنْهُمْ وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَمِيرِ الْحُسَيْنِ.

الْمَذْهَبُ الثَّلَاثُ: أَنَّهُ يَحْرُمُ فِي الصَّحَارِي لَا فِي الْعُمَرَانِ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَالشَّعْبِيُّ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنْهُ. صَرَّحَ بِذَلِكَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ أَيْضًا وَزَادَ فِي الْبَحْرِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَنَسَبَهُ فِي الْفَتْحِ إِلَى الْجُمْهُورِ.

الْمَذْهَبُ الرَّابِعُ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْإِسْتِغْبَالُ لَا فِي الصَّحَارِي وَلَا فِي الْعُمَرَانِ وَيَجُوزُ الْإِسْتِدْبَارُ فِيهِمَا وَهُوَ أَحَدُ الرَّوَايَتَيْنِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ.

الْمَذْهَبُ الْخَامِسُ: أَنَّ النَّهْيَ لِلتَّنْزِيهِ فَيَكُونُ مَكْرُوهًا وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْإِمَامُ الْقَاسِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْأَحْكَامِ، وَحَصَّلَهُ الْقَاضِي زَيْدٌ لِمَذْهَبِ الْهَادِي وَنَسَبَهُ فِي الْبَحْرِ إِلَى الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ وَأَبِي طَالِبٍ وَالنَّاصِرِ وَالنَّخَعِيِّ

وَإِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَبِي ثَوْرٍ وَأَبِي أَيُّوبَ
الْأَنْصَارِيِّ.

المذهب السادس: جَوَازُ الْإِسْتِدْبَارِ فِي الْبُيَّانِ فَقَطْ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي يُوسُفَ
ذَكَرَهُ فِي الْفَتْحِ.

المذهب السابع: التَّحْرِيمُ مُطْلَقًا حَتَّى فِي الْقِبْلَةِ الْمُسُوخَةِ وَهِيَ بَيْتُ
الْمُقَدَّسِ وَهُوَ مُحْكِيٌّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِ سِيرِينَ ذَكَرَهُ أَيْضًا فِي الْفَتْحِ وَقَدْ ذَهَبَ
إِلَى عَدَمِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْقِبْلَتَيْنِ الْهَادِيَّةِ وَلَكِنَّهُمْ صَرَّحُوا بِأَنَّهُ مَكْرُوهٌ فَقَطْ.

المذهب الثامن: أَنَّ التَّحْرِيمَ مُحْتَصٌّ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ كَانَ عَلَى سَمَتِهَا
فَأَمَّا مَنْ كَانَتْ قِبْلَتُهُ فِي جِهَةِ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ فَيَجُوزُ لَهُ الْإِسْتِقْبَالُ
وَالِإِسْتِدْبَارُ مُطْلَقًا قَالَ أَبُو عَوَانَةَ صَاحِبُ الْمَزْنِيِّ هَكَذَا فِي الْفَتْحِ. **هـ**

قوله: «بِغَاظٍ»: المراد به خروج الأذى من الدبر.

قوله: «أَوْ بُولٍ»: المراد به سيلان الماء من موضعه المعروف.

قوله: «أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ»: لِإِكْرَامِهَا فَقَدْ «كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى لِحَلَالَتِهِ،
وَمَا كَانَ مِنْ أَدَى» ^(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَجَاءَ
بِنَحْوِهِ عَنْ حَفْصَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-.

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ (٣٣)، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمَشْكَاةِ بِرَقْمِ

وقد أخرج الشيخان: عن أبي قتادة -رضي الله عنه- قَالَ: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لَا يُمَسِّكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ، وَلَا يَتَمَسَّحُ مِنَ الْخَلَاءِ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ» ^(١) متفق عليه.

قوله: «أو نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار»: وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عند مسلم: «إِذَا اسْتَجَمَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَجْمِرْ وَتَرَا» ^(٢).

وفيه: عن جابر -رضي الله عنه-: «إِذَا اسْتَجَمَرَ أَحَدُكُمْ فليوتر» ^(٣).

قال النووي في شرح مسلم (٣/ ١٢٥):

أَمَّا الْإِسْتِجْمَارُ: فَهُوَ مَسْحُ مَحَلِّ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ بِالْجَمَارِ وَهِيَ الْأَحْجَارُ الصَّغَارُ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: يُقَالُ الْإِسْطِطَابَةُ وَالْإِسْتِجْمَارُ وَالْإِسْتِنْجَاءُ لِتَطْهِيرِ مَحَلِّ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ.

فَأَمَّا الْإِسْتِجْمَارُ: فَمُخْتَصٌّ بِالمَسْحِ بِالْأَحْجَارِ.

وَأَمَّا الْإِسْطِطَابَةُ وَالْإِسْتِنْجَاءُ: فَيَكُونَانِ بِالمَاءِ وَيَكُونَانِ بِالْأَحْجَارِ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ مَعْنَى الْإِسْتِجْمَارِ هُوَ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ الَّذِي قَالَهُ الْجَمَاهِيرُ مِنْ طَوَائِفِ الْعُلَمَاءِ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٥٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٦١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٧).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٩).

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: اِخْتَلَفَ قَوْلُ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ فِي مَعْنَى
الِاسْتِحْجَارِ الْمَذْكُورِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

فَقِيلَ: هَذَا، **وَقِيلَ:** الْمُرَادُ بِهِ فِي الْبُخُورِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ ثَلَاثَ قِطْعٍ، أَوْ يَأْخُذَ
مِنْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَسْتَعْمِلُ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى.

قَالَ: وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَالصَّحِيحُ الْمَعْرُوفُ مَا قَدَّمَناه.

وَالْمُرَادُ بِالِإِيْتَارِ: أَنْ يَكُونَ عَدَدُ الْمَسْحَاتِ ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ مِنَ
الْأَوْتَارِ، وَمَذْهَبُنَا أَنَّ الْإِيْتَارَ فِيمَا زَادَ عَلَى الثَّلَاثِ مُسْتَحَبٌّ. **اهـ**

لكن يشكل على ذلك، ما جاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ:
اتَّبَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَرَجَ لِحَاجَّتِهِ، فَكَانَ لَا يَلْتَفِتُ، فَدَنَوْتُ
مِنْهُ، فَقَالَ: «ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضُ بِهَا - أَوْ نَحْوَهُ - وَلَا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ، وَلَا
رَوْثٍ، فَاتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ بِطَرَفِ ثِيَابِي، فَوَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ، وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا
قَضَى أَتْبَعَهُ بِهِنَّ» أخرجه البخاري.

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- قال: «أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله
عليه وسلم- الْغَائِطَ فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ،
وَالْتَمَسْتُ الثَّلَاثَ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَأَخَذْتُ رَوْثَةً فَاتَيْتُهُ بِهَا، فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَالْقَى
الرَّوْثَةَ» وَقَالَ: «هَذَا رِكْسٌ» ^(١) أخرجه البخاري.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٥٦).

فيحمل على أنه مسح بأحد الحجرين مرتين، والله أعلم.



الفقرة السابعة والخمسون: لا تصح الصلاة إلا بوضوء

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السابعة والخمسون: لا تصح الصلاة إلا بوضوء.

٥٧- لا تصح الصلاة إلا بوضوء.

والدليل: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ» متفق عليه.
وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ» أخرجه مسلم.

الشرح:

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان أن الصلاة لا تصح إلا برفع الحدث وذكر الوضوء لأنه الأصل فإن عدم الماء أو عجز عن استخدامه كان التيمم.

قال الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦].

وينقسم الحدث إلى قسمين:

الأول: الحدث الأكبر، وهو الجنابة وما في بابها.

الثاني: الحدث الأصغر، وهو الفساء والبول وما في بابه.

فالحدث الأصغر يرفع: بالوضوء، أو التيمم: لعادم الماء، أو العاجز عن

استخدامه.

والحدث الأكبر يرفع: بالغسل، أو التيمم: لعادم الماء، أو العاجز عن

استخدامه.

قوله: «والدليل: حديث أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

«لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ»^(١).

وجاء في لفظ مسلم: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»

وفسر الحدث أبو هريرة - رضي الله عنه - بأنه الفساء والضراط، وهذا على

الأغلب.

وإلا فإن الأحداث كثيرة كما سيأتي إن شاء الله في نواقض الوضوء.

وجاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بلفظ: «لا وضوء إلا من صوتٍ أو

ريح»^(٢).

وهذا محمول على الأغلب مع أن بعضهم قد ذكر أن شعبه قد اختصر

الحديث.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٥).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٧٤)، وابن ماجه في سننه (٥١٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله

تعالى في صحيح السنن.

كما ذكره الحافظ في التلخيص الحبير (١ / ٣٣١) فقال:

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ قَدْ اتَّفَقَ الشَّيْخَانِ عَلَى إِخْرَاجِ مَعْنَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ سَمِعْتُ أَبِي وَذَكَرَ حَدِيثَ شُعْبَةَ عَنْ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: "لَا وُضُوءَ إِلَّا مِنْ صَوْتٍ أَوْ رِيحٍ" فَقَالَ أَبِي: هَذَا وَهُمْ اخْتَصَرُوا شُعْبَةَ مِمَّنِ الْحَدِيثِ فَقَالَ: "لَا وُضُوءَ إِلَّا مِنْ صَوْتٍ أَوْ رِيحٍ" وَرَوَاهُ أَصْحَابُ سُهَيْلٍ بِلَفْظٍ: "إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَوَجَدَ رِيحًا مِنْ نَفْسِهِ فَلَا يَخْرُجُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا" وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَلِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ السَّائِبِ بْنِ خَبَّابٍ بِلَفْظٍ "لَا وُضُوءَ إِلَّا مِنْ رِيحٍ أَوْ سَمَاعٍ". اهـ

ومعنى: لا تقبل صلاته: أي لا تصح لأن الوضوء شرط في صحة الصلاة.

و المراد بالصلاة هنا: الصلاة الشرعية المفتحة بالتكبير المنتهية بالتسليم.

قوله: «من أحدث»: الحدث يطلق على البدعة، ويطلق على ما دونها كالأحداث التي تنقض الوضوء وهو المراد هنا.

قوله: «حتى يتوضأ»: أي إلى أن يتوضأ والمراد بالوضوء الوضوء الشرعي الذي توضأه النبي - صلى الله عليه وسلم - ودل عليه القرآن والسنة، على ما يأتي إن شاء الله.

قوله: «عن ابن عمر»: وهو أبو عبد الرحمن عبد الله ابن عمر -رضي الله عنهما- من المكثرين في أحاديث الرسول .

قوله: «لا تقبل»: أي لا يقبل الله - عز وجل - .

قوله: «صلاة بغير طهور»: أي بغير وضوء فالطهور بالضم يراد به الوضوء والطهور بالفتح يراد به الماء الذي يتوضأ به وهكذا القول في الوضوء والوضوء، فالوضوء بالضم هو الفعل والوضوء بالفتح هو الماء الذي يتوضأ به.

ويعتبر الوضوء نعمة من الله - عز وجل - على هذه الأمة؛ فإنه مكفر للذنوب ورافع للدرجات، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ألا أدلكم على ما يمحو به الله الخطايا ويرفع الدرجات قالوا بلى يا رسول الله: قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط» ^(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» ^(٢) .



(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٠).

الفقرة الثامنة والخمسون: أعضاء الوضوء

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثامنة والخمسون: أعضاء الوضوء

٥٨- أعضاء الوضوء: الوجه؛ بما فيه المضمضة والاستنشاق.

واليدان؛ تغسلان إلى المرفقين.

والرأس؛ يمسح مسحاً.

والرجلان؛ تغسلان إلى الكعبين.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

ولحديث عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» متفق عليه.

الشرح:

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان أعضاء الوضوء التي لا يتم

الوضوء الشرعي إلا باستيعابها إلا لمعذور وهي:

١- الوجه: وحده من منابت الشعر إلى الذقن ومن شحمة الأذن إلى

الشحمة الأخرى.

ويدخل فيه: المضمضة والاستنشاق.

قال الله - عز وجل -: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

وفي السنة: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إذا توضأت فانتثر»^(١).

وقال: «اسْتَنْثَرُوا مَرَّتَيْنِ بِالْعَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»^(٢)، أخرجه أحمد عن ابن عباس

- رضي الله عنه -.

والاستنشاق: هو إدخال الماء في الأنف قال النبي - صلى الله عليه وسلم -

: «وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً»^(٣) أخرجه أبو داود وغيره من

حديث لقيط بن صبرة - رضي الله عنه -.

وجاء في بعض طرقه: «ومضمض»، والجمهور على أن المضمضة

مستحبة.

والصحيح أنها واجبة؛ لداومة النبي - صلى الله عليه وسلم - عليها، ولأن

بابها وباب الاستنشاق واحد.

ويجزئ في المضمضة: أن يدخل الماء إلى فيه ثم يحركه ويمجه.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٧) من حديث سلمة بن قيس رضي الله عنه، وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٤٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٤١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(٦٢٠).

(٣) أخرجه الإمام أبو داود (١٤٢ و ١٤٣)، والنسائي (١/ ٦٦ و ٦٩)، والترمذي، (٣٨)، وابن ماجه

(٤٤٨)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٠٩٦)، وقال فيه: هذا حديث

صحيح.

والاستنثار: هو إخراج الماء من الأنف.

٢- «اليدان»: أي تغسلان إلى المرفقين لقوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦].

ويدخل المرفق في الغسل لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «ثم غسل يديه حتى شرع في العضد» ^(١) أخرجه مسلم.

٣- مسح الرأس: ويمسح جميعه لقول؛ الله - عز وجل -: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

ولحديث عبدالله بن زيد-رضي الله عنه-، أن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «مسح رأسه فبدأ بمقدم رأسه ثم ردها إلى قفاه ثم ردها إلى مقدم رأسه» ^(٢) الحديث في الصحيحين.

إلا إذا كان عليه عمامة: فإنه يمسح العمامة ويكتفي بها، لحديث المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- في مسلم: «قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَسِيرٍ، فَقَالَ لِي: «أَمْعَكَ مَاءً» قُلْتُ: نَعَمْ» فَتَزَلَّ عَنْ رَأْسِهِ، فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ أَهْوَيْتُ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٤٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٨٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٥).

لَا تَزِعْ خُفَّيْهِ فَقَالَ: «دَعَّيْهَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا» (١) وَإِنْ

كَانَ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ وَقَدْ بَدَتْ نَاصِيَّتُهُ فَإِنَّهُ يَمْسَحُ الْعِمَامَةَ وَالنَّاصِيَةَ.

ويدخل في مسح الرأس: مسح الأذنين ومع أن حديث «الأذنان من

الرأس» ضعيف، وقد خرج طرده الحافظ في التلخيص، لكن قد ثبت أن

النبي - صلى الله عليه وسلم - : «كَانَ يَمْسَحُ أُذُنَيْهِ ظَاهِرَهُمَا وَبَاطِنَهُمَا» عَنْ

ابن عباس رضي الله عنه.

ومسح الرأس يكون بهاء غير فضل اليدين كما في حديث عبد الله بن زيد

عند مسلم.

٤ - الرجلان تغسلان إلى الكعبين - لقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلُكُمَا إِلَى

الْكَعْبَيْنِ﴾.

والأفضل أن يشرع في الساق: لما يأتي من حديث أبي هريرة - رضي الله

عنه - : «وَعَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَشْرَعَ فِي السَّاقِ» (٢).

هذه أركان وواجبات الوضوء وإلا فمن مستحباته التسمية في أوله مع

أن حديث: «لَا وَضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ» (٣)، لا يصح.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧٩٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٤٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢/٤١٨)، وأبو داود (١٠١)، وابن ماجه (٣٩٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه

الله تعالى في صحيح أبي داود الأم برقم (٩١) وقال فيه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

ومن مستحباته الثلاث؛ فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - توضأ ثلاثاً ثلاثاً كما في حديث عثمان - رضي الله عنه - في الصحيحين.
وتوضأ مرتين مرتين: كما في حديث عبدالله بن زيد - رضي الله عنه -، وبوب عليه البخاري.

وتوضأ مرة مرة كما في حديث ابن عباس - رضي الله عنه -.
ومن مستحباته تقديم اليمين؛ فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَأَبْدَءُوا بِأَيِّمَنْكُم» ^(١) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

وأما الترتيب بين الأعضاء ولموالاة فمن الأركان فلو بدأ بالرجلين قبل اليدين لم يصح منه الوضوء.

قوله: «والدليل»: على أن أعضاء الوضوء ما تقدم.
قوله: «قول الله تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾
الآية: استدل بها الشافعي في حق من قام من النوم إلى الصلاة.
وليس معنى ذلك: أن كل صلاة تُحدث لها وضوءاً، إلا إذا كانت على غير طهارة.

(١) أخرجه الإمام رواه أبو داود (٤١٤١)، والترمذي (١٧٦٦)، والنسائي في «الكبرى» (٥ / ٤٨٢)، وابن ماجه (٤٠٢)، وابن خزيمة (١٧٨)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٣٠٣)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتوضأ لكل صلاة وهذا من باب الاستحباب، وإلا فقد صلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد وقال عمداً صنعت يا عمر، كما في حديث بريدة - رضي الله عنه - أخرجه مسلم.

ويرى الرافضة المسح على الرجلين مخالفين، أمر الله - عز وجل - بالأمر بالغسل ويستدلون بقراءة الجر: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾.

ولا حجة لهم في ذلك، لأن الآية نزلت في السفر فيحمل على مسح الخفاف، وفعل النبي - صلى الله عليه وسلم - مفسر لذلك أو أنه يراد به التمسح وهو الغسل الخفيف، لأن العادة أن المتوضئ يكثر في غسل الرجلين كأنه أمر بالتمسح حتى يغسلهما غسلًا خفيفًا.

قوله: «ويل للأعقاب من النار»: أي عذاب يكون للأعقاب بسبب عدم استيعابها، وقال بعضهم: ويل وادي في جهنم، ولا يثبت في ذلك شيء.

وجاء في بعض ألفاظه: «ويل للأعقاب وأخص القدمين من النار»، وذلك أن المتوضئ لا ينتبه لهما فلا يصلهما الماء.

والحديث فيه قصة: وهو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان في سفر فأدركهم وهم يستعجلون الطهارة وأعقابهم تلوح فقال: «أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار» أخرجه البخاري ومسلم.

وفيه دليل على وجوب غسل الرجلين لأنه لو كان المسح كافياً لما
توعدهم على عدم الاستحباب.



الفقرة التاسعة والخمسون: التيمن في الوضوء، وإطالة الغرة، والتحجيل

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة التاسعة والخمسون: التيمن في الوضوء، وإطالة الغرة،
والتحجيل.

٥٩- التيمن في الوضوء، وإطالة الغرة، والتحجيل.

والدليل: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، وَغَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ وَقَالَ: «أَنْتُمْ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وصح في سنن أبي داود: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَأَبْدَأُوا بِأَيِّمِنِكُمْ».

الشرح:

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان بعض آداب وفضائل الوضوء.

وقد كان التيمُّن يعجب النبي - صلى الله عليه وسلم - في شأنه كله
 لحديث عائشة - رضي الله عنها - في الصحيحين: «كان رسول الله - صلى الله
 عليه وسلم - يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله».
 وفي حديث عائشة - رضي الله عنها -، قالت: «كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى لِخَلَائِهِ، وَمَا
 كَانَ مِنْ أَدَى»^(١) أخرجه أبو داود.

فالأكل والتناول باليمين من أفعال المسلمين قال النبي - صلى الله عليه عليه
 وسلم -: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ
 الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»^(٢) أخرجه مسلم.
 والوضوء من أفضل الأعمال فينبغي أن يتيمن فيه.

وقد ذكرت شيئاً من أحكام اليمين في شرحي على عمدة الأحكام قلت
 فيه:

❁ ومن أخلاقه: أنه كان يعجبه التيمُّن، أي استخدام اليمين في كثير من
 شؤونه، لأن اليد اليمين شريفة ومكرمة.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٣)، وهو في صحيح أبي داود للأم الألباني رحمه الله تعالى برقم

(٢٦)، وقال فيه: إسناده صحيح، وكذا قال النووي، وهو على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٠).

ولأنها صفة المؤمنين، وفي حديث ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشَمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشَمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا».

قَالَ: وَكَانَ نَافِعٌ يَزِيدُ فِيهَا: «وَلَا يَأْخُذُ بِهَا، وَلَا يُعْطِي بِهَا»^(١).

وَجَاءَ بَلْفُظٌ: «وَكَانَ إِذَا أُعْطِيَ، أُعْطِيَ بِيَمِينِهِ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا أَكَلَ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا أَخَذَ أَخَذَ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا أُعْطِيَ أُعْطِيَ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشَمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشَمَالِهِ، وَيَأْخُذُ بِشَمَالِهِ، وَيُعْطِي بِشَمَالِهِ»^(٢). وَأَصْلُهُ فِي الصَّحِيحِينَ.

* النُّومُ عَلَى الْيَمِينِ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَامَ اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وَكَانَ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى يَمِينِهِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ لِمُؤَدَّةِ الصَّلَاةِ الْفَجْرِ»^(٣).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٠).

(٢) أخرجه أحمد برقم: (١٩٤٢٠، ٢٢٦٥٦)، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي "الْمَجْمَع" ٢٦/٥، وَقَالَ: "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَهُوَ مَرْسَلٌ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ".

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٦٢٦)، ومسلم في صحيحه برقم: (٧٣٦).

* وَفِي نَوْمِ اللَّيْلِ: جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَهُ إِزَارَهُ فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيَسْمِ اللَّهَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلْفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجَعَ فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَلْيَقُلْ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتَ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَافْغِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(١).

* **الْحَلَقُ:** «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى مِنْى، فَاتَى الْجُمُرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمَنْى وَنَحَرَ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَّاقِ خُذْ وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ الْأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ»^(٢).

* وذكر العلماء في دخول المسجد أنه يدخل بيمينه، وإذا خرج من المسجد أنه يخرج بشماله، وفي قص الاظفار يقدم اليمين.

* وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْتَعَلَ بِدَا بِيَمِينِهِ: وَإِذَا خَلَعَ بِدَا بِيَسَارِهِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشَّمَالِ لَتَكُنَ الْيَمْنَى أَوَّلَهُمَا تَنْعَلُ وَآخِرُهُمَا تَنْزَعُ»^(٣).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧١٠).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (١٣٠٥).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٥٨٥٥) ومسلم: (١٣٠٥).

* وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَبَسَ بَدَأَ بِيَمِينِهِ: لِحَدِيثِ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ الْيُمْنَى لَطُهْرِهِ، وَلَطَعَامِهِ، وَلَلْبَسِهِ، وَكَانَتْ يَسَارُهُ لَخَلَائِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَدَى»^(١).

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبدَأُ بِالْيَمَنِ فالأيمن في المناولة: لِحَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاحُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: «أَتَأْذُنِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟»، فَقَالَ الْغُلَامُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ، لَا أُؤْثِرُ بِنَصِيْبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِهِ»^(٢).

وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَجَاءَ عَنْ غَيْرِهِ، "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِي، وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَشَرِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَاولَ الْأَعْرَابِي وَقَالَ: «الْأَيْمَنُ فَالْأَيْمَنُ»»^(٣).

وفي رواية: «الْأَيْمَنُونَ، الْأَيْمَنُونَ، الْأَيْمَنُونَ»، قَالَ أَنَسٌ: «فَهِيَ سُنَّةٌ، فَهِيَ سُنَّةٌ، فَهِيَ سُنَّةٌ»^(٤).

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه برقم: (٣٣).

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٢٤٥١)، ومسلم في صحيحه برقم: (٢٠٣٠).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٢٣٥٢)، ومسلم في صحيحه برقم: (٢٠٢٩).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٢٥٧١)، ومسلم في صحيحه برقم: (٢٠٢٩).

ومن الأمور التي تتعاطى باليمين السواك: مع أن العلماء اختلفوا في ذلك فمن قال: بأن السواك إزالة أذى، قال: إزالة الأذى تكون باليسار. ومن قال: بأن السواك تطهر فيكون باليمين، لحديث الباب. وكلاهما يجوز، إلا أنها تعود إلى الأفضل.

ومنها: كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا صلى انصرف عن يمينه: قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ يَقُولُ: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ - أَوْ تَجْمَعُ - عِبَادَكَ»^(١).

وجاء في الصحيحين: عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مسعود رضي الله عنه: «لَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ لِلشَّيْطَانِ شَيْئًا مِنْ صَلَاتِهِ، يَرَى أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَنْصَرِفَ إِلَّا عَنْ يَمِينِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا يَنْصَرِفُ عَنْ يَسَارِهِ»^(٢). وعن السُّدِّيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا كَيْفَ أَنْصَرِفُ إِذَا صَلَّيْتُ عَنْ يَمِينِي أَوْ عَنْ يَسَارِي؟ قَالَ: «أَمَّا أَنَا فَأَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَنْصَرِفُ عَنْ يَمِينِهِ»^(٣).

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٧٠٩).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٨٥٢)، ومسلم في صحيحه برقم: (٧٠٧).

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٧٠٨).

* لكن الأفضل أن يكون الانصراف على اليمين أكثر؛ لأنه ثابت عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والموافق لهذا الأحاديث، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ، لأنه صفة أصحاب اليمين، حتى يوم القيامة يدخل المؤمنون من الباب الأيمن في الجنة.

* وَمِمَّا يَسْتَحَبُّ فِيهِ التَّيَمُّنُ الْخَاتَمُ وَيُقَالُ الْخَاتَمُ: وقد ذهب قومٌ إلى أنه يُلبَسُ باليسار، ومن حيث الجواز يجوز في اليمين واليسار، لكنه في اليمين أفضل لأنه من الزينة.

* وَمِمَّا يُكْرَهُ الْبَصْقُ إِلَى الْيَمِينِ مَنْ كَانَ يُصَلِّي: فعن أنس رضي الله عنه، قال: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقْ قَبْلَ وَجْهِهِ، أَوْ عَنْ يَمِينِهِ»، الحديث له طرق كثيرة في الصحيح وغيره.

* وفي الصلاة إذا لم يكن المأموم إلا واحد، يكون المأموم عن يمين الإمام: وأما حديث: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَّامِنِ الصُّفُوفِ»، فحديث مُعَلٍّ و المحفوظ فيه: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ». وأحكام اليمين كثيرة تستحق أن تُؤَلَّفَ في مُصَنَّفٍ مُسْتَقِلٍّ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

قوله: «وإطالة الغرة والتجديد»:

قال النووي في شرح مسلم (٣/ ١٣٤):

اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ مُصَرَّحَةٌ بِاسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ أَمَّا تَطْوِيلُ الْغُرَّةِ فَقَالَ أَصْحَابُنَا هُوَ غَسْلُ شَيْءٍ مِنْ مُقَدِّمِ الرَّأْسِ وَمَا يُجَاوِزُ الْوَجْهَ زَائِدٌ عَلَى الْجُزْءِ الَّذِي يَجِبُ غَسْلُهُ لَا سِتْيَقَانِ كَمَالِ الْوَجْهِ.

وَأَمَّا تَطْوِيلُ التَّحْجِيلِ، فَهُوَ غَسْلُ مَا فَوْقَ الْمِرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ وَهَذَا مُسْتَحَبٌّ بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ أَصْحَابِنَا.

وَاخْتَلَفُوا فِي قَدْرِ الْمُسْتَحَبِّ عَلَى أَوْجِهِ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الزِّيَادَةُ فَوْقَ الْمِرْفَقَيْنِ وَالْكَعْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ تَوْقِيتٍ.
وَالثَّانِي: يُسْتَحَبُّ إِلَى نِصْفِ الْعُضْدِ وَالسَّاقِ وَالثَّالِثُ يُسْتَحَبُّ إِلَى الْمَنْكِبَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَحَادِيثُ الْبَابِ تَقْتَضِي هَذَا كُلَّهُ.

وَأَمَّا دَعْوَى الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بَطَّالٍ الْمَالِكِيِّ، وَالْقَاضِي عِيَّاضِ اتَّفَاقِ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُسْتَحَبُّ الزِّيَادَةُ فَوْقَ الْمِرْفَقِ وَالْكَعْبِ فَبَاطِلَةٌ.

وَكَيْفَ تَصَحَّ دَعْوَاهُمَا وَقَدْ ثَبَتَ فِعْلُ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهُوَ مَذْهَبُنَا لَا خِلَافَ فِيهِ عِنْدَنَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ، وَلَوْ خَالَفَ فِيهِ مُحَالِفٌ كَانَ مُحْجُوجًا بِهَذِهِ السَّنَنِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ. اهـ

فيعرف النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلمين به يوم القيامة، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنِ شَاءَ

الله بِكُمْ لَا حِقُون، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهِمٍ بِهِمْ أَلَّا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَّا لِيَذَادَنَّ رَجُلٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَّا هَلُمَّ فَيَقَالَ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

قوله: «والدليل»: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - غسل يده اليمنى حتى شرع في العضد»: أي يغسل اليمنى من أطراف الأصابع إلى المرفق. **والعضد:** هو العظم الذي بين المرفق والكتف وبهذا تعلم أن خلاف العلماء فيها هل يدخل المرفقان في غسل اليدين أم لا، يقضي عليه هذا الحديث.

قوله: «وغسل اليسرى حتى شرع في العضد»: أي أنه بدأ باليمنى.

قوله: «ثم مسح برأسه»: على ما تقدم.

قوله: «ثم غسل رجله اليمنى حتى شرع في الساق»:

والساق: هو العظم الطويل الذي بين الكعبين والركبة.

قوله: «ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق»: على ما تقدم.

قوله: «أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء»: أي بسبب إسباغ الوضوء.

وإسباغ الوضوء: أن تتوضأ كما توضئ النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأكمّله أن تتوضأ ثلاثاً، كما قال الزهري.

ثم إن أبا هريرة -رضي الله عنه- أخذ من هذا الحديث استحباب مجاوزة أعضاء الوضوء حتى أنه كان يغسل إلى الإبطين، ف قيل له ما هذا يا أبا هريرة قال دعوني منكم يا بني فروخ لقد سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن من حيث يبلغ الوضوء»^(١) أخرجه مسلم.

والمعنى الصحيح: أن الحلية في المؤمن تكون في أماكن الوضوء.

قال النووي في شرحه على مسلم (٣/ ١٤٠):

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: أَرَادَ أَبُو هُرَيْرَةَ هُنَا الْمَوَالِي وَكَانَ خِطَابُهُ لِأَبِي حَازِمٍ قَالَ الْقَاضِي وَإِنَّمَا أَرَادَ أَبُو هُرَيْرَةَ بِكَلَامِهِ هَذَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ يُقْتَدَى بِهِ إِذَا تَرَخَّصَ فِي أَمْرِ لِضُرُورَةٍ أَوْ تَشَدَّدَ فِيهِ لَوْ سَوَسَةً أَوْ لَاعْتَقَادِهِ فِي ذَلِكَ مَذْهَبًا

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٠).

شَدَّ بِهِ عَنِ النَّاسِ أَنْ يَفْعَلَهُ بِحَضْرَةِ الْعَامَّةِ الْجَهْلَةِ لِيَلَّا يَتَرَخَّصُوا بِرُخْصَتِهِ
لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ أَوْ يَعْتَقِدُوا أَنَّ مَا تَشَدَّدَ فِيهِ هُوَ الْفَرَضُ اللَّازِمُ هَذَا كَلَامُ
الْقَاضِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

قوله: «فمن استطاع أن يطيل غرته وتحجيله فليفعل»: هذه من قول أبي
هريرة - رضي الله عنه - زادها نعيم المجرم مخالفا جمعا من الحفاظ، كما بين
ذلك الحفاظ.

قوله: «أخرجه مسلم»: أي انفرد به.

قوله: «وصح في سنن أبي داود»:

وهو سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ، أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِي، صَاحِبُ السُّنَنِ
وَالْمَرَاثِيلِ وَسُنَنُهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَصْنُفَاتِ فِي الْأَحْكَامِ.

قوله: «إذا لبستم»: أي ملابستكم كالقميص والسرَّويل ونحو ذلك.

«أو توضأتم»: أي للصلاة ونحو ذلك.

«فابدءوا بأيمانكم»: والبداة بها للاستحباب، وليست للوجوب على

الصحيح، وقد تقدم، والله أعلم.





الفقرة الستون: أحسن صفة لوضوء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الستون: أحسن صفة لوضوء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
٦٠- أحسن صفة لوضوء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أنه غسل كفيه ثلاثاً، ثم مضمض واستنشق، واستنثر (يجمع بين المضمضة والاستنشاق من غرفة واحدة فعل ذلك ثلاثاً) ثم غسل وجهه ثلاثاً، وغسل يديه إلى المرفقين ثلاثاً حتى شرع في العضد، ثم مسح رأسه بماء غير فضل يده مرة واحدة، بدأ من قبل رأسه فأدبر بهما إلى قفاه، ثم أعادهما إلى حيث بدأ ثم غسل رجليه ثلاثاً إلى الكعبين حتى شرع في الساق".

ثبت ذلك من حديث عثمان -رضي الله عنه-. متفق عليه، وفيه زوائد من أحاديث أخرى صحيحة.

ويستحب استعمال السواك قبل الصلاة.

والدليل: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لَوْ لَا أَنَا أَشَقُّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ» متفق عليه.

الشرح: ****

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان الوضوء الشرعي.

وقد ذكرت في كتابي: "أحكام صلاة الجالس"، ترتيباً مفيداً له أذكره في هذا الموطن حيث قلت:

فأول ما يجب على المصلي أن يسبغ الوضوء:

لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عند البخاري (٦٠) ومسلم (٢٤٢) «أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار» وأخرجه مسلم (٢٤١) عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما -.

وفي حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - عند مسلم (٢٢٤): «لا يقبل الله صلاة بغير طهور».

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عندهما: البخاري (١٣٥) ومسلم (٢٢٥): «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ».

وأركان الوضوء هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦].

وهذه الآية مفسرة: بفعل النبي - صلى الله عليه وسلم - فيدخل في غسل الوجه: المضمضة والاستنشاق، ويدخل في مسح الرأس مسح الأذنين.

فعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه -: «أنه دعا بوضوء فتوضأ فغسل كفيه ثلاثاً ثم مضمض واستنثر».

وفي حديث عبدالله بن زيد - رضي الله عنه -: «فمضمض وأستنشق من كف واحدة فعل ذلك ثلاثاً - ثم غسل وجهه ثلاث مرات ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك».

يغسل اليد اليمنى واليسرى حتى يشرع في العضد: لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «ثم مسح رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه - ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثاً ثم غسل اليسرى مثل ذلك»^(١).

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ»^(٢).

قال ابن شهاب الزهري: وكان علماءنا يقولون هذا الوضوء أسبغ ما يتوضأ به أحد للصلاة.

تنبيه: حديث عبدالله بن زيد - رضي الله عنه - المشار إليه أخرجه البخاري (١٨٥)، ومسلم (٢٣٥).

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - بهذا اللفظ أخرجه مسلم (٢٤٦).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٨٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٤٦).

تنبيه آخر: مسح الأذنين يدل عليه حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - وفيه: «فمسح بأذنيه ظاهرهما وباطنهما» أخرجه الترمذي رحمه الله تعالى (١٤٣/١)، وهو حديث صحيح.

تنبيه ثالث: يستحب للمتوضأ أن يبالغ في الاستنشاق، إلا عند الصوم، لحديث لقيط بن صبرة - رضي الله عنه - عند الترمذي (٤٩٩/٣) وأبي داود (٤٩٣/٦) والنسائي (٦٦/١): «بالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً».

وجاء في بعض طرق هذا الحديث: «إذا توضأت فمضمض»، وهي زيادة محتج بها إن شاء الله، وذكرها الشيخ مقبل رحمه الله في الجامع الصحيح (٥٦٦/١).

وأما الاستنشاق والاستنثار: فيدل عليه حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماء ثم ليستنثر» أخرجه البخاري (١٦٢)، ومسلم (٢٣٧).

ويجوز أن يتوضأ مرة مرة، ومرتين مرتين، وثلاثاً ثلاثاً.

وقد بوب البخاري على ذلك كله.

واستدل على الثلاث: بحديث عثمان - رضي الله عنه - السابق.

وعلى الاثنتين: بحديث عبدالله بن زيد-رضي الله عنه-: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - توضأ مرتين مرتين».

وعلى الواحدة: بحديث ابن عباس-رضي الله عنهما-: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - توضأ مرة مرة»، أخرجه رقم (١٥٧).

تنبيه آخر: يجوز للمتوضأ أن يمسح على الخفين أو ما يقوم مقامهما من الجوارب - التساخين - بشرط أن يدخلهما وهو على طاهرة.

لحديث المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه-: «فأهويت إلى خفيه لأنزعهما فقال دعهما فإنني أدخلتهما طاهرتين، ومسح عليهما» أخرجه البخاري (٢٠٦)، ومسلم (٢٧٤).

ويكون المسح على أعلى الخفين أو الجوربين؛ لحديث علي -رضي الله عنه-: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله ص يمسح على ظاهر خفيه» أخرجه أبو داود (٢٧٨/١).

وهذه من أقوى وأبين الأدلة على أن الروافض ليسوا على طريقة علي - رضي الله عنه -، وإنما هم على دينهم الباطل القائم على الزندقة والهوى، فهم يمسحون على أرجلهم المكشوفة، مع أن المسح إنما يكون على الخفاف وما يقوم مقامها، فتنبه ولا تكن من الضالين.

ومدة المسح للمقيم يومًا وليلة وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن؛ لحديث علي - رضي الله عنه - عند مسلم (٢٧٦): «جعل رسول الله - صلى الله عليه - وسلم - ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويومًا وليلة للمقيم».

فإن اغتسل أجزئه الغسل مع النية؛ لحديث ميمونة رضي الله عنها عند البخاري (٢٧٣) ومسلم (٣١٧).

فَعَنْ مَيْمُونَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضُوءًا لِحَنَابَةِ فَأَكْفَأَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ غَسَلَ فَرْجَهُ ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ بِالْأَرْضِ أَوْ الْحَائِطِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ مَضَمَصَ وَاسْتَشَقَّ وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ ثُمَّ غَسَلَ جَسَدَهُ ثُمَّ تَنَحَّى فَعَسَلَ رِجْلَيْهِ قَالَتْ فَأَتَيْتُهُ بِخِرْقَةٍ فَلَمْ يُرِدْهَا فَجَعَلَ يَنْفُضُ بِيَدِهِ».

تنبيه: إن عجز المتوضئ عن استخدام الماء لفقده أو ما هو في حكمه كعوز الماء وقلته أو خوف التلف من المرض أو زيادته فإنه يتيمم.

وصفت التيمم: أن يضرب يديه الأرض ثم يمسح وجهه وكفيه يدل على ذلك حديث عمار بن ياسر - رضي الله عنه -: «إنما كان يكفيك أن تضر بيدك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك» أخرجه البخاري (٣٣٨)، ومسلم (٣٨٦)، ويجوز تقديم الوجه أو الكفين.

هذا مختصر لما تستباح به الصلاة من الطهارة التي شرعها الله عز وجل وبينها رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

فالزم هدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تسلم وتغنم.

ومع ذلك لها فضائل عظيمة يتحصل عليها المؤمنون.

ففي حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٥١): «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء».

وعنه - رضي الله عنه - عند مسلم (٢٤٤): «إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن - فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليه بعينه مع الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب» اهـ

قوله: «ويستحب استعمال السواك قبل الصلاة»:

والدليل: حديث أنس - رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وَأَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السَّوَاكِ»، أخرجه البخاري.

«وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يُعَدُّ لَهُ سِوَاكُهُ وَطَهْرُهُ فَإِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ تَسَوَّكَ» وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ لَا يَنَامُ إِلَّا وَالسَّوَاكُ عِنْدَهُ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسَّوَاكِ " ^(١) أخرجه أحمد.

(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (٢ج ص ١١٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(٧٦٠)، وقال فيه: هذا حديث حسن، وجد محمد بن مسلم هو مسلم بن المثنى.

وقال حذيفة - رضي الله عنه -: «رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يشوص فاه بالسواك» ^(١)، متفق عليه.

وقال أبو موسى - رضي الله عنه -: «دخلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يتسوك وطرف السواك على لسانه وهو يقول أع أع» ^(٢) متفق عليه.

❦ ويستحب السواك في مواطن منها:

عند دخول المنزل؛ لحديث عائشة - رضي الله عنها -: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا دخل منزله بدأ بالسواك» أخرجه مسلم.

وإذا تغيرت رائحة الفم، وإذا طال الصمت، وإذا طال الكلام، وعند الصيام.

وأما حديث: «إذا صمتم فاستاكوا بالغداة ولا تستاكوا بالعشي» ^(٣)، فهو حديث منكر وضعيف.

والحديث أخرجه أيعلى (ج ١٠ ص ١٣١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٤).

(١) أخرجه الإمام البيهقي في سننه (٢٧٤/٤) من طريق الدارقطني وهذا في سننه (٢٤٩)، من حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وهو في الإرواء للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٦٧)، وقال فيه: ضعيف، وقال الدارقطني وتبعه البيهقي: "كيسان أبو عمر ليس بالقوى، ومن بينه وبين علي غير معروف". وأقرهما ابن الملقن في "خلاصة البدر المنير" (ق ٢/٦٩) فقال: "رواه الدارقطني والبيهقي وضعفاً". وقال الحافظ في "التلخيص" (ص ٢٢): "وإسناده ضعيف".

فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» متفق عليه.

ومعلوم أن بعد الزوال صلاة العصر.

والسواك من الفطرة، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «خمس من الفطرة السواك والاستحذاد وتقليم الأظفار وتنف الإبط»^(١) متفق عليه عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

قوله: «لولا أن أشق على أمتي»: فيه رحمة النبي - صلى الله عليه وسلم - بأئمة وشفقتة عليهم والمراد بالأمة هنا أمة الإجابة لا أمة الدعوة.

قوله: «لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»: دليل على أن أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - على الوجوب.

وفيه: مشروعية السواك عند الصلاة.

وهل يكون السواك باليمين أو باليسار؟

اختلف أهل العلم في ذلك:

فذهب جمهورهم، بل نقله شيخ الإسلام - رحمه الله - اتفاقاً إلى أنه يكون باليسار، وذهب بعضهم أنه باليمين.

فمن ذهب إلى أنه إزالة أذى، قال: يكون باليسار.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٨٨٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧).

[الفقرة الستة: أحسنه صفة لوضوء رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _]

ومن ذهب إلى انه تطهر، قال: باليمين، وهو الصحيح؛ لأنه تطيب
وتطهر ولا حرج في الأمرين، إلا أنه باليمين أفضل.
وله أن يتسوك بعود الأراك وهو الأفضل.
وله أن يتسوك بغيره من الأعواد التي تنظف الفم، وتطهره، وتذهب عنه
الصفرة، والله أعلم.



الفقرة الواحدة والستون: من لبس الخفين، أو الجوربين على وضوء،...

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الواحدة والستون: من لبس الخفين، أو الجوربين على وضوء،
يشرع له أن يمسح عليهما.

٦١- من لبس الخفين، أو الجوربين على وضوء، يشرع له أن يمسح
عليهما.

إن كان مقيماً: يمسح عليهما يوماً وليلة.

وإن كان على سفر: يمسح عليهما ثلاثة أيام بلياليهن.

والدليل: حديث أبي بكره -رضي الله عنه-: «أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه
وسلم- رَخَّصَ لِلْمَسَافِرِ إِذَا تَوَضَّأَ، وَلَبَسَ خُفَّيْهِ، ثُمَّ أَحْدَثَ وَضُوءًا أَنْ
يَمْسَحَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ، وَلِلْمَقِيمِ يَوْمًا وَلَيْلَةً»، أخرجه ابن ماجه، وهو
حديث حسن، وله شواهد يصح بها.

والمسح على ظاهر الخفين.

والدليل: حديث عَائِشَةَ بنتِ أَبِي طَالِبٍ -رضي الله عنه-: «وَقَدْ رَأَيْتُ
رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ»، أخرجه أبو داود،
وهو صحيح.

الشرح: *****

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان أحكام المسح على الخفين وما في بابها.

وهي من المسائل المهمة عقدياً وفقهياً.

أما عقدياً: فإن أهل البدع يخالفون أهل السنة فيها، فلذلك تعين الاعتقاد لها، والعمل بها.

وأما فقهياً: فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد مسح على خفيه حضراً وسفراً.

وكان المسح على الخفين بعد نزول آية المائدة، ولذلك كان يفرح المحدثون بسماع هذا الحديث من جرير بن عبدالله - رضي الله عنه -.

ففي الصحيحين: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - توضأ ومسح على خفيه»^(١)، لأن إسلام جرير - رضي الله عنه - كان بعد نزول سورة المائدة، بمعنى أنه لم ينسخ.

وهو يشترط للمسح على الخفين شروطاً:

الأول: أن يدخل الخفين على طهارة.

كما في حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال: «توضأ رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - ثم أهويت أن أنزع خفيه قال دعهما فإنني أدخلتهما

طاهرتين»^(٢) متفق عليه.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٨٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٦٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤).

الثاني: أن لا يخرج التوقيت في المسح.

فيكون التوقيت: يوم وليلة للمقيم، أي أربعة وعشرين ساعة من بداية المسح.

وثلاثة أيام لباليهن للمسافر، كما سيأتي إن شاء الله تعالى، ودليله ما ذكر الشيخ من الأحاديث.

الثالث: أن الطهارة بالمسح عليها تكون من حدث أصغر: كنوم أو غائط أو بول، أما الجنابة فلا بد من نزعهما.

لحديث صفون بن عسال -رضي الله عنه- قال: «كُنَّا نَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَيَأْمُرُنَا أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ، وَبَوْلٍ، وَنَوْمٍ» ^(١) أخرجه الترمذي.

وبدخل في أحكام الخفين: أحكام المسح على الجوارب، والتي تسمى بالتساخين، وتسمى بالشرابات، فهذه لها أحكام الخفين من حيث المسح إذا أدخلت طاهرتين.

والمسح على الخفين يعتبر رحمه من الله -عز وجل- لاسيما للمسافر لأمرين:

الأول: أنه قد يتعذر عليه نزع خفيه في كل مرة.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٩٦)، والنسائي (١/ ٨٣ - ٨٤)، وابن خزيمة (١٩٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٥٠٥).

الثاني: في أيام البرد قد يلبس الإنسان الجوارب وما في بابها من أجل أن يسلم من برودة الجو فيكتفي بالمسح عليهما.

ويكون المسح على ظاهرهما، ففي حديث علي - رضي الله عنه - قال: «لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَيْهِ» ^(١) أخرجه أبو داود.

❏ وإذا كانت الخفاف والجوارب مخرقة فيجوز المسح عليهما، خلافا لما ذهب إليه بعضهم، بأنها إذا تخرقت لا يجوز المسح عليها. والصحيح أن الخفاف مخرقة، والجوارب قد تتخرق، فيمسح عليها ما أطلق عليها شرعاً بأنها خفاف، رجح هذا شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - وغيره.

بيان أيهما أفضل: المسح على الخفين، أو الغسل للرجلين؟

اختلف العلماء في ذلك:

فذهب بعضهم إلى أن الأفضل المسح على الخفين لكونه: سنة، ورخصة وتيسير.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٦٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

وذهب بعضهم إلى أن غسل الرجلين أفضل للمشقة.

والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول لعائشة - رضي الله عنها -: عندما قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَصْدُرُ النَّاسُ بِنُسُكَيْنِ، وَأَصْدُرُ بِنُسُكٍ؟ فَقِيلَ لَهَا: «انْتَظِرِي، فَإِذَا طَهَّرْتَ، فَأَخْرُجِي إِلَى التَّنْعِيمِ، فَأَهْلِي ثُمَّ آتَيْنَا بِمَكَانٍ كَذَا، وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدَرٍ نَفَقَتِكَ أَوْ نَصَبِكَ»^(١).

والذي يظهر أن المسح على الخفين لمخالفة أهل البدع أفضل، وإن كنت في غير ذلك فالغسل أفضل؛ لأن الأصل هو الغسل، والمسح إنما هو رخصة وفضل.

قال سفيان الثوري: "يا شعيب بن حرب! لا ينفعك ما كتبت لك حتى ترى المسح على الخفين دون خلعهما أعدل عندك من غسل قدميك". اهـ من أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي.

قال ابن القيم في زاد المعاد (١ / ١٩٢):

وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّفُ ضِدَّ حَالِهِ الَّتِي عَلَيْهَا قَدَمَاهُ، بَلْ إِنْ كَانَتْ فِي الْخُفِّ مَسَحَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَنْزِعْهُمَا، وَإِنْ كَانَتْ مَكْشُوفَتَيْنِ غَسَلَ الْقَدَمَيْنِ وَلَمْ يَلْبَسِ الْخُفَّ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٧٨٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٢١١).

لِيَمْسَحَ عَلَيْهِ، وَهَذَا أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ فِي مَسْأَلَةِ الْأَفْضَلِ مِنَ الْمَسْحِ وَالْغَسْلِ،
قَالَ شَيْخُنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

﴿فإن كان مقيماً يمسه عليها يوماً وليلة ويبدأ توقيت المسح من بداية المسح.﴾

فمثلاً لو أن رجلاً لبس خفيه بعد وضوئه للمغرب، ثم صلى بذلك الوضوء المغرب والعشاء، ثم نام وقام لصلاة الفجر فمسح على خفيه، فإن المسح يحسب من الفجر، وإن كان على سفر فإنه يمسه عليها ثلاثة أيام بلياليهن.

مسألة: رجل بدأ المسح في الحضر ثم سافر؛ فإنه يمسه عليها يوماً وليلة، وإذا ابتدأ المسح من السفر فإنه يمسه ثلاثة أيام ولياليهن إذا كان مسافراً.

والدليل: حديث أبي بكرة -رضي الله عنه- عند ابن ماجه، وجاء في مسلم عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وجاء عن عدة من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- منهم: جرير وجابر وعبدالله ابن عمر، وعبدالله بن عمرو وغيرهم من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- خرجها الحافظ في التلخيص الحبير.

قوله: «عن أبي بكرة»: هو نفع بن الحارث.

قوله: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم- رخص للمسافر إذا توضأ ولبس خفيه ثم أحدث وضوءاً أن يمسح ثلاثة أيام ولياليهن، وللمقيم يوماً وليلة»:

دل على أن المسح رخصة وليس بعزيمة.

قوله: «أخرجه ابن ماجه»: وهو حديث حسن، وله شواهد يصح بها وقد تقدمت.

قوله: «والمسح على ظاهر الخفين»: أي على أعلاهما.

قوله: «والدليل: حديث علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-»: وهو أبو الحسن كناه النبي - صلى الله عليه وسلم- أبي تراب، رابع الأئمة المهتدين والخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم أجمعين-، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، قتل ظلماً، قتله عبد الرحمن بن ملجم في يوم عيد الفطر.

قوله: «وقد رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمسح على ظاهر خفيه»: فيه أن الحجة في فعل النبي - صلى الله عليه وسلم- وليس إلى الرأي والهوى والذوق.

قوله: «أخرجه أبو داود»: سليمان بن الأشعث صاحب السنن والحديث صحيح، وهو مخرج في الصحيح المسند لشيخ مقبل -رحمه الله-.

«ومما يدل على مشروعية المسح في الحضر: حديث حذيفة - رضي الله عنه -: «رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - بال قائماً ثم توضأ ومسح على خفيه» متفق عليه.

وفي لفظ للبخاري: «رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَمَشَى، فَأَتَى سُبَاطَةَ قَوْمٍ خَلْفَ حَائِطٍ، فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ، فَبَالَ، فَأَنْتَبَذْتُ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِئْتُهُ، فَقُمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ»^(١).

قال النووي - رحمه الله - في شرح الحديث (٣ / ١٦٧):

فَفِيهِ: إِبْثَابُ الْمُسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ.

وَفِيهِ: جَوَازُ الْمُسْحِ فِي الْحَضَرِ. اهـ

وقال ابن عبد البر في الاستذكار (١ / ٢١٨):

وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي الْمُسْحِ فِي السَّفَرِ فَرَوِيَ عَنْ مَالِكٍ ثَلَاثُ رَوَايَاتٍ فِي ذَلِكَ:

إِحْدَاهَا: وَفِي أَشَدِّهَا نِكَارَةً - إِنْكَارُهُ الْمُسْحِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ

وَالثَّانِيَةُ: كَرَاهِيَةُ الْمُسْحِ فِي الْحَضَرِ وَإِبَاحَتُهُ فِي السَّفَرِ

وَالثَّالِثَةُ: إِبَاحَةُ الْمُسْحِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ وَعَلَى ذَلِكَ فُقَهَاءُ الْأَمْصَارِ

بِالْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. اهـ



(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣).

الفقرة الثانية والستون: إذا حضرت الصلاة ولم تجد الماء فتيّم

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثانية والستون: إذا حضرت الصلاة ولم تجد الماء فتيّم.

٦٢- إذا حضرت الصلاة ولم تجد الماء فتيّم.

والدليل: - قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦].

والصعيد هو تراب الأرض.

والدليل: حديث حُذِيفَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ» رواه مسلم.

الشرح: ****

لما ذكر المصنف ما يتعلق بأحكام الوضوء ناسب أن يتمم بأحكام التيمم.

والتيمم شرعه الله - عز وجل - رحمة بالمسلمين قال الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾، أي بالماء.

﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ﴾.

ويكون التيمم ضربه واحدة على الأرض ثم يمسح الوجه والكفين. وإيها قدم جاز حيث جاءت السنة بـمسح الكفين، ثم الوجه، والعكس. وجاء القرآن بـمسح الوجه ثم الكفين. وجاء أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان ينفخ فيهما، وهذا النفخ ليس بواجب، إنما هو لإزالة التراب، ليدل على أن التيمم إنما هو تعبد ليس المراد به التعفر بالتراب.

وقد أجنب عمار بن ياسر - رضي الله عنه - كما جاء في الصحيحين قال: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي حَاجَةٍ، فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدِ الْمَاءَ، فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا، فَضَرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ نَفَضَهَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهَا ظَهَرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ أَوْ ظَهَرَ شِمَالِهِ بِكَفِّهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهَا وَجْهَهُ»^(١).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٦٨).

«والتيمم رافعٌ للحدث: سواء للجنابة أو للحدث الأصغر، ونواقضه وجود الماء مع ما يأتي من نواقض الوضوء.

ويجوز التيمم في حالين:

الأول: العجز عن استخدام الماء لمرض ونحوه.

الثاني: عوز الماء وقلته.

والتيمم ضربة: للوجه والكفين وما جاء غير ذلك فلا يصح.

وحده الكفين، وما جاء أنه مسح إلى المرفقين فلا يثبت.

وقد ذكرت بعض ذلك في كتابي: "هبة السلام شرح بلوغ المرام" قلت

فيه:

ويكون التيمم للوجه والكفين فقط، وعليه بوب الإمام البخاري في صحيحه، فقال: "بَابُ التَّيْمُمِ لِلْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ".

واستدل بحديث عمار بن ياسر رضي الله عنه **فيه:** «بِهَذَا وَضَرَبَ - شُعْبَةُ - بِيَدَيْهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ أَذْنَاهُمَا مِنْ فِيهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ».

وهو ظاهر القرآن، حيث يَقُولُ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا، فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦].

ومنهم من ذهب إلى المسح على المرفقين، استدلالاً بحديث ابن عمر -

رضي الله عنهما-، وفيه: «التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى

المرفقين»، أخرجه الدارقطني، وهو ضعيف لا يثبت مرفوعاً، والراجح فيه الوقف.

وما جاء عن عمار بن ياسر -رضي الله عنهما-، خلاف ما في هذه الرواية، وهو أصح منها؛ لأنه في الصحيحين.

وقد ذكره الإمام الترمذي رحمه الله كما في سننه حيث قال: بعد أن ذكر حديث عمار بن ياسر، -رضي الله عنهما-: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ بِالتَّيْمُمِ لِلْوُجْهِ وَالْكَفَّيْنِ".

قال رحمه الله: وَفِي الْبَابِ عَنْ عَائِشَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ.^(١)

حَدِيثُ عَمَّارٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَمَّارٍ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ. وَهُوَ قَوْلٌ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ: عَلِيٌّ، وَعَمَّارٌ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ، مِنْهُمْ: الشَّعْبِيُّ، وَعَطَاءٌ، وَمَكْحُولٌ قَالُوا: التَّيْمُمُ ضَرْبَةٌ لِلْوُجْهِ وَالْكَفَّيْنِ. وَبِهِ يَقُولُ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ.

ثم قال رحمه الله: وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ: ابْنُ عُمَرَ، وَجَابِرٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَالْحَسَنُ قَالُوا: التَّيْمُمُ ضَرْبَةٌ لِلْوُجْهِ، وَضَرْبَةٌ لِلْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ. وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ، وَمَالِكٌ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيُّ.

(١) الترمذي (١٤٤).

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَمَّارٍ فِي التَّيَمُّمِ أَنَّهُ قَالَ: «لِلْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ».

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «تَيَمَّمْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَنَاقِبِ وَالْآبَاطِ».

فَضَعَفَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ حَدِيثَ عَمَّارٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّيَمُّمِ لِلْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ لَمَّا رُوِيَ عَنْهُ حَدِيثُ الْمَنَاقِبِ وَالْآبَاطِ.

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: حَدِيثُ عَمَّارٍ فِي التَّيَمُّمِ لِلْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ هُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَحَدِيثُ عَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَيَمَّمْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَنَاقِبِ وَالْآبَاطِ»، لَيْسَ هُوَ بِمُخَالَفٍ لِحَدِيثِ الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ، لِأَنَّ عَمَّارًا لَمْ يَذْكُرْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا قَالَ: فَعَلْنَا كَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ بِالْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ. اهـ

قوله: «إذا حضرت الصلاة»: أي صلاة كانت.

قوله: «ولم تجد الماء»: دليل على أن الإنسان يتطلب الماء ويبحث عنه.

قوله: «فتيّم»: والدليل: - قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾: أي

واجبكم الوضوء فإن لم تجدوا الماء فتيّموا على الوصف المذكور.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن صلاة الجنازة لا يشترط لها الوضوء وهذا خلاف قول الجماهير وإن خشي فواتها أن يتيمم، والصحيح أنها صلاة يلزم لها الطهارة كغيرها من الصلوات.

قوله: «فَتَيَمَّمُوا»: أي أقصدوا بمسح الوجه والكفين.

قوله: «صَعِيدًا طَيِّبًا»: أي ما صعد على وجه الأرض، وقد اختلف العلماء في الصعيد:

فذهب الشافعي وأحمد: إلى أن الصعيد مقيد بالتراب، ولا يُجزئ التيمم إلا عليه، لحديث حذيفة - رضي الله عنه -: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: ... ثم قال: وَجُعِلَتْ تُرْبُتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»^(١) أخرجه مسلم.

وذهب مالك وأبو حنيفة: إلى أن الصعيد كل ما صعد على الأرض من شجر أو حجر أو تراب أو رمل أو غير ذلك ورجحه الشنقيطي وجمع منهم القرطبي والصنعاني وهو ظاهر القرآن: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.

قال القرطبي في تفسيره (٥ / ٢٣٦):

الصَّعِيدُ: وَجْهُ الْأَرْضِ كَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ، قَالَهُ الْحَلِيلُ وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَالزَّجَّاجُ.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٢٢).

قَالَ الرَّجَّاجُ: لَا أَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا بَيْنَ أَهْلِ اللَّغَةِ. اهـ

والصعيد: كل ما صعد على وجه الأرض.

أما حديث حذيفة -رضي الله عنه- «وتربتها لنا طهور» فهذا على الغالب، وإلا فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- حين خرج إلى تبوك لم يكن ثمت تراب، وإنما هي الرمال وفقدوا الماء حتى أنهم أتوا النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجفنة ودعا الله -عز وجل- وجاءت البركة ومع ذلك كانوا يتيممون.

ويجوز أن يصلي بالتيمم الواحد عدة صلوات، بل إذا تيمم ولم يقع منه الحدث صلي بذلك التيمم ما شاء من فرضٍ أو نفلٍ، على الصحيح من أقوال أهل العلم.

وذهب بعضهم إلى الجمع بين التيمم والوضوء، وهذا يجوز في حالة واحدة وهي: حالة الجنابة كأن يكون عاجزاً عن استخدام الماء للغسل ولكنه غير عاجز عن استخدامه للوضوء فنقول تيمم للجنابة وتوضأ لما استطعت.

وأما إذا كان فيه جراحه أو نحو ذلك فقد ذهب جماهير العلماء إلى أنه يتيمم إلى ما تحت الجبائر والتساخين ويتوضأ لما استطاع

والصحيح: أنه يتوضأ ما استطاع ولا يلزمه التيمم وهذا اختيار الشيخ مقبل -رحمه الله-، وهو قول مكحول من المتقدمين.

قوله: «فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ»: والترتيب ليس بشرط فإن قدمت اليدين جاز وإن قدمت الوجه جازاً وكله قد جاءت به السنة والسنة مفسرة للقرآن، وفي هذا دليل على عدم تعيين المرفقين، فإن اليد إذا أطلقت كان المراد بها الكف.

قوله: «والصعيد»: هو تراب الأرض: هذا قول لأهل العلم وقول غيرهم هو كل ما صعد على الأرض، كما تقدم.

قوله: «والدليل»: حديث حذيفة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وطهوراً»،^(١).

أي صيرت لي الأرض كلها مسجداً وهذا خصيصة بأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- يصلون حيث أدركتهم الصلاة، وفي حديث أبي سعيد -رضي الله عنه-: «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام»^(٢)، بينما اليهود والنصارى كان عليهم أن يصلوا في البيع والكنائس.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٢١)، من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٢)، والإمام الترمذي في سننه (٣١٧)، والإمام ابن ماجه في سننه (٧٤٥)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٣٨٠).

قوله: «وجعلت تربتها لنا طهوراً»: أي يتطهر به والمراد بالتطهر هنا رفع الحدث إذا لم نجد الماء أو عجز عن استخدامه.

مسألة فاقد الطهورين:

وتتصور على القول أن التيمم لا يجوز إلا على التراب، أو كان مقيداً أو مشلولاً عاجزاً عن الوضوء والتيمم، فلو حضرت الصلاة مسجوناً أو مريضاً ليس لديه ماء أو تراب صلى بغير طهور، وصلاته صحيحة، كما صلى الصحابة رضي الله عنهم قبل فرض التيمم.

وفي العرف الشذي (١ / ٣٧): وأما فاقد الطهورين فرواية عن أبي حنيفة إنه يشبه بالمصلين، أي يركع ويسجد بلا قراءة، قال مالك: لا يصلي الآن، وقال أحمد بن حنبل: يصلي الآن، ولا يقضي، وللشافعية وجوه أربعة، أحدها: القضاء فقط، وثانيها: الأداء فقط، وثالثها: الأداء في الحال ثم القضاء بعده، ورابعها: وجوب الأداء واستحباب القضاء. **هـ**

والصحيح أنه لا يلزمه القضاء، بل يكفي بما صلى، لأنه فعل المستطاع، والله عز وجل يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

-والله الموفق-



[الفقرة الثالثة والستون: بعد الفراغ من الوضوء]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثالثة والستون: بعد الفراغ من الوضوء.

٦٣- فإذا فرغت من وضوءك تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا

عبده ورسوله.

والدليل: حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: قال رسول

الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُسَبِّحُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ

يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ

الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» رواه مُسْلِمٌ.

الشرح: *****

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان الذكر المشروع بعد الوضوء، وهو ذكر

عظيم تضمن الشهادة: (أشهد أن لا إله إلا الله)، وهي أفضل كلمة على

أفضل مشهود، أشهد أقر واعترف وأعلم.

قوله: «أنه لا إله»: لا معبود بحق إلا الله -عز وجل-.

قوله: «وأن محمدا»: محمد -صلى الله عليه وسلم- الرسول النبي الأمي.

قوله: «عبده»: عبد الله وهذا رد على الصوفية والغلاة الذين رفعوا رسول الله ﷺ فوق مرتبته، وربما دعوه ورجوه من دون الله عز وجل أو مع الله عز وجل.

قوله: «ورسوله»: رد على الفلاسفة، الذي يزعمون أن محمداً رجل عظيم استطاع بعقله أن يجمع الناس على تخيلات ونحوها.

قوله: «والدليل: حديث عمر بن الخطاب»: هو أبو حفص -رضي الله عنه-.

قوله: «أخرجه مسلم»:

وفيه قصة: وهو أن عقبة بن عامر جاء فوجد النبي -صلى الله عليه وسلم- يحدث الناس يقول: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحَسِّنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ، يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا قَدْ أَوْجَبَ»، فَقُلْتُ: بَخٍ بَخٍ، مَا أَجُودَ هَذِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ الَّتِي قَبْلَهَا: يَا عُقْبَةُ، أَجُودُ مِنْهَا، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ: مَا هِيَ يَا أَبَا حَفْصٍ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَالَ: أَنْفًا قَبْلَ أَنْ تَحِيَّ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحَسِّنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ وُضُوئِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(١).

وفيه: إثبات أن أبواب الجنة ثمانية بخلاف النار فأبوابها سبعة قال الله - عز وجل -: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

👈 **وقد سمي النبي - صلى الله عليه وسلم - بعض أبواب الجنة:** كباب الريان والصلاة والجهاد ويدعى من جميع هذه الأبواب أبو بكر - رضي الله عنه -.

فقد جاء أنه قال: «بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»^(٢).

تنبيه: عند الترمذي زيادة: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين» وهي رواية شاذة، شذ بها جعفر بن محمد بن محمد بن محمد شيخ الترمذي، كما قاله الحافظ في «نتائج الأفكار» (١ / ٢٤١) والله الموفق.



(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٤).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٨٩٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٢٧)، من حديث أبي

هريرة رضي الله عنه.

[الفقرة الرابعة والستون: بيان نواقض الوضوء]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الرابعة والستون: بيان نواقض الوضوء

٦٤ - نواقض الوضوء:

١ - الخارج من القبل والدبر.

والدليل: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - : « لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ » متفقٌ عليه.

٢ و٣ - النوم المستغرق والجنابة.

والدليل: حديث صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ - رضي الله عنه - قَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفَرًا أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ »، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

ونوم الأنبياء ليس بناقض لوضوئهم، لحديث أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - أَخْرَجَهُ البخاري في الصحيح أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ» وهذه خصوصية لهم عليهم الصلاة والسلام.

٤- مس الذكر.

والدليل: حديث بُسْرَةَ بِنْتُ صَفْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلَا يُصَلِّ حَتَّى يَتَوَضَّأَ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وهو حديث حسن، وصحيح بشواهده.

عند أحمد وغيره من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مَسَّتْ فَرْجَهَا فَلْتَتَوَضَّأْ».

٥- أكل لحم الإبل.

والدليل: حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: «أَتَتَوَضَّأُ مِنْ لَحْمِ الْإِبِلِ قَالَ: «نَعَمْ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

قال الإمامان أحمد بن حنبل وإسحاق بن رهويه: صح في هذا الباب حديثان، حديث جابر بن سمرة، وحديث البراء بن عازب - رضي الله عنهما -.

٦- الردة، وهي ناقضة للوضوء وللإسلام.

والدليل: قول - الله تعالى -: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥].

الشرح:

وقد نظمها بعضهم بقوله:

وقد ذكر العلماء أكثر من هذه النواقض استدلالاً بالقياس ونحوه.

کما هو تفسیر ابن عباس - رضی اللہ عنہ - .

فَضَحِكَتُ ﴿١﴾ .

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٨٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي.

وجعلوا من نواقض الوضوء القِيء.

لحديث: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَاءَ، فَتَوَضَّأَ»، أخرجه الترمذي عن أبي الدرداء -رضي الله عنه-، والحديث ليس بصريح في النقض إذ أنه قد يتوضأ للتبرد، أو للتجديد الوضوء.

وجعلوا من نواقضه القهقهة، ولا دليل صحيح يدل في ذلك.

وكان من نواقض الوضوء أكل ما مست النار ثم نسخ؛ لحديث جابر -رضي الله عنه-: «فكان آخر الأمرين ترك الوضوء مما مست النار».

وقد جاء: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَكَلَ كَتِفَ شَاةٍ ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»^(١) أخرجه البخاري ومسلم.

ونعود لما ذكره المصنف:

الناقض الأول: الخارج من السبيلين.

قوله: «الخارج من القبل والدبر»: وهذا محل إجماع أي أن ما خرج من القبل أو الدبر من بولٍ أو غائطٍ أو ريحٍ فهو ناقض للوضوء.

والدليل: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ»، قالوا يا أبا هريرة ما الحدث؟ قال: "فساء أو ضراط"، متفق عليه.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٠٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٥٤)، من حديث ابن

عباس رضي الله عنهما.



وفسر أبو هريرة -رضي الله عنه- الحدث بالفساء والضراط لأنه أشهر أنواع الأحداث، وإلا فإن هناك أحداث غير هذا الحدث. إلا إذا كان الرجل عنده سلس بول أو ريح فهنا يتغير الحكم لأن هذا من الأمور الغاصبة والإنسان غير مكلف بما يغصبه. قال الله - عز وجل -: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال الله - عز وجل -: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]. ويقول الله - عز وجل -: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. والأمر عام في الرجال والنساء، فمن نواقض الوضوء مما يخرج من القبل: دم الحيض والنفاس في النساء. والناقض الثاني: النوم المستغرق.

قوله: «النوم المستغرق»: وهو النوم الذي يذهب معه الإحساس بالكلية ونوم المستلقي.

وهو غير المستغرق هو النعاس، وهو النوم الذي لا يذهب معه الإحساس ومنه نوم الجالس.

وقال: النوم المستغرق؛ لأنه قد ثبت من حديث أنس وعائشة وعمر وابن عباس -رضوان الله عليهم- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- آخر

العشاء ليلة حتى: «نام النساء والصبيان ثم خرج وصلى بهم ولم يحدثوا وضوءاً» متفق عليه.

والدليل: على أن النوم المستغرق ناقض للوضوء حديث صفوان بن عسال - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمرنا إذا كنا سفراً أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن» أخرجه الترمذي [وقد تقدم معنا.

قوله: «إلا من جنابة»: سميت جنابة من المجانبة، وهي المباحة، وسيأتي حكمها.

قوله: «ولكن من غائطٍ وبولٍ ونوم»: فدل على أن الغائط والبول والنوم المستغرق ينقض الوضوء.

واستدل الشافعي: بقول الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦]، أي من النوم، ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾.

وقد تقدم الكلام على الغائط والبول.

وكان بعض السلف لا يرى نقض النوم حتى أن أبا موسى - رضي الله عنه -: «ربما نام وعنده بعض أهله فيقوم يقول هل شمتتم أو سمعتم

شيئاً فإن قالوا لا قام يصلي وإذا قالوا نعم قام يتوضأ"، أخرج ابن المنذر في الأوسط. [

قوله: «ونوم الأنبياء ليس بناقض لوضوئهم؛ لحديث: «الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»^(١): أخرج البخاري.

وهذا لبيان ما جاء من حديث ابن عباس وغيره: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نام حتى نفخ ثم قام ولم يتوضأ نقول هذه خصيصة فقد قال: «فإن الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»^(٢).

قوله: «وهذه خصوصية لهم عليهم الصلاة والسلام»: هذا من أجل أن لا يحتاج محتج بهذا الحديث، ويقول قد نام النبي - صلى الله عليه وسلم - وصلى ولم يتوضأ.

فأفعال النبي - صلى الله عليه وسلم - منها الخاصة وهذه لا يجوز أن يتابع فيها، ومنها العام وهي التي أمرنا أن نتأسى به فيها، كما قال الله - عز وجل - : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الاحزاب: ٢١].

ومنها الجبلية، فإن فعلها متأسياً بالنبي ﷺ أجر إن شاء الله تعالى.

الناقض الثالث: الجنابة.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٧٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦٢)، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٦٣).

قوله: «الجنابة»: والجنابة تقع بأمور:

الأول: الجماع بدون إنزال، فبمجرد إيلاج الفرج في الفرج تقع الجنابة.

الثاني: الجماع مع الإنزال، وهذا مجمع عليه.

الثالث: إنزال المني بدون جماع: كالاحتلام ونحوه.

فإذا وقعت إحدى هذه الثلاث الحالات، كان الإنسان متلبساً بالجنابة.

والجنابة لا بد فيها من الغسل؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان

يغتسل، وأمر بالغسل لها، ولا يجزئ التيمم إلا في حال فقد الماء، أو عوزه،

أو المرض والعجز عن استخدام الماء.

والدليل: على أن الجنابة تقع ولو لم ينزل.

حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهَا الْأَرْبَعِ، ثُمَّ

جَهَدَهَا فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ»، وفي رواية لمسلم: «وإن لم ينزل»^(١).

وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - عند مسلم: «أن رجلاً جاء إلى

النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «الرَّجُلُ يُجَامِعُ أَهْلَهُ ثُمَّ يُكْسِلُ هَلْ

عَلَيْهِمَا الْغُسْلُ؟ وَعَائِشَةُ جَالِسَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي

لَأَفْعَلُ ذَلِكَ، أَنَا وَهَذِهِ، ثُمَّ نَغْتَسِلُ»^(٢).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٩١)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٤٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٥٠).

وأما حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - في الصحيح: «أن رجلاً سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: فقيل أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُعَجِّلُ عَنِ امْرَأَتِهِ وَلَمْ يُمْنِ، مَاذَا عَلَيْهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ»^(١)، متفق عليه.

فهذا حديث منسوخ كما قال أبي بن كعب - رضي الله عنه -: "كان في أول الإسلام الماء من الماء".

الناقض الرابع: مس الذكر.

قوله: «مس الذكر»:

ولك أن تقول: مس الفرج مطلقاً.

فمن مس ذكره، أو دبره أو مس فرج نفسه، أو فرج غيره، فإنه يتنقض وضوءه، على الصحيح من أقوال أهل العلم.

والدليل: حديث بسرة بنت صفوان رضي الله عنها، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ»^(٢)، أخرجه أبو داود وغيره.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٤٣)، وهو في البخاري (١٨٠)، بدون لفظ: "الماء من الماء".

(١) أخرجه الإمام رواه أبو داود (١٨١)، والنسائي (١٠٠)، والترمذي (٨٢)، وابن ماجه (٤٧٩)، وأحمد

(٦ / ٤٠٦)، وابن حبان (٢١٢) موارد، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(١٥٣٢)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

قال الترمذي رحمه الله تعالى (١٠ / ٣٦): عَنْ بُسْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ، وَهُوَ قَوْلٌ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعِينَ، وَبِهِ يَقُولُ الْأَوْزَاعِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: "أَصَحُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ بُسْرَةَ. اهـ

وقد عارضه: حديث طلق بن علي -رضي الله عنه-: «أنه قال يا رسول أحدنا يمس ذكره قال إنما هو بضعة منك» أخرجه الترمذي وغيره.

قال بعض العلماء: حديث طلق بن علي منسوخ.

وقال بعضهم: حديث طلق ضعيف.

وجمع بعضهم فقال: المراد بحديث بسرة -رضي الله عنها- المس بدون حائل، والمراد بحديث طلق بن علي -رضي الله عنه- ما كان المس بحائل.

وقال بعضهم: حديث بسرة -رضي الله عنها- في المس مع الشهوة، وفي حديث طلق -رضي الله عنه- المس بدون شهوة.

لكن الصحيح أن المس المباشر ناقض للوضوء سواء كان بشهوة أو غيرها؛ لعموم الحديث: «من مس ذكره فليتوضأ».

وجاءت زيادة: «من مس ذكره وأنثويه» -والأنثوين هي الخصيتان- «فليتوضأ».

قوله: «أخرجه الترمذي»: أي في جامعه وهو حديث حسن أي حسن الإسناد وصحيح بشواهده أي صحيح لغيره عند أحمد وغيره من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أيما رجل مس ذكره فليتوضأ»^(١)، وهذا عام، «أيما امرأة مست فرجها فلتتوضأ».

وساق الحديث لبيان أن حكم المرأة وحكم الرجل في هذا الباب سواء.

الناقض الخامس: أكل لحم الإبل.

قوله: «أكل لحم الإبل»:

سواء كان نيئاً أو نضيجاً مشوياً أو حنيئاً أو مرقاً فلهذا لحم الإبل ناقض للوضوء.

وقد اختلف العلماء في سبب ذلك:

قيل: لأنها خلقت من الشيطان.

وقيل: لأن فيه حرارة.

وقيل: غير ذلك.

(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (٧٠٧٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في الإرواء تحت حديث برقم (١١٧)، وقال فيه: أخرجه أحمد (٢٢٣/٢) ورجاله ثقات لولا عنعنة بقية، وقد صرح بالتحديث في رواية أحمد بن الفرج الحمصي عنه: حدثني الزبيدي به بلفظ: "أيما رجل مس فرجه... " أخرجه الدارقطني. وصححه في صحيح الجامع برقم (٢٧٢٥).

وشاهدنا: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر بذلك، فإن علمنا العلة أو لم نعلم، وجب علينا الوضوء.

وقد صح الوضوء من لحم الإبل عن اثنين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -:

أحدهما: جابر بن سمرة - رضي الله عنه - عند مسلم، ولفظه: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَتَوَضَّأُ مِنْ حُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ» قَالَ أَتَوَضَّأُ مِنْ حُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ فَتَوَضَّأْ مِنْ حُومِ الْإِبِلِ»^(١).

والثاني: حديث البراء - رضي الله عنه - عند أحمد وغيره^(٢).

قال الخطابي في معالم السنن (١ / ٦٧):

قد ذهب عامة أصحاب الحديث إلى إيجاب الوضوء من أكل لحوم الإبل قولاً بظاهر هذا الحديث.

وإليه ذهب أحمد بن حنبل.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٦٠).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٨٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم



وأما عامة الفقهاء: فمعنى الوضوء عندهم متأول على الوضوء الذي هو النظافة، ونفي الزهومة، كما روي: «توضؤوا من اللبن فان له دسماً». وكما قال: «صلوا في مرائب الغنم ولا تصلوا في أعطان الإبل»، وليس ذلك من أجل أن بين الأمرين فرقاً في باب الطهارة والنجاسة.

لأن الناس على أحد قولين:

إما قائل: يرى نجاسة الأبوال كلها.

أو قائل: بطهارة بول ما يؤكل لحمه.

والغنم والإبل سواء عند الفريقين في القضيتين معاً.

وإنما نهى عن الصلاة في مبارك الإبل؛ لأن فيها نفاراً وشراداً لا يؤمن أن تتخطب المصلي إذا صلى بحضرتها، أو تفسد عليه صلاته.

وهذا المعنى مأمون من الغنم لما فيها من السكون وقلة النفار.

ومعلوم: أن في لحوم الإبل من الحرارة وشدة الزهومة ما ليس في لحوم الغنم، فكان معنى الأمر بالوضوء منه منصرفاً إلى غسل اليد لوجود سببه دون الوضوء الذي هو من أجل رفع الحدث لعدم سببه. **اهـ**

قوله: «أتوضأ من لحوم الإبل قال: نعم»: بينما لما سئل -صلى الله عليه

وسلم- عن لحم الغنم قال: «إن شئت فتوضأ وإن شئت فلا تتوضأ».

وقد تقدم بأن أحاديث الوضوء من مست النار قد نسخت، وبقي الحكم في حق لحم الإبل.

الناقض السادس: الردة.

قوله: «الردة وهي ناقض للوضوء والإسلام»:

والمراد بالردة: الارتداد عن الإسلام بأحد المكفرات: إما بسبب الله أو سبب رسوله، وهذا من أنواع المكفرات القولية. أو بالاعتقاد في غير الله أنه ينفع ويضر من دون الله وهذا من أنواع الردة الاعتقادية.

أو السجود لقبر أو صنم وهذا من أنواع الردة الفعلية. فمن فعل شيئاً من ذلك انتقض وضوءه؛ لأنه ارتد عن الإسلام، فإذا أسلم وجب عليه الاغتسال ثم الوضوء للصلاة.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥]، وحبوط العمل يدخل فيه الوضوء.

وفي هذا دليل على أن الردة واقعة في الأمة، خلافاً لما ذهب إليه الجهال من عدم وقوعها، وما يدفدوفون حوله الحزبيون من إلغاء حد الردة، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه في البخاري: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، ويستوي في ذلك الرجال والنساء على الصحيح من أقوال أهل العلم.

الناقض السابع: زوال العقل: بجنون أو إغماء أو سكر.

فجميع أنواع مزيلات العقل: كالتخدير والجنون الإغماء ولو لفترة يسيره، أو سكر شرب خمر أو نحو ذلك، أو بُنَجَ فَإِنْ وضوءه ينتقض. وما أشبهها من الأدوية المزيللة للعقل، فقد أجمع العلماء على أن الوضوء ينتقض بذلك.

هذه نواقض الوضوء الثابتة بدليلها، ويزاد على ذلك ناقض التيمم، وهي النواقض السبعة مع زيادة وجود الماء لفاقده أو القدرة على استخدام الماء للعاجز عنه، وهنالك نواقض غير ما ذكر على ما تقدم، والله المستعان.



الفقرة الخامسة والستون: على المسلم في كل يوم وليلة خمس صلوات مفروضة

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الخامسة والستون: على المسلم في كل يوم وليلة خمس صلوات مفروضة.

٦٥- على المسلم في كل يوم وليلة خمس صلوات مفروضة.

والدليل: حديث طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدٍ اللَّهِ -رضي الله عنه-: «أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»، متفق عليه.

الشرح:

بعد أن ذكر المصنف حفظه الله ما يتعلق بأحكام الطهارة، شرع في ذكر أحكام الصلاة.

قوله: «على المسلم في كل يوم وليلة خمس صلوات»: هذا محل إجماع بين المسلمين أن الصلوات المفروضات هي الخمس المعروفة، وهذا معلوم من الدين بالضرورة.

وقد فرضهن الله - عز وجل - ليلة المعراج، قبل الهجرة بثلاث سنوات على قول جمهور العلماء.

ففي الصحيحين: عن أنس -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ النبي -صلى الله عليه وسلم-: " فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَارْجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَارْجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَارْجَعْتُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبِّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ؟ ثُمَّ أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللَّوْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ ^(١).

وهذه الصلوات هي: "الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء".

قوله: «والدليل: حديث طلحة بن عبيد الله -رضي الله عنه-»: أحد العشرة المبشرين بالجنة أبلى بلاءً حسناً يوم أحد مع النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قوله: «أن أعرابيا سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الإسلام»:

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤٩)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦٣)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

الفقرة الخامسة والستون: على المسلم في كل يوم وليلة خمس صلوات مفروضة

أي سألته عن أعمال أهل الإسلام وأركانه العظام وكان مما أجاب به النبي - صلى الله عليه وسلم -: «خمس صلوات في اليوم واليلة قال الرجل: هل علي غيرهن قال: لا إلا أن تطوع»^(١).

«هذا الحديث يستدل جمهور العلماء: على عدم وجوب غير الصلوات الخمس، فلا يوجبون العيد والكسوف وتحية المسجد وركعتي الطواف وغير ذلك من الصلوات.

والذين يخالفونهم يقولون: إنما ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلوات التي تتكرر في كل يوم وليلة، أما هذه الصلوات فإنها لا تتعين إلا بوقوع سببها، وهذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم.

وفي الباب حديث: عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يَنْتَقِصْ مِنْهُنَّ شَيْئًا، اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَهْدًا أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ قَدْ انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئًا، اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذْبُهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ» أخرجه أحمد وقد تقدم.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٦).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ مَهْرًا بَبَابٍ أَحَدَكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا» ^(١) متفق عليه.

والإشارة إليهن في القرآن بقول الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

- والله الموفق -



(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٦٧).

الفقرة السادسة والستون: فإذا قيل: كم في الخمس الصلوات ركعة؟

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السادسة والستون: فإذا قيل: كم في الخمس الصلوات ركعة؟

٦٦- فإذا قيل: كم في الخمس الصلوات ركعة؟

فقل: فيها سبع عشرة ركعة: الظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات،
والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات، والصبح ركعتان.

وفي السفر: تقصر الظهر، والعصر، والعشاء إلى ركعتين، فتصير إحدى
عشرة ركعة.

الشرح: ****

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان عدد ركعات الصلوات المكتوبات في
الحضر والسفر.

قوله: «إذا قيل كم في الخمس الصلوات ركعة»: أي الخمس الصلوات
المفروضات.

قوله: «فيها سبع عشرة ركعة»: أي في كل يوم وليلة.

الظهر أربع ركعات يفصل بينهن بتشهدٍ أوسط.

والعصر أربع ركعات يفصل بينهن بتشهدٍ أوسط.

والمغرب ثلاث ركعات يفصل بين الركعتين والثالثة بتشهد.

والعشاء أربع ركعات يفصل بينهن بتشهد أو سطر.

والصبح ركعتان.

قيل: في ذلك؛ لأن الصبح أطول الصلوات قراءة.

وقيل: لأن الناس يقومون من النوم فيُخفف عنهم، ونحو ذلك من الأقوال.

وربما قيل: لو كان هذا الأمر فإنهم يقومون من النوم بنشاط، فكان الأولى أنها تطول؛ لكن هذه الأقوال ليست معتمدة على دليل.

إنما هي استنباطات من العلماء، والصحيح الذي لا معدل عنه أن الله فرضها على ما هي عليه، فنصلي كما فرض الله - عز وجل -.

وصلاة الظهر والعصر تكون القراءة فيهما: سرية.

وصلاة المغرب والعشاء والفجر: تكون فيها القراءة جهرية، إلا في

الركعة الأخيرة من المغرب، والركعتين الآخرين من العشاء، فيسر فيهما.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: "فِي كُلِّ صَلَاةٍ يُقْرَأُ، فَمَا أَسْمَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَعْنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَى عَنَّا أَخْفَيْنَا عَنْكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَزِدْ عَلَى أَمِّ الْقُرْآنِ أَجْزَأَتْ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ". ^(١) متفق عليه.

(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (٨٠٧٦)، والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٧٢)، والإمام

مسلم في صحيحه (٣٩٣).

قوله: «وفي السفر: تقصر الظهر والعصر والعشاء إلى ركعتين فتصير إحدى عشر ركعة».

والقصر في السفر مشروع عند جماهير العلماء، ثم اختلفوا: فأوجبه بعضهم، واستحبه الجمهور، والصحيح الوجوب؛ لقول الله - عز وجل -: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١].

وليس المراد بالجناح أن الأمر على الاستحباب. فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «(هي رخصة رخص الله بها فاقبلوا رخصته)»، فأمر بقبولها. وقالت عائشة رضي الله عنها: «إن الله فرض الصلاة في الحضر والسفر ركعتين ركعتين فزيد في صلاة الحضر وقصرت في صلاة السفر»^(١) متفق عليه.

وقد لازم النبي - صلى الله عليه وسلم - القصر في جميع أسفاره، وما جاء عن عائشة وعثمان رضي الله عنهما أنه حصل منهما التمام، فهو تأول يؤجرون على اجتهادهم.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٨٥).



والحق في خلافه، وراجع هذه المسألة في كتاب: زاد المعاد في هدي خير
العباد، " وضياء السالكين في أحكام وآداب المسافرين"، لشيخنا محيى بن
علي الحجوري حفظه الله.



الفقرة السابعة والستون: كل صلاة يؤذن لها في وقتها

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السابعة والستون: كل صلاة يؤذن لها في وقتها.

٦٧- كل صلاة يؤذن لها في وقتها.

والدليل: حديث مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثٍ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذِنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤْمِكُمْ أَكْبَرُكُمْ».

وفيه: "الأمر بأداء الصلوات الخمس في جماعة"، متفق عليه.

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان مشروعية الأذان في الوقت، وهذه مسألة مهمة فإن الصلاة لا تتعين إلا بدخول الوقت.

قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وقد قال الله - عز وجل -: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الاسراء: ٧٨].

ففي هذه الآية أوقات الصلوات:

فذلوك الشمس: زوالها، ويكون فيه صلاة الظهر والعصر.

وغسق الليل: يكون فيه صلاة المغرب والعشاء.

وقرآن الفجر: المراد به صلاة الفجر.

وقال الله - عز وجل -: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم: ١٧-١٨].

«وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - الأوقات على ما علمه بها جبريل عليه السلام:

ففي حديث عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وَقْتُ صَلَاةِ الْفَجْرِ مَا لَمْ يَطْلُعْ قَرْنُ الشَّمْسِ الْأَوَّلُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِذَا زَالَتْ الشَّمْسُ عَنْ بَطْنِ السَّمَاءِ، مَا لَمْ يَخْضِرِ الْعَصْرُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ مَا لَمْ تَصْفَرَّ الشَّمْسُ، وَيَسْقُطَ قَرْنُهَا الْأَوَّلُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ، مَا لَمْ يَسْقُطِ الشَّفَقُ، وَوَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ» ^(١)، أخرجه مسلم.

ولكل صلاة وقتان:

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٦١٢).

فعن أبي موسى وبريدة - رضي الله عنهما -: «أَنَّ سَائِلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا حَتَّى أَمَرَ بِلَاً فَأَقَامَ الْفَجْرَ حِينَ انْشَقَّ الْفَجْرُ، فَصَلَّى حِينَ كَانَ الرَّجُلُ لَا يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ - أَوْ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَعْرِفُ مَنْ إِلَى جَنْبِهِ - ثُمَّ أَمَرَ بِلَاً فَأَقَامَ الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ حَتَّى قَالَ: الْقَائِلُ انْتَصَفَ النَّهَارُ وَهُوَ أَعْلَمُ، ثُمَّ أَمَرَ بِلَاً فَأَقَامَ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيَضَاءُ مُرْتَفِعَةً، وَأَمَرَ بِلَاً فَأَقَامَ الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِلَاً فَأَقَامَ الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ صَلَّى الْفَجْرَ وَانْصَرَفَ، فَقُلْنَا أَطْلَعَتِ الشَّمْسُ، فَأَقَامَ الظُّهْرَ فِي وَقْتِ الْعَصْرِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ وَصَلَّى الْعَصْرَ، وَقَدْ اضْفَرَّتِ الشَّمْسُ - أَوْ قَالَ: أَمْسَى - وَصَلَّى الْمَغْرِبَ قَبْلَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ "، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ الْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ» ^(١) أخرجه مسلم.

والأفضل أن تصلي الصلوات في أول وقتها مبادرة للعمل؛ لحديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - سئل النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أي الأعمال أفضل قال الصلاة في وقتها» ^(٢) متفق عليه.

وجاء في رواية: «الصلاة على أول وقتها» ^(١)، وحكم أهل العلم على هذه الرواية بالشذوذ.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٩٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٨٥).

وقلنا أفضل؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يفعله وكان يصلي الصلوات في أول وقتها، ولأنه من المبادرة إلى العمل الصالح.

إلا الظهر فقد أخرها لعذر الحر.

وقد قال - صلى الله عليه وسلم -: «إذا اشتد الحر فأبردوا فإن شدة الحر من فيح جهنم» ^(٢) متفق عليه عن ابن عمر - رضي الله عنه -.

وإلا العشاء: فقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن أفضل وقتها أن تأخر، وترك ذلك لرفع المشقة عن الناس، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَعْتَمَ النبي - صلى الله عليه وسلم - ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى ذَهَبَ عَامَةُ اللَّيْلِ، وَحَتَّى نَامَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَوْ قُتِلَ لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي».

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: «لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي» ^(٣) متفق عليه.

وقال بعض أهل العلم: بأن المغرب ليس له إلا وقت واحد، والصحيح أن وقتها ما لم يغيب الشفق.

والمراد بالشفق: الحمرة؛ لأن الشفق شفقان: أحمر وأبيض.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٢٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٣٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٠٩)، وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وجاء في الصحيحين أيضًا من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٦٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٣٨) واللفظ له.

وأطول الصلوات في القراءة: صلاة الفجر وهكذا الظهر.

وأقصرها: المغرب، فيقرأ فيها بقصار المفصل، وله أن يطيل أحياناً، فقد صلى رسول الله ﷺ فيها بالطور والأعراف والمرسلات.

وأما العشاء والعصر: فقد جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - القراءة فيها بوسط المفصل.

وفي هذه الفقرة دليل على وجوب الأذان: وهو واجب مستقل إذ أن الصلاة تصح بدونه، لكن إذا اجتمع أهل بلدٍ على تركه، وجب على الحاكم أن يؤدبهم.

فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يغير بالفجر فإذا سمع أذان أمسك وإلا أغار كما في حديث أنس - رضي الله عنه - عند مسلم.

قوله: «فإذا حضرت الصلاة»: أي جاء وقتها ودخل وتعين: «فليؤذن لكم أحدكم»، ممن يجيد الأذان.

ويستحب أن يكون أُنْدَى صوتاً؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - لعبدالله بن زيد - رضي الله عنه -: «وألقيه على بلال فإنه أُنْدَى صوتاً منك».

قوله: «وليؤمكم أكبركم»: هذا إذا تساوا في العلم.

وإلا ففي حديث أبي مسعود البدي - رضي الله عنه -: «يُؤْمُ الْقَوْمُ أَقْرَاهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا

فِي السُّنَّةِ سَوَاءٌ، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سَلَامًا، وَلَا يُؤْمِنَنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»^(١) أخرجه مسلم.

قوله: «وفيه الأمر بأداء الصلوات الخمس في جماعة»:

والجماعة واجبة على الصحيح من أقوال أهل العلم، وبالغ الظاهرية فأبطلوا صلاة من لم يصل جماعة.

والصحيح: أنها صحيحة مع الإثم.

والدليل: على صحتها قول النبي -صلى الله عليه وسلم- «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةُ»^(٢) متفق عليه عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

فدل على أن الصلاة في البيت والسوق مقبولة إلا أن صاحبها يفقد أجورًا عظيمة.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٦٧٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٤٩).

ومما يدل على وجوبها: قول النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِحَطَبٍ، فَيَحْطَبَ، ثُمَّ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُؤَمِّمُ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ، أَنَّهُ يَجِدُ عَرَقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ، لَشَهِدَ الْعِشَاءَ» ^(١) متفق عليه.

وقال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ - صلى الله عليه وسلم - سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنْكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحَسِّنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحْطُ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهْدَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ» ^(٢) أخرجه مسلم.

لهذا دليل على اهتمام الصحابة - رضي الله عنهم - بها.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٥١).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٦٥٤).

وأنها من الواجبات، ولو لم تكن من الواجبات لما وصف المتخلف عنها بالنفاق.

كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا» ^(١) متفق عليه عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

وقد قال الله -عز وجل-: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]،

وقال -عز وجل-: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقد صلى النبي -صلى الله عليه وسلم- الجماعة في السفر والخوف وهذا مما يدل على علو شأنها والله أعلم.



(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٥١).

الفقرة الثامنة والستون: من سمع النداء يقول مثل ما قال المؤذن

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثامنة والستون: من سمع النداء يقول مثل ما قال المؤذن.

٦٨- من سمع النداء يقول مثل ما قال المؤذن.

والدليل: حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ النَّدَاءَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ»^(١) متفق عليه.

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان استحباب متابعة المؤذن ويقول كما يقول سواء، إلا أنه يقول في الحيعلتين: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

كما جاء في مسلم عن عمر - رضي الله عنه -: «من قال حين يسمع الأذان: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن محمدا رسول الله، قال: أشهد أن محمدا رسول الله، قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: الله أكبر الله أكبر،

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦١١)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٨٣).

قال: الله أكبر الله أكبر، قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة»^(١).

وفي حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَزْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٢) أخرجه مسلم.

وفي البخاري: عن جابر -رضي الله عنه- قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣) أخرجه البخاري.

وفي فضيلة المؤذنين وأنهم أطول الناس أعناقاً: متفق عليه، من حديث معاوية -رضي الله عنه-.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٨٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٨٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦١٤).

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا أذن للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط» (١) متفق عليه.

والأذان من شعائر المسلمين الظاهرة، وسمي بالأذان مشتقا من الإعلام.

❦ وكان مبدئه: ما أخرجه أبو داود عن عبد الله بن زيد - رضي الله عنه -: اهتمَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - للصَّلاة كيف يَجْمَعُ النَّاسَ لها، فْقِيلَ لَهُ: انْصَبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلاةِ فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ، قَالَ: فَذُكِرَ لَهُ الْقُنْعُ - يَعْنِي الشُّبُورَ وَقَالَ زِيَادٌ: شُبُورُ الْيَهُودِ - فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: «هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ» قَالَ: فَذُكِرَ لَهُ النَّاقُوسُ، فَقَالَ: «هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى» فَانْصَرَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ بِنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَهُوَ مُهْتَمٌّ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، فَأَرَى الْأَذَانَ فِي مَنَامِهِ، قَالَ: فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَبَيِّنٌ نَائِمٌ وَيَقْظَانِ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الْأَذَانَ، قَالَ: وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - قَدْ رَأَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَكَتَمَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا، قَالَ: ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم -، فَقَالَ لَهُ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي؟»، فَقَالَ: سَبَقَنِي عَبْدُ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٨٩).

الله بن زَيْدٍ، فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «يَا بِلَالُ، قُمْ فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، فَافْعَلْهُ» قَالَ: فَأَذَّنَ بِإِلَالٍ^(١).

وقد جمع الأذان: بين التوحيد والدعوة إلى الخير، وتعظيم الله - عز وجل - وكله ذكر الله - عز وجل -.

قوله: «والدليل: حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا سمعتم النداء أي الأذان فقولوا مثل ما يقول المؤذن»:

والقاعدة: أن أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- للوجوب، إلا أنه هنا للاستحباب.

فقد سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- مؤذناً يقول: «الله أكبر الله أكبر قال على الفطرة قال أشهد أن لا إله إلا الله قال خرجت من النار»، أخرجه مسلم عن أنس -رضي الله عنه-.

وهذا صارف الأمر من الوجوب إلى الاستحباب، والله أعلم.



(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٨)، من حديث أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار رضي الله عنهم، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٥١٤)، وقال فيه: هذا حديث حسن. وأخرجه أبو داود برقم (٤٩٩)، من حديث عبد الله بن زيد بن عبد ربه رضي الله عنه، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في المشكاة برقم (٦٥٠).

[الفقرة التاسعة والستون: إذا قمت إلى الصلاة فاستقبل القبلة]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة التاسعة والستون: إذا قمت إلى الصلاة، فاستقبل القبلة.

٦٩- إذا قمت إلى الصلاة، فاستقبل القبلة.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿فَلَنُؤَلِّبَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان شرطية استقبال القبلة، وهذه الفقرة وما بعدها شروعٌ من الشيخ حفظه الله في وصف صلاة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

والدليل: على استقبال القبلة قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، أي جهته.

ومن السنة: قول النبي -صلى الله عليه وسلم- «إذا قمت إلى الصلاة فاستقبل القبلة ثم كبر وقل...»^(١) الحديث، متفق عليه.

وقد كان مبدأ الأمر ما جاء في الصحيحين: عن البراء بن عازب -رضي الله عنه-: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٦٦٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٩٧).

عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى، أَوْ صَلَّاهَا، صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ^(١) فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ رَجُلًا قُتِلُوا، لَمْ نَذِرْ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَثَرَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

واستقبال القبلة من شروط الصلاة، وهذا محل إجماع بين المسلمين، ولا يسقط استقبالها إلا إذا كان الرجل يصلي النافلة سفراً، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان «يصلي على راحلته حيث توجهت به»^(٣) متفق عليه عن ابن عمر - رضي الله عنه -.

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ فَأَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى رَاحِلَتِهِ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَكَبَّرَ ثُمَّ صَلَّى حَيْثُ وَجَّهَتْ بِهِ»^(٤) أخرجه أبو داود، وهو في الصحيح المسند.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٢٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٠٠٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٠٠).

(٣) الحديث بهذا اللفظ لم أجده في سنن أبي داود، ولا في الصحيح المسند، جاء في سنن أبي داود رحمه الله تعالى (١٢٢٥)، بلفظ: أنس بن مالك، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا سَافَرَ فَأَرَادَ أَنْ يَتَطَوَّعَ اسْتَقْبَلَ بِرَاحِلَتِهِ الْقِبْلَةَ فَكَبَّرَ، ثُمَّ صَلَّى حَيْثُ وَجَّهَهُ رُكْبَتُهُ». وحسنه الإمام الألباني رحمه الله

وفي الصحيحين: من حديث ابن عمر أنه النبي -صلى الله عليه وسلم-:
«كان يصلي حيث توجهت به راحلته».

وجاء من حديث أنس وعبدالله بن ربيعة وجابر بن عبدالله -رضوان
الله عليهم- الصلاة على الراحلة حيث توجهت به.

وفي حديث جابر -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- في
الفريضة كان ينزل ويستقبل القبلة متفق عليه.

ولما خرج النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من الكعبة صلى ركعتين
بجانب الكعبة وقال هذه القبلة» أخرجه الشيخان عن ابن عباس -رضي
الله عنه-.

ويجب على المكلف أن يستقبل عين الكعبة: إذا كان يراها أو يتمكن من
معرفة عينها.

أما إذا كان لا يراها فيجزئه استقبال الجهة؛ لقول الله -عز وجل-:
﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]، أي جهته.

وقال -عز وجل-: ﴿فَلَنُؤَلِّبَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ أي جهة ترضاها.

وفي قوله -عز وجل-: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، أي الجهة التي يقبل الله -عز وجل- فيها الصلاة.

وقيل: الوجه صفة لله -عز وجل- لما جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ -عز وجل- قَبْلَ وَجْهِ أَحَدِكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلَا يَتَخَمَّنْ أَحَدٌ قَبْلَ وَجْهِهِ فِي صَلَاتِهِ» عن ابن عمر -رضي الله عنه- متفق عليه.

قوله: «والدليل: قول الله تعالى-: ﴿فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾:

هذه مئة من الله -عز وجل- على نبيه إذ أنه كان يقبل وجهه في السماء يرجوا من الله -عز وجل- أن يحول قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة. حتى استجاب الله عز وجل دعوته وحقق رغبته.

ولما حولت القبلة ضج السفهاء، فقال الله -عز وجل- عنهم: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]. وكان السفهاء ثلاثة أصناف:

١- المنافقون: قالوا هذا رجل يتشكك في دينه.

٢- اليهود قالوا هذا رجل غير قبلته عن قبلة الأنبياء وهو على غير طريقهم.

٣- الكفار قالوا هذا رجل رجع إلى قبلتنا ويوشك أن يرجع إلى ديننا.

قوله: «قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ»: أي جهة الكعبة لأن المسجد الحرام يطلق تارة ويراد به الحرم كله ويطلق تارة ويراد به الكعبة ويطلق تارة ويراد به المسجد الذي يصلى فيه.

وبسبب هذا الاختلاف: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الصلاة في جميع الحرم تضاعف إلى مائة ألف صلاة.

واستدلوا بقول الله - عز وجل -: ﴿وَأَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وبقول الله - عز وجل -: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾، والمراد به الحرم. قوله: «وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»: حيث ما كنتم من بلاد الله - عز وجل - فاجتهدوا في أن تولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام وهذه منّة من الله - عز وجل - أن جعل لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - هذه القبلة لتمييزوا عن اليهود والنصارى ومن اليهم من المشركين والمنددين. ومن صلى إلى غير القبلة مجتهداً ثم تبين له أنه صلى إلى غير جهتها صحت صلاته، ولا تلزمه الإعادة.

والدليل: على ذلك حديث ابن عمر - رضي الله عنه -: «قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه -

وسلم - قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةُ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبَلُوهَا وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ ^(١) متفق عليه.

وعن أنس - **رضي الله عنه** - في صحيح مسلم: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ»، فَنَزَلَتْ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]. فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ ^(٢) فلم يعيدوا ما فاتهم، فدل على صحة الصلاة.

تنبيه: حديث أبي هريرة -**رضي الله عنه**-: «بين المشرق والمغرب قبله» ^(٣) أخرجه الترمذي، وهذا مختص بأهل المدينة وأهل اليمن ومن ساماهم. أي بمن كان كانت قبلتهم إلى الشمال، أو إلى الجنوب، والله الموفق.



(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٠٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٢٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٢٧).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٤٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي.

الفقرة السبعون: رفع اليدين في الصلاة في أربعة مواضع

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السبعون: رفع اليدين في الصلاة في أربعة مواضع.

٧٠- رفع اليدين في الصلاة في أربعة مواضع.

والدليل: حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - : «كَانَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ كَبَّرَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَفَعَ يَدَيْهِ، (وَإِذَا قَامَ مِنَ الرَّكَعَتَيْنِ رَفَعَ يَدَيْهِ)، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُ ذَلِكَ»، متفق عليه.

«والرفع إذا قام من الركعتين» انفرد به البخاري.

الشرح:

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لذكر أول ما يقوم به المصلي مع تكبيرة الإحرام، وليبيان سنة رفع اليدين الدال على الخضوع لله - عز وجل -.

وهو علامة على الذل والانكسار بين يدي الله - عز وجل -:

وقال بعض أهل العلم أنه علامة على اطراح الدنيا خلف الظهر.

ويرفع المصلي يديه إلى حذو منكبيه، وفي رواية: «إلى فروع أذنيه»،

والجمع بينهما أن أعلى الأصابع يكون إلى فروع الأذنين، وأسفلها يكون

إلى حذو المنكبين.

﴿ويرفعها مدا﴾: أي مبسوطتان متجهتان إلى القبلة.

ففي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «ثَلَاثٌ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِهِنَّ، قَدْ تَرَكَهِنَّ النَّاسُ: "كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ مَدًّا إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ، وَيُكَبِّرُ كُلَّمَا رَكَعَ وَرَفَعَ، وَالسُّكُوتُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ يَسْأَلُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ"، قَالَ يَزِيدُ: "يَدْعُو وَيَسْأَلُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ" ^(١) أخرجه أحمد.

﴿وقد كان أبو حنيفة -رحمه الله-: يرى الرفع في تكبيرة الإحرام ولا يرى الرفع في غيرها، وقد صلى بجانبه عبدالله بن المبارك فكان يرفع فيما ثبت فيه الدليل.

فلما انتهى قال أبو حنيفة: رأيتك ترفع كأنك تريد أن تطير. قال: وأنا رأيتك رفعت حين دخلت في الصلاة هل طرت؟ كالمنكر عليه".

قوله: «رفع اليدين في الصلاة في أربعة مواضع»: لأن بعض أهل العلم ذهب إلى أن الرفع في كل خفضٍ ورفع، والصحيح ما تقدم. والدليل: حديث عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- أي عند الشيخين إلا ذكر الرابعة، وهي الرفع حين القيام من الركعة الثانية إلى الثالثة، فانفرد بها البخاري.

(٢) أخرجه الإمام النسائي في سننه (٨٨٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح النسائي.

وقد جاء الرفع في الصحيحين: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا كَبَّرَ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَازِي بِهِمَا أُذُنَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَازِي بِهِمَا أُذُنَيْهِ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ» فَقَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ».

قوله: «كان»: كان تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: «دخل في الصلاة»: أي الفريضة والنافلة.

«كبر ورفع يديه حذو منكبيه»: أي إلى جهة المنكبين.

«وإذا ركع رفع يديه»: أي قبل الركوع وليس معنى ذلك أنه يرفعهما بعد أن يطمئن راکعاً.

«وإذا قال سمع الله لمن حمده رفع يديه»: أي وهو قائم من الركوع.

«وإذا قام من الركعتين رفع يديه»: بعد أن ينتصب قائماً.

«وكان ابن عمر يفعل ذلك»: أي اقتداءً بالنبي - صلى الله عليه وسلم -

لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وابن

عمر - رضي الله عنهما - من أحرص الناس على متابعة رسول الله - صلى الله

عليه وسلم -.

قوله: «والرفع إذا قام من الركعتين»: انفرد به البخاري وقد تكلم عليها

بعض أهل العلم.

قال الحافظ في الفتح (٢/ ٢٢٢):

(قَوْلُهُ بَابُ رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِذَا قَامَ مِنَ الرَّكَعَتَيْنِ): أَيُّ بَعْدَ التَّشَهُّدِ فَيَخْرُجُ مَا إِذَا تَرَكَهُ وَنَهَضَ قَائِمًا مِنَ السُّجُودِ لِعُمُومِ قَوْلِهِ فِي الرَّوَايَةِ الَّتِي قَبْلَهُ وَلَا حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ.

وَيُحْتَمَلُ: حَمْلُ النَّفْيِ هُنَاكَ عَلَى حَالَةِ رَفْعِ الرَّأْسِ مِنَ السُّجُودِ لَا عَلَى مَا بَعْدَ ذَلِكَ حِينَ يَسْتَوِي قَائِمًا.

وَأَبْعَدُ مِنْ اسْتِدْلَالِ بِقَوْلِ سَالِمٍ فِي رِوَايَتِهِ وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي السُّجُودِ عَلَى مُوَافَقَةِ رِوَايَةٍ نَافِعٍ فِي حَدِيثِ هَذَا الْبَابِ.

حَيْثُ قَالَ: «وَإِذَا قَامَ مِنَ الرَّكَعَتَيْنِ»، لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ لَمْ يَنْفِهِ أَنَّهُ أَثَبَّتَهُ، بَلْ هُوَ سَاكِتٌ عَنْهُ.

وَأَبْعَدُ أَيْضًا: مَنْ اسْتَدَلَّ بِرِوَايَةِ سَالِمٍ عَلَى ضَعْفِ رِوَايَةِ نَافِعٍ.

وَالْحَقُّ أَنَّهُ: لَيْسَ بَيْنَ رِوَايَتَيْ نَافِعٍ وَسَالِمٍ تَعَارُضٌ، بَلْ فِي رِوَايَةِ نَافِعٍ زِيَادَةٌ لَمْ يَنْفِهَا سَالِمٌ، وَسَتَاتِي الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ سَالِمًا أَثَبَّتَهَا مِنْ وَجْهِ آخَرَ.

قَوْلُهُ حَدَّثَنَا عِيَّاشُ هُوَ بِالْمُثَنَّاةِ التَّحْتَانِيَّةِ وَبِالْمَعْجَمَةِ وَهُوَ بْنُ الْوَلِيدِ الرِّقَامِ وَعَبْدُ الْأَعْلَى هُوَ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى وَعَبِيدُ اللَّهِ هُوَ بْنُ عَمْرِ بْنِ حَفْصٍ قَوْلُهُ وَرَفَعَ ذَلِكَ بْنُ عُمَرَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَوَاهُ الثَّقَفِيُّ يَعْنِي عَبْدَ الْوَهَّابِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ

فَلَمْ يَرْفَعْهُ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَكَذَا رَوَاهُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَمَالِكٌ
يَعْنِي عَنْ نَافِعٍ مَوْقُوفًا وَحَكَى الدَّارَقُطْنِيُّ فِي الْعِلَالِ الْإِخْتِلَافَ فِي وَقْفِهِ
وَرَفْعِهِ وَقَالَ الْأَشْبَهُ بِالصَّوَابِ قَوْلُ عَبْدِ الْأَعْلَى وَحَكَى الْإِسْمَاعِيلِيُّ عَنْ
بَعْضِ مَشَائِخِهِ أَنَّهُ أَوْمَأَ إِلَى أَنَّ عَبْدَ الْأَعْلَى أَخْطَأَ فِي رَفْعِهِ قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ
وَخَالَفَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ وَعَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ وَالْمُعْتَمِرُ يَعْنِي عَنْ عُبيدِ
اللَّهِ فَرَوَاهُ مَوْقُوفًا عَنْ ابْنِ عُمَرَ قُلْتُ وَقَفَهُ مُعْتَمِرٌ وَعَبْدُ الْوَهَّابِ عَنْ عُبيدِ اللَّهِ
عَنْ نَافِعٍ كَمَا قَالَ لَكِنْ رَفَعَاهُ عَنْ عُبيدِ اللَّهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ
أَخْرَجَهُمَا الْبُخَارِيُّ فِي جُزْءٍ رَفَعَ الْيَدَيْنِ وَفِيهِ الزِّيَادَةُ وَقَدْ تَوْبَعَ نَافِعٌ عَلَى ذَلِكَ
عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَهُوَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْجُزْءِ الْمَذْكُورِ مِنْ
طَرِيقِ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا
قَامَ فِي الرُّكْعَتَيْنِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَلَهُ شَوَاهِدُ مِنْهَا حَدِيثُ أَبِي هُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ
وَحَدِيثُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخْرَجَهُمَا أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُمَا ابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ
حِبَّانَ وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي الْجُزْءِ الْمَذْكُورِ مَا زَادَهُ ابْنُ عُمَرَ وَعَلِيُّ وَأَبُو هُمَيْدٍ فِي
عَشْرَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الرَّفْعِ عِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ الرُّكْعَتَيْنِ صَحِيحٌ لِأَنَّهُمْ لَمْ
يُحْكُوا صَلَاةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا فِيهَا وَإِنَّمَا زَادَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالزِّيَادَةُ
مَقْبُولَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ هَذِهِ زِيَادَةٌ يَجِبُ قَبُولُهَا لِمَنْ يَقُولُ
بِالرَّفْعِ. اهـ



الفقرة الواحدة والسبعون: وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى في الصلاة

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الواحدة والسبعون: وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى في الصلاة.

٧١- وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى في الصلاة.

والدليل: حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ الْيَدَ الْيُمْنَى عَلَى الْيَدِ الْيُسْرَى فِي الصَّلَاةِ، وَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-».

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان سنية الضم أي وضع اليمين على اليسرى في الصلاة.

وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى استحبابه، وقال بعض أهل العلم بوجوبه، وخالف في هذا جمهور المالكية ولا حجة لهم قائمة.

قال ابن عبد البر في الاستذكار (٢/ ٢٩١):

وَأَمَّا أَقَاوِيلُ الْفُقَهَاءِ فِي هَذَا الْبَابِ: فَذَهَبَ مَالِكٌ فِي رَوَايَةِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْهُ إِلَى إِرْسَالِ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ.

قال بن القاسم: قَالَ مَالِكٌ فِي وَضْعِ الْيَدَيْنِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فِي الصَّلَاةِ: إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي النَّوَافِلِ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، قَالَ: وَتَرَكُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ. وَقَالَ اللَّيْثُ: سَدَّلَ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ أَحَبُّ إِلَيَّ إِلَّا أَنْ يَطُولَ الْقِيَامُ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَضَعَ الْيُمْنَى عَلَى الْبُسْرَى.

وروى بن نافع وعبدُ الملك ومُطَرِّفٌ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: تُوضَعُ الْيُمْنَى عَلَى الْبُسْرَى فِي الصَّلَاةِ فِي الْفَرِيضَةِ وَالنَّافِلَةِ قَالَ لَا بَأْسَ بِذَلِكَ. **قَالَ أَبُو عُمَرَ:** هُوَ قَوْلُ الْمَدَنِيِّينَ مِنْ أَصْحَابِهِ. **وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ:** مَا شَاءَ فَعَلَ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ. **وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ:** رَأَيْتُ بَنَ جُرَيْجٍ يُصَلِّي فِي إِزَارٍ وَقَمِيصٍ وَيَمِينُهُ عَلَى شِمَالِهِ.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُمُ وَالْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ وَأَبُو ثَوْرٍ وَأَبُو عُبَيْدٍ وَدَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ وَالطَّبْرِيُّ يَضَعُ الْمُصَلِّي يَدَهُ عَلَى شِمَالِهِ فِي الْفَرِيضَةِ وَالنَّافِلَةِ. وَهُوَ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ حَسَنٌ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ. **اهـ**

هـ وقد ذكر الإمام مالك - رحمه الله - في الموطأ: ما يدل على ضم اليدين، وإنما أرسل - رحمه الله - بعد أن ضربه المنصور، حتى لم يستطع بعد

أن يرفع يده، فتأسى به أصحابه، وتركوا التأسي بالنبي -صلى الله عليه وسلم-.

ويرسل الزيدية والرافضة والإباضية، ولا عبرة بخلافهم.

والمنهي عنه وضع اليدين على الخاصرة:

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- «أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- نَهَى أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ مُخْتَصِرًا» ^(١) أخرجه النسائي.

وعن عائشة رضي الله عنها: "أنه فعل اليهود".

وأما وضع اليدين على الصدر: فلا يثبت، وقد أعله ابن خزيمة وغيره.

فعلى المصلي أن يضع يديه على المستوى الذي لا تكلف فيه.

وللضم ثلاث هيئات فيجوز أن يضع الكف على ظهر الكف، أو أن يضع الكف على الرسغ أو أن يضع الكف على الساعد.

وأما قبض المرفق فلا دليل عليه، بل هو من التكلف.

واقبح ما زعمته الرافضة ومن إليهم من أصحاب التشيع: أن النبي -

صلى الله عليه وسلم- كان يضم ثم، إن الصحابة -رضوان الله عليهم-

كانوا يحملون أصنامهم على ما هم عليه في زمن الإشراك، فأرسل النبي -

صلى الله عليه وسلم- يديه فسقطت الأصنام.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٢٢٠).

هذا قولٌ قبيح وسقيم وكذب وطعن: في صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - رضي الله عنهم أجمعين -.

فبمجرد قول أحدهم: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، تحصل البراءة من الشرك جملة وتفصيلاً.

وأما القول بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - ضم وأرسل فهذا من الكذب.

بيان حكم الضم بعد القيام من الركوع:

اختلف العلماء في هذه المسألة:

فروى عن الإمام أحمد التخيير في الأمرين، وهذا قول شيخنا الوادعي - رحمه الله تعالى - كما سمعته منه.

وذهب الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - في حاشية كتابه: "صفة صلاة

النبي - صلى الله عليه وسلم -" ص (١٤٥) من الطبعة السادسة ما نصه:

"ولست أشك في أن وضع اليدين على الصدر في هذا القيام [يعني بذلك القيام بعد الركوع] بدعة ضلالة؛ لأنه لم يرد مطلقاً في شيء من أحاديث الصلاة، وما أكثرها، ولو كان له أصل لنقل إلينا، ولو عن طريق واحد، ويؤيده أن أحداً من السلف لم يفعله، ولا ذكره أحد من أئمة الحديث فيما أعلم"، اهـ

وقد بسط القول في المسألة مرجحاً للضم بعد الركوع العلامة ابن باز

، فقال في كتابه: "ثلاث رسائل في الصلاة ص(٢٠) وما بعدها":

قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه: "باب وضع اليمنى

على اليسرى".

قال: حدثنا عبدالله بن مسلمة عن مالك عن أبي حازم، عن سهل بن

سعد قال: «كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه

اليسرى في الصلاة»، **قال أبو حازم:** لا أعلمه إلا ينمي ذلك إلى النبي -صلى

الله عليه وسلم-، اه المقصود.

ووجه الدلالة من هذا الحديث الصحيح: على شرعية وضع اليمين على

الشمال حال قيام المصلي في الصلاة، قبل الركوع وبعده. اهـ

والذي يظهر - والله أعلم - عدم صراحة الأدلة في سنية القبض بعد

الركوع، والله أعلم.

وكذا القول بالبدعية بعيد مع وجود العمومات التي استدلت بها المشتون.

ثم إن الصحابة -**رضي الله عنه**- قد نقلوا لنا كل ما يتعلق بصفة صلاة

النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ولو كان قد ضم في هذا الموطن لنقل، والله أعلم.

زد على ذلك اختلاف الأمة في ذكر الحمد بعد الرفع من الركوع، فقد لا يتأتى وقت للضم، والله أعلم.

قوله: «وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى»: أي إذا وضع اليد اليسرى على اليد اليمنى أساء فاليمنى هي العليا وقوله (في الصلاة) مقيد بحال القيام وليس في حال السجود أو الركوع أو الجلوس بين السجدين.

قوله: «والدليل»: حديث سهل بن سعد -رضي الله عنهما-: أبو العباس الساعدي.

قوله: «كان الناس يؤمرون»: وقول الصحابي كانوا يؤمرون من قسم المرفوع، إذ أن الأمر لهم هو النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قوله: «أن يضع الرجل اليد اليمنى على اليد اليسرى»: أي في الصلاة وهكذا الأنتى وإنما خرج ذكر الرجل مخرج الغالب.

ورفع ذلك إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أي ذكره مرفوعاً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وما أضيف إلى لنبي المرفوع *** وما لتابع هو المقطوع

وبهذا انتفى القول بوقف الحديث، والله أعلم.



❦ وأصح حديث في الاستفتاح: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الذي ذكره المصنف، لأنه من المتفق عليه.

وجاء في صفة دعاء استفتاح الصلاة: حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عند مسلم: قال كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا قامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفُ عَنِّي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَخُحِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي»، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»، ثُمَّ يَكُونُ

مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشْهِيدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» ^(١).

وحديث ابن عباس -رضي الله عنه- في صلاة الليل قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: " اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ - " قَالَ سُفْيَانُ: وَزَادَ عَبْدُ الْكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ^(٢) متفق عليه.

وحديث عائشة -رضي الله عنها- أخرجها مسلم: «أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ،

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٢٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٦٩).

وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،
أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ
بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(١).

وأعله أبو الفضل الشهيد لأنه من رواية عكرمة بن عمار عن يحيى بن
أبي كثير، وقد ضعفها علي بن المديني وغيره.

وحديث ابنِ عُمَرَ -رضي الله عنه-، قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«مِنَ الْقَائِلِ كَلِمَةً كَذَا وَكَذَا؟» قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:
«عَجِبْتُ لَهَا، فَتَحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «فَمَا تَرَكَتُهُنَّ مُنْذُ
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ ذَلِكَ»^(٢) أخرجه مسلم.

وأقره النبي -صلى الله عليه وسلم- على ذلك.

ومن أراد الاستيعاب في هذا عليه أن يرجع إلى كتاب زاد المعاد في هدي
خير العباد لابن القيم رحمه الله.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٦٠١).

الشاهد: أنه إذا جاء المصلي بأي واحد من هذه الأذكار أجزئه سواء ما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قيام الليل، أو ما ثبت في الصلاة المفروضة.

قوله: «أصح»: معناه أن في الأحاديث صحيحا غيره.

قوله: «دعاء في الاستفتاح»: خرج به أدعية غير الاستفتاح، ويكون دعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام رد على من يرى أن دعاء الاستفتاح يكون قبل تكبيرة الإحرام وهذا مشهور عن الزيدية ومن إليهم.

قوله: «ما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا كبر في الصلاة سكت هنيهة قبل القراءة»: أي سكت فترة وجيزة وكان للدوام والاستمرار، والمراد بالسكون هنا عدم الجهر لا عدم الكلام.

قوله: «فسئل عما يقول»: أي سأله أبو هريرة - رضي الله عنه -.

قوله: «قال أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب»: وهذا دعاء عظيم فإن الخطايا إذا أحاطت بالإنسان أضعفت إيمانه فإذا كانت الخطيئة خطيئة الشرك فإنها تذهب الإيمان بالكلية.

قال الله - عز وجل -: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

﴿فَالْإِنْسَانُ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَبَاعِدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَطَايَاهُ كَمَا بَاعَدَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَلَا عَاصِمَ مِنْهَا إِلَّا اللَّهُ.﴾

قوله: «اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس»: فإن قدر أنه قد وقع في الخطأ والزلل فیدعوا بالنقاء، كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس.

قال -صلى الله عليه وسلم- في ما يرويه عن ربه -عز وجل-: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ولا يغفر الذنوب إلا أنا فاستغفروني أغفر لكم» أخرجه مسلم عن أبي ذر -رضي الله عنه-.

وذكر الثوب الأبيض؛ لأن الثوب الأبيض إذا غُسل ونقي من الدنس صار ناصعاً وجديداً، بخلاف بقية الأثواب فإنه تبقى ألوانها فيها.

قوله: «اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد»: حتى تزول الخطايا بالكلية.

قال الحافظ في الفتح (٢/ ٢٣٠):

قَوْلُهُ: «بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرْدِ»: قَالَ الْخَطَّابِيُّ: ذَكَرَ الثَّلْجَ وَالبَرْدَ تَأْكِيداً أَوْ لِأَنَّهُمَا مَا آتَى لَمْ تَمْسَهُمَا الْأَيْدِي وَلَمْ يَمْتَسَّهُمَا الْإِسْتِعْمَالُ.

وَقَالَ بَن دَقِيقِ الْعِيدِ: عَبَّرَ بِذَلِكَ عَنْ غَايَةِ الْمُحَوِّ فَإِنَّ الثَّوْبَ الَّذِي يَتَكَرَّرُ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ مُنْقِيَّةٌ يَكُونُ فِي غَايَةِ النَّقَاءِ.

قَالَ وَيُحْتَمَلُ: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَجَازٌ عَنْ صِفَةٍ يَقَعُ بِهَا الْمُحْوُ.

وَكَانَتْهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾.

وَأَشَارَ الطَّبْيِيُّ إِلَى هَذَا بَحْثًا فَقَالَ: يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْمُطْلُوبُ مِنْ ذِكْرِ الثَّلْجِ وَالْبَرْدِ بَعْدَ الْمَاءِ شُمُولَ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ بَعْدَ الْعَفْوِ لِإِطْفَاءِ حَرَارَةِ عَذَابِ النَّارِ الَّتِي هِيَ فِي غَايَةِ الْحَرَارَةِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: "بَرَّدَ اللَّهُ مَضْجَعَهُ" أَيِ رَحِمِهِ وَوَقَاهُ عَذَابَ النَّارِ. اهـ

وَيُؤَيِّدُهُ وَرُودُ وَصْفِ الْمَاءِ بِالْبُرُودَةِ: فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى عِنْدَ مُسْلِمٍ، وَكَانَتْهُ جَعَلَ الْخَطَايَا بِمَنْزِلَةِ جَهَنَّمَ، لِكُونِهَا مُسَبِّبَةً عَنْهَا فَعَبَّرَ عَنْ إِطْفَاءِ حَرَارَتِهَا بِالْغَسْلِ، وَبَالَغَ فِيهِ بِاسْتِعْمَالِ الْمُبَرِّدَاتِ تَرْقِيًا عَنِ الْمَاءِ إِلَى أَبْرَدٍ مِنْهُ.

وَقَالَ التَّوْرِبَشْتِيُّ: خَصَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا مُنَزَّلَةٌ مِنَ السَّمَاءِ.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِي الدَّعَوَاتِ الثَّلَاثِ إِشَارَةٌ إِلَى الْأَزْمَنَةِ

الثَّلَاثَةِ، فَاَلْمُبَاعَدَةُ لِلْمُسْتَقْبَلِ، وَالتَّنْقِيَةُ لِلْحَالِ وَالْغَسْلُ لِلْمَاضِي. اهـ





الفقرة الثالثة والسبعون: قبل قراءة الفاتحة استعذ بالله...، وسم الله، سرًا

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثالثة والسبعون: قبل قراءة الفاتحة استعذ بالله من الشيطان الرجيم، وسم الله سرًا.

٧٣- قبل قراءة الفاتحة استعذ بالله من الشيطان الرجيم، وسم الله سرًا، والدليل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

وَعَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- «أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- كَانُوا يَفْتَتِحُونَ الصَّلَاةَ بِ «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَفِي لَفْظٍ: لَا يَجْهَرُونَ بِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».
أخرجه أحمد (١٧٩/٣)، والنسائي (١٣٥/٢) بسند صحيح.

الشرح:

ساق المصنف هذه الفقرة لبيان ما يفعله المصلي بعد الاستفتاح، كالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم وهل الأمر للوجوب أو للاستحباب ذهب بعضهم إلى أنه واجب لأمر الله به وذهب الجمهور إلى الاستحباب وهو الأظهر.



قوله: «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»: لأنه لا عاصم من الشيطان إلا الله - عز وجل - قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

وهو سمي الشيطان بذلك؛ لأنه شط وخرج عن الطاعة والرجيم لأنه ملعونٌ مرجوم.

وشرعت الاستعاذة في هذا الموطن لصرف الشيطان عن أذية الإنسان في صلاته.

والدليل على مشروعية قراءة الاستعاذة في الصلاة:

- قوله تعالى:- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

ويكفي في قراءتها ظاهر القرآن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وذهب جمهور أهل العلم إلى أنه يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه على ما جاء عن أبي سعيد -رضي الله عنه- ولا يثبت، وإن استعاذ به فلا ينكر عليه.

قوله: «وسم الله سرا»: أي تكون التسمية سرا هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ وما جاء عن أبي هريرة أنه صلى ثم جهر بالتسمية فلا يثبت إذ أنه من

رواية نعيم المجرم وقد شذ بها خالف ثمانمائة راوي من أصحاب أبي هريرة - رضي الله عنه -، ذكر ذلك الزيلعي في نصب الراية.

والدليل: على الإسراء بها: حديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو إمام المسلمين في عهده، وإمامهم في الصلاة وقد أمرنا أن نتأسى به - صلى الله عليه وسلم -.

وأبو بكر - رضي الله عنه - خليفة من بعده وكان يصلي بالناس ويسر. وعمر - رضي الله عنه - الخليفة الثاني كان يسر.

وجاء في بعضها وعثمان لتأكيد الإسرار عند الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين - رضوان الله عليهم - فكانوا يفتتحون الصلاة بـ (الحمد لله رب العالمين).

وفي مسلم: من طريق أبي الجوزاء عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يفتتح صلاته بالحمد لله رب العالمين»^(١) أي بالفاتحة، ولم تذكر بسم الله الرحمن الرحيم.

وفي لفظ: «فكانوا لا يجهرون بـ» بسم الله الرحمن الرحيم«، وهذا كالمؤكد.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٩٨).



قوله: «أخرجه أحمد والنسائي بسند صحيح»: وهو في الصحيح بمعنى

هذا اللفظ.

قال الترمذي (٢٤٤): عَنْ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ أَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ لِي: "أَيُّ بَنِي مُحَمَّدٍ إِيَّاكَ وَالْحَدَّثَ".

قَالَ: وَلَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَبْغَضَ إِلَيْهِ الْحَدَّثَ فِي الْإِسْلَامِ يَعْنِي مِنْهُ.

قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَ عُمَرَ وَمَعَ عُثْمَانَ فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقُولُهَا، فَلَا تَقُلْهَا إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَقُلْ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ".

قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْهُمْ:

أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَغَيْرُهُمْ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ. وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ لَا يَرَوْنَ أَنْ يَجْهَرَ بِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالُوا: وَيَقُولُهَا فِي نَفْسِهِ. اهـ

﴿وإن جهر المصلي بها لا تبطل صلاته﴾، ولا يصل الجهر بها إلى حد البدعة، لكنه أساء إذ خالف هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه المسألة.

قال الشوكاني في النيل (٢ / ٢٣٧):

وَأَكْثَرُ مَا فِي الْمَقَامِ الْإِخْتِلَافُ فِي مُسْتَحَبِّ أَوْ مَسْنُونٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَهْرِ وَتَرْكِه يَقْدَحُ فِي الصَّلَاةِ بِبُطْلَانِ بِالْإِجْمَاعِ فَلَا يَهْوُلُنَاكَ تَعْظِيمُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِشَأْنِ هَذِهِ الْمُسْأَلَةِ وَالْخِلَافُ فِيهَا وَلَقَدْ بَالَعَ بَعْضُهُمْ حَتَّى عَدَّهَا مِنْ مَسَائِلِ الْإِعْتِقَادِ. اهـ

﴿وفي المسألة خلاف مشهور:

حتى بين الصحابة - رضوان الله عليهم -

فالشافعية، وكثير من المتقدمين على الجهر.

وقد بسطت المسألة في كتاب: "الانتصار في المسائل الكبار".

وألّف الدارقطني رسالة مرجحًا الجهر، ولما سئل هل ثبت عن النبي -

صلى الله عليه وسلم - شيء في ذلك قال: لا"، والله المستعان.



[الفقرة الرابعة والسبعون: قراءة الفاتحة]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الرابعة والسبعون: قراءة الفاتحة.

٧٤- بعد الاستعاذة والبسملة اقرأ الفاتحة.

والدليل: حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ» متفق عليه.

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة.

وقراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة، لا تصح الصلاة إلا بها على الصحيح من أقوال أهل العلم.

وهي سبع آيات: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ * غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» [الفاتحة ١-٧].

وأما البسملة فليست آية من الفاتحة، على الصحيح، وإنما هي آية من القرآن أنزلها الله - عز وجل - للفصل بين السور.

والدليل على أن البسملة ليست آية من الفاتحة: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في مسلم: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَحْدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ١]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنِي عَلَى عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَحْدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ " (١).

وسميت الفاتحة بهذا الاسم؛ لأنه افتتح بها المصحف الشريف.

﴿ومن أسمائها: الصلاة وفاتحة الكتاب وأم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم، وهي أفضل سورة في القرآن بالنص والنظر.

أما النص: ففي حديث أبي سعيد بن المولى -رضي الله عنه-، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ»، قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٩٥).

الْعَالَيْنِ ﴿ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ ﴾ ^(١) أخرجه البخاري.

﴿وأما النظر: فإن الله - عز وجل - لم يختَر سورة غيرها تُقرأ في كل ركعة.

وهذا دليل على علو منزلتها وشريف فضلها، وقد بُشِر بفضلها **النبي - صلى الله عليه وسلم**.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قَالَ: «بَيَّنَّمَا جَبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُحِ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِّرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ » ^(٢) أخرجه مسلم.

قوله: «والدليل»: أي على ركنيتها.

قوله: « حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -»: أحد النقباء الذين بايعوا رسول الله.

قوله: « لا صلاة»: ذهب بعضهم إلى أنه لا صلاة كاملة أو لا صلاة أتم.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٤٧٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٠٦).

هو الصحيح أنها لا تصح الصلاة مطلقاً لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب.

وقد جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: «لا صلاة إلا بقراءة» ^(١) أخرجه مسلم.

وفي رواية: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَهِيَ خَدَاجٌ» ^(٢) أخرجه مسلم، أي غير تمام.

وبوب البخاري: "بَابُ وَجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخْفَى". اهـ

وهذا في حق المأموم والإمام والمنفرد فتجب قراءتها على الجميع في الصلاة الجهرية والسرية.

هو أما حديث: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» فهو حديث ضعيف، أعله البخاري - رحمه الله - كما في كتابه القراءة خلف الإمام للبخاري (ص: ٨).

وَاحْتِجَّ بَعْضُ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ: لَا يَقْرَأُ خَلْفَ الْإِمَامِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

فَقِيلَ لَهُ: فَيُثْنِي عَلَى اللَّهِ، وَالْإِمَامُ يَقْرَأُ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ لَهُ: فَلِمَ جَعَلْتَ عَلَيْهِ الشَّاءَ وَالشَّاءَ عِنْدَكَ تَطَوُّعٌ تَتِمُّ الصَّلَاةُ بِغَيْرِهِ؟ وَالْقِرَاءَةُ فِي الْأَصْلِ وَاجِبَةٌ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٩٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٩٥).

أَسْقَطَتِ الْوَاجِبَ بِحَالِ الْإِمَامِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَاسْتَمِعُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وَأَمَرَتْهُ أَنْ لَا يَسْتَمِعَ عِنْدَ الشَّاءِ وَلَمْ تُسْقِطْ عَنْهُ الشَّاءُ وَجَعَلَتِ الْفَرِيضَةَ أَهْوَنَ حَالًا مِنَ التَّطَوُّعِ، وَزَعَمَتْ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ وَالْإِمَامُ فِي الْفَجْرِ فَإِنَّهُ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ لَا يَسْتَمِعُ وَلَا يُنْصِتُ لِقِرَاءَةِ الْإِمَامِ وَهَذَا خِلَافُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ» فَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقِرَاءَةُ الْإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ»، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا خَبَرٌ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ وَغَيْرِهِمْ لِإِرْسَالِهِ وَانْقِطَاعِهِ رَوَاهُ ابْنُ شَدَّادٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَذَرِي أَسْمَعَ جَابِرٌ مِنْ أَبِي الزُّبَيْرِ.

وَذَكَرَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنه-، صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَقَرَأَ رَجُلٌ خَلْفَهُ فَقَالَ: «لَا يَقْرَأَنَّ أَحَدُكُمْ وَالْإِمَامُ يَقْرَأُ إِلَّا بِأَمِّ الْقُرْآنِ» فَلَوْ ثُبَّتِ الْخَبْرَانِ كِلَاهُمَا لَكَانَ هَذَا مُسْتَشْنَى مِنَ الْأَوَّلِ لِقَوْلِهِ: «لَا يَقْرَأَنَّ إِلَّا بِأَمِّ الْكِتَابِ» اهـ

وأما ما جاء عن النهي في القراءة خلف الإمام فقد قرن بالإذن بقراءة فاتحة الكتاب، ففي حديث أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه

وسلم:- «لَعَلَّكُمْ تَقْرَوْنَ خَلْفَ إِمَامِكُمْ قُلْنَا: نَعَمْ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لَا تَفْعَلُوا إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا» ^(١) أخرجه الترمذي.

ومن حديث رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - عند أحمد أنه قال: «فلا تقرأوا إلا بفاتحة الكتاب» فاستثنى فاتحة الكتاب مما يُهي عنه. وأما ما يفعله بعض الشيعة: وهو الإتيان بالتسبيح والتحميد والتكبير في الركعتين الآخرين ولا يقرءون الفاتحة مع القدرة، فهذا يبطل صلاتهم وهو مذهب ليس عليه دليل.

وإنما التسبيح والتحميد والتكبير لمن لا يحسن قراءة الفاتحة.

فعن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا فَعَلَّمَنِي مَا يُجْزِئُنِي مِنْهُ، قَالَ: " قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَمَا لِي، قَالَ: " قُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي "، فَلَمَّا قَامَ

(١) أخرجه الإمام رواد أحمد (٥/ ٣٢١ - ٣٢٢)، وأبو داود (٨٢٣)، والترمذي (٣١١)، وابن حبان (١٧٨٥) وقال الترمذي: حديث حسن، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في المشكاة برقم (٨٥٤).

قَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلَأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ» ^(١) أخرجه أبو داود.



(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٥٣ و ٣٥٦)، وأبو داود (٨٣٢)، والنسائي (٢/ ١٤٣)، وابن حبان (١٨٠٨)، والدارقطني (١/ ٣١٣)، والحاكم (١/ ٢٤١)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود.

[الفقرة الخامسة والسبعون: التأمين]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الخامسة والسبعون: التأمين.

٧٥- التأمين.

والدليل: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ»، فَقُولُوا: آمِينَ» متفقٌ عليه.

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَا حَسَدْتُكُمْ الْيَهُودَ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدْتُكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ» أخرجه ابن ماجه وهو حديثٌ حسنٌ.

الشرح:

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان مشروعية التأمين بعد الانتهاء من الفاتحة.

والتأمين: هو قول المصلي آمين.

ولا يصلح أن يقول: آمين؛ لأنها بمعنى قاصدين.

ومعنى آمين: اللهم استجب استجابةً بعد استجابة، ولأنها كانت بعد

دعاءٍ فناسب أن يؤتى بها، والسنة أن يؤتى بها في الصلاة.

ﷺ أما إذا قرأ الفاتحة بغير صلاة، فلا يلزم أن يأتي بها.

والعجيب! أن تجد من يقول بأن آمين ليست في القرآن، فلا يشرع أن يؤتى بها، فكم من الأمور التي نعبد الله - عز وجل - بها ليست في القرآن. لو قلنا: بأننا لا نعبد الله - عز وجل - إلا بالقرآن، لبقى الناس حائرين في العمل بمجملات القرآن.

فإن الله - عز وجل - قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، ويَين لنا النبي - صلى الله عليه وسلم - طريقة الصلاة من واجباتها وأركانها وركعاتها وأوقاتها، وغير ذلك.

وقال الله - عز وجل - ﴿آتُوا الزَّكَاةَ﴾، ويَين لنا النبي - صلى الله عليه وسلم - طريقة إيتاء الزكاة.

وقال الله - عز وجل -: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾، ويَين لنا النبي - صلى الله عليه وسلم - كيف نحج البيت بقوله: «خذوا عني مناسككم» أخرجه مسلم.

إذا فالفرقة القرآنية: ويمثلهم في هذه الأيام الفرقة الحوثية، كفروا بالله - عز وجل -، وبكتابه، وبرسوله - صلى الله عليه وسلم -.

من هذا الوجه: كيف كفروا بالله وهم يقولون: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ لأن الله - عز وجل - أمرهم باتباع القرآن، واتباع السنة، فأبوا.

وكفروا بكتاب الله؛ لأن الله - عز وجل - يقول فيه: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] فأبوا.

وكفروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ إذ لم يأخذوا خبره، وهو ثابت في الصحيحين وغيرهما، بل حتى في مسند زيد الذي يتحلونه وينتسبون إليه، وفيه: التأمين والضم، وفيه: غير ذلك من السنن الثابتة عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وقد تكلم الشافعي - رحمه الله - في كتابه الرسالة، والآجري في الشريعة وغيرهم على الفرقة القرآنية.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محذرًا منهم: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَتَّبِعَنِي شَبَعَانَا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، أَلَا وَلَا لُقْطَةٌ مِنْ مَالٍ مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرَؤَهُمْ فَإِنْ لَمْ يَقْرَؤَهُمْ، فَلَهُمْ أَنْ

يُعَقِّبُوهُمْ بِمِثْلِ قَرَاهُمْ»^(١) أخرجه أحمد عن المقدم بن معدي كرب -رضي الله عنه-.

وقال يحيى بن أبي كثير: «السنة قاضية على القرآن» أخرجه الدارمي في مقدمة سننه.

وقال بعض السلف: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن.
قال الله - عز وجل -: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾
[النحل: ٤٤].

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - هو المبين والموضح، فما أجمل في القرآن بيته السنة، فلم يأت لفظ آمين في القرآن، وجاءت في السنة.

فعن أبي هريرة وعائشة وأبي موسى الأشعري -رضي الله عنهم- وغيرهم، أن رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »^(٢) أخرجه البخاري.

قوله: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ»، فَقُولُوا: آمِينَ»: جاء في بعض الروايات: «إذا أمن الإمام فأمنوا».

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٧١٧٣)، وأبو داود في سننه (٤٦٠٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه

الله تعالى في المشكاة برقم (٢٤)، وفي صحيح سنن أبي داود.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٨٢) واللفظ له، والإمام مسلم في صحيحه (٤١٠) بنحوه.

واستدل بها بعض أهل العلم على أن تأمين المأموم يكون بعد قول الإمام آمين والصحيح خلافه.

والدليل: حديث أبي موسى -رضي الله عنه- عند مسلم: «فإذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين».

ولقول النبي -صلى الله عليه وسلم- «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فَقُولُوا: آمِينَ» متفق عليه.

قوله: «عن عائشة رضي الله عنها، قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين»^(١).

ساق المصنف الحديث لبيان مشروعية التأمين وفضيلة السلام.

وقوله: «ما حسدتكم اليهود»: فيه شدة بغض اليهود لهذه الأمة، وكرهة الخير لها، قال الله عز وجل: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، إلى غير ذلك.

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٨٥٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(١٥٨٦)، وقال فيه: هذا حديث حسن على شرط مسلم.

قال الحافظ في الفتح (١١ / ٤):

«مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَوْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّائِمِينَ»: وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ شُرِعَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ دُونَهُمْ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ إِسْلَامِهِ، قَالَ: وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: «فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الشُّعَبِ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ -رضي الله عنه- رَفَعَهُ: «جَعَلَ اللَّهُ السَّلَامَ تَحِيَّةً لَأُمَّتِنَا وَأَمَانًا لِأَهْلِ دِمَّتِنَا».

وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ -رضي الله عنه-: «كُنَّا نَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْعِمَ بِكَ عَيْنًا وَأَنْعِمَ صَبَاحًا فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ نُهِنَا عَنْ ذَلِكَ»، وَرَجَّاهُ ثِقَاتٌ؛ لَكِنَّهُ مُنْقَطِعٌ.

وَأَخْرَجَ بَنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ حَيَّيتَ مَسَاءً حَيَّيتَ صَبَاحًا فَغَيَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ بِالسَّلَامِ.

قَوْلُهُ: «فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ»: قَالَ بَنُ بَطَّالٍ يَحْتَمِلُ: أَنَّ يَكُونَ اللَّهُ عَلَّمَهُ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ تَنْصِيصًا.

وَيَحْتَمِلُ: أَنَّ يَكُونَ فِيهِمْ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُ فَسَلِّمْ.

قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ: أَنْ يَكُونَ أَلْهَمَهُ ذَلِكَ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا تَقَدَّمَ فِي بَابِ حَمْدِ الْعَاطِسِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ بَنُ حَبَّانَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: «أَنَّ آدَمَ لَمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ عَطَسَ فَأَلْهَمَهُ اللَّهُ أَنْ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ» الْحَدِيثُ. فَلَعَلَّهُ أَلْهَمَهُ أَيْضًا صِفَةَ السَّلَامِ.

وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ هِيَ الْمَشْرُوعَةُ لِابْتِدَاءِ السَّلَامِ لِقَوْلِهِ فَهِيَ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ.

وَهَذَا فِيمَا لَوْ سَلَّمَ عَلَى جَمَاعَةٍ فَلَوْ سَلَّمَ عَلَى وَاحِدٍ فَسَيَأْتِي حُكْمُهُ بَعْدَ أَبْوَابٍ، وَلَوْ حَذَفَ اللَّامُ فَقَالَ: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ" أَجْزَأُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

لَكِنْ بِاللَّامِ أَوَّلَى؛ لِأَنَّهَا لِلتَّفْخِيمِ وَالتَّكْثِيرِ.

وَتَبَتَ فِي حَدِيثِ الشَّهِيدِ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم-».

قَالَ عِيَّاضٌ: وَيُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ فِي الْإِبْتِدَاءِ عَلَيْكَ السَّلَامُ. اهـ

والحديث في الصحيح المسند.



فِي رِوَايَةِ بَنِ نَمِيرٍ عِنْدَ بَنِ مَاجَةَ: «حَتَّى تَطْمِئِنَّ قَائِمًا» أَخْرَجَهُ بَنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْهُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ إِسْنَادَهُ بِعَيْنِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَكِنْ لَمْ يَسْقِ لَفْظَهُ فَهُوَ عَلَى شَرْطِهِ.

وَكَذَا أَخْرَجَهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ وَهُوَ فِي مُسْتَخْرَجِ أَبِي نُعَيْمٍ مِنْ طَرِيقِهِ.

وَكَذَا أَخْرَجَهُ السَّرَّاجُ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مُوسَى أَحَدِ شُيُوخِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ فَثَبَّتَ ذِكْرَ الطَّمَأْنِينَةِ فِي الْإِعْتِدَالِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

وَمِثْلُهُ فِي حَدِيثِ رِفَاعَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَبَنِ حَبَّانَ، وَفِي لَفْظٍ لِأَحْمَدَ: «فَاقِمِ صُلْبَكَ حَتَّى تَرْجِعَ الْعِظَامُ إِلَى مَفَاصِلِهَا».

وَعَرِفَ بِهَذَا أَنَّ قَوْلَ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ فِي الْقَلْبِ مِنْ إِجْبَابِهَا أَيِ الطَّمَأْنِينَةِ فِي الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تُذَكَّرْ فِي حَدِيثِ الْمُسَيِّءِ صَلَاتِهِ، دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى هَذِهِ الطَّرُقِ الصَّحِيحَةِ. اهـ

قوله: «الصلاة باطمئنان»: أي بسكينة ومن غير عجلة.

ففي البخاري: عن حذيفة - رضي الله عنه -: "أنه رأى رجلاً لا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، قَالَ: «مَا صَلَّيْتَ وَلَوْ مَتَّ مَتَّ عَلَى غَيْرِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَهُ اللَّهُ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَيْهَا»".

﴿فلا بد للمصلي أن يقوم حتى يقرأ الفاتحة على أقل تقدير، ثم يركع حتى يطمئن بدنه، ويوضع كل عظم في موضعه في حال الركوع، ويمكنه من قول سبحان ربي العظيم، ثم يعتدل حتى يتصب قائماً كما كان قبل ركوعه على الصحيح من أقوال أهل العلم، ويطمئن في سجوده على أقل الأحوال حتى يقول: سبحان ربي الأعلى، ثم يرفع حتى يجلس بين السجدين جلوساً يطمئن فيه.

فعن البراء بن عازب -رضي الله عنه-: قَالَ: «رَمَقْتُ الصَّلَاةَ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْتُ قِيَامَهُ فَرَكَعَتَهُ، فَأَعْتَدَلَهُ بَعْدَ رُكُوعِهِ، فَسَجَدَتُهُ، فَجَلَسَتُهُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، فَسَجَدَتُهُ، فَجَلَسَتُهُ مَا بَيْنَ التَّسْلِيمِ وَالْإِنْصِرَافِ، قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ»^(١) متفق عليه.

قوله: «والدليل حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال للمسيء صلاته»: سُمي بالمسيء صلاته؛ لأنه لم يحسنها. قال بعض أهل العلم: لو يقال الذي لم يُحسن صلاته كان أحسن، وذلك أن الصحابي لم يتعمد الإساءة.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٩٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٧١) واللفظ له.

وقد توارد العلماء قديما وحديثا على هذه التسمية وليس فيه طعن في الصحابي-**رضي الله عنه**، إذ أن الإساءة قد تصدر بسبب الجهل بالحكم والجاهل معذورٌ في فعله.

قوله: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر»: أي تكبيرة الإحرام، وهي ركن من أركان الصلاة.

وفي رواية: **«إذا توضئت فأحسن الوضوء ثم استقبل القبلة ثم كبر» متفق عليه.**

ويكون التكبير بقول: "الله أكبر"، خلافا لأبي حنيفة ومن إليه، من أنه يقول: الله الأكبر، أو الله الأعظم.

وفي الباب عن عليٍّ **رضي الله عنه**، قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: **«مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ»** ^(١) أخرجه أحمد، وفي سنده عبد الله بن محمد بن عقيل مختلف فيه والراجح ضعفه.

قوله: «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن»: والمراد به الفاتحة، ولا بأس بالزيادة عليها، وقد جاء مصرحاً بذكر الفاتحة عند أبي داود وابن حبان وغيرهما.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٦١)، والترمذي (٩/١) والدارمي (١٧٥/١) وابن ماجه (٢٧٥) ، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في الإرواء برقم (٣٠١).

قال الحافظ في الفتح (٢/ ٢٤٣):

إِطْلَاقَ الْقِرَاءَةِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مُقَيَّدٌ بِالْفَاتِحَةِ كَمَا فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ الْخُطَّابِيُّ: قَوْلُهُ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ظَاهِرُ الْإِطْلَاقِ
التَّخْيِيرِ لَكِنَّ الْمُرَادَ بِهِ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ لِمَنْ أَحْسَنَهَا بِدَلِيلِ حَدِيثِ عُبَادَةَ وَهُوَ
كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا اسْتيسَّرَ مِنَ الْهُدَى﴾، ثُمَّ عَيَّنَتِ السُّنَّةُ الْمُرَادَ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: قَوْلُهُ مَا تيسَّرَ مَحْمُولٌ عَلَى الْفَاتِحَةِ فَإِنَّهَا مُتيسِّرةٌ أَوْ عَلَى مَا
زَادَ مِنَ الْفَاتِحَةِ بَعْدَ أَنْ يَقْرَأَهَا أَوْ عَلَى مَنْ عَجَزَ عَنِ الْفَاتِحَةِ.

وَتُعَقَّبُ: بِأَنَّ قَوْلَهُ مَا تيسَّرَ لَا إِجْمَالَ فِيهِ حَتَّى يُبَيَّنَ بِالْفَاتِحَةِ وَالتَّقْيِيدُ
بِالْفَاتِحَةِ يُنَافِي التَّيسِيرَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْإِطْلَاقُ، فَلَا يَصِحُّ حَمْلُهُ عَلَيْهِ.

وَأَيْضًا: فَسُورَةُ الْإِخْلَاصِ مُتيسِّرةٌ وَهِيَ أَقْصَرُ مِنَ الْفَاتِحَةِ فَلَمْ يَنْحَصِرِ
التَّيسِيرُ فِي الْفَاتِحَةِ.

وَأَمَّا الْحُمْلُ عَلَى مَا زَادَ، فَمَبْنِيٌّ عَلَى تَسْلِيمِ تَعْيْنِ الْفَاتِحَةِ، وَهِيَ مُحَلُّ النَّزَاعِ.
وَأَمَّا حَمْلُهُ عَلَى مَنْ عَجَزَ فَبَعِيدٌ.

وَالْجَوَابُ الْقَوِيُّ عَنْ هَذَا: أَنَّهُ وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْمُسَيِّءِ صَلَاتُهُ تَفْسِيرُ مَا
تيسَّرَ بِالْفَاتِحَةِ كَمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ رَفَعَهُ: «وَإِذَا

قُمْتَ فَتَوَجَّهْتَ فَكَبَّرْتَ ثُمَّ اقْرَأْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ وَبِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَقْرَأَ وَإِذَا رَكَعْتَ فَضَعْ رَاhtِكَ عَلَى رُكْبَتَيْكَ» الْحَدِيثُ.

وَوَقَعَ فِيهِ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ: «ثُمَّ اقْرَأْ إِنْ كَانَ مَعَكَ قُرْآنٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَاحْمَدِ اللَّهَ وَكَبَّرْ وَهَلَّلْ»، فَإِذَا جُمِعَ بَيْنَ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ كَانَ تَعَيُّنُ الْفَاتِحَةِ هُوَ الْأَصْلُ لِمَنْ مَعَهُ قُرْآنٌ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْ تَعَلُّمِهَا وَكَانَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَرَأَ مَا تيسَّرَ، وَإِلَّا انْتَقَلَ إِلَى الذِّكْرِ.

وَيُحْتَمَلُ الْجُمْعُ أَيْضًا: أَنْ يُقَالَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»، أَيْ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ.

وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ قَوِيٍّ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ نَقْرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَمَا تيسَّرَ». اهـ

لأن الله - عز وجل - يقول: «فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ» [المزمل: ٢٠]

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» متفق عليه.

قوله: «ثم اركع حتى تطمئن راکعاً»: والركوع هو الانحناء، وأتمه أن يلطم الراكع يده اليمنى ركبته اليمنى، ويده اليسرى ركبته اليسرى.

قوله: «ثم ارفع حتى تعتدل قائماً»: أي الاعتدال من الركوع.

قوله: «ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا»: ويسجد على سبعة أعظم كما سيأتي.

قوله: «ثم اعمل ذلك في صلاتك كلها»: قال بعض أهل العلم أن هذا الحديث تضمن الأركان فكل ما ذكر في هذا الحديث فهو ركن ولا يسقط سهواً ولا عمداً.

قال الحافظ في الفتح (٢/ ٢٧٩):

قَالَ بِن دَقِيقِ الْعِيدِ: تَكَرَّرَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْإِسْتِدْلَالُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى وَجُوبِ مَا ذَكَرَ فِيهِ، وَعَلَى عَدَمِ وَجُوبِ مَا لَمْ يُذْكَرْ.

أَمَّا الْوُجُوبُ: فَلْتَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِهِ وَأَمَّا عَدَمُهُ فَلَيْسَ لِمَجَرَّدِ كَوْنِ الْأَصْلِ عَدَمِ الْوُجُوبِ بَلْ لِكَوْنِ الْمَوْضِعِ مَوْضِعَ تَعْلِيمٍ وَبَيَانٍ لِلْجَاهِلِ وَذَلِكَ يَقْتَضِي انْحِصَارَ الْوَاجِبَاتِ فِيْمَا ذُكِرَ.

وَيَتَقَوَّى ذَلِكَ بِكَوْنِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ذَكَرَ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ الْإِسَاءَةُ مِنْ هَذَا الْمُصَلِّيِّ وَمَا لَمْ تَتَعَلَّقْ بِهِ.

فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقْصِرِ الْمُقْصُودَ عَلَى مَا وَقَعَتْ بِهِ الْإِسَاءَةُ.

قَالَ: فَكُلُّ مَوْضِعٍ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي وَجُوبِهِ وَكَانَ مَذْكُورًا فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَلَنَا أَنْ نَتَمَسَّكَ بِهِ فِي وَجُوبِهِ وَبِالْعَكْسِ.

لَكِنْ يَحْتَاجُ أَوَّلًا إِلَى جَمْعِ طُرُقِ هَذَا الْحَدِيثِ وَإِحْصَاءِ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ فِيهِ
وَالْأَخْذِ بِالزَّائِدِ فَالزَّائِدُ، ثُمَّ إِنْ عَارَضَ الْوُجُوبَ أَوْ عَدَمَهُ دَلِيلٌ أَقْوَى مِنْهُ
عَمِلَ بِهِ، وَإِنْ جَاءَتْ صِغَةُ الْأَمْرِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ بِشَيْءٍ لَمْ يُذَكَّرْ فِي هَذَا
الْحَدِيثِ قُدِّمَتْ.

قُلْتُ: قَدْ امْتَثَلْتُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ وَجَمَعْتُ طُرُقَهُ الْقَوِيَّةَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ
وَرِفَاعَةَ وَقَدْ أَمْلَيْتُ الزِّيَادَاتِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا فِيمَا لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ صَرِيحًا
مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا النَّيَّةُ وَالْقُعُودُ الْأَخِيرُ وَمِنَ الْمُخْتَلَفِ فِيهِ التَّشَهُدُ
الْأَخِيرُ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهِ وَالسَّلَامُ فِي آخِرِ
الصَّلَاةِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَ الرَّجُلِ **اه**
وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكْمِيلَةٍ وَهُوَ ثُبُوتُ الدَّلِيلِ: عَلَى إِجَابِ مَا ذُكِرَ كَمَا تَقَدَّمَ
وَفِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ نَظَرٌ.

قَالَ وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِقَامَةَ وَالتَّعَوُّدَ وَدُعَاءَ الْإِفْتِيحِ وَرَفْعَ الْيَدَيْنِ فِي
الْإِحْرَامِ وَغَيْرِهِ وَوَضْعَ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى وَتَكْبِيرَاتِ الْإِنْتِقَالِ
وَتَسْبِيحَاتِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَهَيَّاتِ الْجُلُوسِ وَوَضْعَ الْيَدِ عَلَى الْفَخْذِ
وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ فِي الْحَدِيثِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ.

وَهُوَ فِي مَعْرِضِ الْمُنْعِ لثُبُوتِ بَعْضِ مَا ذُكِرَ فِي بَعْضِ الطُّرُقِ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ
فَيَحْتَاجُ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِوُجُوبِهِ إِلَى دَلِيلٍ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِهِ كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ. اهـ



[الفقرة السابعة والسبعون: النزول إلى السجود على اليدين]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السابعة والسبعون:

٧٧- النزول إلى السجود على اليدين.

والدليل: حديث عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِنِ حَمْدَهُ، لَمْ يَحْنِ أَحَدٌ مِنَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَقَعَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- سَاجِدًا، ثُمَّ نَقَعَ سُجُودًا بَعْدَهُ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وانحناء الظهر يكون في النزول على اليدين.

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان كيفية الهوي إلى السجود وترجيح تقديم اليدين على الركبتين.

وهذه مسألة خلافية بين أهل العلم، وأدلتها صحيحها غير صريح وصريحها غير صحيح.

فذهب ابن القيم والشيخ ابن عثيمين: وهم أكثر من انتصر لها، وجمع من المتقدمين والمتأخرين إلى أن النزول يكون على الركبتين.

لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- «لا يرك أحدكم كما يرك البعير»، وبروك البعير بتقديم اليدين، لأن ركبتيه في يديه.

قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٢١٦):

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ «إِذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَبْرُكُ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ، وَلِيَضَعَ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ» فَالْحَدِيثُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - قَدْ وَقَعَ فِيهِ وَهُمْ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ، فَإِنَّ أَوَّلَهُ يُخَالِفُ آخِرَهُ، فَإِنَّهُ إِذَا وَضَعَ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ فَقَدْ بَرَكَ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ، فَإِنَّ الْبَعِيرَ إِنَّمَا يَضَعُ يَدَيْهِ أَوَّلًا، وَلَمَّا عَلِمَ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ ذَلِكَ قَالُوا: رُكِبَتَا الْبَعِيرِ فِي يَدَيْهِ، لَا فِي رِجْلَيْهِ، فَهُوَ إِذَا بَرَكَ وَضَعَ رُكْبَتَيْهِ أَوَّلًا، فَهَذَا هُوَ الْمُنْهَى عَنْهُ. وَهُوَ فَاسِدٌ لَوْ جُوهٌ.

أَحَدُهَا: أَنَّ الْبَعِيرَ إِذَا بَرَكَ فَإِنَّهُ يَضَعُ يَدَيْهِ أَوَّلًا وَتَبْقَى رِجْلَاهُ قَائِمَتَيْنِ، فَإِذَا نَهَضَ فَإِنَّهُ يَنْهَضُ بِرِجْلَيْهِ أَوَّلًا وَتَبْقَى يَدَاهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَهَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَعَلَ خِلَافَهُ.

وَكَانَ أَوَّلُ مَا يَقَعُ مِنْهُ عَلَى الْأَرْضِ الْأَقْرَبُ مِنْهَا فَلَا قَرَبَ، وَأَوَّلُ مَا يَرْتَفِعُ عَنِ الْأَرْضِ مِنْهَا الْأَعْلَى فَلَا أَعْلَى.

وَكَانَ يَضَعُ رُكْبَتَيْهِ أَوَّلًا ثُمَّ يَدَيْهِ ثُمَّ جَبْهَتَهُ.

وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ أَوَّلًا ثُمَّ يَدَيْهِ ثُمَّ رُكْبَتَيْهِ، وَهَذَا عَكْسُ فِعْلِ الْبَعِيرِ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى فِي الصَّلَاةِ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْحَيَوَانَاتِ، فَنَهَى عَنِ بَرُوكِ كِبْرُوكِ الْبَعِيرِ، وَالتَّفَاتِ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ، وَافْتِرَاشِ كَافْتِرَاشِ السَّعْبِ،

وَأَقْعَاءِ كَأَقْعَاءِ الْكَلْبِ، وَنَقَرٍ كَنَقَرِ الْغُرَابِ، وَرَفَعَ الْأَيْدِي وَقَتَ السَّلَامِ
كَأَذْنَابِ الْحَيْلِ الشُّمُسِ، فَهَذِي الْمُصَلِّي مُخَالَفٌ لِهَذِي الْحَيَوَانَاتِ.

الثاني: أَنَّ قَوْلَهُم: رُكِبَتَا الْبَعِيرِ فِي يَدَيْهِ كَلَامٌ لَا يُعْقَلُ وَلَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ اللُّغَةِ،
وَإِنَّمَا الرُّكْبَةُ فِي الرَّجُلَيْنِ، وَإِنْ أُطْلِقَ عَلَى اللَّتَيْنِ فِي يَدَيْهِ اسْمُ الرُّكْبَةِ فَعَلَى
سَبِيلِ التَّغْلِيْبِ.

الثالث: أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَمَا قَالُوهُ لَقَالَ: فَلْيَبْرُكْ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَا
يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنَ الْبَعِيرِ يَدَاهُ.

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ مَنْ تَأَمَّلَ بُرُوكَ الْبَعِيرِ وَعَلِمَ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ بُرُوكِ كِبْرُوكِ الْبَعِيرِ»، عَلِمَ أَنَّ حَدِيثَ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ هُوَ
الصَّوَابُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

والصحيح خلاف ما ذهب إليه، بل النزول يكون على اليدين، على ما
يأتي إن شاء الله.

قوله: «والدليل: حديث البراء»: هو ابن عازب الأنصاري - رضي الله
عنه - صحابي صغير.

قوله: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا قال سمع الله لمن حمده»:
أي حين قيامه من الركوع، وقام الصحابة معه.

قوله: «لم يحن أحد منا ظهره»: أي أن الصحابة يبقون قيامًا لا يحني أحد ظهره حتى يستتم النبي - صلى الله عليه وسلم - ساجدًا وتقع جبهته في الأرض.

قال العلماء: قوله: «لم يحن ظهره»: دل على تقديم اليدين لأن الانحناء يستلزم تقديم اليدين.

وهذه فتوى شيخنا مقبل - رحمه الله - من المتأخرين.

وعليه بوب البخاري في صحيحه: "باب: متى يسجد من خلف الإمام؟".

قوله: «وانحناء الظهر يكون في النزول على اليدين»: وهذه مسألة خلافية ليس فيها تبديع ولا تفسيق وإنما فيها أفضل ومفضول فنحن نرى أن النزول على اليدين أفضل وغيرنا قد يرى أن النزول على الركبتين أفضل ولكل أدلته لكن هذا القول هو أقرب الأقوال وحديثه متفق عليه.

قال ابن رجب في فتح الباري (٧/ ٢١٩):

واختلفت العلماء في الساجد: هل يضع ركبته قبل يديه، أم يديه قبل ركبته؟

فقال الأكثرون: يضع ركبته قبل يديه.

قال الترمذي: وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله - رضي الله عنهما -.

وهو قول مسلم بن يسار، وأبي قلابة، وابن سيرين، والنخعي والثوري، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وإسحاق.

وقال حجاج، عن أبي إسحاق: كان أصحاب عبد الله إذا انحطوا للسجود وقعت ركبهم قبل أيديهم.

وكره النخعي أن يضع يديه قبل ركبتيه، وقال: هل يفعله إلا مجنون؟! **وقالت طائفة:** يبدأ بيديه قبل ركبتيه، وهو مروي عن الحسن، وقد روي عن ابن عمر كما تقدم، وحكي رواية عن أحمد.

ومن أصحابنا من خصها: بالشيخ الكبير، والضعيف خاصة، وهو أصح.

وقال الأوزاعي: أدركت الناس يصنعونه، وهو قول مالك. وروي عنه، أنها سواء.

وقال قتادة: فيضع أهون ذلك عليه. اهـ



وقد تنوعت أذكار الصلاة: فمن أذكار الركوع كما في كتاب زاد المعاد (١ / ٢١١): وَكَانَ يَقُولُ أَيُّضًا فِي رُكُوعِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ» وَتَارَةً يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسَلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَخُحِّي وَعَظْمِي وَعَصْبِي» وَهَذَا إِنَّمَا حُفِظَ عَنْهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ. اهـ

قوله: «سبحان ربي العظيم»: لفعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما في حديث حذيفة عند مسلم، ولأمر ﷺ كما في حديث ابن عباس -رضي الله عنه-: «وأما الركوع فعظموا فيها الرب» أخرجه مسلم.

قوله: «وفي السجود سبحان ربي الأعلى»: لما كان السجود سُفْلُ نَاسِبٍ أَنْ يَنْزِعَهُ اللَّهُ فَيَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى الْعَلِيِّ فِي أَسْمَاءِهِ وَصِفَاتِهِ وَذَاتِهِ.

قوله: «وأدنى التسبيح في الركوع والسجود ثلاث تسبيحات»: هذا قول الشيخ وهو قول جماهير العلماء، ونرى والله أعلم أنه لو اكتفى بتسبيحه واحدة أجزأه، وإن أتى بثلاث فهو أحسن.

وإن أتى بالعشر إذا كان إمامًا بحيث يتمكن المأموم أن يأتي بالخمس أو الأربع أو أقل أو أكثر فلا بأس بذلك؛ لما روي أن عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله-: «كان يصلي بالناس وكان يسبح عشر تسبيحات فقال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رضي الله عنه-: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَبَّ صَلَاةً بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى

الله عليه وسلم- مِنْ هَذَا الْفَتَى يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَحَزَرْنَا " فِي رُكُوعِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ، وَفِي سُجُودِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ " ^(١) أخرجه أحمد.

قوله: «ثبت ذلك عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بمجموع طرقه»:

قال الشيخ الألباني - رحمه الله - في أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه

وسلم (٢/ ٦٥٠):

فيه أحاديث كثيرة يدل مجموعها على ثبوت تقييده بثلاث، خلافاً لابن القيم في كتاب " الصلاة " (١٩١)، وتبعه أبو الطيب في " الروضة الندية "

(١٠٦/ ١)؛ فقال: " وأما التقييد بعدد مخصوص؛ فلم يرد ما يدل عليه، إنما

كان الصحابة يقدرون لبثه في ركوعه وسجوده تقادير مختلفة " . اهـ

ثم خرج الشيخ الألباني - رحمه الله - طرق الأحاديث في الباب، والذي

يظهر ألا حجة فيها بالتقييد بثلاث، والله أعلم.

قوله: «وليكثر في ركوعه من الذكر»: أي حين يكون في الركوع يكثر من

الأذكار مع أنه يجوز الدعاء، ففي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٨٨٨)، والإمام النسائي (١١٣٥) وفي سنده وهب بن مانوس، ويقال

مايوس، مجهول، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى فيه: حسن الإسناد إن شاء الله، وضعفه الإمام

الألباني رحمه الله تعالى في الإرواء برقم (٣٤٨)، وضعفه أيضاً في المشكاة (٨٨٣)، وفي ضعيف أبي داود

(١٥٧).

قَالَتْ: " كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ:
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي "

قوله: «ويكثر في سجوده بعد التسبيح المذكور من الدعاء»: لأن السجود من مواطن استجابة الدعاء، وسيأتي دليله.

ولا يجوز أن يقرأ القرآن في الركوع والسجود؛ لحديث علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: «نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا» ^(١) أخرجه مسلم.

قوله: «فأما الركوع فعظموا فيه الرب -تبارك وتعالى-»: أي يؤتى بالأذكار التي فيها تعظيم لله -عز وجل- وتبجيله.

قوله: «وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء»: ولا بأس أن يجمع الإنسان بين الذكر والدعاء، والثناء والدعاء.

فقد صح عن ابن مسعود -رضي الله عنه-، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ "، ثُمَّ تَقَدَّمَ سَأَلَ فَجَعَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: " سَلْ تُعْطَهُ، سَلْ تُعْطَهُ، سَلْ تُعْطَهُ "، فَقَالَ: فِيمَا سَأَلَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةً نَبِيِّكَ مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَعْلَى

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٧٩).

جَنَّةِ الْخُلْدِ. قَالَ: فَاتَى عُمَرُ -رضي الله عنه- عَبْدَ اللَّهِ لِيُبَشِّرَهُ، فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ -رضي الله عنه- قَدْ سَبَقَهُ، فَقَالَ: إِنَّ فَعَلْتَ، لَقَدْ كُنْتَ سَبَاقًا بِالْخَيْرِ» ^(١)
أخرجه أحمد.

قوله: «فممن أن يستجاب لكم»: أي حرِّي أن يستجاب لكم والسبب والله أعلم أنه موطن خضوع وتذلل بين يدي الله - عز وجل -.
وفي هذا رد على الحلولية الذين يزعمون أن السماء قبلة الدعاء، كما أن الكعبة قبلة الصلاة.

وهذا قول باطل فإن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دعا استقبل القبلة، ولو كانت السماء قبلة الدعاء لكان أكمل حالات الداعي أن يستلقي على ظهره حين الدعاء، وبالله التوفيق.



(١) أخرجه الإمام أحمد في سننه (٤٢٥٥)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٨٥٢)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» حين يستوي قائماً، ويتابعه المأموم في التحميد.

إلا أن بعض أهل العلم ذهب إلى مشروعية قول سمع الله لمن حمده للإمام والمأموم، وهو ترجيح الإمام الألباني رحمه الله تعالى.

والدليل: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إنما جعل الإمام ليؤتم به».

وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى: ولأن قول المأموم: سمع الله لمن حمده، عند قيامه من الركوع، يكون هذا بديلاً عن تكبيرة الانتقال، التي كانت في الأصل أن يقال فيها: الله أكبر. اهـ

فعند الرفع من الركوع إذا سكّت المأموم، فإنه لم يأتِ ببديل عن تكبيرة الانتقال التي كانت قوله: الله أكبر.

لكن هذا القول مرجوح؛ لحديث أبي موسى - رضي الله عنه - عند مسلم: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١) متفق عليه، حيث أمرهم بقول: ربنا لك الحمد، ولم يأمرهم بالتسميع.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٤١٤)، وأخرجه الإمام مسلم

في صحيحه (٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وجاء في صحيح البخاري

(٦٨٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قوله: «ما يقول الإمام والمنفرد»: أي ما يقوله المصلي سواء صلى منفردًا أو إمامًا.

قوله: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم»: وهذا تكبيرة الإحرام كما تقدم.

قوله: «ثم يكبر حين يركع»: وهذه تكبيرة الانتقال.

قوله: «ثم يقول سمع الله لمن حمده»: هذا إذا كان إمامًا أو منفردًا.

قوله: «حين يرفع صلبه من الركوع»: أي يقول سمع الله لمن حمده ويستتم القول وقد قام ثم إذا انتصب قائمًا يقول: «اللهم ربنا لك الحمد، مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ».

قوله: «حين يرفع صلبه من الركوع ثم يقول وهو قائم ربنا لك الحمد»: وجاء في بعض الروايات: «ربنا ولك الحمد».

وما قول ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد (١ / ٢١٢):

وَكَانَ إِذَا اسْتَوَى قَائِمًا قَالَ: (رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ) وَرُبَّمَا قَالَ: (رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ) وَرُبَّمَا قَالَ: (اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ) صَحَّ ذَلِكَ عَنْهُ. وَأَمَّا الْجُمُعُ بَيْنَ "اللَّهُمَّ" وَ"الْوَاوِ" فَلَمْ يَصَحَّ. اهـ

فهذا قول غير صحيح، فالواو قد جاءت في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ،

قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَكَعَ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ يُكَبِّرُ، وَإِذَا قَامَ مِنَ السَّجْدَتَيْنِ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ".

فَلَكَ أَنْ تَقُولَ: «اللهم ربنا ولك الحمد».

ويجوز أن تقول: «اللهم ربنا لك الحمد».

ويجوز أن تقول: «ربنا لك الحمد».

ويجوز أن تقول: «ربنا ولك الحمد».

وتزيد عليها: «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه».

أو تقول: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِْلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمُجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ: اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(١)
أخرجه مسلم.

قوله: «ذا الجد منك الجد»: الجد بالفتح العظمة أي لا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفع صاحب العظمة عظمته أو سعته.



(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٧٧).

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: مَنْ نَسِيَ التَّشَهُّدَ سَجَدَ لِلسَّهْوِ أَرْبَعَ سَجَدَاتٍ لِأَنَّ مَذْهَبَهُ أَنَّ لِكُلِّ سَهْوٍ سَجْدَتَيْنِ.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: لَا يَسْجُدُ إِلَّا سَجْدَتَيْنِ فِي السَّهْوِ عَنِ التَّشَهُّدَيْنِ وَكَذَلِكَ مَنْ سَهَا مَرَارًا.

وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ فِي سَجْدَتَيْ السَّهْوِ أَنَّهَا لِلسَّهْوِ كُلِّهِ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ: إِنْ قَعَدَ مِقْدَارَ التَّشَهُّدِ وَلَمْ يَتَشَهُّدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُ وَإِنْ لَمْ يَقْعُدْ مِقْدَارَ التَّشَهُّدِ فَسَدَتْ صَلَاتُهُ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مَنْ تَرَكَ التَّشَهُّدَ الْآخِرَ سَاهِيًا أَوْ عَامِدًا فَعَلَيْهِ إِعَادَةُ الصَّلَاةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ السَّاهِي قَرِيبًا فَيَعُودُ إِلَى تِمَامِ صَلَاتِهِ وَيَتَشَهُّدُ وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي آخِرِ صَلَاتِهِ عَنِ التَّشَهُّدِ قَبْلَهُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ التَّشَهُّدِ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَوْجَبَ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرَضًا فِي التَّشَهُّدِ الْآخِرِ إِلَّا الشَّافِعِيَّ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُ. **اهـ**

وسمي بالتشهد؛ لأن فيه الشهادة: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله".

ويسمى بالتحيات؛ لأن المسلم يُحَيِّ الله - عز وجل - بقوله: "التحيات

لله".

والتشهد يكون في موطين:

الأول: التشهد الأوسط، ويسمى بالتشهد الأول: وهو كل تشهد يكون بعد الركعتين في الثلاثية والرابعة.

الثاني: التشهد الأخير: ويكون في الركعة الأخيرة من صلاة.

حكم التشهد الأوسط في الصلاة:

ذهب جماهير العلماء إلى وجوبه.

والدليل: حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ بُحَيْنَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ، فَقَامَ وَعَلَيْهِ جُلُوسٌ، فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ صَلَاتِهِ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ» متفق عليه، وسجود النبي - صلى الله عليه وسلم - للسهو يدل على وجوبه.

حكم التشهد الأخير:

ذهب جمهور العلماء إلى أنه ركن فلو تركه ناسيا أو متعمدا وجب العودة إليه.

وأصح صيغ التشهد: حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- في الصحيحين: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ

وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمُسْأَلَةِ مَا شَاءَ»^(١).

وجاء التشهد: عن عمر وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وأبي موسى - **رضوان الله عليهم** - وألفاظها متقاربة، وقد اختار مالك وشهد عمر، واختيار أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - وأبو يوسف ومحمد وأبو ثور تشهد ابن مسعود، وهو قول أحمد وإسحاق وداود، وذهب الشافعي وأصحاب الحديث إلى تشهد ابن عباس، أفاده ابن عبد البر في الاستذكار.

قوله: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل»: كانوا قبل ذلك يقولون السلام على الله، السلام على جبريل فقال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله هو السلام ولكن إذا تشهد أحدكم فليقل:

«التحيات»: أي التعظيمات والتبريكات والتبجيلات لله - عز وجل -.

«والصلوات»: قيل الدعوات وقيل الصلوات المفروضة وهي شاملة

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٠٢).

«والطيبات»: أي الكلمات والأفعال الطيبات التي ترفع إلى الله - عز وجل - قال الله - عز وجل -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

ثم تقول: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»: دعاء للنبي بالسلامة، أو بيان أن بركة اسم الله تحل عليه.

وذهب ابن مسعود - رضي الله عنه - إلى قول المصلي في التشهد: «السلام على النبي» بعد موته - صلى الله عليه وسلم -.

والصواب خلافه لأمرين:

الأول: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يعلم أنه سيموت، وقد قال الله - عز وجل - له: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ومع ذلك شرع هذا الدعاء.

الثاني: أن العبد إذا سلم على نبيه أبلغه الله من أمته السلام.

لكن هنا تنبيه: وهو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يسمع المسلم كما يظن بعض الجهال ومن إليهم، وإنما جعل الله ملائكة سيارة تبليغه من أمته السلام.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: - قَالَ وَكَيْعٌ: - "إِنَّ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ" ^(١) أخرجه أحمد.

قوله: «ورحمة الله وبركاته»: وهذا أكمل السلام، وفيه دعاء للنبي بالرحمة والبركة.

قوله: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»: دعاء بالسلامة لنفسه ولجميع عباد الله الصالحين.

وفي الحديث: «فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» ^(٢).

فيدخل فيها الملائكة والصالحون: من الجن والإنس، من الأحياء والأموات، وهو دعاء بالسلامة في الدارين.

قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله»: أي أقر واعترف أن لا إله إلا الله وهذه كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص يؤتى بها في هذا الموطن العظيم لتقرير أن العبد على عبادة الله، وأنه يجب أن يفرد الله بها يجب له، ولا يجوز أن يشرك معه غيره.

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٢٨٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه في صحيح سنن النسائي.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٣١)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٠٢)، من حديث عبد الله

بن مسعود رضي الله عنه.

وفي رواية لابن عمر - رضي الله عنهما - زيادة: «وحده لا شريك له»
توكيداً لتنزيه الله عن النقائص.

قوله: «وأشهد أن محمداً - صلى الله عليه وسلم -»:

«عبده»: فلا يعبد.

«ورسوله»: فلا يُجفَى ويُعصى ويُكذب.

كما يقول بعض الزنادقة: هو رجل ونحن رجال.

بل هو رسول أرسله الله مبلغاً لدينه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا
أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

أكرمه الله بالرسالة ولكنه مع ذلك عبد لا يجوز أن يشرك معه غيره، لا
ملك مقرب ولا نبيّاً مرسلًا.



[الفقرة الواحدة والثمانون: صفة الجلوس في الصلاة والإشارة في التشهد]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الواحدة والثمانون: صفة الجلوس في الصلاة والإشارة في التشهد.

٨١- صفة الجلوس في الصلاة والإشارة في التشهد:

كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا قَعَدَ فِي الصَّلَاةِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، وَيَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى، وَأَشَارَ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

الشرح:

ذكر المصنف حفظه الله هذه الفقرة لبيان كيفية الجلوس في التشهد والإشارة ووضع اليدين حال التشهد.

ثم اعلم أن هنالك ثلاث هيئات للجلوس:

الأولى: الإقعاء: ويكون بين السجدين بحيث ينصب قدميه ويضع أليتيه على قدميه، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «سنة نبيكم - صلى الله عليه وسلم -» أخرجه مسلم.

الثاني: الافتراش: ويكون في الجلوس بين السجدين والتشهد.

الثالث: التورك: ويكون في التشهد الأخير من الثلاثة والرابعة،
وذهب الشافعي إلى أنه في كل تشهد آخر.

وجاءت هيئة رابعة: وهي التربع في حال الجلوس في الصلاة.

جاء فيه حديث عائشة رضي الله عنها: **قَالَتْ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مُتَرَبِّعًا»** ^(١) أخرجه النسائي، وقد أعله أبو حاتم وغيره.

قال النووي - رحمه الله - (٥ / ٧٩):

قوله عن بن الزُّبَيْرِ - رضي الله عنهما -: **«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا قَعَدَ فِي الصَّلَاةِ جَعَلَ قَدَمَهُ الْيُسْرَى بَيْنَ فَخْذِهِ وَسَاقِهِ وَفَرَشَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخْذِهِ الْيُمْنَى وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ وَفِي رِوَايَةٍ أَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ وَوَضَعَ إِبْهَامَهُ عَلَى إِصْبَعِهِ الْوُسْطَى وَيُلْقِمُ كَفَّهُ الْيُسْرَى رُكْبَتَهُ»**.

وفي رواية بن عُمَرَ - رضي الله عنهما -: **«أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا جَلَسَ فِي الصَّلَاةِ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ إِصْبَعَهُ الْيُمْنَى الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ فَدَعَا بِهَا وَيَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتَيْهِ بِأَسْطَافِهَا عَلَيْهَا وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رُكْبَتَيْهِ الْيُمْنَى وَعَقَدَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ»**.

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه رواه النسائي (١٦٦١)، وابن خزيمة (١٢٣٨)، وأعله النسائي بقوله: «لا

أعلم أحداً روى هذا الحديث غير أبي داود الحفري وهو ثقة، ولا أحسب هذا الحديث إلا خطأ. والله - تعالى - أعلم». وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن النسائي.

هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مِنْ صِفَةِ الْقُعُودِ هُوَ التَّوَرُّكُ.

لَكِنَّ قَوْلَهُ وَفَرَشَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى مُشْكِلٌ؛ لِأَنَّ السُّنَّةَ فِي الْقَدَمِ الْيُمْنَى أَنْ تَكُونَ مَنْصُوبَةً بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ.

وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَلَى ذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: قَالَ الْفَقِيه أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيُّ: صَوَابُهُ وَفَرَشَ قَدَمَهُ الْيُسْرَى.

ثُمَّ أَنْكَرَ الْقَاضِي قَوْلَهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ مَا يَفْعَلُ بِالْيُسْرَى، وَأَنَّهُ جَعَلَهَا بَيْنَ فَخِذِهِ وَسَاقِهِ.

قَالَ: وَلَعَلَّ صَوَابُهُ: "وَنَصَبَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى".

قَالَ: وَقَدْ تَكُونُ الرَّوَايَةُ صَحِيحَةً فِي الْيُمْنَى وَيَكُونُ مَعْنَى فَرَشَهَا أَنَّهُ لَمْ يَنْصِبْهَا عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، وَلَا فَتَحَ أَصَابِعَهَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فِي غَالِبِ الْأَحْوَالِ، هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي.

وَهَذَا التَّأْوِيلُ الْأَخِيرُ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ الْمُخْتَارُ، وَيَكُونُ فَعَلَ هَذَا لِبَيَانِ الْجَوَازِ، وَأَنَّ وَضَعَ أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ عَلَى الْأَرْضِ وَإِنْ كَانَ مُسْتَحَبًّا يَجُوزُ تَرْكُهُ.

وَهَذَا التَّأْوِيلُ لَهُ نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ، لَا سِيَّما فِي بَابِ الصَّلَاةِ، وَهُوَ أَوَّلَى مِنْ تَغْلِيظِ رِوَايَةٍ ثَابِتَةٍ فِي الصَّحِيحِ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهَا جَمِيعُ نُسَخِ مُسْلِمٍ. وَقَدْ سَبَقَ اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ فِي أَنَّ الْأَفْضَلَ فِي الْجُلُوسِ فِي التَّشَهُدَيْنِ التَّوَرُّكُ أَمْ الْإِفْتِرَاشُ:

فَمَذْهَبُ مَالِكٍ وَطَائِفَةٍ تَفْضِلُ التَّوَرُّكَ فِيهِمَا؛ لِهَذَا الْحَدِيثِ.

وَمَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَطَائِفَةٍ: تَفْضِلُ الْإِفْتِرَاشَ.

وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - وَطَائِفَةٍ يَفْتَرِشُ فِي الْأَوَّلِ وَيَتَوَرَّكُ فِي الْآخِرِ؛ لِحَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - وَرُفَّقَتِهِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ التَّشَهُدَيْنِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ بِتَوَرُّكِ أَوْ إِفْتِرَاشٍ مُطْلَقَةٍ لَمْ يَبَيِّنْ فِيهَا أَنَّهُ فِي التَّشَهُدَيْنِ، أَوْ أَحَدِهِمَا.

وَقَدْ بَيَّنَّهُ أَبُو حُمَيْدٍ وَرُفَّقَتُهُ وَوَصَفُوا الْإِفْتِرَاشَ فِي الْأَوَّلِ وَالتَّوَرُّكَ فِي الْآخِرِ، وَهَذَا مُبَيَّنٌّ فَوَجَبَ حَمْلُ ذَلِكَ الْمُجْمَلِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَيُلْقِمُ كَفَّهُ الْيُسْرَى رُكْبَتَهُ»، فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ ذَلِكَ.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِ وَضْعِهَا عِنْدَ الرُّكْبَةِ أَوْ عَلَى الرُّكْبَةِ.

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: بِعَطْفِ أَصَابِعِهَا عَلَى الرُّكْبَةِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ وَيُلْقِمُ كَفَّهُ الْيُسْرَى رُكْبَتَهُ.

وَالْحِكْمَةُ فِي وَضْعِهَا عِنْدَ الرُّكْبَةِ: مَنَعَهَا مِنَ الْعَبَثِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخْذِهِ الْيُمْنَى»، فمجمع على اسْتِحْبَابِهِ.

وقَوْلُهُ: «أَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ وَوَضَعَ إِبْهَامَهُ عَلَى إِصْبَعِهِ الْوُسْطَى»، وَفِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى: «وَعَقَدَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ»: هَاتَانِ الرَّوَايَتَانِ مُحْمُولَتَانِ عَلَى حَالَيْنِ:

فَفَعَلَ فِي وَقْتِ هَذَا، وَفِي وَقْتِ هَذَا، وَقَدْ رَامَ بَعْضُهُمُ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا بِأَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: "عَلَى إِصْبَعِهِ الْوُسْطَى"، أَيْ وَضَعَهَا قَرِيبًا مِنْ أَسْفَلِ الْوُسْطَى، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ بِمَعْنَى الْعَقْدِ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ.

وَأَمَّا الْإِشَارَةُ بِالمُسَبَّحَةِ: فَمُسْتَحَبَّةٌ عِنْدَنَا لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.

قَالَ أَصْحَابُنَا: يُشِيرُ عِنْدَ قَوْلِهِ: "إِلَّا اللَّهُ"، مِنْ الشَّهَادَةِ، وَيُشِيرُ بِمُسَبَّحَةِ الْيُمْنَى لَا غَيْرَ، فَلَوْ كَانَتْ مَقْطُوعَةً أَوْ عَلِيلَةً لَمْ يُشَرْ بِغَيْرِهَا، لَا مِنْ الْأَصْلِ بِالْيُمْنَى وَلَا الْيُسْرَى.

وَالسُّنَّةُ أَنْ لَا يُجَاوِزَ بَصَرُهُ إِشَارَتَهُ. وَفِيهِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، وَيُشِيرُ بِهَا مُوجَّهَةً إِلَى الْقِبْلَةِ.

وَيَنْوِي بِالْإِشَارَةِ التَّوْحِيدَ وَالْإِخْلَاصَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وَأَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَهُ: «عَقَدَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ»، شَرْطُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحِسَابِ أَنْ يَضَعَ
طَرَفَ الْخَنْصَرِ عَلَى الْبِنْصَرِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مُرَادًا هَاهُنَا.
بَلِ الْمُرَادُ: أَنْ يَضَعَ الْخَنْصَرُ عَلَى الرَّاحَةِ وَيَكُونُ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي يُسَمِّيهَا
أَهْلُ الْحِسَابِ تِسْعَةً وَخَمْسِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

وقد جاء من طريق زائدة بن قدامة في حديث وائل بن حجر، أنه يشير بالسبابة ويحركها أخرجه أبو داود وغيره وهذه الزيادة انفرد بها زائدة بن قدامة، وقد خالف أربعة عشر حافظا قال الشيخ مقبل -رحمه الله- في كتابه الجامع الصحيح، حيث قال: هذا الحديث بهذا السند ظاهره أنه حسن، ولكن فيه لفظة شاذة وهي ذكر تحريك الأصبع، فقد رواه جماعة من الصحابة وليس في أحاديثهم إلا الإشارة، والذي شذ بهذه اللفظة هو الثقة الثبت زائدة بن قدامة وقد خالف من هو أرجع منه: سفيان الثوري عند النسائي، وشعبة عند أحمد، وسفيان بن عيينة عند النسائي، وبشر بن المفضل عند أبي داود، وعبد الواحد وعند أحمد، وزهير بن معاوية عند أحمد، وعبد الله بن إدريس عند ابن خزيمة، وخالد الطحان عند البيهقي، ومحمد بن فضيل عند ابن خزيمة، وأبا الاحوص سلام بن سليم عند الطيالسي، وأبا عوانة وغيلان بن جامع حكاه عنهما البيهقي، كل هؤلاء

يروونه عن عاصم بن كليب به، وليس في روايتهم التحريك فيعتبر زائدة بن قدامة شاذًا، ولا يقال: إن زيادة الثقة مقبولة، فإنه يشترط في قبولها أن لا يخالف من هو أوثق.

وقد بسطت القول في ذلك في مقدمة "الالزامات والتتبع" الإشارة مستحبة وليست بواجبة، وهي إشارة إلى التوحيد.

فعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: «مرَّ عليَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنا أدعو بإصْبَعِيَّ، فقال: أَحْذُ أَحْذُ، وأشار بالسبابة»^(١) أخرجه أبو داود.

قوله: «عبدالله بن الزبير»:

هو أحد العبادلة الأربعة:

ابن عباس وعمر وعمر *** وابن الزبير هم العبادلة الغرر

سموا بالعبادلة؛ لأنهم عاشوا حتى احتاج الناس إلى علمهم.

بايع النبي -صلى الله عليه وسلم- وعمره سبع سنين.

وهو أول مولد للمسلمين في المدينة بعد الهجرة، قتله الحجاج.

ففي صحيح مسلم: أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها،

قالت: للحجاج عندما جاء إليها بعدما قتل ولدها عبد الله بن الزبير -رضي

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٤٩٩)، والنسائي في سننه (١٢٧٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه

الله تعالى في صحيح السنن، وجاء أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الله عنهما... فقالت له: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدَّثَنَا، «أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا»، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالِكَ إِلَّا إِيَّاهُ، قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا»^(١).

وسميت بالسبابة؛ لأن العرب كان أحدهم إذا أراد أن يسبَّ يشير بها.  ولو قدر أن أصبعه السبابة، أو يده مقطوعة، لا يلزمه الإشارة بالوسطى ولا غيرها، والله الموفق.



(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٩).

[الفقرة الثانية والثمانون: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد

التشهد]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الثانية والثمانون: الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد

التشهد.

٨٢- الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد التشهد:

والدليل: حديث فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - أَنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -، ثُمَّ يَدْعُوا بِعُدْبَا شَاءَ» رواه أبو داود، وهو حديث صحيح.

ومن أحسن صيغ الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم -:

مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ - رضي الله عنه - أَنَّ بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - : «أَمَرَنَا اللَّهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارَكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»، رواه مسلم.

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان مشروعية الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - وحكمها.

وقد اختلف العلماء في ذلك إلى ثلاثة أقوال:

الأول: وجوبها.

الثاني: ركنيتها.

الثالث: استحبابها.

وهذا هو الأظهر؛ لما جاء في حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - الذي تقدم في وصف «التحيات لله»، قال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ثم ليتخير من الدعاء ما شاء»، ولم يذكر له الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم -.

قال ابن العثيمين - رحمه الله - الشرح الممتع (٣/ ٣١٠):

قوله: «والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - فيه» أي: في التشهد الأخير، وهذا هو الركن الثاني عشر من أركان الصلاة.



ودليل ذلك: أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ عَلَّمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّيُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ»^(١)، والأمر يقتضي الوجوب.

والأصل في الوجوب أَنَّهُ فَرَضٌ، إِذَا تُرِكَ بَطَلَتِ الْعِبَادَةُ، هَكَذَا قَرَّرَ الْفُقَهَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ دَلِيلَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

ولكن إِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا الْحَدِيثَ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَكَ مِنْهُ أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُكْنٌ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- إِنَّمَا طَلَبُوا مَعْرِفَةَ الْكَيْفِيَّةِ؛ كَيْفَ نُصَلِّيُ؟

فَأَرْشَدَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا، وَلِهَذَا نَقُولُ: إِنْ الْأَمْرُ فِي **قَوْلِهِ: «قولوا»:** لَيْسَ لِلْوُجُوبِ، وَلَكِنْ لِلْإِشْرَادِ وَالْتَعْلِيمِ.

فَإِنْ وُجِدَ دَلِيلٌ غَيْرُ هَذَا يَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الصَّلَاةِ فَعَلَيْهِ الْإِعْتِمَادُ، وَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ إِلَّا هَذَا فَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى الْوُجُوبِ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَدُلَّ عَلَى أَنَّهَا رُكْنٌ؛ وَلِهَذَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَى أَقْوَالٍ:

القول الأول: أَنَّهَا رُكْنٌ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنَ الْمَذْهَبِ، فَلَا تَصَحُّ الصَّلَاةُ بِدُونِهَا.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٠٦)، من حديث كعب

بن عجرة رضي الله عنه.



القول الثاني: أنها واجب، وليست برُكن، فتُجبر بسجود السَّهو عند النسيان.

قالوا: **لأن قوله:** «قولوا: اللهم صل على محمد» محتمل للإيجاب وللإرشاد، ولا يمكن أن نجعله رُكنًا لا تصح الصلاة إلا به مع هذا الاحتمال.

القول الثالث: أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سُنَّة، وليست بواجب ولا رُكن، وهو رواية عن الإمام أحمد، وأن الإنسان لو تعمَّد تركها فصلاؤه صحيحة، لأن الأدلة التي استدلل بها الموجبون، أو الذين جعلوها رُكنًا ليست ظاهرة على ما ذهبوا إليه، والأصل براءة الذمة.

وهذا القول أرجح الأقوال، إذا لم يكن سوى هذا **الدليل** الذي استدلل به الفقهاء رحمهم الله، فإنه لا يمكن أن نبطل العبادة ونفسدها بدليل يحتمل أن يكون المراد به الإيجاب، أو الإرشاد. **اهـ**

وقد جاء في وصف الصلاة على النبي ﷺ عدة أحاديث:

منها: حديث أبي حميد الساعدي -رضي الله عنه-: «اللهم صل على



محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم»^(١) أخرجه البخاري ومسلم.

وحديث أبي سعيد -رضي الله عنه- عند البخاري ولفظه: "قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا التَّسْلِيمُ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ " ^(٢).

وحديث أبي مسعود الأنصاري -رضي الله عنه- ولفظه: "أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى تَمَيَّنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارَكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ» ^(٣).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣٦٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٠٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٧٩٨).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٠٥).

الفقرة الثانية والثمانون: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد

وجاء عن كعب بن عجرة -رضي الله عنه-: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: " فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ »، متفق عليه.

قوله: «الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-»: الصلاة من الله -عز وجل - الثناء على عبده في الملاء الأعلى.

قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب: ٥٦].

والصلاة من الملائكة الدعاء: كما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «وَالْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ» متفق عليه.

والصلاة من المؤمنين الدعاء أيضًا.

قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ومن رحمة الله أن شرع لنا الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي من أسباب استجابة الدعاء.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(١) أخرجه مسلم.

ويجوز له إذا أراد أن يدعو في السجود أن يأتي بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- ويجوز أن يأتي بها في التشهد الأوسط كما جاء في بعض روايات حديث عائشة -رضي الله عنها- في قيام الليل.

وذكر الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- في الإرواء: أن فيه استحباب الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- في التشهد الأوسط.

قوله: «والدليل حديث فضالة بن عبيد -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا صلى أحدكم»:

أي الصلاة المفروضة وغيرها وإذا أراد أن يدعو فليبدأ بتحميد ربه سبحانه وتعالى أي بالشاء عليه كقوله: «اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا اله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» إلى غير ذلك.

وهذا من أسباب استجابة الدعاء ولما سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- أحدهم يدعو ولم يثنِ على الله ولم يصلِ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «عجل هذا».

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٨٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

الفقرة الثانية والثمانون: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد

والثناء على الله - عز وجل - بأسمائه وصفاته فيجعل بين يدي المطلوب ما يناسب المقام إذا أردت الرحمة فتوسل بالرحمة وإذا أردت الرزق فتوسل بصفة الرزق وهكذا ثم يصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم - وأكملها الصلاة الإبراهيمية التي تقدمت في الأحاديث.

ثم يدعوا ويتخير من الدعاء ما شاء: إن تيسر أن يدعو بالثابت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو الأفضل لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث بجوامع الكلم وإن دعا بغيرها جاز، قال: «والله يا رسول الله لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ولكني أقول اللهم إني أسالك الجنة وأعوذ بك من النار قال حولها ندندن»^(١) أخرجه أبو داود.

ثم ويدعو بما شاء: «ما لم يدعو بإثم ولا قطيعة رحم» فلا يجوز أن يقول: اللهم اسقني خمرًا أو ارزقني حشيشة.

قوله: «رواه أبو داود»: وهو سليمان بن الأشعث السجستاني.

قوله: «وهو حديث صحيح»: وهو مخرج في الصحيح المسند للشيخ

مقبل - رحمه الله -.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٧٩٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(١٤٦١)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

الفقرة الثانية والثمانون: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد

قوله: «ومن أحسن صيغ الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-»: أي أن هناك صيغ كثيرة إلا أن أحسنها ما يأتي ومن للتبعيض.

قوله: «ما جاء في حديث أبي مسعود البدري -رضي الله عنه-»: وهو عقبة بن عمرو البدري سمي بدرًا لأنه سكن بدر لا أنه قاتل في بدر.

قوله: «أن بشير بن سعد قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله»: وهذا دليل على أنهم قد عرفوا السلام كما في بعض الروايات، «يا رسول قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك» فيجمع في التشهد بين السلام والصلاة.

قوله: «فكيف نصلي عليك»: فيه أن العبادات توقيفية ليس للعقل مجال فيها إنما يتعبد لله -عز وجل- بالدليل: المنقول عن المعصوم .

قوله: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»: والأمر للإرشاد، وقيل للوجوب في هذا الموطن كما تقدم.

وحديث: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(١) أخرجه أحمد عن علي -رضي الله عنه-.

(١) أخرجه الإمام الترمذی (٢٧١/٢) ، وأحمد (٢٠١/١) ، والطبرانی في " المعجم الكبير " (ج

١/٢٩٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في الإرواء برقم (٥).

الفقرة الثانية والثمانون: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد

قوله: «قولوا اللهم صل على محمدٍ»: أي يا الله صل أي اذكر نبيك -صلى الله عليه وسلم- في الملاء الأعلى ولا تكتب صلي بالياء لأن هذا فعل أمر مجزوم بحذف حرف العلة.

قوله: «على محمدٍ»: وهو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا يجوز أن يصلى على غير محمد -صلى الله عليه وسلم- إلا تبعاً لمحمد -صلى الله عليه وسلم- وهذا الذي عليه جماهير العلماء وأما حديث: «اللهم صل على آل أبي أوفى»، متفق عليه فهو دعاء لهم.

قوله: «وعلى آل محمدٍ»: قيل هم أتباع وقيل هم من حرم الصدقة والأصل أنهم أتباعه.

قوله: «كما صليت على آل إبراهيم»: استشكل من أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أفضل من إبراهيم وأفضل آل إبراهيم ثم في الصلاة يقول: «صل على محمد كما صليت على إبراهيم»، و: «صل على محمد كما صليت على آل إبراهيم».

فيقال: بأن محمداً -صلى الله عليه وسلم- داخل في آل إبراهيم فالصلاة عليه مرتان، مرة على الأفراد ومرة على التبعية، وقد ذكر ابن القيم أقوال العلماء المسألة.

ثم قال - رحمه الله تعالى - كما في جلاء الأفهام (ص: ٢٩٠):

وَتَقْرِير ذَلِكَ أَنْ يَجْعَلَ الصَّلَاةَ الْحَاصِلَةَ لِإِبْرَاهِيمَ وَلِآلِهِ وَفِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ
جَمْلَةً مَقْسُومَةً عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَآلِهِ وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ لَا يَحْصِلُ
لِآلِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِثْلَ مَا حَصَلَ لِآلِ إِبْرَاهِيمَ وَفِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ
بَلْ يَحْصِلُ لَهُمْ مَا يَلِيقُ بِهِمْ فَيَبْقَى قِسْمُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالزِّيَادَةُ
الْمُتَوَفَّرَةُ الَّتِي لَمْ يَسْتَحِقَّهَا آلُهُ مُحْتَصَّةٌ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَصِيرُ الْحَاصِلُ
لَهُ مِنْ مَجْمُوعِ ذَلِكَ أَعْظَمَ وَأَفْضَلَ مِنَ الْحَاصِلِ لِإِبْرَاهِيمَ وَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ
كُلِّ مَا تَقْدَمُهُ.

وَأَحْسَنُ مِنْهُ أَنْ يُقَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ بَلْ
هُوَ خَيْرُ آلِ إِبْرَاهِيمَ، كَمَا رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ
إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران ٣٣]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: "مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ آلِ
إِبْرَاهِيمَ".

وَهَذَا نَصٌّ فَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ فِي
آلِهِ فَدَخُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَى فَيَكُونُ قَوْلُنَا كَمَا صَلَّيْتَ
عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ مَتَنَاوَلًا لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ.

الفقرة الثانية والثمانون: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد

ثُمَّ قَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ أَنْ نَصْلِي عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ خُصُوصًا بِقَدْرِ مَا صَلَّيْنَا عَلَيْهِ مَعَ سَائِرِ آلِ إِبْرَاهِيمَ عُمُومًا وَهُوَ فِيهِمْ وَيَحْصُلُ لآلِهِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَلِيقُ بِهِمْ وَيَبْقَى الْبَاقِي كُلُّهُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ

وإبراهيم عليه -السلام-: أبو الأنبياء الذين جاءوا بعده وهو أفضل أولي العزم من الرسل بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ ﴿[النحل ١٢٠-١٢١]﴾.

قوله: «وبارك على محمد»: سؤال البركة وهي وضع الخير الإلهي في الشيء.

قوله: «وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد»: أي لتكن صلاتك عليهم في العالمين جميعًا من الجن والإنس.

قوله: «إنك حميد»: أي صاحب المحامد العظيمة، فيحمد على أفعاله وذاته وعلى جميع صفاته.

قوله: «مجيد»: أي واسع المحامد.

والحديث رواه مسلم.



خلافًا لما ذهب إليه أبو حنيفة -رحمه الله- من تجويز الخروج من الصلاة بأي فعل كان حتى قيل:

ويرى الخروج من الصلاة بضرطة ❀❀❀ أين الضراط من السلام عليكم **ويخرج من الصلاة بتسليمة، بقوله: «السلام عليكم ورحمة الله».**

ففي مسلم: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَانِبَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَامَ تُوْمِتُونَ بِأَيْدِيكُمْ كَأَنَّهُمَا أَذْنَابُ حَيْلٍ شُمْسٍ؟ إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ ثُمَّ يُسَلِّمُ عَلَى أَخِيهِ مَنْ عَلَى يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ».

وجاء أيضاً عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وأحاديث التسليمة الواحدة: أعلمها العلماء، فلا يثبت منها شيء، والله أعلم.

وقد تقدم في حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- **«ثم ليتخير من الدعاء ما شاء»**، وهذا مطلق لكن قد جاء من حديث أبي هريرة وابن عباس وعائشة -رضوان الله عليهم-.

قوله: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوّذْ بِاللّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(١). وهذا لفظ حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

قوله: «إِذَا فَرَغَ»: أي انتهى.

قوله: «أَحَدُكُمْ»: من الرجال والنساء، والجن والإنس من المصلين.

قوله: «من التشهد الآخر»:

خرج به التشهد الأوسط.

قوله: «فليتعوذ بالله من أربع»: لشدة فتنتها وبلائها على المسلمين:

«يقول أعوذ بالله»: الاستعاذة طلب العوذ من المرهوب.

كما إن الاستعانة طلب العون واللوذ تكون للمطلوب.

حتى قال بعضهم:

يا من ألوذ به فيما أوّمله *** ومن أعوذ به مما أحاذره لا يجبر

الناس عظما أنت كاسره *** ولا يبيضون عظما أنت جابره

قوله: «فليتعوذ بالله من أربع»: ويجوز الزيادة عليها لما يأتي.

قوله: «من عذاب جهنم»: وبدأ به لشدة ولأنها الخزي العظيم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٨٨).

قوله: «ومن عذاب القبر»: لأن القبر أول منازل الآخرة، وأهواله عظيمة كما تقدم.

قوله: «ومن فتنة المحيا والممات»: فتن البدع والحزبيات وفتن الدنيا ويدخل فيها الفتنة عند الموت وهو الخوف من الزيغ في حال الموت.

قوله: «ومن شر فتنة المسيح الدجال»: لشدة فتنته في آخر الزمن، وقد تقدم شيء من ذلك.

وكان طاؤوس إذا صلى ولده ولم يأت بهذا الدعاء يأمره بإعادة الصلاة كأنه يذهب إلى الوجوب أو أنه يريد به التأديب.

ومن الأدعية: ما جاء عن أبي بكر -رضي الله عنه- أنه سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يعلمه دعاء يدعو به في صلاته قال: **«قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندي وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم»** ^(١) متفق عليه.

وعن علي -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: **«بين الجلوس والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما سررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»** ^(٢) أخرجه مسلم، ولك أن تدعو بغير ذلك بما تحتاج من الأدعية.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣٨٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧١).

قوله: «عن معاذ بن جبل»: هو أبو عبدالرحمن بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن في الدعوة إلى الله وقد تقدم بيان ذلك، مات بالطاعون - رضي الله عنه -.

قوله: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيده»: وهذا لمزيد اعتناء وتنبيه.

قوله: «قال يا معاذ»: فيه المناداة بالاسم حتى يتنبه الطالب.

قوله: «والله إني لأحبك»: فيه إخبار من أحبه أنه يحبه.

وفي مسند أحمد: عَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه -: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَحِبُّ فَلَانًا فِي اللَّهِ قَالَ: فَأَخْبَرْتُهُ؟ قَالَ: لَا قَالَ: فَأَخْبَرُهُ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ فِي اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ يَا فَلَانُ، فَقَالَ لَهُ: أَحَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ»^(١).

قوله: «أوصيك يا معاذ»: والوصية الأخذ بها متعين ومنها الواجب ومنها المستحب: «لا تدعن في دبر كل صلاة».

اختلف العلماء في المراد به:

فقال بعضهم: الدبر يكون خارج الصلاة.

وقال بعضهم: الدبر يكون داخل الصلاة.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥١٢٥)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(٥٤)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

ونص في ذلك قال الشيخ بن عثيمين - رحمه الله - حيث قال بمعنى

كلامه:

إن كان الذكر من الأدعية فإن الدبر داخل الصلاة، وإن كان من الذكر المجرد من التكبير والتسبيح والتحميد ونحو ذلك فيكون خارج الصلاة.

قوله: «تقول اللهم أعني»: أي تطلب من الله - عز وجل - العون على «ذكرك» والذكر هو طاعة الله - عز وجل -.

والمراد به هنا: التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والحسبلة والحوقله وما في بابها.

وكلما كان الإنسان ذاكرًا لله - عز وجل - كان الله ذاكرًا له.

قال الله - عز وجل -: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

وفي الحديث القدسي: «إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي».

وقال تعالى -: ﴿وَلَذِكُرُ اللَّهَ أَكْبَرُ﴾.

قوله: «وشكرك»: وشكر الله على نعمه الكثيرة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا

نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ [النحل: ١٨].

وكلما زاد الإنسان من الشكر زاد الله في العطاء.

قال الله - عز وجل -: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

لَشَدِيدٌ﴾ [ابراهيم: ٧].

والشاكرون قليل قال الله: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

﴿فالشكر يكون بالعمل﴾: كالصلاة والصيام والحج والقيام والصدقة.

ويكون بالقول: كالسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والثناء.

ويكون بالاعتقاد: كالتعظيم والتبجيل والإجلال وغير ذلك.

والنبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي من الليل حتى تتفطر قدماه وقيل له في ذلك، فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»، متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

والمسلم يشكر الله - عز وجل - فيؤجر، فعن صهيب - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ولا يكون ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» ^(١) أخرجه مسلم.

قوله: «وحسن عبادتك»: أي ارزقني وأعني على أن أعبدك على أحسن الحالات وأكمل الهيئات.

وحسن العبادة: لا يكون إلا باجتماع الإخلاص والمتابعة.

قال الله - عز وجل - : ﴿لِيَبْلُوكُمُ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٩٩).

قيل: أخلصه وأصوبه.

والخالص: لا يكون إلا لله.

والمتابعة: تكون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وفيه: أن العبادة لا تقبل إلا إذا كانت على وجه حسن، وإلا فإن الله - عز وجل - يقول: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

فالمسألة عائدة إلى الإحسان بين العبد وبين الله - عز وجل -.

والحديث مخرج في الصحيح المسند للشيخ مقبل - رحمه الله -.

وجاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بلفظ: «إذا أحب أحدكم أن يجتهد في الدعاء فليقل اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(١).

وجاء عن بن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول في دعائه: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(٢) أخرجه أحمد، وهذا يدل على منزلته.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢ / ٢٩٩)، وعنه أبو نعيم في "الحلية" (٩ / ٢٢٣)، وهو في الصحيحة للإمام

الألباني رحمه الله تعالى برقم (٨٤٤).

(٢) أخرجه الإمام البزار في مسنده برقم (٢٠٧٥)، وقال فيه: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد الله بهذا

اللفظ إلا بهذا الإسناد، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٨٦٧)، وقال فيه: هذا

حديث حسن.

بهذا نكون قد انتهينا من وصف صفة صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وصفاً مختصراً يستفيد منه المبتدئ ولا يستغني عن الاطلاع عليه المنتهي.

ومن الأذكار دبر الصلاة:

ما جاء في حديث كعب بن عجرة - رضي الله عنه -: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مُعَقَّبَاتٌ لَا يَحِبُّ قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ - دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً»^(١) أخرجه مسلم.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامُ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٢).

وحديث المغيرة - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ إِذَا قَضَى الصَّلَاةَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٩٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٩٧).

وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجُدُّ» (١) متفق عليه.

وحديث عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- أنه كان يقول: فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النَّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الشَّانُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» وَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْلُلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ» (٢) أخرجه مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- عند أحمد: «تُسَبِّحُ اللَّهُ عَشْرًا وَتَحْمَدُ اللَّهُ عَشْرًا وَتُكَبِّرُ اللَّهُ عَشْرًا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ فَذَلِكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ»، (٣) وسيأتي الحديث بطوله في الفقرة التالية.

تنبيه: قراءة آية الكرسي دبر الصلاة حديثها ضعيف.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٩٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٩٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٩١٠)، والحديث إسناده حسن، شعبة سمع من عطاء قبل الاختلاط.

وأخرجه أبو داود (٥٠٦٥) من طريق شعبة، بهذا الإسناد. أفاده المحقق.

فعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
«مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبَّرَ كُلَّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ
يَمُوتَ»^(١)، ذكره الذهبي في مناكير محمد بن حمير، وما جاء له من الشواهد
لا يرتقي بها إلى الحسن، والله أعلم.

وكذلك لم تثبت قراءة المعوذات عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما
ظهر لي، والله أعلم.



(١) أخرجه الإمام النسائي رحمه الله في "عمل اليوم والليلة" ص (١٨٢)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٤٧٨). وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٩٧٢).

[الفقرة الرابعة والثمانون: من أذكار النوم والاستيقاظ]

الفقرة الرابعة والثمانون: من أذكار النوم والاستيقاظ.

٨٤- من أذكار النوم والاستيقاظ:

عَنْ حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ: «بِسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» رواه البخاري.

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لتتمة فوائد الكتاب، وذلك بذكر بعض ما يحتاج إليه المسلم في حياته اليومية والعمرية.

قوله: «من أذكار النوم»: من للتبعض وإلا فإن أذكار النوم كثيرة يعلمه من رجع إلى كتب الأذكار ككتاب الأذكار للنووي وعمل اليوم والليلة لابن السني وعمل اليوم والليلة للنسائي والدعاء للطبراني وما جاء في الصحيحين في كتاب الدعوات والأذكار، وغيرهما.

ومن أذكار النوم: قراءة آية الكرسي كما في البخاري معلقًا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - **قَالَ: « وَكَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةٍ**

رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَخْتُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا زَفَعَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَخْتُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا زَفَعَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَخْتُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا زَفَعَنَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنْكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ

الْبَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُحَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْطَانٌ»^(١).

ومن أذكار النوم حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَجَلْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ خَيْرًا»^(٢) متفق عليه.

ومنها: ما جاء عن علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه- في الصحيح: "أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ شَكَتْ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، فَآتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ يَجِدْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣١١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧١).

أَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ أَقُومُ، فَقَالَ: «مَكَانَكَ» فَجَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا، أَوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، فَكَبَّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»^(١).

ومنها: حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «خَصَلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ تُسَبِّحُ اللَّهُ عَشْرًا وَتُحَمِّدُ اللَّهُ عَشْرًا وَتُكَبِّرُ اللَّهُ عَشْرًا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ فَذَلِكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ وَتُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتُحَمِّدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ عَطَاءٌ لَا يَدْرِي أَيَّتُهُنَّ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٧٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٢٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠١٧).

وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ فَاتِّكُمُ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةٍ سَيِّئَةٍ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ قَالَ يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ صَلَاتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةً كَذَا وَكَذَا فَيَقُومُ وَلَا يَقُولُهَا فَإِذَا اضْطَجَعَ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَنُومُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَعْقِدُهُنَّ فِي يَدِهِ» أخرجه أحمد وقد تقدم.

ومن أذكار الاستيقاظ: ما ذكره المصنف.

ومنها: ما فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- من أنه كان ينظر إلى السماء ثم يقرأ العشر الآيات من أواخر سورة آل عمران: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ»^(١)، متفق عليه عن ابن عباس -رضي الله عنه-.

قوله: «عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد أن ينام: أي قبل أن ينام وتأهب للنوم.

قوله: «باسمك اللهم»: أي على اسم الله وهذا فيه التبرك باسم الله -عز وجل- وفيه السلامة من الشيطان، فعن جابر بن عبد الله، أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٥٦٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦).

الله عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعِشَاءَ»^(١) متفق عليه.

قوله: «أموت»: أي الموتة الصغرى التي هي النوم.

وقد يراد بها الكبرى: قال الله - عز وجل -: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

قوله: «أحيانا»: أي بعد النوم.

قوله: «وإذا استيقظ من منامه قال: الحمد لله»: يحمد الله - عز وجل -

على أنه سلمه من الموتة الكبرى وأنه أهله للعمل الصالح والله - عز وجل - يحمد على كل حال.

قوله: «وإليه النشور»: أي يوم القيامة.

والحديث رواه البخاري.



(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠١٨).

[الفقرة الخامسة والثمانون: التسمية على الطعام]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الخامسة والثمانون: التسمية على الطعام.

٨٥- التسمية على الطعام.

والدليل: حديث عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ لَهُ: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ، متفق عليه.

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة للإشارة إلى آداب الطعام.

ومنها: التسمية، والتسمية على الطعام قد جاء فيها عدة أحاديث:

منها: قول النبي -صلى الله عليه وسلم- «اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ»^(١) أخرجه أحمد عن وحشي بن حرب -رضي الله عنه-.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٧٦٤)، وابن ماجه في سننه (٣٢٨٦)، وابن حبان (١٣٤٥)، والحاكم (٢ / ١٠٣)، وأحمد (٣ / ٥٠١)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٦٦٤).

ومنها: حديث حذيفة - رضي الله عنه -: قَالَ: "كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا لَمْ نَضْعُ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَاتِمًا تُدْفِعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَاتِمًا يُدْفِعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا» ^(١) أخرجه مسلم.

ويدخل فيه التسمية على الشراب: وإنما ذكر الطعام من باب التغليب وإلا فهي على الطعام والشراب، وعند الدخول والخروج.

وحديث أبي سعيد - رضي الله عنه -: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ» ^(٢) أخرجه مسلم.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠١٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

قوله: «والدليل حديث عمر بن أبي سلمة»:

وهو عمر بن أبي سلمه ربيب النبي - صلى الله عليه وسلم -، أبوه
عبدالله بن عبد الأسد.

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: «يا غلام» وله قصة:

قال: "أكلت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت يدي تطيش في
الصحفة".

قوله: «سم الله»: أي قل بسم الله وإن قال بسم الله الرحمن الرحيم جاز
لكن الأولى أن يكتفي بما ورد به النص.

قوله: «وكل بيمينك»: أي كل بيدك اليمنى مخالفة للشيطان، والنبي -
صلى الله عليه وسلم - يقول: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرَبَ
فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
«لِيَأْكُلْ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ، وَلِيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، وَلِيَأْخُذْ بِيَمِينِهِ، وَلِيُعْطِ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ
الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ، وَيُعْطِي بِشِمَالِهِ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ»^(٢).

ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ
بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا»، قَالَ وَكَانَ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٢٦٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح ابن ماجه.

نَافِعٌ يَزِيدُ فِيهَا: «وَلَا يَأْخُذُ بِهَا، وَلَا يُعْطِي بِهَا»، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الطَّاهِرِ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ»، وقد تقدم معنا.

﴿فَالْيَمِينُ لَهَا شَرَفٌ فِي اللِّبَاسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ:﴾ «إِذَا تَوَضَّأْتُمْ أَوْ لَبَسْتُمْ فَأَبْدَأُوا بِأَيْمَانِكُمْ» وكان النبي - صلى الله عليه وسلم -: «كَانَ يَعْجِبُهُ التَّيْمَنُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» متفق عليه، عن عائشة رضي الله عنها.

﴿وَنَهَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ اسْتِخْدَامِ الْيَمِينِ حَالَ الْبَوْلِ:﴾ قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لَا يُمْسِكُنْ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ وَلَا يَتَمَسَّحُ مِنَ الْخَلَاءِ بِيَمِينِهِ» متفق عليه عن أبي قتادة - رضي الله عنه -.

قوله: «وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»: أي من الطعام الذي يليك قالوا إلا إذا كان لحماً أو فاكهة فله أن يختار ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ لكن ينبغي أن يأكل من الشق الذي يليه.

قوله: «فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طَعْمَتِي بَعْدَ»: فيه أخذ الصحابة - رضي الله عنهم - بتعليم النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وفيه: تعليم الصغار لآداب الطعام والشراب والنوم ونحو ذلك من الآداب.

وفيه: ملازمة ما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وإذا أكل المسلم حمد الله؛ لحديث أنس - رضي الله عنه - عند مسلم قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهِ»^(١).

وجاءت عدة أنواع من الحمد:

١- وفي الحديث: «الحمد لله الذي أطعم وسقى، وسَوَّغَهُ، وجعل له مَخْرَجًا» أخرجه أبو داود.

٢- وفي الحديث: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، مَنْ عَلَيْنَا فَهَدَانَا وَأَطْعَمَنَا وَأَسْقَانَا، وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مُودَعٍ وَلَا مُكَافٍ وَلَا مَكْفُورٍ وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَى مِنَ الشَّرَابِ، وَكَسَى مِنَ الْعُرْيِ، وَهَدَى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ مِنَ الْعَمَى، وَفَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٢)، إلى غير ذلك من الأذكار في الباب، وقد تكلمت عن آداب الطعام والشراب في شرحي على عمدة الأحكام، والله الموفق.



(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣٤).

(٢) أخرجه الإمام النسائي رحمه الله في عمل اليوم والليلة برقم (٣٠١)، وابن حبان في صحيحه (٥٢١٩)،

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٣١٠)، وقال فيه: هذا حديث حسن على

شرط مسلم. وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في التعليقات الحسان برقم (٥١٩٦): حسن الإسناد.

[الفقرة السادسة والثمانون: أذى الجيران وغيرهم من المسلمين حرام]

الفقرة السادسة والثمانون: أذى الجيران وغيرهم من المسلمين حرام.

٨٦- أذى الجيران وغيرهم من المسلمين حرام.

والدليل: حديث ابنِ عَمْرٍو -رضي الله عنه- أَنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» متفق عليه.

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان حق الجار ووجوب رفع الأذى عنه،

قال رسول -صلى الله عليه وسلم-: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا من يا رسول الله قال من لا يأمن جاره بوائقه»^(١)، أخرجه مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- وفي رواية: «لا يدخل الجنة».

فعن ابن عمر -رضي الله عنه- قال سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «مَا زَالَ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَّثُهُ»^(٢) أخرجه أحمد.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠١٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠١٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وحتى ولو كان الجار من غير المسلمين: قال الله - عز وجل -: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾، ولا تجوز الأذية لا بالقول ولا بالفعل.
قوله: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: "المسلم": أي حقًا، ظاهراً وباطناً الذي يثني عليه بالإسلام لأنه التزمه وطبقه.

قوله: «من سلم المسلمون من لسانه»: بالشتم والسب واللعن.
«ويده»: بالضرب والسرقة والنهبة والاغتصاب، والحديث متفق عليه.
وينبغي: أن يسلم المسلمون من سوء الظن.
فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١) أخرجه أحمد.

وقد بين الله - عز وجل - ما للمسلمين من الحقوق:
فقال الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾
[الحجرات: ١٢].

وحقوق المسلمين كثيرة منها ما جاء فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال
قال -صلى الله عليه وسلم-: «حق المسلم على المسلم ست إذا لقيتَه فسلم

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥١٤٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عليه وإذا دعاكَ فأجِبْه وإذا استنصَحَكَ فانصَحْ له وإذا عطسَ فحمِدْ اللهَ
فشمَّتْهُ وإذا مرَضَ فعُدَّهُ وإذا مات فاتَّبِعْهُ» ^(١)، متفق عليه واللفظ لمسلم،
ويقول - صلى الله عليه وسلم -: «المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمُهُ ولا
يخذلُهُ، كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ، دَمُهُ، وماله، وَعَرَضُهُ» ^(٢) أخرجه
مسلم.

فالمسلم يتميز بمكارم الأخلاق: سواء مع الجيران أو غيرهم من
الأرحام ونحو ذلك.



(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٢٤٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٦٢)، بلفظ: "حق

المسلم على المسلم خمس..."، ولفظ: "ست"، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٦٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٤٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨٠).

[الفقرة السابعة والثمانون: إذا أردت أن تدخل بيتا فاستأذن وسلم قبل

دخولك

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة السابعة والثمانون: إذا أردت أن تدخل بيتا فاستأذن وسلم قبل دخورك.

٨٧- إذا أردت أن تدخل بيتا فاستأذن وسلم قبل دخولك،

والدليل: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِحَادِمِهِ: «اُخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمَهُ الْإِسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ» ^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «... أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» أخرجه مسلم.

الشرح:

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥١٧٧) من حديث رجل من بني عامر رضي الله عنه، وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤٩٤)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط

الشيخين.

الفقرة السابعة والثمانون: إذا أردت أن تدخل بيتا فاستأذنه وسلم قبل دخوله

ذكر المصنف هذه الفقرة لتعليم بعض آداب الاستئذان.

ومنها: أن الإنسان يستأذن قبل دخول البيت أما بيته فيدخل بدون استئذان، إلا أنه ينبغي أن يسلم على أهله.

قال الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

وجعل الاستئذان من أجل البصر.

فعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ» ^(١) أخرجه البخاري ومسلم.

والاستئذان ثلاثاً: «قال أبو سعيد - رضي الله عنه -: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ عِنْدَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، فَاتَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مُغْضَبًا حَتَّى وَقَفَ، فَقَالَ: أَنْشِدْكُمْ اللَّهَ هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «الْإِسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أَذِنَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ» قَالَ أَبِي: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمْسٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمْ يُؤْذِنْ لِي فَرَجَعْتُ، ثُمَّ جِئْتُهُ الْيَوْمَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ، أَنِّي جِئْتُ أَمْسٍ فَسَلَّمْتُ ثَلَاثًا، ثُمَّ انْصَرَفْتُ. قَالَ: قَدْ سَمِعْنَاكَ وَنَحْنُ حِينِيذٍ عَلَى شُغْلٍ، فَلَوْ مَا اسْتَأْذَنْتَ حَتَّى

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٤١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٥٦).

الفقرة السابعة والثمانون: إذا أدت أن تدخل بيتنا فاستأذنه وسلم قبل دخوله

يُؤذَنُ لَكَ قَالَ: اسْتَأذَنْتُ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: فَوَاللَّهِ، لَا أُوجِعَنَّ ظَهْرَكَ وَبَطْنَكَ، أَوْ لَتَأْتِيَنَّ بِمَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا، فَقَالَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ: فَوَاللَّهِ، لَا يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَحَدُنَا سِنًّا، قُمْ، يَا أَبَا سَعِيدٍ، فَقُمْتُ حَتَّى أَتَيْتُ عُمَرَ، فَقُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ هَذَا» ^(١) أخرجه البخاري ومسلم.

قوله: «ويكون قبل دخولك»:

والدليل: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

قوله: «وعلمه الاستئذان»: فيه الحاجة إلى معرفة تعلم الآداب.

قوله: «وعن رجل من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-»: والإبهام في أسماء الصحابة لا يضر وإنما يضر الإبهام في السند في غير الصحابة.

قوله: «أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لخدمته: اخرج إلى هذا وعلمه الاستئذان»: لأن الرجل كان يقول: «أألج فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- اخرج فعلمه الاستئذان»، أي الاستئذان الشرعي وهو أن يبدأ ويقول السلام عليكم أأدخل، فإذا سمعه صاحب البيت قال: وعليكم السلام ادخل وتفضل ونحو ذلك.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٥٣).

الفقرة السابعة والثمانون: إذا أردت أن تدخل بيتنا فاستأذنه وسلم قبل دخوله

وهذه الأبواب تدل على أن الإسلام دين شامل كامل.

قوله: «وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «... أفشوا السلام بينكم»:

هذا في الاستئذان وغيره؛ لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أخرجه مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»^(١).

وأكملة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم السلام عليكم ورحمة الله، ثم السلام عليكم.

هل يجزئ أن تقول: (سلام)؟

رأى بعضهم جواز ذلك؛ لقول الله - عز وجل -: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾.

وقوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾.

والصحيح، أنه لو أتى بالسلام الثابت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو أكمل.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٤).

الفقرة السابعة والثمانون: إذا أردت أن تدخل بيتنا فاستأذنه وسلم قبل دخوله

وأما قوله عليك السلام فقد أنكرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
 «لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ مَحْيَةُ الْمَوْتَى» ^(١) أخرجه أبو داود
 عن جابر بن سليم - رضي الله عنه -.

ومن آداب السلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
 «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ».

قال الحافظ (١١ / ١٧):

قَالَ بَطَّالٌ عَنِ الْمُهَلَّبِ: تَسْلِيمُ الصَّغِيرِ لِأَجْلِ حَقِّ الْكَبِيرِ لِأَنَّهُ أَمْرٌ
 بِتَوْقِيرِهِ وَالتَّوَاضُّعِ لَهُ، وَتَسْلِيمُ الْقَلِيلِ لِأَجْلِ حَقِّ الْكَثِيرِ لِأَنَّ حَقَّهُمْ أَعْظَمُ.
 وَتَسْلِيمُ الْمَارِّ لِشَبَّهِهِ بِالِدَاخِلِ عَلَى أَهْلِ الْمَنْزِلِ.
 وَتَسْلِيمُ الرََّاكِبِ لئَلَّا يَتَكَبَّرَ بِرُكُوبِهِ فَيَرْجِعُ إِلَى التَّوَاضُّعِ.
 وَقَالَ بَن الْعَرَبِيِّ: حَاصِلُ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُفْضُولَ بِنَوْعٍ مَا يَبْدَأُ
 الْفَاضِلَ.

وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: أَمَّا أَمْرُ الرََّاكِبِ فَلِأَنَّ لَهُ مَزِيَّةً عَلَى الْمَاشِي، فَعَوَّضَ الْمَاشِي
 بِأَنْ يَبْدَأَهُ الرََّاكِبُ بِالسَّلَامِ، احْتِيَاظًا عَلَى الرََّاكِبِ مِنَ الزَّهْوِ، أَنْ لَوْ حَازَ
 الْفَضِيلَتَيْنِ.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥٢٠٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود

رحمه الله تعالى.

الفقرة السابعة والثمانون: إذا أردت أن تدخل بيتنا فاستأذنه وسلم قبل دخوله

وَأَمَّا الْمَأْشِي فَلَمَّا يَتَوَقَّعُ الْقَاعِدُ مِنْهُ مِنَ الشَّرِّ وَلَا سِيَّماً إِذَا كَانَ رَاكِباً فَإِذَا ابْتَدَأَهُ بِالسَّلَامِ أَمِنَ مِنْهُ ذَلِكَ، وَأَنْسَ إِلَيْهِ، أَوْ لِأَنَّ فِي التَّصَرُّفِ فِي الْحَاجَاتِ امْتِهَاناً فَصَارَ لِلْقَاعِدِ مَزِيَّةٌ فَأَمَرَ بِالِابْتِدَاءِ، أَوْ لِأَنَّ الْقَاعِدَ يَشُقُّ عَلَيْهِ مُرَاعَاةُ الْمَارِّينَ مَعَ كَثَرَتِهِمْ، فَسَقَطَتِ الْبِدَاءَةُ عَنْهُ لِلْمَشَقَّةِ بِخِلَافِ الْمَارِّ فَلَا مَشَقَّةَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْقَلِيلُ فَلِفَضِيلَةِ الْجَمَاعَةِ، أَوْ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ لَوْ ابْتَدَءُوا لَخِيفَ عَلَى الْوَاحِدِ الزَّهْوُ فَاحْتِيطَ لَهُ.

وَلَمْ يَقَعْ تَسْلِيمُ الصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَكَأَنَّهُ لِمُرَاعَاةِ السَّنِّ فَإِنَّهُ مُعْتَبَرٌ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فِي الشَّرْعِ، فَلَوْ تَعَارَضَ الصَّغَرُ الْمُعْنَوِيُّ وَالْحَسِيُّ كَأَن يَكُونَ الْأَصْغَرُ أَعْلَمَ مِثْلًا فِيهِ نَظَرٌ.

وَلَمْ أَرِ فِيهِ نَقْلاً وَالَّذِي يَظْهَرُ اعْتِبَارُ السَّنِّ لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ كَمَا تُقَدِّمُ الْحَقِيقَةُ عَلَى الْمَجَازِ.

وَنَقَلَ بَن دَقِيقِ الْعِيدِ عَنْ بَن رُشْدٍ: أَنَّ مَحَلَّ الْأَمْرِ فِي تَسْلِيمِ الصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ إِذَا التَّقْيَا فَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا رَاكِباً وَالْآخَرُ مَاشِياً بَدَأَ الرَّاكِبُ، وَإِنْ كَانَا رَاكِبَيْنِ أَوْ مَاشِيَيْنِ بَدَأَ الصَّغِيرُ.

وَقَالَ الْمَازِرِيُّ وَغَيْرُهُ: هَذِهِ الْمُنَاسَبَاتُ لَا يُعْتَرَضُ عَلَيْهَا بِجُزْئِيَّاتٍ تُخَالِفُهَا؛ لِأَنَّهَا لَمْ تُنْصَبْ نَصْبَ الْعِلَلِ الْوَاجِبَةِ الْإِعْتِبَارِ، حَتَّى لَا يَجُوزَ أَنْ يُعَدَلَ عَنْهَا

الفقرة السابعة والثمانون: إذا أردت أن تدخل بيتنا فاستأذنه وسلم قبل دخوله

حَتَّى لَوْ ابْتَدَأَ الْمَاشِي فَسَلَّمَ عَلَى الرَّكِابِ لَمْ يَمْتَنِعْ لِأَنَّهُ مُمَثِّلٌ لِلْأَمْرِ بِإِظْهَارِ السَّلَامِ، وَإِفْشَائِهِ غَيْرَ أَنَّ مُرَاعَاةَ مَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ أَوَّلَى، وَهُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِحْبَابِ.

وَلَا يَلْزَمُ مَنْ تَرَكَ الْمُسْتَحَبَّ الْكَرَاهَةَ بَلْ يَكُونُ خِلَافَ الْأَوَّلَى فَلَوْ تَرَكَ الْمَأْمُورَ بِالْإِبْتِدَاءِ فَبَدَأَهُ الْآخَرُ كَانَ الْمَأْمُورُ تَارِكًا لِلْمُسْتَحَبِّ وَالْآخَرُ فَاعِلًا لِلنِّسْبَةِ إِلَّا إِنْ بَادَرَ فَيَكُونُ تَارِكًا لِلْمُسْتَحَبِّ أَيْضًا.

وَقَالَ الْمُتَوَلَّى: لَوْ خَالَفَ الرَّكِابُ أَوِ الْمَاشِي مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْخَبَرُ كُرْهًا. قَالَ: وَالْوَارِدُ يَبْدَأُ بِكُلِّ حَالٍ.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: لَوْ جَاءَ أَنَّ الْكَبِيرَ يَبْدَأُ الصَّغِيرَ وَالْكَثِيرَ يَبْدَأُ الْقَلِيلَ لَكَانَ مُنَاسِبًا؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الصَّغِيرَ يَخَافُ مِنَ الْكَبِيرِ، وَالْقَلِيلَ مِنَ الْكَثِيرِ فَإِذَا بَدَأَ الْكَبِيرُ وَالْكَثِيرُ أَمِنَ مِنْهُ الصَّغِيرُ وَالْقَلِيلُ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْمَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا اعْتَبِرَ جَانِبُ التَّوَاضُّعِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَحَيْثُ لَا يَظْهَرُ رُجْحَانُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ بِاسْتِحْقَاقِهِ التَّوَاضُّعَ لَهُ اعْتَبِرَ الْإِعْلَامُ بِالسَّلَامَةِ وَالِدُعَاءُ لَهُ رُجُوعًا إِلَى مَا هُوَ الْأَصْلُ.

فَلَوْ كَانَ الْمَشَاءُ كَثِيرًا وَالْقُعُودُ قَلِيلًا تَعَارَضَا وَيَكُونُ الْحُكْمُ حُكْمَ اثْنَيْنِ تَلَاقِيَا مَعًا فَأَيُّهُمَا بَدَأَ فَهُوَ أَفْضَلُ وَيَحْتَمِلُ تَرْجِيحُ جَانِبِ الْمَاشِي كَمَا تَقَدَّمَ. اهـ

الفقرة السابعة والثمانون: إذا أردت أن تدخل بيتنا فاستأذنه وسلم قبل دخوله

وأما أهل الكتاب من اليهود والنصارى ونحوهم فلا يبتدئون بالسلام ولكن إن سلموا فقل: "وعليك".

لما جاء في الصحيحين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ» إلى غير ذلك.



قال الله - عز وجل -: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قوله: «فإنه يهدي إلى الجنة»: أي طريق وسبيل الجنة قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

قوله: «والدليل: حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -»: وهو عبدالله ابن مسعود - رضي الله عنه - صحابي جليل.

قال عنه النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ساق عبدالله ابن مسعود أثقل في الميزان من جبل أحد» أخرجه أحمد.

قوله: «إن الصدق يهدي إلى البر»: أي الصدق مع الله - عز وجل - وصدق الأقوال والأفعال يكون سبيلاً إلى البر لأنه خلق كريم يدعو إلى مكارم الأخلاق.

وقد جاء عن أبي بكر -رضي الله عنه- خطبه في خطبة: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ - يَعْنِي: الرَّجُلَ - لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا» ^(١) أخرجه أحمد.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢].

وأما حديث: «لم يعملوا خيرا قط»، فيحمل على أنهم لم يتمكنوا من العمل، أو لم يعملوا ما يثنى عليهم به، مع عمله ببعض الخير.
قوله: «وإن الكذب يهدي إلى الفجور»: جاء في بعض الروايات: «وإياكم والكذب» أي اجتنبوا الكذب.

«يهدي إلى الفجور»: أي يوصل إلى مخالفة أمر الله بمعصيته.
وللحديث تمة: «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكُذْبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا».

وذكر الصدق؛ لأنه من الأخلاق العامة التي آلتها الجوارح والقلب واللسان.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٩٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠٧).

والصدق يكون مع الله: بالتوحيد.

ويكون مع الجار: بعدم النظر إلى زوجته، وبعدم الخيانة، والأذى له.

ومع الشريك: بعدم الخيانة له، والصدق معه.

وفي البيع والشراء، وفي الأخذ والعطاء وهو كلمة عامة لكل خير.

ولذلك قال الله - عز وجل -: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩] وقال: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾

[المائدة: ١١٩]، والله أعلم.

وفي حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا

- فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» ^(١)

متفق عليه.

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى

الله عليه وسلم - أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ قَالَ كُلُّ مُحْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ

قَالُوا صَدُوقِ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مُحْمُومُ الْقَلْبِ قَالَ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ

وَلَا بَغْيٍ وَلَا غِلٍّ وَلَا حَسَدٍ» ^(٢) أخرجه ابن ماجه.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٠٧٩)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٣٢).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٢١٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح ابن

ماجه، وهو في الصحيحة (٩٤٨).

وفي حديث الحسن بن علي -رضي الله عنه-: «الصدق طُمَأْنِينَةٌ،
وَالْكَذِبُ رِيْبَةٌ» ^(١) أخرجه الترمذي.

وقد حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من الكذب: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ:
إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» ^(٢)، متفق عليه عن أبي
هريرة -رضي الله عنه-.

-والله الموفق-



(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥١٨)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٣٠٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٩).

[الفقرة التاسعة والثمانون: عليك ببر الوالدين]

الفقرة التاسعة والثمانون: عليك ببر الوالدين.

٨٩- عليك ببر الوالدين.

فقد أمر الله - عز وجل - بذلك، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لبيان بعض حقوق العباد.

ويدخل فيها صلة الأرحام؛ لأن الوالد والأم أعلى درجات الرحم.

وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه».

قال الله - عز وجل -: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وقد أمر الله - عز وجل - بحق الوالدين في مواطن فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى -: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال-عز وجل:- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]

وقال-عز وجل:- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾

[الاحقاف: ١٥].

قال -تبارك وتعالى:- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

كل هذا التكرار يدل على عظم حقهما ويقول النبي - صلى الله عليه

وسلم- وسأله رجل: «الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأحفظ وإن

شئت فضيع» ^(١) أخرجه أحمد عن أبي الدرداء -رضي الله عنه-.

وأحق الناس بالبر الأم ثم الأب، قال -صلى الله عليه وسلم-: «من

أحق الناس بحسن صاحبتى قال: أمك قال ثم من قال: أمك قال: ثم من

قال: أمك قال: ثم من قال: أبوك» وفي الحديث الآخر: «ثم أدناك أدناك» ^(٢)

متفق عليه عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

👉 وبر الوالدين: يكون بالإحسان إليهما في حياتهما، والإحسان إلى

أصحابهما بعد مماتهما.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٩٠٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٧١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٤٨)، واللفظ الآخر

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٤٨).

قال الله - عز وجل -: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨].

وفي حديث علي - رضي الله عنه -: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» ^(١) متفق عليه، والله أعلم.



(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٤٠).

[الفقرة التسعون: تحريم التشبه بالكافرين]

الفقرة التسعون: تحريم التشبه بالكافرين.

٩٠- احذر التشبه بالكافرين.

فَإِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»
أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَالحديث حسن.

الشرح:

ذكر المصنف -**حفظه الله**- هذه الفقرة لبيان عظيم موافقة المشركين، ووجوب مخالفتهم.

ومن كتابي: "الأدلة الرضوية في حكم الديمقراطية":

ثم اعلم وفقك الله أن هذا الدين كان حريصاً على أن يكون للمسلم
كيان مستقل بعيداً عن التشبه بالكافرين الملحدين الضالين، فتجد أن الله قد
أمر بمخالفتهم في كثير من العبادات والعادات؛ لأن الكافرين في جاهلية
وجهل وبعد عن طاعة الله عز وجل، وأولياء الشيطان، وأعداء الرحمان، كما
قال الله مخبراً عن إبراهيم: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ
لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤].

وقد حذرنا الله تعالى من مشابهتهم في الفرقة وغيرها، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ❀ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿[الروم: ٣١-٣٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ❀ [آل عمران: ١٠٥].

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ❀ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿[الجاثية: ١٦-١٩].

قال تعالى: ﴿وَلَتَنْتَبِهَنَّ أَهْوَاءَهُمْ بِعَدَالَتِ اللَّهِ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ❀ [البقرة: ١٢٠].

قال ابن كثير رحمه الله (١/ ١٦٨):

فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن طرائق اليهود والنصارى، بعدما علموا من القرآن والسنة، عياداً بالله من ذلك، فإن الخطاب لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأُمَّته. اهـ

ومما يدل عليه القرآن النهي عن مشافهتهم قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ❀ [البقرة: ١٠٤].

وقال قتادة وغيره: كانت اليهود تقول استهزاء فكره الله للمؤمنين أن يقولوا مثل قولهم، ومن أراد أكثر فعلية بقراءة كتاب شيخ الإسلام «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم».

قال ابن كثير رحمه الله (١/ ١٥٣):

عند تفسير هذه الآية، نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين، أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وأفعالهم.

بعد سوقه لحديث ابن عمر الذي أخرجه الإمام أحمد قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»^(١).

ففيه: دلالة على النهي الشديد، والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أفعالهم وأقوالهم ولباسهم، وأعيادهم وعباداتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا، ولم نقر عليها. **اهـ**

وقد جاءت أدلة كثيرة تحث على مخالفتهم في عباداتهم، نورد منها على سبيل الذكر لا الحصر:

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٥٠ و ٩٢)، وعبد بن حميد في "المنتخب من المسند" (ق ٢/ ٩٢)، وابن أبي شيبه في "المصنف" (١/ ١٥٠ و ٧)، وأبو سعيد ابن الأعرابي في "المعجم" (ق ٢/ ١١٠)، والهروي في "ذم الكلام" (ق ٢/ ٥٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في الإرواء برقم (١٢٦٩).

حديث عمر بن عبسة^١ رضي الله عنه - عند الإمام مسلم (٨٣٢): «صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس، حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى يستقل الظل بالمرح، ثم أقصر عن الصلاة، فإن حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفياء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار».

وحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عند الشيخين قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -: «خالفوا المشركين، احفوا الشوارب واعفوا اللحى».

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -: «جزوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس»^(١).

وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»^(٢)، أخرجه الإمام مسلم من حديث جابر - رضي الله عنهما -.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤٦٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٠٣).

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث عمرو بن العاص -**رضي الله عنهما**:- «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر»^(١)، أخرجه مسلم.

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث أبي هريرة -**رضي الله عنه**- عند أبي داود، وهو في صحيح شيخنا مقبل رحمه الله، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون»^(٢).

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «صلوا في نعالكم، خالفوا اليهود»^(٣).

وكانت اليهود إذا حاضت النساء لا يأكلوهن ولا يجامعوهن في البيوت. فسأل الصحابة -**رضي الله عنهم**- رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- عن ذلك، فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠٩٦).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٢٣٥٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (١٤١٦)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٦٥٢)، بلفظ: «خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ، وَلَا خِفَافِهِمْ»، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٤٧١).

مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢].
فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اصنعوا كل شيءٍ إلا
النكاح»^(١).

فبلغ ذلك اليهود فقالوا: "ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً، إلا
خالفنا فيه". أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله (ص ٦٢) في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم
في مخالفة أصحاب الجحيم":

فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل على
أنه خالفهم في جميع أمورهم، حتى قالوا: ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا
خالفنا فيه. اهـ

وأخرج الإمام مسلم: من حديث جابر - رضي الله عنهما -، أن رسول الله
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - رأى أصحابه يصلون، ورأه قياماً فقال:
«إن كدتم أنفأ تفعلوا فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم، وهم قعود
فلا تفعلوا»^(٢).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٠٢).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤١٣).

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله»^(١).

وقال الله تعالى محذراً النساء من التشبه بالجاهليات: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَةِ الْأُولَى﴾.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في صيام يوم عاشورا: «لأن بقيت إلى القابل لأصومن التاسع»^(٢)، من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- عند مسلم، وهذا من أجل مخالفة اليهود.

ورأى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- على عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- ثوباً معصفاً فقال: «أملك أمرتك بهذا؟»، قال: «أغسله»، قال: «بل أحرقه إنه من لباس الكفار»^(٣)، وهو في الصحيح.

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عند أن قال له: لو اشتريت هذه الحلة فلبستها في العيد أو الوفود؟ قال: «إنما يلبس هذا من لا خلاق له».

والذين يلبسونها الكفار، ونزع فروخاً من حرير، وكان قد لبسه فقال: «إن هذا لا ينبغي للمتقين».

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤٤٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١١٣٤).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٧٧).

والأشهر من هذا مخالفتهم في القبلة، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

ومما تقدم يظهر لك أن الله قد أمرنا بمخالفتهم في جميع أمور الدين؛ لأنهم على طريقة غير مرضية، وسبيل غير سوي، وصراط معوج، وفي هذا غنية لمن أراد الحق.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه: «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ١٦٤):

قد ذكرنا من دلائل الكتاب والسنة، والإجماع والآثار والاعتبار ما دل على أن التشبه بهم في الجملة منهي عنه، وأن مخالفتهم في هديهم إيجاباً وإما استحباباً، بحسب المواضع.

وقد تقدم بيان ما أمرنا الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- به من مخالفتهم، مشروع سواء كان ذلك بالفعل مما قصد فاعل التشبه بهم أو لم يقصد، وكذلك ما نهى عنه من مشابهتهم يعم ما إذا قصدت مشابهتهم أو لم تقصد، فإن عامة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها،

وفيها ما لا يتصور قصد المشابهة فيه كبياض الشعر، وطول الشارب، ونحو ذلك. اهـ

-وبالله التوفيق-



[الفقرة الواحدة والتسعون: عليك بكثرة ذكر الله]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الفقرة الواحدة والتسعون: عليك بكثرة ذكر الله - عز وجل -.

٩١- عليك بكثرة ذكر الله - عز وجل -، على ما ثبتت به الأدلة.

فإن ذلك من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا

اللَّهُ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه

وسلم-: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى

الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١)، متفقٌ عليه.

وفي هذا الحديث إثبات الميزان، وأنه يثقل بالحسنات، وإثبات صفة

المحبة لله - عز وجل - على ما يليق بجلاله.

الشرح:

ذكر المصنف هذه الفقرة لأن ذكر الله - عز وجل - هو أعظم سبب لفلاح

الدنيا والآخرة.

وفي هذه الفقرة إثبات الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة، وقد

تقدم الكلام عليه.

وبذكر الله ترتاح القلوب، ودنيانا بذكره تطيب.

هو ديدن الأنبياء والصالحين، ومؤنس الوحيد، وأكبر من كل شيء: ﴿ولذكر الله أكبر﴾.

إنه الطمأنينة: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

إنه السكينة وسبب النصر والثبات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَاقْبَتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [أنفال: ٤٥].

به ترفع الغفلة: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [أعراف: ٢٠٥].

وصاحبه محروس من الشيطان: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

وكم يحاول الشيطان في الصد عنه وغيره من الطاعات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

وأخرج الإمام الترمذي (٢٨٦٣): عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ

رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَخْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرَزُ نَفْسُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ.

وهل بنيت المساجد إلا للذكر؟

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

وأخرج مسلم رحمه الله (٢٨٥): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِي فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعْوُهُ» فَتَرَكَوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدْرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ".

ودوام الذكر للرب عز وجل هو طريقة أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة، والاعتقادات القومية، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٠﴾ آل عمران:
[١٩٠-١٩١].

والذي يتأثر بالذكر ويوجل قلبه هو المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤]، فصاحب الذكر من المؤمنين حقًا كما تقدم في الآية.

وكم من الأجور العظيمة التي أعدها الله عز وجل لذاكرين.

قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والنفور منه علامة النفاق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنَّا أَذْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الاسراء: ٤٥-٤٦].

شرعه الله عز وجل بعد العبادات، وما شرعت العبادات إلا لذكره، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، إلى غير ذلك.

قال ابن القيم في «المدارج» (٢/ ٤٤٠-٤٤١):

وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون وفيها يتجرون وإليها دائما يترددون والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبورا وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق ودواء أسقامهم الذي متى فارقه انتكست منهم القلوب والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم *** فنترك الذكر أحيانا فننتكس به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلمهم البلاء فإليه ملجؤهم وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم فهو رياض جنتهم التي فيها يتقبلون ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورا.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يأمرسون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قياما وقعودا وعلى جنوبهم فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلاها وكلما ازداد
الذاكر في ذكره استغراقا ازداد المذكور محبة إلى لقاءه واشتياقا وإذا واطأ في
ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء
وكان له عوضا من كل شيء.

به يزول الوقر عن الأسماك والبكم عن الألسن وتنقشع الظلمة عن
الأبصار زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين فاللسان
الغافل كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء وهو باب الله الأعظم
المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

والذاكر منصور بنصر الله عز وجل، ومحفوظ بحفظ الله عز وجل،
وتضاعف له الأجور العظيمة والعطايا الجزيلة من رب كريم ومملك
عظيم. اهـ

وأخرج الترمذي (٣٣٧٧): عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي
دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا
عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «ذَكَرُ اللَّهِ
تَعَالَى»، قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ
ذِكْرِ اللَّهِ.»

وأخرج الإمام الترمذي (٣٣٧٥): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».

فلازم أيها المسلم الذكر، فإنه أمر الله عز وجل لي ولك.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

الأذكار التي ينبغي للمسلم المحافظة عليها ما استطاع إلى ذلك سبيلا:

١ - الأذكار المطلقة المضاعفة:

أخرج مسلم في «صحيحه» (٢٧٢٦): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ جُوَيْرِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَصْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ».

وقال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَاقُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ مُسْعَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي رَشْدِينَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ جُوَيْرِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «مَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ صَلَّى صَلَاةَ

الْغَدَاةِ أَوْ بَعْدَ مَا صَلَّى الْغَدَاةَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ
سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ زِينَةَ عَرْشِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

وأخرج مسلم: عَنْ سَعْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
«أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ فِي الْيَوْمِ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» قَالَ: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ؟
قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيَكْتُبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ وَتُمَحَّى عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ»^(١).

وأخرج الشيخان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
«أَلَا أَدُلُّكَ قَالَ حَجَّاجٌ أَوْ لَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ»^(٢).

وفيها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ
خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ
وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه.

وفي مسلم: عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
تَمْلَأَانِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ،

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣٨٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٤)، من حديث أبي

موسى الأشعري رضي الله عنه.

وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعَ نَفْسِهِ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا»^(١).

وفي «الصحيحين»: عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّنٍ بَدَأْتَ»، البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢١٣٧).

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كأنما أعتق أربعة من ولد إسماعيل».

ولأحمد: عَنْ أَبِي سَلَمَى -رضي الله عنه- مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَخِ بَخِ خَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَقَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدَاهُ»، وَقَالَ: «بَخِ بَخِ لِحَمْسٍ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ»^(٢).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٢٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥٦٦٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم

(١٢٢٩)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

وفي مسلم (٢٦٩٥): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: أحب إلي مما طلعت عليه الشمس».

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الترمذي وغيره: وفيه: «اقرأ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»^(١) والحديث حسن.

وعند أحمد والترمذي (٣٥٩٠): من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد لا إله إلا قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش».

الحديث في الصحيح المسند للإمام الوادعي.

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عند البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨) قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ».

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٤٦٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترمذي.

وفي البخاري (٩٩): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ».

وفي الصحيحين: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: «سبحان الله وبحمده في يومه مئة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر»^(١).

وفي مسلم: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ وَحَمِدَ اللَّهَ وَهَلَّلَ اللَّهَ وَسَبَّحَ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَعَزَلَ حَجْرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِ مِائَةِ السَّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحَزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ»^(٢)، قَالَ أَبُو تَوْبَةَ: "وَرُبَّمَا قَالَ: يُمَسِّي".

وقال ﷺ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ يَنْعُطُفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ هُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ تَذْكُرُ بِصَاحِبِهَا أَمَا يُحِبُّ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩١، ٢٦٩٢).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠٠٧).

أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ» ^(١) الحديث أخرجه أحمد عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - وهو في «الصحيح المسند».

وأخرج أحمد (٣/ ١٥٢)، والبخاري في «الأدب» (٦٣٤): عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ غُصْنًا فَنَفَضَهُ فَلَمْ يَنْتَفِضْ، ثُمَّ نَفَضَهُ فَلَمْ يَنْتَفِضْ، ثُمَّ نَفَضَهُ فَاتْنَفَضَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ تَنْفِضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفِضُ الشَّجَرَةَ وَرَقَهَا».

وأخرج أحمد (١/ ١٦٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٣٨)، وهو في الصحيحة (٦٥٣): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ - رضي الله عنه -: أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عُدْرَةَ ثَلَاثَةَ أَتَوَا النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمُوا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ يَكْفِيهِمْ؟ قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ: فَكَانُوا عِنْدَ طَلْحَةَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا فَخَرَجَ أَحَدُهُمْ فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ بَعْثًا فَخَرَجَ فِيهِمْ آخَرُ فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ الثَّلَاثُ عَلَى فِرَاشِهِ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدِي فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ الْمَيِّتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَمَامَهُمْ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ آخِرًا يَلِيهِ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ، قَالَ: فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٠٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح ابن

ماجه رحمه الله تعالى.

أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمِّرُ فِي الْإِسْلَامِ
لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ».

إلى غير ذلك من أراد التزود فليراجع كتب الأذكار والدعوات.

- وبالله التوفيق -



قوله: «كفارة المجلس»: أي مجلس إن كان مجلس خير كانت خاتماً عليه حتى يلقي الله بذلك وإن كانت مجلس شر كان كفارة له وهذا إنما هو من الصغائر أما الكبائر فلا بد لها من توبة نصوح.

قوله: «عن عائشة رضي الله عنها»: هي أم المؤمنين أم عبدالله.

قوله: «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا جلس مجلساً»: وفي رواية: «إذا قرأ قرآنًا أو صلى صلاةً» فهذا من أذكار المجلس وقراءة القرآن والصلاة فهو ذكر جامع.

قوله: «تكلم بكلمات»: أي تسمعه يتكلم ولا تدري ما سبب ذلك فسأله عائشة - رضي الله عنها - عن الكلمات، فقال: «إن تكلم بخير كان طابعا عليهن إلى يوم القيامة».

وهذا من الحرص على خواتم الأعمال، وفي حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِذَا أَعْمَلُ بِالْخَوَاتِيمِ»^(١) أخرجه البخاري.

قوله: «وإن تكلم بغير ذلك كان كفارة»: لما بدر من اللغو ونحوه، والكفارة هي الستر للذنوب والتجاوز عنه.

وقد ذكر العلماء إحدى عشر مكفراً من مكفرات الذنوب.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٦٠٧).

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢/ ٤٥١):

وأيضاً: فَإِنَّهُ قَدْ يُعْفَى لِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ مَا لَا يُعْفَى لِغَيْرِهِ، فَإِنَّ فَاعِلَ السَّيِّئَاتِ تَسْقُطُ عَنْهُ عُقُوبَةُ جَهَنَّمَ بِنَحْوِ عَشْرَةِ أَسْبَابٍ، عُرِفَتْ بِالِاسْتِقْرَاءِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ:

السَّبَبُ الأول: التَّوْبَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ [مَرِيَمَ: ٦٠، وَالْفُرْقَانَ

.[٧٠.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [البقرة: ١٦٠]

والتَّوْبَةُ النَّصُوحُ، وَهِيَ الْحَالِصَةُ، لَا يَخْتَصُّ بِهَا ذَنْبٌ دُونَ ذَنْبٍ، لَكِنْ هَلْ تَتَوَقَّفُ صِحَّتُهَا عَلَى أَنْ تَكُونَ عَامَّةً؟ حَتَّى لَوْ تَابَ مِنْ ذَنْبٍ وَأَصَرَ عَلَى آخَرَ لَا تُقْبَلُ؟ وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا تُقْبَلُ.

وَهَلْ يَجِبُ الْإِسْلَامُ مَا قَبْلَهُ مِنَ الشَّرِكِ وَغَيْرِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ لَمْ يَتُبْ

مِنْهَا؟

أَمْ لَا بُدَّ مَعَ الْإِسْلَامِ مِنَ التَّوْبَةِ مِنْ غَيْرِ الشَّرِكِ؟ حَتَّى لَوْ أَسْلَمَ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى الزَّنا وَشَرِبَ الْخَمْرَ مَثَلًا، هَلْ يُؤَاخَذُ بِمَا كَانَ مِنْهُ فِي كُفْرِهِ مِنَ الزَّنا وَشَرِبِ الْخَمْرِ؟ أَمْ لَا بُدَّ أَنْ يَتُوبَ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ مَعَ إِسْلَامِهِ؟

أَوْ يَتُوبَ تَوْبَةً عَامَّةً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؟ وَهَذَا هُوَ الْأَصَحُّ: أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّوْبَةِ
مَعَ الْإِسْلَامِ، وَكَوْنِ التَّوْبَةِ سَبَبًا لِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ وَعَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ بِهَا - مِمَّا لَا
خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ.

يَكُونُ سَبَبًا لِغُفْرَانِ جَمِيعِ الذُّنُوبِ إِلَّا التَّوْبَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ
الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وَهَذَا لِمَنْ تَابَ، وَهَذَا قَالَ: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ [الزمر: ٥٣].

وَقَالَ بَعْدَهَا: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٤] الآية [الزمر: ٥٤].

السَّبَبُ الثَّانِي: الْإِسْتِغْفَارُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

لَكِنَّ الْإِسْتِغْفَارَ تَارَةً يُذَكَّرُ وَحْدَهُ، وَتَارَةً يُقَرَّنُ بِالتَّوْبَةِ، فَإِنْ ذُكِرَ وَحْدَهُ
دَخَلَ مَعَهُ التَّوْبَةُ، كَمَا إِذَا ذُكِرَتِ التَّوْبَةُ وَحْدَهَا شَمِلَتْ الْإِسْتِغْفَارَ.

فَالْتَّوْبَةُ تَتَضَمَّنُ الْإِسْتِغْفَارَ، وَالْإِسْتِغْفَارُ يَتَضَمَّنُ التَّوْبَةَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
يَدْخُلُ فِي مُسَمًّى الْآخَرِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَأَمَّا عِنْدَ اقْتِرَانِ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ
بِالْأُخْرَى، فَالْإِسْتِغْفَارُ: طَلَبُ وَقَايَةِ شَرِّ مَا مَضَى، وَالتَّوْبَةُ: الرَّجُوعُ وَطَلَبُ
وَقَايَةِ شَرِّ مَا يَخَافُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ.

السَّبَبُ الثالث: الحَسَنَاتُ: فَإِنَّ الحُسْنََةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَالسَّيِّئَةَ بِمِثْلِهَا،
فَالْوَيْلُ لِمَنْ غَلَبَتْ آحَادُهُ أَعْشَارُهُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ
السَّيِّئَاتِ﴾ [هُود: ١١٤].

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا».

السَّبَبُ الرَّابِعُ: المَصَائِبُ الدُّنْيَوِيَّةُ.

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا
غَمٍّ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا - إِلَّا كُفِّرَ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».
وَفِي الْمُسْنَدِ: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النَّسَاء: ١٢٣].

«قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَزَلَتْ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ، وَأَيْنَا لَمْ يَعْمَلْ سُوءًا؟
فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ يُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟
فَذَلِكَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ».

فَالْمَصَائِبُ نَفْسُهَا، مُكْفَرَةٌ، وَبِالصَّبْرِ عَلَيْهَا يَثَابُ الْعَبْدُ، وَبِالتَّسَخُّطِ يَأْتُمُّ.
فَالصَّبْرُ وَالتَّسَخُّطُ أَمْرٌ آخَرُ غَيْرُ الْمُصِيبَةِ، فَالْمُصِيبَةُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ لَا مِنْ فِعْلِ
الْعَبْدِ، وَهِيَ جَزَاءٌ مِنَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ عَلَى ذَنْبِهِ، وَيُكَفَّرُ ذَنْبُهُ بِهَا، وَإِنَّمَا يَثَابُ الْمَرْءُ
وَيَأْتُمُّ عَلَى فِعْلِهِ، وَالصَّبْرُ وَالتَّسَخُّطُ مِنْ فِعْلِهِ، وَإِنْ كَانَ الثَّوَابُ وَالْأَجْرُ قَدْ
يُحْصَلُ بِغَيْرِ عَمَلٍ مِنَ الْعَبْدِ، بَلْ هَدِيَّةٌ مِنَ الْغَيْرِ، أَوْ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ

سَبَبٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. فَنَفْسُ
الْمَرُضِ جَزَاءٌ وَكَفَّارَةٌ لِمَا تَقَدَّمَ.

وَكَثِيرًا مَّا يُفْهِمُ مِنَ الْأَجْرِ غُفْرَانُ الذُّنُوبِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَدْلُولُهُ، وَإِنَّمَا
يَكُونُ مِنْ لَازِمِهِ.

السَّبَبُ الْخَامِسُ: عَذَابُ الْقَبْرِ. وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

السَّبَبُ السَّادِسُ: دُعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِغْفَارُهُمْ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ.

السَّبَبُ السَّابِعُ: مَا يُهْدَى إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ ثَوَابٍ صَدَقَةٍ أَوْ قِرَاءَةٍ أَوْ
حَجٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

السَّبَبُ الثَّامِنُ: أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشِدَائِدُهُ.

السَّبَبُ التَّاسِعُ: مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا عَبَرُوا الصِّرَاطَ
وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذَّبُوا
وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ».

السَّبَبُ الْعَاشِرُ: شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ وَأَقْسَامِهَا.

السَّبَبُ الْحَادِي عَشَرَ: عَفْوُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ لِلذُّنُوبِ مِنْ غَيْرِ شَفَاعَةٍ، كَمَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]

فَإِنْ كَانَ يَمُنُّ لَمْ يَشَأِ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ لِعِظَمِ جُرْمِهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ دُخُولِهِ إِلَى
الْكَبِيرِ، لِيَخْلُصَ طَيْبُ إِيْمَانِهِ مِنْ خَبَثِ مَعَاصِيهِ، فَلَا يَبْقَى فِي النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ

أَذْنَى أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، بَلْ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انتهى

قوله: «سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفر الله وأتوب إليه»:

حيث نزه الله من النقائص وحمده على كماله ووحده فجمع بين الاعتراف والتوحيد والاستغفار وهذا حريٌّ أن يتاب علي.

قال الله - عز وجل - عن يونس - عليه السلام -: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

قوله: «أخرجه أحمد»: وهو حديث صحيح في الصحيح المسند للشيخ مقبل وجاء عن غير عائشة رضي الله عنها، وأُعلِّ.

وقد تكلم الحافظ ابن حجر على هذا الحديث وطرقه: في آخر كتاب فتح الباري عند شرح حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

وتكلم عليه الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: عند قوله: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾.

في أواخر سورة الصافات.

وبهذا نكون قد انتهيت مما أردت تسطيره بتوفيق الله وعونه.
وأقول: "سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب
إليك".



[ذكر أسماء الله الحسنى بأدلتها]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

ذكر أسماء الله الحسنى بأدلتها^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ:
«لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللَّهَ وَثَرٌ، يُحِبُّ الْوَثَرَ»
أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) واللفظ له.

***** الشرح: *****

هذه تتمه من المؤلف لكتابه المبادئ المفيدة، وختم المصنف الكتاب بهذا
الملحق لأُمُور:

الأول: التبرك بذكر أسماء الله - عز وجل -.

الثاني: الدخول في سلك من نظمها، ولعلها أن تحفظ ويكون منه الدلالة
عليها، والدال على الخير كفاعله.

الثالث: الرد على من زعم حصرها في تسعة وتسعين.

ويجب أن تؤخذ الأسماء والصفات من الكتاب والسنة إذ لا مجال للعقل
فيه لأنه من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله - عز وجل -.

(١) استفدنا من كتاب تفسير الأسماء والصفات للسعدي - رحمه الله -.

وسميت بالحسنى لأمر منها:

١- أن الله تعالى سمي بها نفسه وسماه بها رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

٢- أنها مذكورة في الكتاب والسنة الصحيحة.

٣- أن الله يدعى بها، قال الله - عز وجل -: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٤- أنها أسماء مدح وكمال.

٥- أنها متضمنة لصفات مدح وكمال.

والقول بحصر الأسماء والصفات: قول مبتدع لا يؤثر عن السلف رضوان الله عليهم، كما تقدم بيانه.

وأما حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

فقد قال ابن القيم في "البدائع" (١/١٦٦):

السادس عشر: أسماء الله تعالى الحسنی لا تدخل تحت حصر، ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات، استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح: «أَسْأَلُكَ

بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحد من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك».

فجعل أسماء ثلاثة أقسام:

قسم سمي به نفسه، فأظهره لمن شاء من ملائكته، وغيرهم، ولم ينزله في كتابه.

وقسم أنزله في كتابه، فتعرف به إلى عباد، وقسم استأثرت به في علم الغيب، فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه، ولهذا قال: «استأثرت به»، أي: انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها في كتابه.

ومنه قوله ﷺ: «لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

وأما قوله: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»، فالكلام جملة واحدة.

وقوله ﷺ: «من أحصاها»: صفة لا خبر مستقبل، والمعنى أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينبغي أن يكون له أسماء غيرها. اهـ.

ولها أحكام يجب السير عليها فمنها ما قاله الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتاب التوحيد: "باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك" اهـ

قلت في كتابي: "فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد":

الاحترام هو التقدير والإجلال، واحترام أسماء الله عزَّ وجلَّ وصفاته تكون بأمور:

الأول: إثبات ما أثبتته الله عزَّ وجلَّ لنفسه، وأثبتته رسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: إثبات ما تضمنته من الصفات، إذ أن كل اسم يتضمن صفة، فالسميع يسمع، والبصير يبصر، والقوي ذو القوة.. وهكذا.

الثالث: دعاء الله عزَّ وجلَّ بها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الرابع: عدم التسمي بها إن كانت مختصة بالله عزَّ وجلَّ، وإن كانت غير مختصة منع الجمع بين التسمية والصفة على ما يأتي في حديث الباب.

الخامس: اعتقاد عدم حصرها بعدد معلوم لنا على ما بيته في كتابي "التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين".



السادس: التبعّد لله عَزَّ وَجَلَّ بمقتضاها بمعنى: أن المؤمن يرحم ويحسن وغير ذلك.

السابع: البعد عن الإلحاد فيها بجميع أنواع الإلحاد، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقد ذكرت أنواع الإلحاد في كتابي: «القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن»، وتقدم ذكر ملخصه.

الثامن: احترام أدلتها وصيانتها من التحريف والتعطيل، والتكليف والتمثيل، والتأويل الفاسد، والتفويض وغير ذلك مما يسلكه المبتدعة.

التاسع: احترامها من الامتهان أو الدوس عليها ونحو ذلك، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

العاشر: عدم الحلف إلا بها كما تقدم قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ»^(١).

الحادي عشر: التعبيد بها، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»^(٢)، من حديث ابنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٠٣٢)، والترمذي (٢٨٣٣)، وغيرهما.

الثاني عشر: اعتقاد ما تضمنته من المدح، وما دلت عليه من الكمال، فإنها أسماء مدح وكمال.

الثالث عشر: ذكر الله عزَّ وجلَّ بها، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»، أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرابع عشر: إحصائها، قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، متفق عليه^(١)، والإحصاء: هو الحفظ لها والعمل بمقتضاها.

الخامس عشر: اعتقاد أنها غير مخلوقة، بل هي أسماء وصفات لله عزَّ وجلَّ على الوجه اللائق به.

وكل ما ذكرت من القواعد في كتابي: "القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن"، فهو دلالة إلى كيفية احترام هذه الأسماء وما دلت عليه من الصفات، بعيداً عن سبيل المبتدعين والضالين، وبالله التوفيق.



(١) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَيُقَالُ: الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ، وَالْقُدُّوسُ، وَالسَّلَامُ، وَالْعَزِيزُ، وَالْحَكِيمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَلَا يُقَالُ: اللَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّحْمَنِ، وَلَا مِنْ أَسْمَاءِ الْعَزِيزِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ. فَعَلِمَ أَنَّ اسْمَهُ اللَّهُ مُسْتَلَزِمٌ لَجَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، دَالٌّ عَلَيْهَا بِالْإِجْمَالِ، وَالْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى تَفْصِيلٌ وَتَبْيِينٌ لِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي اشْتَقَّ مِنْهَا اسْمُ اللَّهِ.

وَاسْمُ اللَّهِ: دَالٌّ عَلَى كَوْنِهِ مَأْلُوهًا مَعْبُودًا، تَوْهَهُ الْخَلَائِقُ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَخُضُوعًا، وَفَرَعًا إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ وَالنَّوَائِبِ، وَذَلِكَ مُسْتَلَزِمٌ لِكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ وَرَحْمَتِهِ، الْمُتَضَمِّنِينَ لِكَمَالِ الْمُلْكِ وَالْحَمْدِ، وَإِلَهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَرَحْمَانِيَّتِهِ وَمُلْكُهُ مُسْتَلَزِمٌ لَجَمِيعِ صِفَاتِ كَمَالِهِ، إِذْ يَسْتَحِيلُ ثُبُوتُ ذَلِكَ لِمَنْ لَيْسَ بِحَيٍّ، وَلَا سَمِيعٍ، وَلَا بَصِيرٍ، وَلَا قَادِرٍ، وَلَا مُتَكَلِّمٍ، وَلَا فَعَالٍ لِمَا يُرِيدُ، وَلَا حَكِيمٍ فِي أَفْعَالِهِ.

وَصِفَاتُ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ: أَخْصَصَ بِاسْمِ اللَّهِ. وَصِفَاتُ الْفِعْلِ وَالْقُدْرَةِ، وَالتَّقَرُّدِ بِالضَّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَنُفُوذِ الْمَشِئَةِ وَكَمَالِ الْقُوَّةِ، وَتَدْبِيرِ أَمْرِ الْخَلِيقَةِ: أَخْصَصَ بِاسْمِ الرَّبِّ. وَصِفَاتُ الْإِحْسَانِ، وَالْجُودِ وَالْبِرِّ، وَالْحَنَانِ وَالْمِنَّةِ، وَالرَّأْفَةِ وَاللُّطْفِ: أَخْصَصَ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ. اهـ

٢- الإله: هو المعبود محبة وتعظيماً.

قال ابن القيم في المدارج (٣/ ٣٣٧):

وَاسْمُ "الله" سُبْحَانَهُ، "وَالرَّبِّ، وَالْإِلَهِ" - اسْمٌ لِدَاتٍ لَهَا جَمِيعُ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنُعُوتِ الْجَلَالِ، كَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْحَيَاةِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْكَلَامِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْبَقَاءِ، وَالْقَدَمِ، وَسَائِرِ الْكَمَالِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ اللهُ لِدَاتِهِ، فَصِفَاتُهُ دَاخِلَةٌ فِي مُسَمًى اسْمِهِ. اهـ

٣- **الحي:** المتصف بصفة الحياة الأزلية الأبدية التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء والحي هو كامل الحياة، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية لله.

قال ابن القيم في المدارج (١/ ٤١٩):

وَاسْمُهُ الْحَيُّ يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مُعْطًى مِنَ الْفِعْلِ، بَلْ حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ الْفِعْلُ، فَكُلُّ حَيٍّ فَعَّالٌ. اهـ

٤- **القيوم:** القائم بنفسه والمقيم لغيره.

قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى:

"**الحي القيوم:** كامل الحياة والقائم بنفسه والقيوم لأهل السماوات والأرض القائم بتدبيرهم وأرزاقهم وجميع أحوالهم فالحي: الجامع لصفات الذات، والقيوم: الجامع لصفات الأفعال وجمعها في غاية المناسبة كما

جمعهما الله في عدة مواضع من كتابه كقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

وذلك أنها محتويان على جميع صفات الكمال.

فالحي: هو كامل الحياة، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية لله كالعلم والعزة والقدرة، والإرادة، والعظمة، والكبرياء، وغيرها من صفات الذات المقدسة.

والقيوم: هو كامل القيومية الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقامت به الأرض، والسموات، وما فيهما من المخلوقات. اهـ



[ومن أسماء الله الحسنی: الرب، الرحمن، الرحيم]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الرَّبُّ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ.

والدليل: قال تعالى:- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

[الفاحة: ٣].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «... فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظْمُوهَا فِيهِ الرَّبُّعُ وَجَلَّ» أخرجه مسلم رقم (٤٧٩).

الشرح: *

٥- الرب: وهو المربي لجميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، ويجوز أن يطلق على غير الله -عز وجل- كرب الدار ورب البيت لكن بشرط التجرد عن الألف واللام أما الرب بالألف واللام فلا يطلق إلا على الله -عز وجل-.

٦-والرحمن ٧- والرحيم: أسمان دالان على صفة الرحمة لله -عز وجل-.

والرحمن: أبلغ من الرحيم، وهو اسم مختص بالله - عز وجل -، ورحمته عامة وخاصة.

وفي مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٦٠):

لَأَنَّ وُرُودَ الرَّحْمَنِ فِي أَسْمَائِهِ أَكْثَرُ مِنْ وُرُودِ الرَّحِيمِ:

وَهَذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩].

﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٤٥].

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ [النبا: ٣٧].

﴿الرَّحْمَنُ - عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١ - ٢].

وَأَتَمَّ جَاءَ الرَّحِيمُ مُقَيَّدًا كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:

٤٣].

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وَمَقْرُونًا بِاسْمِ الرَّحْمَنِ كَمَا فِي الْفَاتِحَةِ، أَوْ بِاسْمِ آخَرٍ، نَحْوُ: ﴿الْعَزِيزُ

الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩].

وَأَيْضًا فَالرَّحْمَنُ جَاءَ عَلَى بِنَاءِ فَعْلَانِ الدَّالِّ عَلَى الصِّفَةِ الثَّابِتَةِ اللَّازِمَةِ

الْكَامِلَةِ، كَمَا يُشْعِرُ بِهِ هَذَا الْبِنَاءُ نَحْوَ غَضَبَانَ وَنَدَمَانَ وَحَيْرَانَ.

فَالرَّحْمَنُ مِنْ صِفَتِهِ الرَّحْمَةُ، وَالرَّحِيمُ مَنْ يَرْحَمُ بِالْفِعْلِ. اهـ

قوله: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «... فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظْمُوهَا فِيهِ الرَّبُّ - تبارك وتعالى -»^(١) أخرجه مسلم.

وساقه المصنف للدلالة على اسم الرب، وهذا الاسم لا يوجد في رواية الوليد بن مسلم، وهذا مما يدل على أن هذه الرواية لم تثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.



(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٧٩).



١٠- السلام: ومن أسمائه القدوس السلام، أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المنتزه عن جميع العيوب، والمنتزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾.

فالقدوس كالسلام، ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله فهو المقدس المعظم المنزه عن كل سوء، السالم من مماثلة أحد من خلقه ومن النقصان ومن كل ما ينافي كماله.

فهذا ضابط ما ينزه عنه، ينزه عن كل نقص بوجه من الوجوه، وينزه ويعظم أن يكون له مثل أو شبيه أو كفو أو سمي أو ند أو مضاد، وينزه عن نقص صفة من صفاته التي هي أكمل الصفات وأعظمها وأوسعها.

ومن تمام تنزيهه عن ذلك إثبات صفات الكبرياء والعظمة له فإن التنزيه مراد لغيره ومقصود به حفظ كماله عن الظنون السيئة كظن الجاهلية الذين يظنون به ظن السوء، ظن غير ما يليق بجلاله وإذا قال العبد مثنيًا على ربه

"سبحان الله" أو "تقدس الله" أو "تعالى الله" ونحوها كان مثنيًا عليه
بالسلامة من كل نقص وإثبات كل كمال.

١١ - المؤمن: الصادق في قوله والمصدق من المؤمنين.

قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.

ويُقَالُ إِنَّهَا سَمِيَ اللَّهُ نَفْسَهُ مُؤْمِنًا لِأَنَّهُ شَهِدَ بَوَحْدَانِيَّتِهِ.

فَقَالَ تَعَالَى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كَمَا شَهِدْنَا.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

"المؤمن الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال،
الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات، والبراهين وصدق رسله بكل آية
وبرهان، يدل على صدقهم وصحة ما جاؤا به". اهـ

١٢ - المهيمن: المهيمن على عباده قهرا وملكا وحكما، المطلع على خفايا

الأمور، وخبايا الصدور الذي أحاط بكل شيء علما.

قال الزجاج في تفسير أسماء الله الحسنی (ص: ٣٢):

فسر القرآن على أوجه كثيرة يُقَالُ إِنَّهُ الشَّاهِدُ تَقُولُ فَلَان مَهِيمَن عَلَى
فَلَان إِذَا كَانَ شَاهِدِي عَلَيْهِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُزِيدَ: تَخَاصَمَ أَغْرَابِيَّانِ إِلَى عَمَارَةَ بْنِ عَقِيلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا أَلَكِ مَهِيْمَنٌ فَقَالَ مَهِيْمَنِي حِجَارَةُ اللَّابَةِ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

(وَلَا تَدْخُرْ قَوْلًا فَأَنْتِ الْمُهِيمِنُ...)

وَيُقَالُ: إِنَّ الْمُهِيمِنَ الرَّقِيبَ الْحَافِظَ.

وَيُقَالُ: بَلِ الْمُهِيمِنُ أَصْلُهُ الْمُؤَيَّمِنُ فَأَبْدَلَتْ الْهُمَزَةُ هَاءً، كَمَا قَالُوا هَرَقْتَ الْمَاءَ وَأَرَقْتَهُ وَهَنْتَ الثُّوبَ وَأَنْرْتَهُ، وَهَرَحْتَ الدَّابَّةَ وَأَرَحْتَهَا، وَهْيَاكِ وَإِيَّاكِ. اهـ

١٣ - الجبار: أي صاحب الجبروت والعظمة وله غير ذلك من المعاني.

قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى:

وله ثلاثة معانٍ كلها داخلية باسمه الجبار:

فهو الذي يجبر الضعيف، وكل قلب منكسر لأجله، فيجبر الكسير ويغني الفقير ويُيسر على المعسر كل عسير، ويجبر المصاب بتوحيقه للثبات، والصبر، ويعيضه على مصابه أعظم الأجر إذا قام بواجبها، ويجبر جبراً خاصاً قلوب الخاضعين لعظمته وجلاله، وقلوب المحبين بما يفيض عليها من أنواع كراماته، وأصناف المعارف والأحوال الإيمانية فقلوب المنكسرين

لأجله جبرها دان قريب وإذا دعا الداعي فقال: "اللهم أجبرني، فإنه يريد هذا الجبر الذي حقيقته اصلاح العبد ودفع جميع المكاره عنه".

والمعنى الثاني: أنه القهار لكل شيء، الذي دان له كل شيء، وخضع له كل شيء.

والمعنى الثالث: أنه العلي على كل شيء، فصار الجبار متضمناً لمعنى الرؤوف القهار العلي، وقد يراد به معنى رابع وهو المتكبر عن كل سوء، ونقص، وعن مماثلة أحد، وعن أن يكون له كفؤ أو ضد أو سمي أو شريك في خصائصه، وحقوقه".

١٤- المتكبر: أي صاحب الكبرياء وفي دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة».

والكبر في حق الله -عز وجل- كمال وفي حق المخلوق نقص لذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه: «الْعِزُّ إِزَارِي، وَالْكَبرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي بِشَيْءٍ مِنْهُمَا عَذَّبْتُه» أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

١٥- الخالق: أي الموجد من العدم.

وأما معنى قول الله -عز وجل-: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، أي المقدرين وخلق غيرهم وتقديره عائد إلى خلق عز وجل وتقديره، ولذلك قيل:

ولأنت تفري ما خلقت... وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

١٦- الباري: أي الذي برئ المخلوقات وأوجدها من العدم قال ابن

القيم:

وأقر أن الله جل جلاله... هو وحده الباري لذي الأكوان

١٧- المصور: قال الله- عز وجل-: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾

يصور المخلوقات على ما يريد.

١٨- العزيز: ذو العزة له عزة من قهره وعزة من حكمه وعزة من

سلطانه.

قال ابن القيم في الكافية الشافية (ص: ٢٠٥):

وهو العزيز فلن يرام جنابه *** أنى يرام جناب ذي السلطان

وهو العزيز القاهر الغلاب لم *** يغلبه شيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفه *** فالعز حيثئذ ثلاث معان

قال الزجاج في تفسير أسماء الله الحسنی (ص: ٣٣):

أصل ع ز ز في الكلام: الغلبة والشدة ويُقال عزني فلان على الأمر إذا

غلبني عليه.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾، أَرَادَ اللهُ أَعْلَمَ قَوِينَا أَمْرَهُ
وَشَدَّدْنَاهُ.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أَرَادَ غَلْبَنِي.
وَقَالَ جَرِيرٌ:

يعز على الطَّرِيقِ بِمَنْكِبِيه *** كَمَا ابْتَرَكَ الْخَلِيعَ عَلَى الْقَدَاحِ
وَيُقَالُ عَزَّهُ يَعْزُهُ، وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الْغَالِبُ كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي ذَلَّ
لِعَزَّتِهِ كُلَّ عَزِيزٍ.

١٩- الحكيم: أي ذو الحكمة والحاكم بين عباده.

قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى: الحكيم هو الذي له الحكمة العليا في
خلقه وأمره الذي أحسن كل شيء خلقه، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ﴾.

فلا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يشرع شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى،
والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في
شرعه، وفي قدره، وجزائه.

وحكمته نوعان:

أحدهما: الحكمة في خلقه فإنه خلق الخلق بالحق، ومشتملاً على الحق،
وكان غايته والمقصود به الحق.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد، ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا.

قال ابن القيم في الكافية الشافية (ص: ٢٠٥):

وهو الحكيم وذاك من أوصافه * * * نوعان أيضا ما هما عدمان
حكم وإحكام فكل منهما * * * نوعان أيضا ثابتا البرهان
والحكم شرعي وكوني ولا * * * يتلازمان وما هما سيان
بل ذاك يوجد دون هذا مفردا * * * والعكس أيضا ثم يجتمعان
لكن يخلو المربوب من إحداهما * * * أو منهما بل ليس يتفیان
لكنما الشرعي محبوب له * * * أبدا ولن يخلو من الأكوان
هو أمره الديني الذي جاءت رسله * * * بقيامه في سائر الأزمان
لكنما الكوني فهو قضاؤه * * * في خلقه بالعدل والإحسان





المقدرون وفرض الفارضون من الأوقات السابقة المتسلسلة إلى غير نهاية فالله قبل ذلك، وكل وقت لاحق مهما قدر وفرض الله بعد ذلك.

ولهذا لا يستحق اسم واجب الوجود إلا هو، فمن خصائصه أنه لا يكون إلا موجودًا كاملاً فلا يشاركه في وجوب الوجود أحد فوجوب وجوده بنعوته الكاملة في جميع الأوقات، وهو الذي أوجد الأوقات وجميع الموجودات، وكلها مستندة في وجودها وبقائها إلى الله.

فالأول: يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن، ويوجب للعبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبب منه تعالى.

والآخر: يدل على أنه هو الغاية، والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتأهلها، ورغبتها، ورهبتها، وجميع مطالبها.

والظاهر: يدل على عظمة صفاته، واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات وعلى علوه.

والباطن: يدل على اطلاعه على السرائر، والضمائر، والخبايا، والخفايا، ودقائق الأشياء، كما يدل على كمال قرب ودنوه، ولا يتنافى الظاهر، والباطن لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت فهو العلي في دنوه القريب في علوه.

٢٤- والعليم: دال على إحاطة الله بكل معلوم أزلاً وأبداً، علم لم يسبق
بجهل ولا يلحقه نسيان، قال **تعالى**:- ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ
وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وأدلتها كثيرة.

ولا يلزم من كونه باطن أن يكون متحداً أو مختلطاً فهو باطن وهو في
علوه على عرشه بائن من خلقه سبحانه و**تعالى**:- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ويزعم أهل الباطل أن الله لا يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها ويرد عليه
مثل هذه الآية: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وكل من ألفاظ العموم.

وقال **تعالى**:- ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا
رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، إلى غير ذلك.



[ومن أسماء الله الحسنى: الْغَفُورُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الْغَفُورُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ.

الدليل: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ ❀ ذُو الْعَرْشِ الْمَحِيدُ ❀
[البروج ١٤-١٥].

الشرح:

٢٥- الغفور: الذي يغفر الذنب ويستره ويعفو عنه.

قال السعدي كما في تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٢١٨):

"العفو الغفور الغفار": الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران، والصفح عن عباده موصوفاً.

كل أحد مضطر إلى عفو، ومغفرتة كما هو مضطر إلى رحمته، وكرمه وقد وعد بالمغفرة، والعفو لمن أتى بأسبابها قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾.

وقال ابن القيم في الكافية الشافية (ص: ٢٠٩):

وهو الغفور فلو أتى بقرابها ❀❀❀ من غير شرك بل من العصيان

لا قاه بالغفران ملء قراہا ❀❀❀ سبحانہ هو واسع الغفران

٢٦- الودود: المَحِبُّ لأوليائه والمُحِبُّ من أوليائه.

قال ابن القيم في نونيته:

وهو الودود يحبهم ويحبه ❀❀❀ أحبابه والفضل للمنان

٢٧- المجيد: الواسع وفي قراءة ذو العرش المجيد بالكسر تكون صفة

للعرش الواسع، فما الكرسي فيه إلا كحلقة في فلاة.

وأما على قراءة الرفع فالمجيد اسم **الله - عز وجل -**.

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في مسلم: «إذا قال العبد:

﴿مالك يوم الدين﴾ يقول الله: «مجدني عبدي»؛ لأن الميم والجيم والذال

تدل على السعة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وهو المجيد صفاته أوصاف تع ❀❀❀ كبير فشان الوصف أعظم شان



[ومن أسماء الله الحسنی: الرَّزَّاقُ، الْقَوِيُّ، الْمُتَيْنُ]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الرَّزَّاقُ، الْقَوِيُّ، الْمُتَيْنُ.

الدليل: قال تعالى:- ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
[الذاريات: ٥٨].

وقال تعالى:- ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

الشرح:

٢٨- الرزاق: الرزق العطاء فهو الذي يرزق عباده ويعطيهم، والرزاق هو الذي يرزق عباده، يرزق مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم.

والرزق رزقان:

١- رزق حسي: وهو ما يقتتاه الناس ويتمولون من الألبسة والمسكن والأطعمة والأشربة، وهذا عام في حق المؤمنين والكفار.

٢- رزق معنوي: وهو الإيمان والإسلام وهذا أعظم أنواع الرزق.

٢٩- القوي: أي ذو القوة الذي لا يعجزه شيء.

قال تعالى:- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

أي صاحب القوة وهذا مما يدل على أن الأسماء متضمنة لصفات جليات.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ [الصفات: ١٨٠]، أي صاحب العزة.

ومثله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾، أي صاحب الرحمة وهذا الوجه مما يرد به على أهل البدع لأن الله قد فسر بعض الأسماء بما تضمنته من الصفات.

٣٠- المتين: قريب من معنى القوي أي ذو المتانة الذي لا يعجزه شيء.

قال تعالى:- ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

و- قوله تعالى:- ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

أي قوي لا يعجزه شيء وعزيز منيع لا يصل إليه شيء.



[ومن أسماء الله الحسنی: الخَيْرُ، الحَافِظُ، الحَفِيزُ]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الخَيْرُ، الحَافِظُ، الحَفِيزُ.

الدليل: قال تعالى:- ﴿فَالله خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

[يوسف: ٦٤].

قال تعالى:- ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [هود: ٥٧].

الشرح: *

٣١- الخیر: هو ذو الخیر خیر فی قوله وخیر فی فعله وخیر فی کل ما

یصدر عنه.

٣٢- الحافظ: أي الحافظ لعباده المؤمنین یحفظ حركاتهم وسكناتهم

ویحفظ أعمالهم ویحفظهم من بین أيديهم ومن خلفهم.

٣٣- الحفیظ: وإن كان المعنى متقارب لكن صیغ المبالغة لها أثر فی

المعاني كالحافظ علی وزن فاعل والحفیظ علی وزن فعیل فهو حافظٌ وحفیظٌ

حافظٌ لعباده وحفیظٌ لأعمالهم.

قال تعالى:- ﴿فَالله خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

قال تعالى:- ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [هود: ٥٧].

أي لا یعزب عنه شيء، كل شيء محفوظٌ عنده.

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيل *** بحفظهم من كل أمر عان

قال السعدي رحمه الله تعالى:

والحفيظ له معنيان:

أحدهما: أنه قد حفظ على عباده ما عملوه من خير، وشر، وطاعة، ومعصية.

والمعني الثاني: أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون وحفظه خلقه نوعان عام وخاص: حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايته، وإلى مصالحها بإرشاده.

والنوع الثاني: حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه، والفتن، والشهوات فيعافهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم.



[ومن أسماء الله الحسنى: المَالِكُ، المَلِكُ، المُقْتَدِرُ]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

المَالِكُ، المَلِكُ، المُقْتَدِرُ.

والدليل: قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

وقال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

الشرح:

٣٧- المالك: قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ وتقرأ: ﴿مَلِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾، وقال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المالك: ١].

٣٨- المليك: قال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ قَالَ أَصْحَابُ الْمَعَانِي الْمَلِكُ النَّافِذُ الْأَمْرُ فِي مَلِكِهِ إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَالِكٍ يَنْفِذُ أَمْرَهُ وَتَصَرُّفَهُ فِيمَا يَمْلِكُهُ فَالْمَلِكُ أَعَمُّ مِنَ الْمَالِكِ وَاللهُ تَعَالَى مَالِكُ الْمَالِكِينَ كُلِّهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ إِنَّمَا اسْتَفَادُوا التَّصَرُّفَ فِي أَمْلَاحِهِمْ مِنْ جِهَتِهِ تَعَالَى.

٣٩- المقتدر: الذي لا يعجزه شيء، والمقتدر مُبَالِغَةٌ فِي الْوَصْفِ بِالْقُدْرَةِ وَالْأَصْلُ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ زِيَادَةَ اللَّفْظِ زِيَادَةُ الْمَعْنَى فَلَمَّا قُلْتُ اقْتَدَرَ أَفَادَ زِيَادَةَ اللَّفْظِ زِيَادَةَ الْمَعْنَى، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ٢٥٥].

٢٨٤]، وقال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر: ٤٤].



[ومن أسماء الله الحسنی: الأَحدُ، الصَّمدُ]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الأَحدُ، الصَّمدُ.

الدليل: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمدُ﴾

[الإخلاص ١-٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ:

«قال الله - عز وجل -: ... وَأَنَا اللهُ الأَحَدُ الصَّمدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ

يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ [٤٩٧٤].

الشرح: *

٤٠- الأَحدُ: أي الواحد قال السعد: الواحد الأَحد هو الذي توحد

بجميع الكمالات، وتفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال، وحمد، وحكمة،

ورحمة، وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثل ولا نظير، ولا

مناسب بوجه من الوجوه فهو الأَحد في حياته، وقيوميته، وعلمه، وقدرته،

وعظمته، وجلاله، وجماله، وحمده، وحكمته، ورحمته، وغيرها من صفاته.

٤١- والصمد: الذي تصمد اليه الخلائق.

وقيل: السيد الذي كمل في سؤدده.

وقيل: هو الذي لم يلد ولم يولد.

وقيل: الذي لا جوف له وكلها معاني صحيحة. وهل هو من الأسماء المختصة؟:

ذهب شيخ الإسلام إلى أنه ليس من الأسماء المختصة.

أما الأحَد: فهو من الأسماء المختصة قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
الله الصَّمَدُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ:
«قال الله - عز وجل -: «... وَأَنَا اللَّهُ أَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»^(١) أخرجه البخاري.

﴿الله - عز وجل - تعرف على عباده بأنه الأحَد: أي الواحد.

الصمد: الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها.

قوله: «لم ألد»: لم يكن له والد.

قوله: «ولم أولد»: أي لم يكن له ولد ففيه ردٌّ على النصارى وعلى غيرهم.

قال أبو بكر ابن أبي داود:

وليس بمولود وليس بوالد *** وليس له شبه تعالى المسيح

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٩٧٤).

قوله: «ولم يكن له كفوًا أحد»: لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله
وذلك لكماله المقدس من كل وجه، وهذا قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].



قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وكذلك القهار من أوصافه *** فالخلق مقهورون بالسلطان

لو لم يكن حيا عزيزا قادرا *** ما كان من قهر ومن سلطان

[وَمِنْ أَسمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى: الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ.

الدليل: قال تعالى:- ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

***** الشرح: *****

٤٤- الولي: الذي يتولى عباده ويكرمهم ويدافع عنهم وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «من عادَى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» أخرجه البخاري.

قال الزجاج في تفسير أسماء الله الحسنَى (ص: ٥٥):

الْوَلِيُّ: هُوَ فَعِيلٌ مِنَ الْمُوَالَاةِ وَالْوَلِيّ النَّاصِرُ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِي الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

وَهُوَ تَعَالَى وَلِيَهُمْ بِأَنْ يَتَوَلَّى نَصْرَهُمْ وَإِرْشَادَهُمْ كَمَا يَتَوَلَّى ذَلِكَ مِنَ الصَّبِيِّ وَلِيَهُ وَهُوَ يَتَوَلَّى يَوْمَ الْحِسَابِ ثَوَابَهُمْ وَجَزَاءَهُمْ

٤٥- الحميد: ذو المحامد سبحانه وتعالى له حمدٌ من ذاته وله حمدٌ من صفاته وله حمدٌ في أفعاله فهو محمودٌ سبحانه وتعالى في جميع شأنه على عدله وفضله.

وقال الإمام السعدي رحمه الله تعالى:

"الحميد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها،
ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها، وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة
بين الفضل، والعدل.

فالحمد كثرة الصفات والخيرات، فهو الحميد لكثرة صفاته الحميدة.

وهو سبحانه حميد من وجهين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده.

الثاني: أنه يحمد على ماله من الأسماء الحسنی، والصفات الكاملة العليا.



[ومن أسماء الله الحسنى: الرَّقِيبُ، الشَّهِيدُ]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الرَّقِيبُ، الشَّهِيدُ.

الدليل: قال تعالى:- ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

***** الشرح: *****

٤٨- الرقيب: قوله: «فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ»: أي المراقب لهم، العليم بأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم.

قال الزجاج في تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٥١):

الرَّقِيب: هُوَ الْحَافِظُ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَمَّا يَحْفَظُهُ يُقَالُ رَقِبْتُ الشَّيْءَ أَرْقِبُهُ رَقَبَةً وَقَالَ اللهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

والمراقبة: الاستحياء والحياء ضرب من التحفظ أيضا وَهُوَ تَعَالَى الْحَافِظُ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ. اهـ

٤٩- الشهيد: المطلع فقوله: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي مطلع لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والشهيد بما عمل العباد يوم القيامة.

قال الزجاج في تفسير أسماء الله الحسنی (ص: ٥٣):

الشَّهِيد: الحَاضِرُ يُقَالُ شَهِدْتُ الشَّيْءَ وَشَهِدْتُ بِهِ وَأَصْلُ قَوْلِهِمْ شَهِدْتُ بِهِ مِنَ الشَّهَادَةِ الَّتِي هِيَ الْحُضُورُ.

وَالْيَوْمُ الْمُشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ كَوْنُهُ لَا مُحَالَةَ فَكَانَ مَعْنَى الشَّهِيدِ

العَالَمِ



بِالنَّهَارِ ﴿١٠٤٢﴾، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

قالت عائشة رضي الله عنها: «تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جانب الحجرة وإنه ليخفي عليّ بعض كلامها فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ الآية.

٥١- البصير: الذي يبصر بعينين ويرى بهما على ما يليق بجلاله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

"البصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسموات، حتى أخفى ما يكون فيها فيرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة، والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار، وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها، وصغرها، ودقتها، ويرى نياط عروق النملة، والنحلة، والبعوضة، وأصغر من ذلك، فسبحان من تحدث العقول في عظمتها، وسعة متعلقات صفاته، وكمال

عظمته، ولطفه، وخبره بالغيب، والشهادة والحاضر، والغائب، ويرى
خيانات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان.

قال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ﴾.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، أي مطلع، ومحيط علمه، وبصره، وسمعه
بجميع الكائنات. اهـ



[ومن أسماء الله الحسنى: الحق، المبین]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الحق، المبین.

الدليل: قال تعالى:- ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

الشرح:

٥٢- الحق: الحق هو الواضح الثابت، قال السعدي: "الحق: في ذاته، وصفاته، فهو واجب الوجود كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به.

فهو الذي لم يزل، ولا يزال بالجلال، والجمال، والكمال، موصوفاً. ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفاً. فقلوه حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسوله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء إليه فهو حق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

عَنْ طَاوُسٍ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ
الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ،
وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ،
وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُ رِي
مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ،
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ - " قَالَ سُفْيَانُ: وَزَادَ عَبْدُ الْكَرِيمِ أَبُو
أُمَيَّةَ: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ^(١) متفق عليه

٥٣- المبين: البين الذي دلت الدلائل على وجوده وعلى اتصافه بكل
كمال قال تعالى:- ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾.

وكون الله حق يعلمه كل عاقل وإنما منعهم الكبر والشبه التي تتوارد
عليهم.

قال تعالى:- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ
الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].



(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٢٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٦٩).

[ومن أسماء الله الحسنی: اللطيف، الخبير]

اللطيف، الخبير.

الدليل: قال تعالى:- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
[الملك: ١٤].

الشرح: *

٥٤- اللطيف: العليم ببواطن الأمور وظواهرها وبصغائر الأمور وكبارها.

وقيل: اللطيف هو الذي يلطف بعباده وكلا المعنيين ثابتة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى (ص: ٢٠٧):

وهو اللطيف بعبده ولعبده *** واللفظ في أوصافه نوعان

إدرك أسرار الأمور بخبرة *** واللفظ عند مواقع الإحسان

فيريك عزته ويدي لطفه *** والعبد في الغفلات عن ذا الشأن

٥٥- الخبير: إذا قرن بالعلم فالمراد بالخبير المطلع على البواطن وبالعليم المطلع على الظواهر.

وإذا أفرد فالمراد بالخبير العليم بكل شيء ظاهرها وباطنها.

قال تعالى:- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ وهذا على التهديد والوعيد والوعيد وعدٌ للمؤمنين من أنه علم بأفعالهم، ويجازيهم عليه، وفيه وعيد على المجرمين من أنه لا تخفى عليه خافية.

قال السعدي كما في تفسير أسماء الله الحسنی (ص: ١٩٤):

"الخبير العليم: هو الذي أحاط علمه بالظواهر، والبواطن، والإسرار، والإعلان، والواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. اهـ



[ومن أسماء الله الحسنى: القَرِيبُ، المُجِيبُ]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

القَرِيبُ، المُجِيبُ.

الدليل: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

***** الشرح: *****

٥٦- القَرِيبُ: وهو في علوه كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:

«إنكم تدعون سميعاً قريباً» متفق عليه عن أبي موسى -رضي الله عنه-.

تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٢٢٢):

هو القريب من كل أحد، وقربه نوعان:

قرب عام: من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، واحاطته

وهو أقرب إلى الإنسان من جبل الوريد.

وقرب خاص: من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو قرب يقتضي المحبة،

والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول،

والإثابة.

وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾.

وفي قوله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

وهذا النوع قرب يقتضي الطافه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم ولهذا يقرن باسمه "القريب" اسمه "المجيب" وهذا القرب قربه لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره من لطف بعبده، وعنايته به وتوفيقه، وتسديده، ومن آثاره الإجابة للداعين والإثابة للعبادين "اهـ" وهو في علوه على عرشه ولا يلزم من إثبات القرب أن يكون متحداً أو مختلطاً بمخلوقاته تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

٥٧- **المجيب:** الذي يجيب الدعاء قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قوله الدليل: -قوله تعالى-: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾، تقدم بيانه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية (ص: ٢٠٨):

وهو القريب وقربه المختص بالد *** اعني وعابده على الإيمان
وهو المجيب يقول من يدعو أجب *** هـ أنا المجيب لكل من ناداني
وهو المجيب لدعوة المضطر إذ *** يدعو في سر وفي إعلان

والله سبحانه وصف نفسه بالكرم ووصف به كلامه ووصف به عرشه
ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره. اهـ

وقوله: «مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ»: هذا على التهديد.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى (٨ / ٣٣٩):

هَذَا تَهْدِيدٌ لَا كَمَا يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّهُ إِرْشَادٌ إِلَى الْجَوَابِ حَيْثُ
قَالَ الْكَرِيمُ حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ غَرَّهُ كَرَمُهُ، بَلِ الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

مَا غَرَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ أَيِّ الْعَظِيمِ حَتَّى أَقْدَمْتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ
وَقَابَلْتَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ. كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ

آدَمَ مَا غَرَّكَ بِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ؟». اهـ

٥٩- الأكرم: من قوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾: مبالغة في الكرم، وقال

الكلبي: هو الحليم عن جهل العباد، لا يعجل عليهم العقوبة.



وفي الحديث: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» (١)،
أخرجه أحمد عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ - رضي الله عنه - .
وعظمته في أفعاله وفي سعته وفي كبره وكبره إلى غير ذلك .

وفي تفسير أسماء الله الحسنَى للسعدي رحمه الله تعالى قال (ص: ٢١٧):

واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله،
وأعظمه وأوسع، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة،
ومن عظمته أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة كما
قال ذلك ابن عباس وغيره وقال تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
بِجَمِيعٍ قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ .

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ
أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ .

وقال تعالى وهو العلي العظيم: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾

الآية .

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٨٧٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله برقم (٠)،

وقال فيه: هذا حديث حسن. ١٠٣١

وفي الصحيح عنه: أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يقول الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما عذبتُه"^(١).
فله تعالى الكبرياء والعظمة، والوصفان اللذان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما.

النوع الثاني: من معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبتة، والذل له. انتهى

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وهو العظيم بكل معنى يوجب التـ *** عظيم لا يحصيه من إنسان

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢٠).

[ومن أسماء الله الحسنى: الحَسْبُ، الوَكِيلُ]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الحَسْبُ، الوَكِيلُ.

الدليل: قال تعالى:- ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾
[آل عمران: ١٧٣].

وقال تعالى:- ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

الشرح:

٦٢- الحَسْبُ: الذي يحفظ عباده ويعلم أفعالهم وما هم إليه.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

"الحَسْبُ: هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.

والحَسْبُ: بمعنى الرقيب المحاسب لعباده المتولي جزاءهم بالعدل، وبالفضل، وبمعنى الكافي عبده همومه، وغمومه.

وأخص من ذلك أنه الحَسْبُ للمتوكلين، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، أي كافيه أمور دينه ودنياه.

والحسيب أيضًا: هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير، وشر، ويحاسبهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

٦٣- الوكيل: الحافظ لهم: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته والذي تولى أوليائه فيسرهم لليسرى وجنبهم العسرى وكفاهم الأمور. فمن أتخذة وكيلاً كفاه. ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، أفاده السعدي رحمه الله تعالى.



ومن أسمائه تعالى الشاكر الشكور: وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل ولا يضيع أجر من أحسن عملاً بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة بغير عدٍ ولا حساب، ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وقد يجزئ الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل، وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه كرمًا منه وجودًا، والله لا يضيع أجر العاملين به إذا أحسنوا في أعمالهم واخلصوها لله تعالى. أفاده السعدي رحمه الله تعالى.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى (ص: ٢٠٨):

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم *** لكن يضاعفه بلا حساب
ما للعباد عليه حق واجب *** هو أوجب الأجر العظيم الشأن
كلا ولا عمل لديه ضائع *** إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عذبوا فبعدله أو نعموا *** فبفضله والحمد للمنان

٦٥ - الحليم:

قوله: «والله غفور حلیم»: أي غفور لعباده حلیم عليهم.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

"الحليم: الذي له الحلم الكامل، والذي وسع حلمه أهل الكفر، والفسوق، والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلاً، فهو يمهلهم ليتوبوا، ولا يهملهم إذا أصرّوا، واستمروا في طغيانهم، ولم ينيبوا. والحليم: الذي يدر على خلقه النعم الظاهرة، والباطنة مع معاصيهم، وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العصيان بعصيانهم، ويستعذبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وهو الحليم فلا يعاجل عبده *** بعقوبة ليتوب من عصيان



[ومن أسماء الله الحسنی: البر]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

البر.

الدليل: قال تعالى:- ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

الشرح:

٦٦- البر: بفتح الباء وتشديد الراء، ذكر مرة واحدة في القرآن في قوله: {إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} [الطور: ٢٨]، قال ابن عباس: هو اللطيف الصادق فيما وعد، وقال الضحاك: والبر هو اللطيف بعباده، المتولي لهم، الموصل إليهم جميع أنواع البر ووصفه البر وآثار هذا الوصف جميع النعم الظاهرة، والباطنة، فلا يستغني مخلوق عن إحسانه وبره طرفة عين.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

والبر في أوصافه سبحانه *** هو كثرة الخيرات والإحسان
صدرت عن البر الذي هو وصفه *** فالبر حينئذ له نوعان
وصف وفعل فهو بر محسن *** مولى الجميل ودائم الإحسان





وتوبته على عبده نوعان:

أحدهما: أنه يوقع في قلب عبده التوبة إليه، والإنابة إليه، فيقوم بالتوبة وشروطها من الإقلاع عن المعاصي، والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها، واستبدالها بعمل صالح.

والثاني: توبته على عبده بقبولها وإجابتها، ومحو الذنوب بها فإن التوبة النصوح تجب ما قبلها".

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وكذلك التواب من أوصافه *** والتواب في أوصافه نوعان
إذن بتوبة عبده وقبولها *** بعد المتاب بمئة المئنان



[ومن أسماء الله الحسنى: النور]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

النور:

الدليل: قال تعالى -: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

الشرح: *

٧٤- النور: من أسماء الله الحسنى، وقد ذهب بعض العلماء إلى عدم إثبات هذا الاسم إلا أن ابن القيم رحمه الله تعالى دافع عنه واثبته كما في مختصر الصواعق المرسلّة.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

ومن أسمائه الحسنى النور فالنور: وصفه العظيم، وأسماءه حسنى، وصفاته أكمل الصفات له تعالى رحمة، وحمد، وحكمة، وهو نور السماوات والأرض الذي نور قلوب العارفين بمعرفته، والإيمان به ونور أفئدتهم بهدايته، وهو الذي أنار السماوات والأرض بالأنوار التي وضعها. وحجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ٤. وبنوره استنارت جنات النعيم. والنور الذي هو وصفه من جملة نعوته العظيمة. اهـ



وبذلك يعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته وله علو القهر فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأه الله لم يقدرُوا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه.

فهو الذي على العرش استوى وعلى الملك احتوى.



[الهادي]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الهادي.

الدليل: قال تعالى:- ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[الحج: ٥٤].

الشرح: *

٨٢- الهادي: أي الذي يهدي ويوفق ويدل ويرشد. قال تعالى:- ﴿وَإِنَّ

اللَّهُ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

وقد أثبت هذا الاسم أيضا الشيخ مقبل -رحمه الله- كما في الجامع

الصحيح.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

هُوَ الَّذِي هَدَىٰ خَلْقَهُ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ وَرَبُّوبِيَّتِهِ وَهُوَ الَّذِي هَدَىٰ عِبَادَهُ إِلَىٰ

صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. اهـ

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

ولقد أتى في رقية المرض *** سى عن الهادي المبين أتم ما تبيان

قال السعدي رحمه الله تعالى: يُقَالُ عَفَوْتُ عَنِ الشَّيْءِ أَعْفُو عَنْهُ إِذَا تَرَكْتَهُ
وَعَفَا عَنْ ذَنْبِهِ إِذَا تَرَكَ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ وَاللَّهُ تَعَالَى عَفُو عَنْ الذُّنُوبِ وَتَارَكَ
الْعُقُوبَةَ عَلَيْهَا. اهـ

قال ابن القيم:

وهو العفو فعفوه وسع الوری *** لولاه غار الأرض بالسكان



الحاكم

الشرح:

وفي الآخرة يقضي بينهم سبحانه بالحق: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾.

سَمِيَ الْحَاكِمَ حَاكِمًا لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْخُصَمَيْنِ مِنَ التَّظَالُمِ. اهـ

وقد حكاها الحاكم العدل الرضى ❀❀❀ في كتبه عنه بلا نكران

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الغنى

الدليل: قال تعالى:- ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الانعام: ١٣٣].

الشرح:

٨٧- الغنى: أي ذو الغنى الذاتي سواءً عبد أو كافر، أطيع أم عصى.

قال الله تعالى:- ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾.

أي صاحب الغنى المطلق: «ألم ترى كم أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه وعرشه على الماء» أخرجه مسلم عن أبي موسى -رضي الله عنه-.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعُمُونِي أَطْعَمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي

إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّوْنِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ
أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ،
مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ
كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي
لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي
فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ
إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوفِّيْكُمْ إِيَّاهَا،
فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(١)
أخرجه مسلم.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

وَهُوَ الْغَنِيُّ وَالْمُسْتَغْنِي عَنِ الْخَلْقِ بِقُدْرَتِهِ وَعِزِّ سُلْطَانِهِ وَالْخَلْقُ فُقَرَاءٌ إِلَى
تَطَوُّلِهِ وَإِحْسَانِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾. اهـ

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وهو الغني بذاته فغناه ذا*** تي له كالجود والإحسان



(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٧).

فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأَتِنِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَّمَسَ مَرْكَبًا يَرْكُبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَلُهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَتَقَرَّرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِي بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِي بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِإِلَيْهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَاتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِأَتِيكَ بِإِلَيْكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتُ بَعَثْتُ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آدَى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتُ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرَفَ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا " ^(١) أخرجه البخاري.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٩١).

الله كفيلاً: ضامناً، فإذا أراد الإنسان أن يخفر ذمة الله، أهلكه الله.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

وهو الكفيل بكل ما يدعونه *** لا يعترى جدواه من نقصان

قال السعدي رحمه الله تعالى:

الحبي الستير: يحب أهل الحياء، والستر، ومن ستر مسلماً ستر الله عليه في الدنيا، والآخرة، ولهذا يكره من عبده إذا فعل معصية أن يذيعها، بل يتوب إليه فيما بينه وبينه ولا يظهرها للناس، وإن من أمقت الناس إليه من بات عاصياً، والله يستره فيصبح يكشف ستر الله عليه. اهـ

٩٠- السَّيِّر: بفتح السين، الذي يستر على عبده قال تعالى -: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾.

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- حَيٌّ سَيِّرٌ»، أخرجه أبو داود (٤٠١٢) وأحمد (٢٢٤/٤) والنسائي (٤٠٦)، وهو حديثٌ صحيحٌ.

والعامة يقولون ستار ولا يصح.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وهو الحبي فليس يفضح عبده *** عند التجاهر منه بالعصيان

لكنه يلقي عليه ستره *** فهو السَّيِّر وصاحب الغفران

[المُسْعَرُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّازِقُ]

قال المصنف حفظه الله تعالى:

المُسْعَرُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّازِقُ.

الدليل: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غَلَا السَّعْرُ، فَسَعَّرَ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسْعَرُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ»، حديث صحيح، أخرجه أبو داود (٣٤٥٠)، وغيره.

الشرح:

٩١- المسعر: هو الذي يسر بين العباد كيف شاء.

قال ابن العثيمين رحمه الله تعالى:

يعني: أن الله هو الذي يُغَلِّي الأشياء ويرُخِّصها، فليس من الأسماء، هذا الذي يظهر لي، والله أعلم. **اهـ**

٩٢- القابض: يقبض عمن شاء ويعطي من شاء.

٩٣- الباسط: ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار وييسط لعباده

الأرزاق، وفي الحديث: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» متفق عليه.

ويسط يده بالرزق والعتاء.

٩٤- الرزاق: أي المعطي لأن الرزق هو العطاء.

قال ابن القيم في نونته:

وكذلك الرزاق من أسمائه *** والرزق من أفعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله *** نوعان أيضا ذان معروفان
رزق القلوب العلم والإيمان *** والرزق المعد لهذه الأبدان
هذا هو الرزق الحلال وربنا *** رزاقه والفضل للمنان
والثان سوق القوت للأعضاء في *** تلك المجاري سوقه بوزان
هذا يكون من الحلال كما يكون *** من الحرام كلاهما رزقان
والله رازقه بهذا الاعتبار *** وليس بالإطلاق دون بيان

قوله: «وَأَنِّي لَأَرْجُو أَنَّ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ»: فيه بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الظلم، والحديث صحيح وهو في الصحيح المسند أخرجه أبو داود.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

ونظير هذا القابض المقرون با *** سم الباسط اللفظان مقترنان

٩٦- **المؤخر:** يؤخر من شاء وهو القدير الذي لا يعجز شيء. عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «...أَنْتَ الْمُقَدَّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١) أخرجه البخاري ومسلم.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

المؤخر: وَهُوَ الَّذِي يُؤَخِّرُ مَا يَجِبُ تَأْخِيرُهُ وَالْحِكْمَةُ وَالصَّلَاحُ فِيمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنْ خَفِيَ عَلَيْنَا وَجْهُ الْحِكْمَةِ وَالصَّلَاحِ فِيهِ. اهـ أي في الدعاء يتوسل إلى الله - عز وجل - بكونه المقدم والمؤخر وأنه على كل شيء قدير. اهـ

٩٧- **القدير:** القادر على كل شيء فلا يعجزه شيء، ولا يكرهه، قال تعالى: ﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فيسأل الله أن يغفر له ذنوبه المتقدمة والمتأخرة.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

القدير: كامل القدرة بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، بقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد" اهـ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٩٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧١٩).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وهو التقدير فكل شيء فهو مقفف دور له طوعا بلا عصيان
وعموم قدرته تدل بأنه هو خالق الأفعال للحيوان

وقال أيضًا رحمه الله تعالى:

وهو القدير وليس يعجزه إذا ❀❀❀ ما رام شيئاً قط ذو سلطان



السبوح

قال المصنف حفظه الله تعالى:

السُّبُّوحُ.

الدليل: عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-
كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ...»، أخرجه مسلم (٤٨٧).

الشرح: *

٩٨- السبوح: أي المنزه عن النقائص.

قوله: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رب الملائكة والروح»: أي المنزه والمقدس عن
النقص والعيب.

وتتمة الحديث: كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ
المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ».

*

الرقيق

قال المصنف حفظه الله تعالى:

الرقيقُ.

الدليل: عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ...»، أخرجه البخاري رقم (٦٩٢٧) ومسلم رقم (٢٥٩٣).

الشرح:

٩٩- الرقيق: رفيق يحب الرفق، يرفق بعباده ما أمرهم إلا بما يستطيعون.

قال تعالى:- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى:- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧].

وتتمة الحديث: «يَا عَائِشَةُ» إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ".

قال السعدي رحمه الله تعالى:

"ومن أسمائه "الرقيق" في أفعاله وشرعه، وهذا قد أخذ من قوله صلى

الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «إن الله رفيق يحب أهل الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»^(١).

فالله تعالى رفيق في أفعاله خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة.

ومن تدبر المخلوقات وتدبر الشرائع كيف يأتي بها شيئاً بعد شيء شاهد من ذلك العجب العجيب، فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة ووقار إتباعاً لسنن الله في الكون وإتباعاً لنييه صلى الله عليه وسلم. اهـ



(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٩٢٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٩٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

ومن أسمائه الحكم العدل الذي يحكم بين عباده في الدنيا، والآخرة بعدله، وقسطه فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمل أحدًا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا وصل إليه حقه.

والحكم العدل الذي إليه الحكم في كل شيء فيحكم تعالى بشرعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يحكم بها بين المتخاصمين، ويفصل بين المتنازعين، من الطرق العادلة الحكيمة، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ويحكم فيها بأحكام القضاء، والقدر، فيجري عليهم منها ما تقتضيه حكمته ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء، والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمده الخلائق على حكمه حتى من قضى عليهم بالعذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة".

أقول: لا دليل على تسمية الله بالعدل مع أنه موصوف بها تعالى.



قال السعدي رحمه الله تعالى:

المعطي، المانع: هذه من الأسماء المتقابلة التي لا ينبغي أن يثني على الله بها إلا كل واحد منها مع الآخر لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن شاء ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته. اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

هذا ومن أسمائه ما ليس يفهمه *** رد بل يقال إذا أتى بقران
وهي التي تدعى بمزدوجاتها *** أفرادها خطر على الإنسان
إذ ذاك موهم نوع نقص جل رب *** العرش عن عيب وعن نقصان
كالمانع المعطي وكالضار الذي *** هو نافع وكمال الأمران

قال السعدي رحمه الله تعالى:

"الجميل: من له نعوت الحسن والإحسان، فإنه جميل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فلا يمكن مخلوقاً أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم، واللذات، والسرور، والأفراح التي لا يقدر قدرها إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودّوا أن لو تدوم هذه الحال، ليكتسبوا من جماله، ونوره جمالاً إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحاً تكاد تطير له القلوب.

وكذلك هو جميل في أسمائه، فإنها كلها حسنى بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجلها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

فكلها دالة على غاية الحمد، والمجد، والكمال، لا يسمى باسم منقسم إلى كمال وغيره.

وكذلك هو الجميل في أوصافه فإن أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات، وأعمّها، وأكثرها تعلقاً، خصوصاً أوصاف الرحمة، والبر، والكرم، والجود.

وكذلك أفعاله كلها جميله فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد
عليها ويشني عليه ويشكر، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها
للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عبث ولا سفه، ولا سدى ولا ظلم، كلها
خير وهدى ورحمة ورشد وعدل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.





السَّدُّ.

الدليل: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٨٠٦) وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

الشرح:

١٠٩ - السيد: هو ذو السيادة المطلقة، والخلق عبده ويطلق على غير الله
 فالنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «أنا سيد الناس».
 ويقول - صلى الله عليه وسلم -: «قوموا إلى سيدكم» لكن السيادة
 المطلقة لا تكون إلا لله، سيد الدنيا والآخرة وله السيادة من كل وجه.
 قوله: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»:، أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) وهو
 حديثٌ صحيح، في الصحيح المسند للشيخ مقبل - رحمه الله -.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وهو الإله السيد الصمد الذي ❀❀❀ صمدت إليه الخلق بالإذعان



قلت: الحديث أخرجه أحمد عن عبد الله بن محمد بن عقیل، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتريت بعيراً، ثم شددت عليه رجلي، فسرته إليه شهراً، حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال ابن عبد الله: قلت: نعم، فخرج يظأ ثوبه فاعتنقني، واعتنقته، فقلت: حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص، فخشيت أن تموت، أو أموت قبل أن أسمعته، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بِهِمَا» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بِهِمَا؟ قَالَ: " لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ [بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ] قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقْضَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقْضَهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ " قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بِهِمَا؟ قَالَ: " بِالْحُسْنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ " ومداره على عبد الله بن محمد بن عقیل مختلف فيه، والراجح ضعفه، ومع ذلك علقه البخاري بصيغة الجزم، وقد أثبت الاسم غير واحد من أهل العلم كما ترى.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وكذا ينادي الخلق يوم معادهم *** بالصوت يسمع صوته الثقلان
أني أنا الديان آخذ حق مظ *** لوم من العبد الظلوم الجاني
وباب الأسماء والصفات باب واسع، ألفت فيه المختصرات والمطولات،
لكن ما قل وكفى فيه خير، وعسى أن ييسر الله عز وجل بإفراد هذا الباب
والتعليق عليه بأوسع مما ذكر للحاجة إليه، والله المستعان.



[الخاتمة]

بهذا أكون قد انتهيت من تدريس كتاب "المبادئ المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة" في التاسع والعشرين من صفر لعام **أربعين وأربعمائة** وألف من هجرة النبي ﷺ.

فأسأل الله أن ينفع به كما نفع بأصله، والنصيحة لطلاب العلم وغيرهم من المسلمين بالاهتمام بالعقيدة والتوحيد والفقه الصحيح؛ لأن التعبد لله بما وكما شرع وأمر لا يكون إلا بسلوك هذا الطريق الذي تقدم ذكر بعض ما يتعلق به مع أدلته، فهو الفارق بين أهل السنة والبدعة، وهو الحق المقدم، والواجب المفخم، الذي بينه الله - عز وجل - وبينه رسوله ﷺ على أتم وأكمل حال.

وكان الانتهاء من المراجعة الأخير في السادس والعشرين من ربيع الآخرة لعام واحد وأربعين وأربعمائة وألف ضحى يوم الاثنين، في مكتبة دار الحديث بمسجد الصحابة بمدينة الغيضة، بمحافظة المهرة.

- والحمد لله -



المحتويات

٢	[مقدمة الشارح]
٥	[ترجمة المصنف حفظه الله تعالى]
١١	[بقية مقدمة الشارح حفظه الله تعالى]
١٨	[مقدمة المؤلف حفظه الله تعالى ونفع بعلمه]
٤١	[مبادئ التوحيد والعقيدة]
٤٤	[الفقرة الأولى: من خلقك؟]
٤٩	[الفقرة الثانية: من ربك؟]
٥٣	[الفقرة الثالثة: لماذا خلقك الله؟]
٥٦	[الفقرة الرابعة: ما دينك؟]
٦٨	[الفقرة الخامسة: من نبيك؟]
٧٤	[مهمات من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم]
٧٦	[أُمَمَاتِهِ صلى الله عليه وسلم اللاتي أَرْضَعْنَهُ]
٧٧	[حواضن النبي صلى الله عليه وسلم]
٧٨	[مَبْعُتِهِ صلى الله عليه وسلم وَأَوَّلِ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ]
٧٩	[فِي أَسْمَائِهِ صلى الله عليه وسلم]

- ٨٠ [أولاده صلى الله عليه وسلم]
- ٨٢ [أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه]
- ٨٤ [الدليل على أن محمداً هو رسول الله صلى الله عليه وسلم]
- ٩٠ [بعض شمائل وخصائص النبي _ صلى الله عليه وسلم _]
- ١٠٤ [الفقرة السادسة: ما أول واجب على العباد؟]
- ١١١ [الفقرة السابعة: ما معنى لا إله إلا الله؟]
- ١٢١ [الفقرة الثامنة: ما معنى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم]
- ١٣٠ [الفقرة التاسعة: ما حق الله على عباده؟]
- ١٤٤ [الفقرة العاشرة: ما هو الشرك؟]
- ١٥٠ [الفقرة الحادية عشر: ما حكم تصوير ذوات الأرواح؟]
- ١٦٧ [الفقرة الثانية عشر: ما تعلق تصوير ذوات الأرواح بالشرك؟]
- ١٧٢ [الفقرة الثالثة عشر: ما تعريف العبادة؟]
- ١٨٠ [الفقرة الرابعة عشر: أين الله؟]
- ١٩٤ [الفقرة الخامسة عشر: هل الله معنا؟]
- ٢٠٠ [الفقرة السادسة عشر: ما تعريف الإسلام؟]
- ٢٠٧ [الفقرة السابعة عشر: هل دين الإسلام كامل؟]
- ٢١٣ [الفقرة الثامنة عشر: من أين يأخذ المسلم دينه؟]

- [الفقرة التاسعة عشر: ما عقيدتك؟] ٢٣٠
- [بيان مصدر عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين] ٢٤٣
- [الفقرة العشرون: من أول الرسل إلى أهل الأرض، ومن آخرهم؟] .. ٢٤٦
- [الفقرة الواحدة والعشرون: جميع الرسل إلى ماذا يدعون الناس؟] ٢٧٩
- [الفقرة الثانية والعشرون: ما تعريف التوحيد الذي جميع الرسل...؟] ... ٢٨٣
- [الفقرة الثالثة والعشرون: كم أقسام توحيد -الله عز وجل-؟] ٢٩١
- [بيان بعض القواعد في الأسماء والصفات] ٢٩٦
- [الفقرة الرابعة والعشرون: ما أعظم حسنة، وما أعظم سيئة؟] ٣١٢
- [الفقرة الخامسة والعشرون: كم مراتب الدين؟] ٣٣٤
- [الفقرة السادسة والعشرون: كم أركان الإسلام؟] ٣٤٠
- [الفقرة السابعة والعشرون: ما هو الإيمان؟] ٣٥٢
- [تتمة: ذكر شيء من فضائل الصحابة رضي الله عنهم] ٣٧٤
- [الفقرة الثامنة والعشرون: كم أركان الإيمان؟] ٣٩١
- [الفقرة التاسعة والعشرون: ما تعريف الإحسان بين العبد وربّه؟] ... ٤١٨
- [الفقرة الثلاثون: ما حكم سب الله، وسب رسوله، وسب دينه، أو الاستهزاء؟] ٤٢٤

- [الفقرة الواحدة والثلاثون: ما جزاء المؤمنين، وما جزاء الكافرين يوم القيامة؟] ٤٣٩
- [الفقرة الثانية والثلاثون: كم عدد الدور؟] ٤٥٧
- [الفقرة الثالثة والثلاثون: ما أول منازل الآخرة؟] ٤٦٨
- [الفقرة الرابعة والثلاثون: ماذا تعتقد في عذاب القبر ونعيمه؟] ٤٧١
- [الفقرة الخامسة والثلاثون: ماذا تعتقد في البعث والوقوف والحساب وأخذ الكتاب؟] ٤٩١
- [الفقرة السادسة والثلاثون: هل المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة؟] ... ٥١٧
- [الفقرة السابعة والثلاثون: ماذا تعتقد في القرآن الكريم الذي في المصحف؟] ٥٣٢
- [الفقرة الثامنة والثلاثون: هل القرآن عربي أم أعجمي؟] ٥٤١
- [الفقرة التاسعة والثلاثون: هل لله أسماء وصفات؟] ٥٤٦
- [الفقرة الأربعون: هل أحد غير الله يعلم الغيب؟] ٥٦١
- [الفقرة الواحدة والأربعون: متى تقوم الساعة؟] ٥٦٩
- [الفقرة الثانية والأربعون: كم شروط قبول العمل؟] ٥٧٢
- [الفقرة الثالثة والأربعون: كم أنواع التوسل المشروع؟] ٥٩٠
- [الفقرة الرابعة والأربعون: هل في الدين بدعة حسنة؟] ٦٠٥

- [الفقرة الخامسة والأربعون: من شر البرية الذين يجب علينا بغضهم؟] ٦٢٠
- [الفقرة السادسة والأربعون: ما هي الديمقراطية؟] ٦٢٨
- [الفقرة السابعة والأربعون: ما حكم الديمقراطية؟] ٦٤٠
- [الفقرة الثامنة والأربعون: ما حقيقة الانتخابات؟] ٦٤٧
- [الفقرة التاسعة والأربعون: ما حكم الحزبية؟] ٦٦٠
- [الفقرة الخمسون: من أضل الفرق التي تدعي الإسلام؟] ٦٧٢
- [مبادئ الفقه] ٦٩٥
- [شرح حديث: «اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم...»]
- ٦٩٧
- [الفقرة الواحدة والخمسون: ومحلها النية؟] ٧٠٦
- [الفقرة الثانية والخمسون: التلفظ بالنية بدعة] ٧١٣
- [الفقرة الثالثة والخمسون: ما هي البدعة؟] ٧١٦
- [الفقرة الرابعة والخمسون: خلق الله الماء طهورًا يطهر النجاسات والأحداث] ٧٢١
- [الفقرة الخامسة والخمسون: ماذا يقول من أراد دخول الخلاء؟] ٧٢٦
- [الفقرة السادسة والخمسون: من آداب قضاء الحاجة] ٧٣٠
- [الفقرة السابعة والخمسون: لا تصح الصلاة إلا بوضوء] ٧٤٥

- [الفقرة الثامنة والخمسون: أعضاء الوضوء] ٧٤٩
- [الفقرة التاسعة والخمسون: التيمن في الوضوء، وإطالة الغرة، والتحجيل]
- ٧٥٦
- [الفقرة الستون: أحسن صفة لوضوء رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _]
- ٧٦٧
- [الفقرة الواحدة والستون: من لبس الخفين، أو الجوربين على وضوء، ...]
- ٧٧٧
- [الفقرة الثانية والستون: إذا حضرت الصلاة ولم تجد الماء فتيمم] ٧٨٦
- [الفقرة الثالثة والستون: بعد الفراغ من الوضوء] ٧٩٥
- [الفقرة الرابعة والستون: بيان نواقض الوضوء] ٧٩٨
- [الفقرة الخامسة والستون: على المسلم في كل يوم وليلة خمس صلوات مفروضة] ٨١٣
- [الفقرة السادسة والستون: فإذا قيل: كم في الخمس الصلوات ركعة؟]
- ٨١٧
- [الفقرة السابعة والستون: كل صلاة يؤذن لها في وقتها] ٨٢١
- [الفقرة الثامنة والستون: من سمع النداء يقول مثل ما قال المؤذن] ٨٢٩
- [الفقرة التاسعة والستون: إذا قمت إلى الصلاة فاستقبل القبلة] ٨٣٣

- ٨٣٩ [الفقرة السبعون: رفع اليدين في الصلاة في أربعة مواضع]
- [الفقرة الواحدة والسبعون: وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى في الصلاة]
- ٨٤٤
- ٨٥٠ [الفقرة الثانية والسبعون: أصبح دعاء في الاستفتاح]
- [الفقرة الثالثة والسبعون: قبل قراءة الفاتحة استعذ بالله...، وسم الله، سرًا]
- ٨٥٧
- ٨٦٢ [الفقرة الرابعة والسبعون: قراءة الفاتحة]
- ٨٦٩ [الفقرة الخامسة والسبعون: التأمين]
- ٨٧٦ [الفقرة السادسة والسبعون: الصلاة باطمئنان]
- ٨٨٥ [الفقرة السابعة والسبعون: النزول إلى السجود على اليدين]
- ٨٩٠ [الفقرة الثامنة والسبعون: أذكار الركوع والسجود]
- [الفقرة التاسعة والسبعون: ما يقول الإمام والمنفرد بعد الرفع من الركوع]
- ٨٩٥
- ٨٩٩ [الفقرة الثمانون: التشهد في الصلاة]
- [الفقرة الواحدة والثمانون: صفة الجلوس في الصلاة والإشارة في التشهد]
- ٩٠٦

[الفقرة الثانية والثمانون: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد]

٩١٤

[الفقرة الثالثة والثمانون: الدعاء قبل التسليم ثم الذكر بعده] ٩٢٧

[الفقرة الرابعة والثمانون: من أذكار النوم والاستيقاظ] ٩٣٨

[الفقرة الخامسة والثمانون: التسمية على الطعام] ٩٤٤

[الفقرة السادسة والثمانون: أذى الجيران وغيرهم من المسلمين حرام] ٩٤٩

[الفقرة السابعة والثمانون: إذا أردت أن تدخل بيتا فاستأذن وسلم قبل

دخولك] ٩٥٢

[الفقرة الثامنة والثمانون: عليك بالصدق، فإنه يهدي إلى الجنة] ٩٦٠

[الفقرة التاسعة والثمانون: عليك ببر الوالدين] ٩٦٥

[الفقرة التسعون: تحريم التشبه بالكافرين] ٩٦٩

[الفقرة الواحدة والتسعون: عليك بكثرة ذكر الله] ٩٧٨

[الفقرة الثانية والتسعون: كفارة المجلس] ٩٩١

[ذكر أسماء الله الحسنى بأدلتها] ٩٩٩

[من أسماء الله الحسنى: الله، الإله، الحي، القيوم] ١٠٠٥

[ومن أسماء الله الحسنى: الرب، الرحمن، الرحيم] ١٠٠٩

- [ومن أسماء الله الحسنى: المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ،... الحَكِيمُ] ١٠١٢
- [ومن أسماء الله الحسنى: الأوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، العَلِيمُ] ١٠٢٠
- [ومن أسماء الله الحسنى: الغَفُورُ، الوَدُودُ، المَجِيدُ] ١٠٢٣
- [ومن أسماء الله الحسنى: الرِّزَّاقُ، القَوِيُّ، المَتِينُ] ١٠٢٥
- [ومن أسماء الله الحسنى: الْغَيْرُ، الْحَافِظُ، الْحَفِيفُ] ١٠٢٧
- [ومن أسماء الله الحسنى: الْعَالِمُ، الْكَبِيرُ، الْمُتَعَالِ] ١٠٢٩
- [ومن أسماء الله الحسنى: الْمَالِكُ، الْمَلِكُ، الْمُقْتَدِرُ] ١٠٣٠
- [ومن أسماء الله الحسنى: الْأَحَدُ، الصَّمَدُ] ١٠٣٢
- [ومن أسماء الله الحسنى: الْوَاحِدُ، الْقَهَّارُ] ١٠٣٥
- [ومن أسماء الله الحسنى: الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ] ١٠٣٧
- [ومن أسماء الله الحسنى: الْمُؤَلَّى، النَّصِيرُ] ١٠٣٩
- [ومن أسماء الله الحسنى: الرَّقِيبُ، الشَّهِيدُ] ١٠٤٠
- [ومن أسماء الله الحسنى: السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ] ١٠٤٢
- [ومن أسماء الله الحسنى: الْحَقُّ، الْمُبِينُ] ١٠٤٥
- [ومن أسماء الله الحسنى: الْلطِيفُ، الْغَيْبُ] ١٠٤٧
- [ومن أسماء الله الحسنى: الْقَرِيبُ، الْمُجِيبُ] ١٠٤٩

- ١٠٥١ [ومن أسماء الله الحسنى: الكَرِيمُ، الأَكْرَمُ]
- ١٠٥٣ [ومن أسماء الله الحسنى: العَلِيُّ، العَظِيمُ]
- ١٠٥٦ [ومن أسماء الله الحسنى: الحَسِيبُ، الوَكِيلُ]
- ١٠٥٨ [ومن أسماء الله الحسنى: الشَّكُورُ، الحَلِيمُ]
- ١٠٦١ [ومن أسماء الله الحسنى: البَرُّ]
- ١٠٦٢ [ومن أسمائه الحسنى: الشَّاكِرُ]
- ١٠٦٣ [ومن أسماء الله الحسنى: الوَهَّابُ]
- ١٠٦٤ [ومن أسماء الله الحسنى: القَاهِرُ]
- ١٠٦٥ [ومن أسماء الله الحسنى: الغَفَّارُ]
- ١٠٦٦ [ومن أسماء الله الحسنى: الثَّوَابُ]
- ١٠٦٨ [ومن أسماء الله الحسنى: الفَتَّاحُ]
- ١٠٦٩ [ومن أسماء الله الحسنى: الرُّءُوفُ]
- ١٠٧٠ [ومن أسماء الله الحسنى: النُّورُ]
- ١٠٧١ [ومن أسماء الله الحسنى: الْمُقِيتُ]
- ١٠٧٢ [الوَاسِعُ]
- ١٠٧٣ [الْوَارِثُ]
- ١٠٧٤ [الأَعْلَى]

- ١٠٧٦ [المحيط]
- ١٠٧٧ [العلام]
- ١٠٧٨ [المستعان]
- ١٠٧٩ [الهادي]
- ١٠٨٠ [الناصر]
- ١٠٨١ [الخلق]
- ١٠٨٢ [العفو]
- ١٠٨٤ [الحاكم]
- ١٠٨٥ [الغني]
- ١٠٨٧ [الكفيل]
- ١٠٩٠ [الحَيُّ، السَّيِّدُ]
- ١٠٩٢ [المُسَعِّرُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّازِقُ]
- ١٠٩٤ [المُقَدِّمُ، الْمُؤَخَّرُ، الْقَدِيرُ]
- ١٠٩٧ [السَّبوح]
- ١٠٩٨ [الرفيق]
- ١١٠٠ [الطيب]
- ١١٠١ [الحكم]

- ١١٠٣ [الشافعي]
- ١١٠٤ [المعطي]
- ١١٠٦ [الوتر]
- ١١٠٧ [الطيب]
- ١١٠٨ [الجميل]
- ١١١١ [المنان]
- ١١١٢ [السيد]
- ١١١٣ [الديان]
- ١١١٦ [الخاتمة]